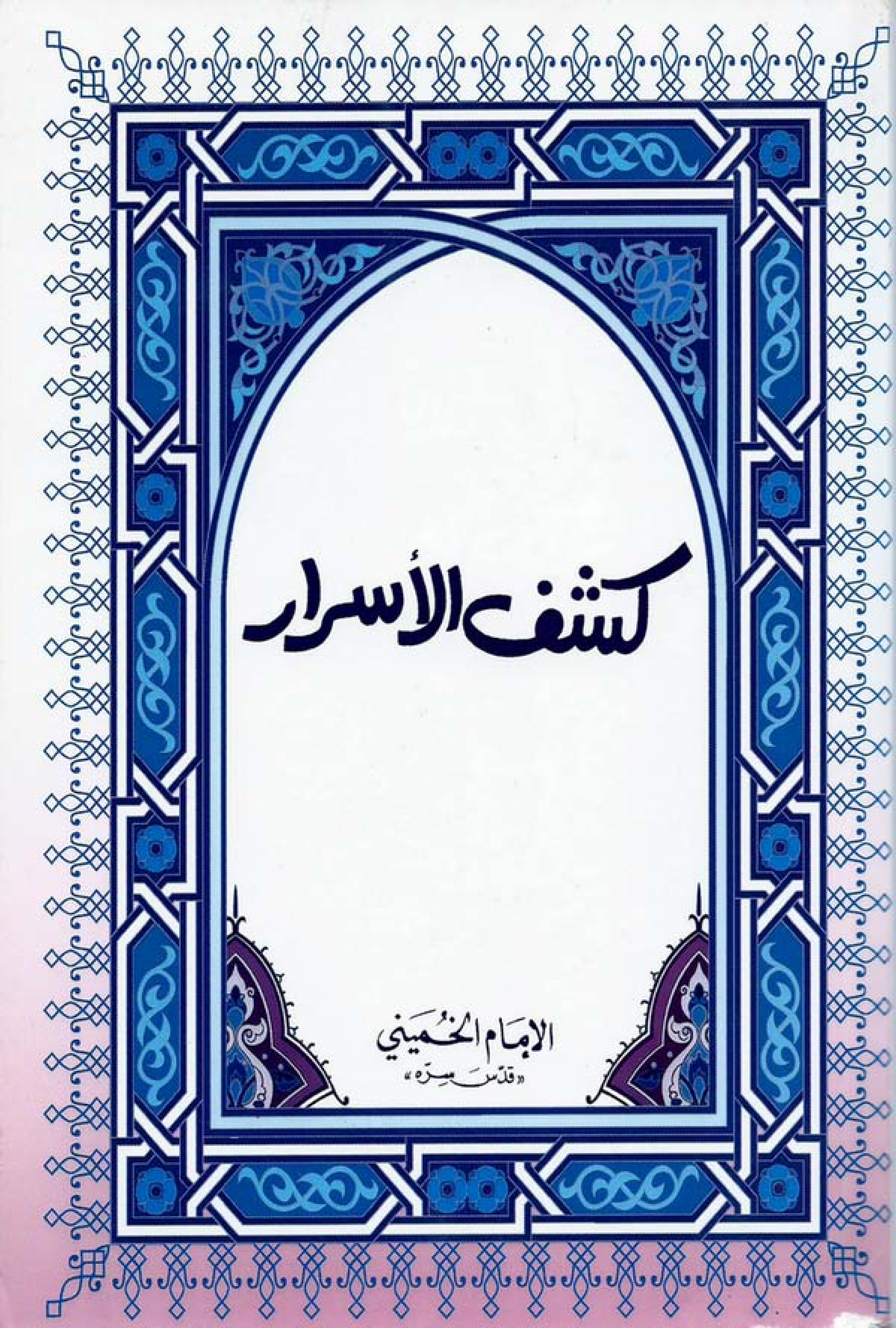


كشف الأسرار
الإمام الخميني
«قدس سره»

كشف الأسرار



الإمام الخُميني
«قدّس سرّه»

كشف الأسرار

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم أبي القاسم محمد (ص) .

شاءت الإرادة الربابنة ـ والاستقراء شاهد عليه ـ أن يظهر في كل عصر رجال إذا أرادوا أراد . يذودون عن دينه ويدافعون عن حزبه ويجاهدون في الله حق جهاده لا تأخذهم في الله لومة لائم يحاربون البدع ويسعون لإقامة حكم الله لا يملّون في جهادهم وان ملّ الزمان وطال ولا يسترخون مهما عمر الظلم طال .

وكان من هؤلاء رجل لا كالرجال . سر من الأسرار الإلهية أتعب العقول فما فهمته وتسلط على القلوب فتنورت بمحبته . شخصيته شاءت إرادة الله العزيز الحكيم أن تظهر في هذه السنين في ظل غيبة منتظر القلوب وصرخة الشعوب . فذكّرنا هذا الرجل بأهل العصمة والسر المستودع فيهم . رجل ممن عظم الخالق في أعينهم فصغر ما دونه في أنفسهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم فقدوا أنفسهم منها أما الليل فصافون أقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلونها ترتيلاً فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم واكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم . وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء . وإن له لقوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين وحرصاً في علم وعلماً في حلم يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريباً أمله قليلاً زلله . في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور فإن بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له أتعب نفسه لآخرته وأراح الناس من نفسه . عنيت به الإمام الخميني المقدس في السموات والأرضين .

ولد عام ١٣٢٠ هـ . درس المقدمات عند أخيه السيد مرتضى المعروف

بـ «بسنديده» سنـة ١٣٣٨ وأنهى درس السطوح عـام ١٣٤٥ والتحق بدرس الحـائري حتى بلغ الاجتهـاد وكان مسلم الاجتهـاد عام ١٣٥٥ عـام وفاة الشيـخ عبـد الكـريم الحـائري زعيم الحـوزة العلمية في قم آنـذاك . بدأ بتـدريس الفلسفة والعـرفان عـام ١٣٤٧ وبتدريس الخارج عام ١٣٦٤ سنة مجيء السيد البروجردي إلى قم .

ألّف كتاب مصباح الهداية وله من العمر ٢٧ ، وكتـاب شرح دعاء السحـر وله من العمر ٢٩ ، وكتاب كشف الأسرار ـ وهـو الذي ـ بـين يديـك ـ وله من العمـر ما يقـارب الأربعـين ولم يكن الإمـام معـروفـاً بعـد عـلى المستوى الشعبي فكتب كشف الأسرار وهو يريد أن يضع أول قدم في طريق الجهاد ضد النـظام مستغلاً كـل الفرص حتى سنحت لـه الفرصـة بعد عشرين عـاماً من كتـابة هـذا الكتـاب أي عـام ١٩٦١ ميلادي ١٣٨٤ هجري وهي فرصة استمر الإمام في انتهازها وإثارة النظام حتى اعتقل ثم نفي إلى العـراق ولم يهـدأ بـل استمـر في جهـاده حتى عـاد منتصـراً مؤسسـاً دولـة الإسلام .

تعريف بالكتاب :

يـظهر من هـذا الكتاب أنـه جاء رداً عـلى بعض الكتّاب الـذين أهوتهم الـدنيا وأسرتهم كما يظهر أن ذلك الكاتب ممن كانوا يتزيون بزي طلبة العلم ممن كان محسـوباً على المؤمنين وقـرار مجالس العـزاء ثم أعرض عن ذلـك واستغل لبلهـه كي يكون أداة له يراد منها اضلال الناس . فكان بدعة على العلماء أن يتصدوا لها ويظهروا علمهم فبرز الإمام (قده) راداً مبيناً رافعاً للشبهات دالاً على الحق .

وفي هذا الكتاب أول بروز سياسي للإمام (قده) على مستـوى الأمة وأكـثر من الحديث عن رضا خان ملك إيران والد محمد رضا المخلوع على يـد الإمام المقـدس . لكنه كان يشير بالتلميح إلى محمد رضا مكتفياً به عن التصريح وهو في بداية جهاده .

حوى الكتاب على مقالات ستة . مقالة في التوحيد رد فيها الشبهـات المتوجهـة على الشيعة من قبل الوهابيين ومن تأثر بهم من الشيعة ـ كهذا الكـاتب على مـا يظهـر من الكتاب ـ وغيرهم . ومقالة في الإمامة بيّن فيها حقـانيّة المـذهب الشيعي بالـبرهان ممن تستفيد منه العقول المنفتحة على الحق دون تعصب أو تحريض . ومقـالة في العلماء ومقالة في الحكومة يبين فيها نظرية ولاية الفقيه بشكل مجمل جداً بمقدار ما اقتضاه الرد

على ذلك الكتاب ومقالـة في القانـون ومن له القـانون يبـين فيها أن الإسـلام دين الله الأبدي ومقالة في الحديث .

واعلم أن هذا الكتاب موجّه في الأصل إلى الشعب الإيراني لأنه الذي خـوطب بذلك الكتاب السخيف[1] ولذا قد تجد بعض العبارات في هذا المجـال وأحيانـاً بدّلنـا في بعض التعبيرات ليكون الخطاب عاماً حيث ترجم إلى العربية .

(١) وهو كتاب « أسرار ألف سنة » وسيأتي الكلام حوله مفصلاً في مقدمة الناشر .

مقدمة الناشر

هذا الكتاب الذي ننشره لقرّاء العربية اليوم ، له قصة طويلة تمتد في الماضي إلى ما يزيد على أربعين سنة ؛ ففي سنة ١٩٤٢ ، كتب الإمام الخميني (قده) وهو في الأربعين من عمره ، وكانت الساحة الإيرانية يومئذٍ تشهد فترة من الإنفراج النسبي بعد أن أسقط الحلفاء رضا شاه بهلوي ونفوه ؛ هذه الفترة استغلها دعاة القومية الإيرانية في الهجوم على الإسلام وبعض المعتقدات التي يدين بها أكثر سكان إيران مع ما كانت تشهده الساحة آنذاك من ممارسات يقوم بها بعض ممن ينتسبون إلى الدين .

وكان إستغلال هذه الفترة يبدو وكأنه مخطط يراد من خلاله القضاء على الدين الإسلامي عن طريق تشويه معالمه ومسخها لتبدو بنظر الشباب خاوية لا قيمة لها فيبتعد الناس رويداً رويداً ، ليتسنى للإستعمار إستغلال ما تبقى من ثروات ، وهكذا نجد في أغلب البقاع الإسلامية من ينهض ومن الداخل لينقضّ على المعتقدات والشعائر - وكالهرة التي أكلت بنيها - ويبقى الغرب دائماً يلعب دور المتفرّج وكأن الأمر لا يعنيه ، وقلبه يرقص فرحاً لما يرى من تمزقٍ داخل صفوف المسلمين .

وليس هذا بالإدعاء المجرّد عن الدليل ، فقد كانت الوهابية آنذاك تهز مشاعر العالم الإسلامي من خلال إعتدائها على الآثار الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنوّرة بحجة أنها قبور ولا يجوز إحياء أمر أصحابها وتعظيمهم حتى ولو كان الرسول (ص) ، وقد دلت بعض الدراسات أن روضة الرسول (ص) تعرضت لهجمات الوهابيين محاولة لإزالتها إسوة بما في البقيع ، لولا أن تحركت بعض الأصوات الإسلامية من هنا وهناك ولكنها كانت خافتةً إذ لم يسمح لمشاهد أهل البيت (ع) في البقيع أن يعاد إحياؤها ، واقتصر الأمر على روضة النبي (ص) .

ومن ثم كان يعتبر شركاً « زيارة القبور ، والنذور » وما يتصل بذلك من اعتقادات وصولاً إلى الإستخارة والشفاعة ، حتى استحلت دماء من يدعو إلى إحياء تلك الأمور بحجة أنها بدع وأصحابها في ضلال .

إزاء هذا الوضع الذي ذكرنا ، يصف لنا الإمام الخميني (قده) وعندما سأله السيد أحمد قائلاً له : هل أنت عصبي في هذا الكتاب (كشف الأسرار) ؟ قال : لم تكن أنت موجوداً في ذلك الوقت لترى أية إهانات كانت بحق الإسلام[1] .

وهذا ما دفع بالإمام لتعطيل دروسه مدة الشهر أو الشهرين ليتفرغ لكتابة هذا الكتاب ؟ وهو يعبّر عن الروح العالية التي كان يحملها الإمام (قده) والتي كانت تدفعه لملاحقة صغير الأمور وكبيرها ، وهو درس ينبغي للجميع أن يتعلموه فإن على المرء أن يتابع عمله الذي تفرّغ له ووقف له حياته . ومن هنا « كان الإمام الخميني (قده) دائماً حامياً لضمان وحدة المسلمين وفي الوقت نفسه يرى لزاماً عليه تبيان بطلان عقائد الوهابيين وخرافاتهم »[2] .

وقفة مع الكتاب :

يقول الإمام (قده) بهذا الصدد ، كما نقل السيد أحمد[3] « كان الحاج الشيخ مهدي القمي ، من علماء قم وكان له ولد انحرف واعوّج فكتب (أسرار ألف سنة) والذي أهان فيه الإسلام إلى حد ما ، ولا أتذكر تماماً في أي مجال كان ، ولكني كتبت ردّاً على ذلك الكتاب وأسميته (كشف الأسرار) حيث كان كشف الـ (أسرار ألف سنة) الذي كتبه ذلك الرجل وأضاف الإمام : كنت ألقي الدروس وحين رأيت كتاب الأسرار قررت أن أكتب ردّاً عليه فعطلت دروسي شهراً أو شهرين وكتبت هذا الكتاب » .

وتذكر السيدة زهراء الخميني ـ حين تعداد مؤلفات والدها ـ الكتاب قائلة :
« كشف الأسرار (بالفارسية)

---

(١) الإمام قدوة (ج ٢ ، ص ١٦٩) ، الطبعة الثانية .
(٢) في كتاب الدكتورة زهرة الخميني تحدثنا عن والدها (ص ٣٢) .
(٣) الإمام قدوة (ج ٢ ، ص ١٦٩) .

كان المرحوم الحاج الشيخ مهدي البايين شهري من علماء قم العظام وأتقيائها ، ولابنه بالتبني علي أكبر حكمي زاده رسالة عنوانها « أسرار ألف كتاب » ونشرها سنة ١٣٢٢ هـ . ش في ٣٨ صفحة ، وموضوع هذه الرسالة الهجوم على مذهب التشيع ، بمعنى أنها ضمت كلام الفرقة الوهابية الضالة بما جاهرت به في عدائها ضد روحانيات تلك الأيام . وقد كانت الحركة الوهابية آنئذٍ في أوّج سوقها . والرسالة في الحقيقة دعوة إلى الوهابيّة ولكنها من طرفٍ خفيّ مع الملكية ومن طرف آخر مع رضا خان عدو الروحانية .

لكن والدي رضوان الله عليه لم يقبل بالسكوت ، فكتب (كشف الأسرار) في ذلك التاريخ ردّاً على تلك الرسالة . وقد إستطاع أن يفضح خيانات رضا خان في كتابه »[١] .

وذكر أيضاً الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا[٢] « أن الخميني (قده) كتب هذا الكتاب رداً على كتابات أحمد كسروي الباحث الإيراني الذي اغتالته منظمة فدائيان إسلام فيما بعد سنة ١٩٤٧ والذي كان يدعو صراحة إلى العودة لغة وديناً إلى إيران ما قبل الإسلام ؛ ورداً على من يدعى شريعة سنكلجي وهو من دعاة التجديد داخل المذهب ، وأبي الفضل گلپايگاني البهائي ومن تبع هؤلاء ممن جعلوا دينهم الهجوم على رجال الدين ومظاهر التشيع الاثني عشري »[٣] .

وأياً تكن الأسباب الكامنة وراء تأليف وكتابة كشف الأسرار ، فإن الدافع الأساس هو الذب عن حرمات هذا الدين القيم والذي قيّض الله رجالاً يبعثهم على رأس كل مائة ليبعثوا هذا الدين كما ورد في الأثر عنهم (ع)[٤] .

---

(١) الدكتورة زهرة الخميني تحدثنا عن والداها (ص ٤٢) .
(٢) الدكتور إبراهيم شتا ، رئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها ، في كلية الآداب بجامعة القاهرة .
(٣) كما في مجلة الراصد ، عدد تموز من سنة ١٩٩١ ، (ص ١١) .
(٤) لما ورد متواتراً : « إن الله في كل عصر حجة قائمة يرّد كيد الخائنين ، وإن على رأس كل مائة مجدداً للدين » .

« كشف الأسرار » بين أصله الفارسي والترجمة الأردنية[1]

منذ حوالي نصف قرن في أوائل الأربعينيات ، وقبل أن يصبح المؤلف هو « الإمام آية الله » . صدر للخميني كتاب بالفارسية بعنوان (كشف الأسرار) ، كان يردّ فيه على دعاة القومية الإيرانية الذين بلغت الجرأة بأحدهم ، أن يدعو صراحة للعودة لغة وديناً إلى إيران قبل الإسلام . . ! ولم يكن يعلم بأمر هذا الكتاب وصاحبه من رجال الفكر والثقافة في الوطن العربي ، إلا أولئك النفر القليل من الباحثين الجادين الذين يعرفون أولاً اللغة الفارسية إلى جانب اهتماماتهم بالموضوعات الدقيقة في العلوم الإسلامية ، كالفقه وأصوله وعلم الكلام وتاريخ الملل والنحل إلخ ، مع ربط هذه الموضوعات المأثورة بتداعياتها الجارية حالياً في التيارات السياسية الحيوية بالعالم الإسلامي .

وقد شاء القدر لقراء (عالم الكتاب) الأعزاء ، أن يلتقوا الآن بهذا الكتاب مع بضعة كتب أخرى ترتبط به ، في واحدة من أخطر القضايا التي تؤثرهم بها في أحب أبواب المجلة إليهم وهو « التساؤلات والمحاكمات » . . ! ومع أن كتاب الخميني يأخذ نقطة البداية في أوراق هذه القضية ، فليس هو الموضوع المباشر للتساؤل ولا المحاكمة كما سيرى القراء ، في ورقة « الدعوى » الاتهامية المرفوعة إلينا من الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا ، أستاذ ورئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها بكلية الآداب في جامعة القاهرة ، ذلك أن الاتهام موجه إلى تلك الكتب والكتابات الأخرى التي ظهرت بالوطن العربي في السنوات الثلاث الأخيرة (١٩٨٧ - ١٩٨٩) ، أول هذه الكتب

(١) في مقال نشرته مجلة (الراصد ، تموز ١٩٩١) تعرض الدكتور شتا للترجمة الأردنية ، لكتاب كشف الأسرار ، مع مقارنة ذلك بأصله الفارسي .

وأخطرها من وجهة نظر الاتهام هو الترجمة العربية لكتاب الخميني ، التي صدرت بالأردن عام ١٩٨٧ عن « دار عمار للطباعة والنشر » ٣٤٤ صفحة ، وعليها ثلاث تسميات عربية ترتبط بالترجمة بعد إسم صاحب الكتاب الأصلي آية الله الخميني .

أولى التسميات (محمد البنداري) الذي يحمل لقب « دكتور » ، وهو صاحب الترجمة من الفارسية إلى العربية ، ويشعر صاحب ورقة الاتهام أن التسمية غير حقيقية ، وأن للمترجم اسماً آخر غير هذا الاسم الوهمي . وثاني التسميات العربية (سليم الهلالي) ، وهو الذي قام بالتعليق في مواضع متفرقة من الترجمة ، ويشعر صاحب ورقة الاتهام غرابة هذه الوظيفة في الترجمة الحالية لكتاب الخميني ، ذلك أن هناك المقدم للكتاب وهو صاحب التسمية الثالثة (محمد أحمد الخطيب) ، الذي يحمل أيضاً لقب « دكتور » ثم أستاذ للشريعة الإسلامية .

أما الكتب والكتابات الأخرى التي تدخل في القضية بصورة تبعية على أقل تقدير ، فهي عدة مؤلفات ومقالات ظهرت بعد تلك الترجمة واستندت إليها ، مثل (مع الخميني في كشف أسراره) للطبيب أحمد كمال شعث الأردني الفلسطيني ، ومثل (الفتنة الخمينية) لسعيد حوّى صاحب الولاء الأردني برغم موطنه الأصلي السابق ، ومثل (فضائح الخمينية) وهو يضع مقالات لستة من المفكرين الإسلاميين ، يقودهم ويشاركهم الدكتور بشار معروف من العراق ، وقد نشرته منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي العراقية ، بل إن أحد علماء الإسلام المصريين وهو الدكتور عبد المنعم النمر ، وقد اعتمد في وجهة نظره على ما قرأه في تلك الترجمة بتقديمها وتعليقاتها ، رأى في مقالة منشورة بجريدة الأخبار المصرية (فبراير ١٩٨٩) ، أن كتاب (آيات شيطانية) الذي هذى به سلمان رشدي لا يستحق كل الاستنكار الذي قوبل به ، وأن ما جاء في كتابه بالنسبة لكبار الصحابة أخف كثيراً مما قاله الخميني في (كشف الأسرار) ، الذي يسمي حسب الترجمة الأردنية أبا بكر وعمر بصنمي قريش . .

ومع أن الدكتور إبراهيم شتا صاحب ورقة الاتهام في هذه المحاكمة الخطيرة ، كان قد قرأ الأصل الفارسي لكتاب (كشف الأسرار) في طبعته الأولى منذ سنوات ، فقد رأى أن يعود إلى الكتاب في طبعته تلك . ثم قرأها صفحة صفحة بل سطراً سطراً وكلمة كلمة بالترجمة الأردنية ، قبل أن يوجه اتهاماته المحددة إلى كل واحد من

أصحاب التسميات الثلاث العربية على صفحة العنوان للترجمة . بل إنه ينتقل بهذه الاتهامات إلى الجهة أو الجهات التي يرى أنها تقف خلف هذه الترجمة المشبوهة ، ولعلها هي التي شجعت من وراء ستار أصحاب المؤلفات والكتابات التالية لها والمبنية عليها ، ونكتفي بهذا التقديم لورقة « الدعوى » الاتهامية ، أما التعليق الحتمي الذي يمثل وجهة نظر (عالم الكتاب) ، فسيأتي في مكانه بعد التسجيل لنص تلك « الدعوى » المرفوعة من الدكتور إبراهيم شتا .

نص الدعوى :

الأستاذ الدكتور / سعد محمد الهجرسي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : لست أؤثركم فقط بورقتي المرفقة ، عن كتاب (كشف الأسرار) لآية الله الخميني وترجمته إلى العربية في الأردن عام ١٩٨٧ ، ولكنني أيضاً لست متأكداً إذا كانت هناك من حولي مجلة أخرى ، يمكن أن تنشرها كما هي دون كثير أو قليل من الحذف والتعديل . . ! فلكم الشكر والتقدير سلفاً ، على ما اتطلع إليه وأثق به من الاهتمام بأمر هذه الورقة . . !

وإلى لقاء آخر على صفحات (عالم الكتاب) الغراء ، ليس من الضروري أن يكون على باب « التساؤلات والمحاكمات » ، أدعو لكم ولأسرة المجلة بالتوفيق والسداد .

لعّل كتاباً لم يكتب له . . . الذيوع في السنوات الأخيرة قدر ما كتب للترجمة العربية لكتاب آية الله الخميني « كشف الأسرار » والتي صدرت عن دار عمار للنشر والتوزيع بعمان سنة ١٩٨٧ . . . وعندما تكون الترجمة من تقديم أستاذ في الشريعة هو أحمد الخطيب يرى أن قول الإمام الخميني ببقاء الأرواح بعد فناء الأجساد هو إيمان بالتناسخ وكفر بالبعث والحساب ، وأن مجرد مخالفة رأي الشيعة لرأي شريعة من أهل السنّة بشأن زيارة القبور يجعلهم مشركين ، وأن الإفراط في محبة آل البيت هو هدم للتوحيد ، وأن آية الله الخميني المتوفى سنة ١٩٨٩ هو أول من قال بالبداء تلك القضية التي خاضت فيها كل الفرق الإسلامية من شيعة وسنة ومعتزلة ومرجئة وقدرية ، ويكفي أن يفتح أي إنسان ـ ولا يشترط أن يكون أستاذاً في الشريعة كتاباً من موسوعات علم الكلام كالشهرستاني أو ابن حزم أو البغدادي أو الأشعري ليطالع

تاريخ القضية ، ثم يقوم الخطيب بتأويل الكلام اعتماداً على ترجمة خاطئة بما يكون سباً في الصحابة والرسول ـ عندما يكون الكتاب من تقديم أستاذ في الشريعة هذا أسلوبه ، علينا إذن أن نطوي كشحاً عنه وألا نخوض فيه .

ولطالما لاحظت أن هناك أناساً لا يهمهم أن ينهدم بناء الإسلام نفسه بشرط أن يسقط على أمر رأس آية الله الخميني ، أما والرجل قد لقي ربه فالقضية هنا قضية علمية في حاجة فعلاً إلى مدّعٍ عام ، لا ببليوغرافي ، بل إلى مدع عام فحسب ، لأن هذه الترجمة صارت مصدراً لكل ناعق على ثورة إيران الإسلامية وقائدها ، ولكتب عديدة من أهمها « مع الخميني في كشف أسراره » للطبيب أحمد كمال شعث ، و « الفتنة الخمينية » لسعيد حوى ، وست مقالات لمفكرين إسلاميين (!!!!) مختلفين في الكتاب المسمّى « فضائح الخمينية » على رأسهم الدكتور (!!!) بشار معروف ومن منشورات منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي (!!!!) العراقي بالطبع ، وقبل كل هذا ، ما حفزني إلى هذا البحث وهو ذلك المقال المنشور في جريدة الأخبار (أحد أعداد فبراير ١٩٨٩) لعبد المنعم النمر إبان كان العالم الإسلامي كله يشعر بالمهانة من جرّاء هذيان سلمان رشدي المسمى « آيات شيطانية » ، فخرج الدكتور النمر مطالباً تخفيف الوطء عن سلمان رشدي ، وتحويل بعض الغضب إلى آية الله الخميني ، الذي قام في كتابه « كشف الأسرار » بسبّ الصحابة أضعاف ما فعل سلمان رشدي ، وسمى الشيخين الصحابيين الجليلين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بصنمي قريش . . . إلى آخره ، وحاولت أن أتذكر أنني[1] قرأت هذا الهراء في كتاب « كشف الأسرار » الذي قرأته بالفارسية مراراً أثناء إعدادي لكتاب « الثورة الإيرانية الجذور والأيديولوجية » فلم أتذكر ، وحينما رجعت إلى الكتاب لم أجد النص الذي بنى عليه الدكتور غضبته . . قلت في نفسي : الأمر موكول إذن إلى الترجمة العربية للكتاب .

وعثرت على الكتاب ، ولأول مرة أجد إلى جوار أستاذ الشريعة الذي يدل كلامه على انعدام أية صلة بالتراث الإسلامي ، أجد أيضاً شيئاً جديداً لا سابقة له في الكتب ، أجد معلقاً يسمى سليم الهلالي ، وفي أول تعليق له أخرج فيلسوف الإسلام العظيم أبا علي بن سينا من حظيرة الإسلام ، وجعله « ملحداً من القرامطة

(١) يقصد أنه هل قرأ ، وعبارته بصيغة السؤال .

الباطنيين » (ص ١٧ من الترجمة الأردنية) . . . ولم لا ؟ ألسنا في عصر يخلع لقب الإمامة على الأمين ويسمي الجامعات الإسلامية بأسمائهم ؟ ولا يحرج تعليق المعلق في كل الأحيان عن شتائم مقذعة يصبها على مؤلف الكتاب آية الله الخميني من قبيل « الملحد ، الباطني ، المفتري ، الحاقد والمتعصب للفرس » ولا ذنب لآية الله إلا أنه كان يقول « القراء » بالفارسية فيترجمها المترجم « بالفرس » فينبري المعلق بالشتائم ، ويعود فيسميه « صاحب الإلهامات الشيطانية والأنوك أي الأحمق » ولأول مرة ولعلها آخر مرة يبصر فيها المرء اسماً على كتاب تكون كل اسهاماته في هذا الكتاب شتائم من هذا القبيل . . . وقد ساعده المترجم بتقديم ترجمة خاطئة تفتح شهيته للشتائم ، مثاله ما ورد في (صفحة ٥٩) عندما قال المؤلف عن الشهيد « وضحى بكل وجوده في سبيل الله » فترجمها المترجم « وخسر روحه من أجل الله تعالى » فانبرى المعلق الإذاعي في سب للخميني الذي يرى في الشهيد أنه خسر روحه وحين يترجم المترجم عبارة « مركز التشيع وسرته » الواردة في النص الفارسي بعبارة « مملكة الشيعة الكبرى » (ص ٩٠) ينبري المعلق قائلاً « حرّي بالمسلمين أن يتنبهوا إلى السرعة الخمينية الكامنة وراء هذه السطور » ، وحين يترجم المترجم عبارة « عن طريق العموم » أي عموم أو كل المحدثين بـ « عن طريق أهل العامة » ينبري المعلق فينبهنا إلى أنه يقصد بالعامة أهل السنة ، والرجل لم يذكر كلمة العامة إطلاقاً بل كلمة « العموم » ويبين المعلق أحياناً ـ بالرغم من جهله الواضح الفاضح ـ أنه أقدر على فهم العبارات من المؤلف نفسه ، فيعلق على تعليق المؤلف على رواية شيعية بقوله « هذه الرواية الساقطة لا تعني ما قرره الخميني » (ص ٩٢) . أو يقول لا فض فوه في تعريف « البداء » بما لم يرد في كتاب من كتب علم الكلام « البداء هو أن يعلم الله ما لم يكن يعلمه من قبل » (ص ٩٩) ومثل هذا كثير جداً مما يضيق المجال عن ذكره .

فإذا عدنا إلى المترجم الذي يحمل كِبْر هذا العمل الموجه المقصود الدكتور (!!!) محمد البنداري ، ولعله اسم مستعار لمترجم يحمل درجة الدكتوراه بالفعل ، لكن ليس في اللغة الفارسية ، ومعلوماته في الفارسية تقف عند حد الليسانس ، ومع ذلك استعار اسم الفتح بن علي البنداري العظيم مترجم شاهنامة الفردوسي إلى العربية في أوائل القرن السابع الهجري . ولا أدري لماذا يختار اسماً مستعاراً إذا كان يترجم مادة يؤمن بها بالفعل ؟ على كل حال فإن المترجم الذي تصدّى لهذا الكتاب

الذي ألفه فقيه بارز في ظروف خاصة ، ورداً على كتب معينة ، ومستخدماً مصطلحاً معيناً يجهله المترجم كل الجهل ، يدل بترجمته هذه التي نسميها ترجمة تجاوزاً على خلو ذهنه تماماً من كل هذه الجوانب ، وربما كان هذا من أسباب فتور النص العربي وبروده بالنسبة للثورة العارمة التي تشيع في جنبات النص الفارسي ، فقد كتب آية الله الخميني هذا الكتاب سنة ١٩٤٢ ، وهو في الأربعين من عمره ، ولم يكن قد حصل حتى على مرتبة الاجتهاد ، وكان الحلفاء قد أسقطوا رضا شاه بهلوي ونفوه ، وبدأت فترة من الانفراج النسبي على الساحة الإيرانية ، فاستغلها دعاة القومية الإيرانية في الهجوم على الإسلام منطلقين بالطبع من بعض الممارسات التي يقوم بها بعض رجال الدين ، والتي لا تعد من صلب الدين ، كتب الخميني كتابه هذا رداً على كتابات أحمد كسروي الباحث الإيراني الذي اغتالته منظمة فدائيان إسلام فيما بعد سنة ١٩٤٧ ، والذي كان يدعو صراحة إلى العودة لغة وديناً إلى إيران ما قبل الإسلام ، ورداً على من يدعي شريعت سنگلجي وهو من دعاة التجديد داخل المذهب ، وأبي الفضل گلبايگاني البهائي ومن تبع هؤلاء ممن جعلوا دينهم الهجوم على رجال الدين ومظاهر التشيع الاثني عشري . ولأن الوهابية كانت آنذاك تهز مشاعر العالم الإسلامي باعتدائها على الآثار الإسلامية ، بدعوى أنها قبور ، مما حرك الأزهر الشريف ، فأرسل وفداً برئاسة شيخه رفض المسؤولون آنذاك مقابلتهم ، فإن كل من كان يهاجم مشاهد آل البيت وتعظيمها كان يتهم بالوهابية ، ومن هنا اعتبر الوهابيون المعاصرون أن الكتاب موجه إليهم ، في حين أن ذلك الجزء الذي يتناول قضايا إسلامية هامشية من قبيل زيارة القبور والنذور والاستخارة والشفاعة لا تمثل من الكتاب أكثر من نسبة ضئيلة ، وكلها كما يرى أي مسلم عادي لا تعد من أسس العقائد ، بحيث يقوم مقدم الكتاب والمعلق عليه بتكفير المؤلف من جرائها .

وكما جهلت الهيئة التي قامت على صناعة هذه الترجمة وفبركتها بخلفيات النص الأصلي ، فإن المترجم بالذات يتحمل الوزر الأكبر ، فهل سمعتم عن مترجم يقدم على ترجمة نص في فن ما دون أية خلفية عن هذا الفن ، أو إلمام بمصطلحه بحيث يترجم « الرواية » وهي مصطلح فقهي « بالحكاية » ؟ (ص ٩٣) أو يقبل على ترجمة نص خلفياته عصر كامل من الثقافة الشيعية والفلسفية والتصوف دون أن يكون لديه أدنى علم بها ، فيترجم خبط عشواء وكيفما اتفق فيقلب التوحيد شركاً والتنزيه

تجديفاً ؟ ويترجم عبارة « تراب الأحياء واهب للحياة » بعبارة « التربة واهبة الحياة » (ص ٦١) ولا يستطيع أن يفرق بين رواية بقرة بني إسرائيل التي عاد القتيل إلى الحياة عندما ضرب ببعضها ورواية عجل السامري الذي قبض قبضة من أثر الرسول نبذها ، فأصبح التمثال الذهبي عجلاً جسداً له خوار ، والرسول هنا هو جبريل والرواية باب كبير من أبواب التصوف الفارسي ، ويترجم الرسول بالنبي ويخلط بين الروايتين (ص ٦٢) وهذا الجهل الفاضح الذي يعاني منه المترجم في كل ما يتعلق بالإسلاميات فيقول ، والمفروض أن آية الله الخميني هو قائل هذا الكفر « فهنالك - مثلاً - خلافات بين المسلمين حول ما إذا كان أو لم يكن لله وجود (!!!!) » علامات التعجب من عندي ويواصل « وهل هو منصهر في ذاته أو غير منصهر وهل يمكن أن يكون الله جسماً أو لا يكون . . . الخ (الترجمة ص ١٣) طبقاً لهذه الترجمة من المفترض إذن أن يكون آية الله الخميني قد قال بخلافات بين المسلمين عن وجود الله فهل قالها ؟؟ ما قاله بالحرف الواحد ، هو : « فهناك مثلاً خلافات بين المسلمين حول هل لله جل شأنه صفات أو ليست له صفات ، وإن كان له صفات فهل صفاته هي عين ذاته أو ليست عين ذاته ، وهل من الممكن أن يكون الله جسماً يحدّه مكان ؟ » (النص ص ١١٣) وقارن بين الترجمتين ، وحين يصادف المترجم قضية فقهية تقول إن الماء يصير نجساً ولو بمقدار رأس إبرة من النجاسة إذا كان أقل من أكر [1] ، يحذف القضية برمتها لأنه يجهل معنى كلمة أكر ، ولا يريد أن يكلف خاطره بالبحث عن معناها ، فهو مشغول بما هو أهم من تزييف للنص (الترجمة ٢٣١ - ٢١٨) والقضية الفقهية « مقدمة الواجب واجب » يقوم بشطبها مرتين (مرة ص ٢٤٤ ، ومرة ص ٢٤٥) لكني لا أجد سبباً لحذف (ص ٢٦٥) من النص بأكملها ، خاصة وإن آية الله الخميني يقدم فيها خطوات زراعة الأرز والمشاق التي يعانيها زرّاعه ، لكن إذا كان المترجم يجهل الفقه ، ألم يكن في وسع أستاذ الشريعة أن يلفت نظره أم أنه لم يقرأ النص ثم قام بتقديمه ؟

ومما يقوي الشك في أن علاقة المترجم باللغة الفارسية علاقة واهية جهله التام بتاريخ إيران فهو يحذف النص عندما يرد ذكر اسم أيّة شخصية تاريخية أو أيّة حادثة

---

(١) يريد كاتب المقال « كر » الذي هو الحد الذي يعصم الماء من التأثر بمجرد ملاقاة النجاسة .

تـاريخية فـالإشارة إلى معـاهدة وثـوق الـدولـة مـع الانجليـز محـذوفـة ، والإشـارة إلى «مختاري ، وأحمدي » جـلادي الشعب في عهد « رضـا خان » محـذوفة فهـذه الإشارة جعلته يحذف معظم (ص ٢٨٣) من المتن ولا يترجمها ، وهو لا يريد أن يوثّق شيئاً ، وإلى جوار كل هذا ، فقد ارتكب المترجم الذي انتحل اسم البنداري العظيم ـ مترجم أصعب نص في الأدب الفارسي ـ ما يندى له جبين أي مترجم في العـالم ، فقد تـرجم إلى العربية نصوصاً نقلها المؤلف من العربيـة ، وكان من الأولى أن يعـود إليها ، وإذا قلنا إن المؤلف لا يريد أن يشق على نفسـه ، فهل يسـوغ له هـذا المسلك أن يصادف آية قرآنية مترجمـة في النص إلى الفارسيـة فيترجمهـا بأسلوبـه إلى اللغة العـربية دون أن يـرجع إلى المصحف الشريف ؟ ومن ثم يقـرأ « رب إشرح لي صدري ويسر لي أمـري وأحلل عقدة من لساني يفقهـوا قولي واجعـل معيني هارون أخي فـاشدد سـاعدي بـه واجعله شريكي » (الـترجمـة ص ١٥٨) ، وإذا لم يكن يقصـد أنـه يـترجم نصـاً من القـرآن ، فلماذا وضعه بـين قوسـين ؟ وفي ص ١٦٠ من الترجمـة نقرأ « اللهم ابعـدني وأولادي عن عبـادة الأوثـان » ، وهـو يقصـد بـالـطبـع ﴿ **رب أجنبني وبني أن نعبـد الأصنام** ﴾ [١] ولنا أن نتخيل مترجماً لا يريد أن يفتح المصحف الشريف لنرى جوانب عبقـريته الفـذة في تـزييف النصـوص ولي أعنـاقهـا ، والحـذف والتعـديـل فيهـا لكي « يُخَرِّج » في النهاية نصاً يكفر آية الله الخميني ، ويكون مرجعاً لكل من يريد أن يـدلي دلوه في تكفيره . . .

أجل يسعدني أيها السادة المشـايخ الأجـلاء والعلماء الأفذاذ ـ مـع كل إحـترامي وتـوقيري لـدوافعكم وأسبـابكم ـ يسعـدني أن أنبهكم جميعـاً أنكم قـد خـدعتم بنص مـزيف ومزور لا يختلف في كثـير أو قليل عن المـواد الفيلمية المـزورة . . . والدليـل ؟ تعالوا معاً نتصفح الكتاب في ضوء المتن الفارسي :

المقال الخاص بالعقائد والذي يسميه المؤلف « التوحيد » ، وهو كما قلت يتناول بعض القضايا الإسلامية الهامشية التي لا يكفـر الخلاف فيهـا أحداً ، ومـع ذلك فقـد صارت قضايانا الرئيسية في عهد التخلف والتبعية والنفط ، وكـان أحرى بـالمترجم أن ينقلهـا كـما هي ، لكن سـوء النيـة والقصـد المتـوفـرين دفعـاه إلى التصرف في بعض

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٣٥) .

النصوص ، فحذف ما شاء له الحذف بحيث تبدو مناقشة الخميني لقضية المعجزة كلاماً غير منطقي أو مفهوم (ص ٦٦ و ٦٧ من الترجمة حيث حذف من المتن سطوراً كاملة جعلت الترجمة غير مفهومة) ، وأيضاً ما تصرف به من حذف في (صفحة ٧٤) من النص العربي المقابلة لصفحة (٥٧ من الترجمة) ، مما جعل النص العربي غير مفهوم ، وعندما لا يفهم نصاً ما فإنما يكون هذا على حساب أفكار المؤلف ، وعندما يحذف المترجم عبارة واحدة من (صفحة ٦١) بعد عبارة « ونحن نسمح لكم بأن تسألوا أي شيعي اثني عشري » والعبارة المحذوفة هي « ولسنا مسؤولين عن الشيعة الآخرين » (ص ٥٧ من النص الفارسي) لا نستطيع أن نقول إنه حذف عن جهل ، فالعبارة المحذوفة في النص الفارسي بين قوسين ، والهدف بالطبع مقصود في التسوية بين فرق الشيعة الغالية منها والمعتدلة ، وهو اتجاه موجود للأسف في كتابات الجدل السني الشيعي ، الموجه في وقت كانت فيه بعض المؤسسات السنية البارزة تستضيف أئمة الفرق الغالية ، وتخلع عليهم الألقاب ، وتسمح لهم بترميم ما يعتبرونه معابدهم . . . على كل ليس هذا هدفي من المقال ، كما أن بعض الحذف يشير إلى أن المترجم قد أقبل على الترجمة ، وهو يعتنق فكراً معيناً فحذف عبارة « حتى نفهم عظمة المباني الإسلامية التي شيدت كتذكار في كل أنحاء العالم » (ص ٨٠) ، ولأنه لا يعرف مصطلحي « التسوية والتسنيم » في مناقشة قضية بناء القبور يقوم بحذفها (ص ٨٥) لكننا لا ندري لماذا حذف ستة سطور كاملة من (صفحة ٩٦ ، المتن ص ٨٠) ، لأنها لا تحتوي إلا على مدح وتمجيد للقرآن الكريم ، تراه ضن على المؤلف بأن يبدو عاشقاً للقرآن الكريم ؟ والواقع أنه لا تكاد توجد صفحة واحدة من الترجمة تخلو من حذف ، والحذف عن جهل يكون واضحاً ، والحذف عن كسل عندما يكون للنص خلفيات ، لا بد أن يبحث المترجم عنها يكون واضحاً أيضاً ، لكن هناك بعض أنواع الحذف لا يمكن أن تكون إلا عن قصد وهدف ، وأغلب هذا النوع من الحذف المتعمد والتشويه المقصود والترجمة البعيدة عن النص موجودة في الجزء الخاص بالمقولة الثانية عن الإمامة ، وأود أن أنوه في البداية بأنني لا أناقش آراء المؤلف في الإمامة ، ولا أتخذ منها موقفاً سلباً أو إيجاباً ، ما أحب أن أشير إليه هنا هو :

١ ـ إن نظرات آية الله الخميني في الإمامة والولاية والوصايا والخلافة ليست من

ابتكاره الشخصي ، وليست اجتهاداً خاصاً به ، بل موجودة في التراث الشيعي على مدى أكثر من ألف عام ، ولذلك فمن قبيل الغرض السياسي أن يهاجم الإمام الخميني على أساسها .

٢ - إن المناقشة هنا تتناول الترجمة فحسب ، ومدى قربها من النص الفارسي أو بعدها عنه ، وهي مناقشة علمية تتناول الضمير العلمي في بلادنا ، وكان آخر ما تبقى بعد ضياع « الضمائر » الأخرى .

عندما يترجم المترجم عبارة « أرباب الأهواء وطلاب الرئاسة » (ص ١٠٧ من الأصل) بعبارة « الانتهازيين المتربصين » (ص ١٢٣ من الترجمة) أو يترجم عبارة « ألعوبة في يد حفنة من آخذي ما ليس حقاً لهم » بعبارة « القراصنة الوقحين » فإنه يفتح باب السباب على مصراعيه ، فالنص في رأي أهل السنة يتناول الخلفاء الثلاثة الأوائل رضي الله عنهم ، وإن كان الخميني يقصد كل من إشتركوا في السقيفة بعد وفاة الرسول (ص) أو فيما تلا ذلك من أحداث أجمعت عليها مصادر السنة والشيعة ، وعندما يتفضل المترجم - أو المعلق - لا أدري أيهما - ويقدم هامشاً (ص ١٢٦) يقول فيه : « إن الخميني وشيعته ينعتون أبا بكر وعمر بصنمي قريش » وينقل دعاء ساقطاً لا يقوله إلا فاسق ويقول إن هذا الدعاء موقع عليه من فقهاء الشيعة الكبار ومنهم الخميني ، ثم يعود فيقول إنه موجود في « كتاب الذريعة » وهو من كتب التراث الشيعي ، وهو فوق كل ذلك منقول من كتاب بالأوردية إسمه « تحفة العوام »[1] ، فعلى كل عالم أو متعالم أن يأتي وينسب الدعاء للخميني الذي لم يحدث عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا بلقب الشيخين ، والذي منع سبهما صراحة عندما وصل إلى السلطة ، وعلماؤنا بهذا يريدون إضافة جديدة إلى المنهج العلمي ، وهي أن أي هامش يضاف إلى كتاب مترجم لا بد وأن ينسب إلى المؤلف ، فهل سمعتم بمثله من قبل ؟

---

(١) وليعلم أن « تحفة العوّام » هو الكتاب الذي يحتوي على فتاوي فقهاء الشيعة ، كما هو ديدنهم من كتابة فتاويهم للعوّام من الناس ، ومن ثم يوّقع الفقيه صاحب الفتاوى على كتاب فتاويه كعملية توثيق بأن العمل بما فيها مطابق لرأينا أو مجزيء ومبريء للذمة وهكذا ؛ وليس الكتاب المذكور إلّا كتاب فتاوىً ، ولكنه باللغة الأوردية ، والتواقيع التي فيه إنما هي لفقهاء ، ويتحملون مسؤولية الفتاوى التي فيه والتي تعبر عن آرائهم ، وكل إضافة تكون من قبل ناشري الكتاب لا يكون التوقيع إمضاءً لها . ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

ثم من أين جاء المترجم أو المعلق بتقليد توقيع المشايخ على الأدعية ؟ ومتى كان ما يقوله عوام أية فرقة ـ إن كانوا قد قالوه ـ محسوباً على مفكريها وعلمائها ؟ علم ذلك كله عند المترجم والمعلق .

ثم نأتي إلى فقرة أخرى تقول « فإطاعة حكومة أولي الأمر تعني إطاعة حكومة الإسلام » (ص ١٢٥) هذه العبارة الموحية التي تقلب فكر الرجل رأساً على عقب من المفروض أنها ترجمة « ولما كان سبحانه وتعالى قد أوجب على الأمة طاعة أولي الأمر ، فلا بد ألا تكون حكومة الإسلام أكثر من حكومة واحدة ، ولا تكون هناك أكثر من حكومة على شريعة الأمر وإلا حدثت الفوضى » (ص ١٠٩ من الأصل) كما يترجم « حكم الكلاله وميراث الجدة » بـ « أحكام القاصرين والأرث » (ص ١٢٧ من الترجمة) والترجمة العمياء في أمور كهذه قد توقع العداوة بين الفئات المختلفة من المسلمين ، جريمة بكل المقاييس ولم يكن بالفعل الهدف سوى هذا من هذه الترجمة ، فعندما يجيب المؤلف على السؤال القائل بأنه إذا كانت الإمامة ضرورية فلماذا لم ينص عليها الله سبحانه وتعالى ، ولم يذكر القرآن صراحة أن الإمامة لعلي ولأولاده من بعده ، ويقول « هذا الاستشكال مردوده عليكم بلا زيادة أو نقصان ، فإذا كانت الإمامة أمراً باطلاً لماذا لم يعلن الله سبحانه وتعالى عن بطلانها صراحة ، لكي يمنع الخلاف بين المسلمين ، ولكيلا تحدث كل هذه المذابح حول هذا الأمر ، كان من الأفضل أن ينزل الله سورة على أن الإمامة ليست لعلي ولأولاده إذن لكان الخلاف قد رُفع ، لأن علياً لم يعص أمر الله سبحانه وتعالى لحظة واحدة ، كما أنه لم يكن من طلاب الرئاسة ، لكننا سوف نثبت أنه حتى لو كان الله سبحانه وتعالى قد ذكر اسمه صراحة لما انتفى الخلاف بل لحدثت أمور أشد فساداً » (النص الفارسي ص ١١٣) هذه الفقرة يقدمها المترجم هكذا « إن المشكلة بالنسبة لكم أن المتدينين بإمكانهم القول بأن الإمامة كانت موجودة ، فلماذا لم يشر الله إلى ذلك في كتابه حتى تزول الخلافات بين المسلمين حول ذلك ؟ كان من الخير أن ينزل آية تؤكد كون علي بن أبي طالب وأولاده أئمة من بعده ، إن ذلك كان كفيلاً بعدم ظهور خلاف هذه المسألة » (الترجمة ١٢٩) دعنا من ركاكة الأسلوب ، فهل هناك علاقة بين النصين ؟ وألم يكن من الأفضل للجهة التي قامت على هذا الفعل الفاضح أن تقدم ترجمة أمينة للكتاب وردوداً عليها من علماء ثقة في الميدان ، خاصة وأن القضايا المثارة قتلت بحثاً في

التراث الإسلامي ، لكن يبدو أن الجانب الذي أخذ على عاتقه الرد لا يجيد سوى تزييف النصوص ، ثم الرد عليها بالشتم ، وأمثال هذا التحوير وهذه الترجمات الإجمالية لا يعد ولا يحصى ، بحيث يجد القارىء نفسه أمام كتاب جديد تماماً ، وإلا فإن العلماء بالفارسية غير البنداري المعاصر كثيرون فادعوهم للحكم إذن .

ويصل الأمر بالمترجم إلى التصرف في هوامش المؤلف ، فعندما يذكر المؤلف هامشاً بأهم مصادر أهل السنة التي يحتج بها على ما يقول وأرقام الصفحات التي يحيل إليها يحذفها المترجم تماماً (ص ١١٥ من النص ، ١٣٢ من الترجمة) فماذا نسمي هذا ؟ وبعدها مباشرة يسقط المترجم في خطأ مضحك مفزع ، كنت أتمنى أن يكون خطأ مطبعياً ، لولا أنه تكرر فيقول « يتفق أهل السنة والشيعة أن النبي له سهم من الخمس وأن الإله (!!!! علامات التعجب من عندي) له سهم آخر (١٣٣ من الترجمة) والنص في المتن لا لبس فيه فهو يذكر لفظ « خويشا وندان » ومعناها الأقارب والأهل والآل (المتن ص ١٦٦) فهل يريد المترجم حرمان آل الرسول من حقهم في الخمس عن طريق الترجمة ؟

ثم نأتي إلى مربط الفرس من هذه الترجمة ، وليغفر لي القارىء إن أطلت هنا . . . فالترجمة في هذا الموضع فضلاً عن ركاكتها ، قدمت للقارىء صورة بشعة عن تناول الخميني لما يراه ورآه الشيعة من قبله من تجاوزات ينسبونها إلى سيدنا عمر (رضي الله عنه) والنص هنا متعلق بما يسمى في المأثور الشيعي بـ « رزية يوم الخميس » وهو اليوم الذي انتقل فيه الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى ، يقول الخميني « عندما كان الرسول (ص) يحتضر وهو في مرض الموت ، وقد حف جمع غفير بمحضره المبارك قال (ع) : « تعالوا أكتب لكم شيئاً لن تضلوا به من بعدي أبداً » فقال عمر بن الخطاب : « هجر رسول الله » وقد نقل هذه الرواية المؤرخون ورواة الحديث من أمثال البخاري ومسلم وأحمد بإختلاف في اللفظ . . . وخلاصة القول إن هذه العبارة التي ألقيت على عواهنها من ابن الخطاب الهازل تكفي المسلم الغيور إلى يوم القيامة . . . حقيقة أنهم قدروا الرسول حق قدره إذ شق على نفسه وتحمل البلايا من أجل إرشادهم وهدايتهم ، ويعلم الإنسان الشريف الغيور على أية حال غادرت الروح المقدسة بعد سماع هذه العبارة من إبن الخطاب ، وهذا الهزل الذي قيل إنما بدأ من مبدأ الكفر والزندقة ، لأنه يخالف القرآن الكريم وآياته الظاهرة

القائلة ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ﴾[1] والآية الكريمة ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾[2] والآية ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[3] والآية ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾[4] ؛ (النص الفارسي ص ١١٩) نجد المترجم يترجم هذه العبارة هكذا (عندما كان الرسول في فراش المرض ويحف به عدد كثير قال مخاطباً الحاضرين « تعالوا أكتب لكم شيئاً يحميكم من الضلالة » فقال عمر بن الخطاب « لقد هجر رسول الله » وقد نقل النص هذه الرواية المؤرخون وأصحاب الحديث من البخاري ومسلم وأحمد مع إختلاف في اللفظ ، وهذا يؤكد أن هذه الفرية صدرت من إبن الخطاب المفتري ، ويعتبر خير دليل لدى المسلم الغيور ، والواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره ، الرسول الذي كد وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم وأغمض عينيه ، وفي أذنه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من أعمال الكفر والزندقة والمخالفة لآياتٍ ورد ذكرها . . . إلى آخره . (الترجمة العربية ص ١٣٧) النصان قريبان بقدر ما تقترب عبارة « أنت امرؤ فيك جاهلية » من عبارة « أشركت ورب الكعبة » على ما بين العبارتين من إختلافٍ جذري في المعنى ، وإن أحس مسلم بالغيرة على الرسول (ص) يقال عنه وهو يحتضر إنه يهذي ، فصدرت عنه عبارة مخالفة للأدب فما أشرك وما كفر ، فهل يقبل العلماء الأجلاء أن يقال عن الرسول إنه يهذي ولا يقبلون أن يقال عن ابن الخطاب إنّ فيه غلظة يا له من كيل بكيلين !!!

ولا يفتأ المترجم يغيّر ويبدّل ما شاء له التغيير والتبديل ما دامت خلفه مؤسسة تشجعه وتحميه وتنشر له هذا اللغو ، ثم انظر إلى هذا النص في رأس (صفحة ١٢٣) من المتن الفارسي (وجدير بالذكر أن النذر للنبي أو للإمام أو لأي إنسان يكون صحيحاً وفي صورته الشرعية عندما يكون النذر في الأصل لله في أمر راجح ، وتجري فيه صيغة النذر وإلا لكان النبي والإمام هما اللذان يثيبان وهذا لغو باطل يقع فيه العامة بل وحرام شرعاً) ويأتي المترجم الألمعي ويترجمها هكذا (وعلينا ألا ننسى

(١) سورة النجم ، الآية (٣) .
(٢) سورة النساء ، الآية (٥٩) .
(٣) سورة الحجر ، الآية (٧) .
(٤) سورة التكوير ، الآية (٢٢) .

بأن النذر للنبي أو للإمام يكون صحيحاً ومشروعاً عندما يكون النذر للإله ، ويوضع موضع التنفيذ وآنذاك فإن النبي والإمام هما اللذان يعطيان ثوابه وإلا فإنه يعتبر باطلاً وقد يكون حراماً) (الترجمة العربية ص ١٤١) انظر إليه وقد قلب النص قلباً تاماً ، كما يقلب الفراء بتعبير الإمام على إلى وجهه الأقبح ، وهكذا ففي مواضع كثيرة من هذه الترجمة العجيبة يكفي أن يجعل النفي إثباتاً والإثبات نفياً ، أو يحذف لفظاً واحداً مثل لفظ غير أو إلا أو لا ، لكي يكون المعنى عكس ما يقصده المؤلف تماماً ، بحيث نفاجأ بأن عبارة الخميني هي (القتال مع الإمام مثل أكل لحم الخنزير ، ص ٢٣٨ من الترجمة) وهو يقول (القتال في غير معية الإمام مثل أكل لحم الخنزير ، ص ٢٢٥ من المتن) وهذا هو علم بعض المشتغلين بالعلم في هذا الزمن الأسود .

ثم نصل إلى قضية أخرى من القضايا التي لعبت هذه الترجمة في إذكاء أوارها ، وهي قضية أن للشيعة مصحفاً خاصاً ، لأنهم يدّعون أن الوحي نزل على فاطمة (رضي الله عنها) معزياً في وفاة الرسول(ص) ، ثم ظل ينزل عليها بأخبار القرون ، وأن هذا هو الأساس فيما يسميه الشيعة مصحف فاطمة ، وهو المصحف الخاص بالشيعة والمضنون به على غير أهله ، وقد بالغ بعضهم فنقل سوراً وآيات من المصحف المزعوم ، وكل ما ورد عن الموضوع في هذا الكتاب هو رد من الخميني على من إدّعى هذا الإدّعاء ، أي أن الخميني يرد بأن من يعتمد على شائعات العوام وأقوالهم ويلصق بالشيعة الإثني عشرية مثل هذا الافتراء إنما يظلمهم . . فماذا فعل المترجم ؟ قدم هذا الجزء كديدنه في بقية الأجزاء على أساس أنه من أقوال الخميني ومعتقداته ، وعندما يقول الخميني « لقد كان عليكم ألا تجشمونا الرد عليكم بلا داع فإن أمر نزول الوحي لا يحتاج إلى أن يكون الأنبياء أربعة عشر » وهو يقصد الرسول وفاطمة والاثني عشر إماماً ، يقوم المترجم بحذف النص تماماً ، وهذا يعني ببساطة أن المترجم ينقل إتهاماً موجهاً من أحد الناس إلى الشيعة ، ولا ينقل رد الخميني فيوحي بأن الكلام للخميني وهذا جانب بشع من جوانب ترجمة الكتاب هذه الترجمة العجيبة .

لا يكاد المترجم يترك فرصة واحدة لتشويه الكتاب دون أن يأخذها . حين يقول المؤلف عن الرسول (ص) « لم يكن يخشى في الله لومة لائم في عمل يقوم به » يترجمها المترجم » إن أعماله لم تكن تقابل بتحفظ » ويبلغ الحذف المخل والمغرض مداه عندما

يترجم حديثاً شيعياً « ارتد الناس بعد رسول الله إلا ثلاثة » النص الأصلي (ص ١٣٣) إلى « إرتد الناس بعد ثلاثة » (الترجمة ، ص ١٥٢) ليس هذا فحسب بل حذف ستة سطور كاملة من تفسير المؤلف للحديث ـ ولا شأن لنا هنا بصحته أو عدم صحته ـ والسطور المحذوفة هي « أما معنى إرتد الناس بعد رسول الله ، فتعني أنهم نكصوا عن البيعة التي بايعوها لأمير المؤمنين في حجة الوداع ولأئمة الإسلام بشكل عام ، ونكوصهم عن البيعة متواتر بحكم التواريخ والأخبار الشيعية والسنية ، وهم بالفعل ثلاثة أو سبعة أشخاص لم ينكصوا بأي وجه ظاهراً وباطناً ، ولم يوافقوا الذين خالفوا علياً (ع) ، وإلا فإن الذين لم ينكصوا عن بيعة علي هم في الحقيقة عشرون ومائتا شخص ، أثبتهم السيد شرف الدين في الفصول المهمة ، كما أثبتوا عدداً في الاستيعاب ، والإصابة ، وأسد الغابة ، وكتب أهل السنة المعتبرة » النص الفارسي (ص ١٢٣) فإذا حذف كل هذا فما الذي يتبقى من النص والاحتجاج ؟ وألم يكن من الأولى أن يترجم الكتاب بدقة ، ثم يدفع بالنص العربي إلى أهل الفن والعلماء ـ إن كانت الجهة التي وراءه تعترف حتى بعلماء السنة ـ وإلا فما كل هذا الحذف في مناقشة قضية الوصاية لعلي (رضي الله عنه) ؟ (ص ١٧٦ من الترجمة العربية) وهل هذه القضية مثار الخلاف لم تعد تجد من يرد عليها في العصر الحديث إلا مترجم جهول ومعلق غشوم ومقدم لا يعي تخصصه ؟ وهل يكون الانتصار للمذهب أو الرأي أو العقيدة لهذا الكم من الخيانة العلمية والشتائم ، وهل يمكن لهذا النص المشوه أن يقنع أحداً ؟ إنني أتحدى أحداً وأولهم المترجم نفسه يكون قد فهم شيئاً مما نقله عن موضوعات الشفاعة والقربة والتعزية والروضة (١٨٨ ـ ١٩٥ من الترجمة العربية) فكمية الحذف رهيبة وتفسد سياق النص (من ص ١٨٩ ، أربعة عشر سطراً منها أربعة من ص ١٦٨ من النص الفارسي ، وعشرة كاملة من ص ١٦٩) وأتحدى المترجم وهو من أبناء يعرب أن يقرأ (صفحتي ١٩٢ و١٩٣) مما ارتكب ، ويخبرني بما فهم ، فالحذف كثير وما ترجم ترجم خطأ ، وهذا هو الجزء الذي انصبت عليه سهام المهاجمين ، فهل يستحق كل هذا أم أن الترجمة قدمت عامدة مادة للهجوم ؟

على الرغم من أن الأجزاء الباقية من الكتاب لم تستخدم في المعركة التي أثيرت حوله ، إلا أن الإشارة إلى الحالة المزرية للترجمة وما فيها من حذف وتعديل وتبديل

تنبىء بدورها عن حالة الكتاب ككل ، والمترجم شاهد ، ويكفي أن يثبت كذب الشاهد في جزئية من شهادته لكي ترفض شهادته ككل ، هذا هو حكم الشارع الإسلامي في الشهادة ، فما بالكم بشهادة مهلهلة من ألفها إلى يائها ؟

والغريب أن الكتاب من (صفحة ١٩٩) إلى (صفحة ٣٣٤) أي إلى آخره يتناول آراء المؤلف حول الدور السياسي للفقيه ، وأفكاره الاجتماعية والسياسية حول الحكومة الإسلامية ، وبدلاً من أن تقوم الهيئة التي وراء الكتاب على ترجمة هذا النص المهم ترجمة دقيقة ، وذلك على الأقل لتعرف إتجاه السياسة في البلد الذي تقف له بالمرصاد ، فإن المترجم نهج نفس النهج في الحذف والتغيير والتبديل ، فهو يحذف كل ما يتناول نقد الملوك والحكومات كما يحذف كل ما يتناول الأمريكان بالهجوم ، وفي بعض الأحيان يحذف آراء المؤلف في السياسة الإسلامية ، ويحذف معظم الهجوم على رضا شاه ، ويحذف كل ما يدافع عن تطبيق الشريعة وعظمتها في مواجهة القانون الوضعي ، والنماذج كثيرة لا تكاد توجد صفحة واحدة من (صفحة ١٩٩) وحتى نهاية الكتاب نجت من الحذف ، ويتراوح الحذف بين عبارة أو كلمة لم يفهمها المترجم إلى خمسة عشر سطراً أو صفحة كاملة كشطبه (لصفحة ٢٥٩) من المتن الفارسي وموضعها بعد السطر الرابع من (صفحة ٣٦٨) من الترجمة ، وتدور حول المعاملة المالية للسادات من آل البيت ، ويبلغ الأمر بالمترجم إلى حذف بعض النصوص التي يأتي بها المؤلف للرد عليها ، فيظهره يعارك في غير معترك ، كأن يحذف من قول الكاتب الذي يرد عليه المؤلف ، لقد حددوا ميراث الإنسان الذي يولد برأسين ، وأحكام الزواج بامرأة من الجن ، وأحكام الموتى من لحظة الموت حتى نفخ الصور ، لكن لم تتم أية مناقشة لموضوع الحكومة ، وهو الخطوة الأولى للحياة ، ويتعامل معها الناس في كل عصر (ص ٢٣٧) من الأصل و (٢٤٨ من الترجمة) ويكرر المترجم ترجمة كلمة (در آوردي) ومعناها اختلاق أو مختلق بكلمة كيفية (ص ٢٥٢) ويترجم (التجنيد الإجباري في الإسلام بالنظام القسري في الإسلام ، (ص ٢٥٢) ويظل على ترجمته هذه طوال الحديث عن الجندية في الإسلام ، مما يخل بالنص وبالإسلام معاً ، ويغير هامش (ص ٢٥٥) من « كتاب الوسائل » إلى « كتاب الفروسية » لإبن قيم الجوزية ، وعندما ينص المؤلف أنه على الأغنياء أن يعوضوا تقصير الفقراء في دفع الضرائب يحذفها المترجم (ص ٢٥٧ من النص ص ٢٦٦ من الترجمة) فهو لا يريد أن

يغضب الأغنياء وأصحاب الملايين ، وتظل ترجمة كل هـذا القسم من الكتاب تـرجمة إجمالية وبما فهمه المـترجم . وعلينا أن نـدرك الهوة بـين الترجمـة والنص إذا قسنا عقـل المترجم بعقل المؤلف وثقافة المترجم بثقافة المؤلف ، ولكي أعدد أخـطاءه يلزمني القيام بـترجمة الكتـاب من جـديـد ، وأراهن من يفهم كلمـة واحـدة من (ص ٣٢٩) فهي ترجمة إجمالية (لصفحات ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢) من النص الفارسيَ ، ولا أدري حتى الآن لماذا حذفها ، فهي تناقش قضية إعراض الناس عن الدين وأسبـابها ، ولا أدري مهما أجهدت فكري لماذا يعتـبر هذا الكتـاب « المنتج » عن عمـد أو قصد أو جهـل أو عن كل هذا معاً وثيقة ، واتخـاذه حجة ضـد آية الله الخميني ، وهـو حجة في الحقيقـة على من كتبوه .

ويبقى نوع من الحذف في الكتاب لا أجد لـه مبرراً وهـو في حاجـة بالفعـل إلى طبيب نفسي ، فإذا قلنا إن السبب في حذف شتم الأمريكان مفهوم والسبب في حذف شتم رضا شاه من الممكن أن يفهم على أساس أنه كان ملكاً . . . فهل يستـطيع أحـد أن يـدلني على السبب في حـذف كل مـا يشير إلى العـمالة ومصـير السوء الـذي ينتـظر العمـلاء الذين يبيعـون أقلامهم ؟ (عـلى سبيل المثـال لا الحصر ص ٩٠ من الـترجمـة ص ٧٣ من الأصل) وبعد :

ما رأي السادة الباحثين من الدكاترة والمشايخ والأساتـذة ورواد المؤتمرات الـذين نقلوا عن هذا الكتاب المزيف وهللوا له ؟ هل فيهم من يرد ؟



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله أجمعين ولعنة الله على أعـدائهم إلى يوم الدين .

أحاطت في هذه الأيام نار الفتنة بالعلم ، وأبصرت عيون العالمين دخانها الأسود فغدت جميع شعوب العالم تفكر في تخليص نفسها وبلادها من غمرة هذا البحـر الذي لا ينتهي من الجحيم وفي اجتنـاب فتنـة الحـرب المميتـة هـذه . وقـد واجهت الـدول الإسلامية المصـاعب والتعاسـات من قلة الحيلة لديهـا وشاركت في تحمّـل مضارّ هـذه الحرب العالمية دون أن تنتفع بشيء من منافعها فكـان من اللازم عـلى أفراد هـذا البلد أيضاً أن يفكروا في سعادتهم وسعادة إخوانهم وأن يجهدوا في البحث عن الخـلاص من هذه المصائب بقلب واحد وصوت واحد أو يحترزوا على الأقل من ذوي الفتن ومثـيري الفساد في هذا الظرف الحسّاس وأن لا يعينوا على شقاء أنفسهم ومع الأسف نجـد في هذه الأيام عدداً من الجهال يبذلون جهـدهم بما يملكـون من قوّة لإثـارة الفساد والفتن وتفريق الكلمة وضرب أسـاس المجتمع . وقـد وقفت اليوم دنيـا الجحيم مضطرة تمـد يدها إلى الـدين وعلماء الدين وستفعـل وستستعين بقـواها المعنـوية . وقـد رأى بعض كتابنا أن من اللازم التهجم على الدين وعلماء الدين والمتـدينين لا يقصـدون من ذلك إلا إثارة الفتنة فنثروا بين عامة الشعب أوراقـاً قد سـوّدتها أقـلامهم القبيحة ، غـافلين عن أن إضعاف علاقة الناس بالدين وأهل الدين وعلماء الـدين هو من أعـظم الجرائم وعن أن لا سبيل أقوى من ذلك للقضاء على البلاد الإسـلامية ، ونحن أيضـاً لم يكن لدينا إهتمام ابداً بمتابعة هذه المسائـل فقد رأينـا الكثير من هضم الحق في هـذا الكتاب وتلك الكتيبات لكن وضحنا وبمقدار الضرورة وبشكل مختصر موارد أخطائها ومظالمهـا

حتى يتبين للقراء الكرام من أين ينبع الفساد وتعاسة البلد والشعب علّه يوجد بينهم أفراد يفكرون في علاج ذلك ويفهمون جيداً أن الأقلام التي تكتب ضد علماء الدين هي التي تعين على القضاء على البلد وأساس استقلاله .

وليقرأ القراء الكرام حول عالم الدين والحكومة المذكورة في الأقسام الأخيرة من هذا الكتاب وليزنوه بميزان العقل وبحياد كامل حتى يتضح الأمر .

رجاء من القراء المحترمين

كما نعلم ، فكثيراً ما يحصل أن يختلط لدى الناس السذّج سريعي التصديق وأحياناً أيضاً لذوي الإطلاع ، حال التأليف والخطاب المعسول بالدليل المنطقي والبرهان العقلي . وما أكثر ما تمر على نفوس العوام البسيطة ، الحيلة من الأقوال الجميلة لخطيب ماهر والكلمات الحلوة المخادعة لكاتبٍ ضليع ، فتغفل تلك النفوس ـ بما لها من الروح السريعة التصديق ـ دفعة واحدة عن حقيقتها وغريزتها الإنسانيتين وتصدّق الكلام مهما كان بعيداً عن الحقيقة بمجرد لطافة العبارات وحلاوة الأمثلة التي لا تستند إلى دليل أو منطق فيصيبها من جرّاء ذلك المضار الكثيرة .

ولذا قال الشيخ الرئيس الفيلسوف الإسلامي الكبير « إن الذين يصّدقون بلا دليل منحرفون عن الطبيعة الإنسانية » وعلى هذا الأساس نطلب من القراء المحترمين أن يتركوا مقالات هذا العصر[1] المنمّقة والمزخرفة جانباً وأن يرموا مما فيها من عبث وتافه الأقوال ، وأن ينظروا إلى كلام كلا الطرفين بحس التفحص الذي وهبه الله للإنسان وأن لا يقبلوا من أحدٍ كلاماً مهما قل إن كان بلا دليل حتى يتميز الحق من الباطل ويظهر الكذب بجلاء .

طلب آخر : أن يتجنبوا الهوى والصداقة والعداوة ولينظروا إلى كلا القولين بعين الإنصاف وطلب الحق وبدقة كاملة فإن الهوى يبعد الإنسان عن طريق الحقيقة والصداقة والعداوة تحجبان الحقائق .

---

(١) إشارة إلى العصر الذي كتب فيه البعض ـ من خلال الدعوة إلى القومية أو التجديد ـ ما يسيء إلى الإسلام .

وحيث اتضح من كلام هؤلاء الكتاب [أو هذا الكاتب] أنهم مؤمنون بالله والقرآن وأنهم غير متمردين على حكم العقل ولا يخضعون لأي شيء آخر فنحن أيضاً سيكون بحثنا معهم على ضوء العقل والآيات القرآنية ونرفع شبهاتهم على أساس هذين الأصلين المسلّمين بين كلينا وسنثبت ونبين بعد ذلك أن لا مناص لهم إن كانوا يصدّقون الله والقرآن من الخضوع للأحاديث أيضاً .

وإننا نعد القراء المحترمين أن نثبت خروج كلام هؤلاء ـ حرفاً بحرف ـ عن العقل والقرآن وأن ليس في البين إلا نقصان عقل أو إثارة فتنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

منشأ هذه الأقوال :

ولد محمد بن عبد الوهاب[1] سنة ١١١٦ في عونية نجد ، ودرس في دمشق ، ودرس من علماء الحنابلة آراء ابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ وتلميذه ابن قيم الجوزية لمتوفي سنة ٧٥١ وقبل آراءهما . ومن هنا كانت إنطلاقة مذهب الوهابية . سافر ابن عبد الوهاب إلى بغداد ومصر ليكمل دراسة المذهب الحنبلي ثم عاد ودعا محمد بن سعود الذي كانت له الإمارة على قبائل « عتوب وعنزة » ، إلى مذهبه فقبل وجعله شعار حكومته ، وقام بحروب ، لنشره ، مع المدن المجاورة وكانت عاصمته «درعية » وتمرد أهل الرياض على دعوته فخاض « دهام بن دولاس » أمير الرياض مع ابن سعود حرباً امتدت إلى سنين حتى غُلب فصارت الرياض تحت سلطة ابن سعود . بعد ابن سعود تسلم عبد العزيز الأمارة فسعى سعيه وخاض الحروب لنشر الوهابية فهاجم مكة مرة والعراق أخرى وأرسل سنة ١٢١٥ أو ١٢١٦ خمسة عشر ألفاً من الوهابيين إلى مدينة كربلاء وأغاروا عليها فأعملوا فيها القتل ونهبوا الأموال وهجموا على حرم سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) وأخذوا ما فيه من جواهر ونفائس وعندما انتشر هذا الخبر هيّأ فتحعلي شاه جيشاً من مئة ألف ونهض سليمان باشا والي بغداد بجيش جرّار فقاتلهم في صحراء نجد لكن بدأت في إيران حرب مخزية وبدأت فتنة الأكراد في العراق .

كانت هذه لمحة خاطفة عن أصل مسلك الوهابية . وقد اتبع بعض الكتاب

أفكار ابن تيمية السفيهة من أجل حب الظهور والتظاهر بـالفكر النـيّر وهم بادعـائهم ذلك وإرادتهم الخروج من إطار التقليد ظنوا أن هذا الخروج يكون بـالتمرد عـلى كلام القرآن والإسلام والحديث عن أعاظم الدين بما لا يليق غـافلين عن أننا نعلم أنهم من وحوش نجد وعلاّ في جمال الرياض وهم من أذّل شعـوب العالم وأكـثر البشر وحشية . قلّدوا فغدوا بفرارهم من مسؤولياتهم أمام الله الملك دواب حظيرة صحراء نجد .

السبب الأصلي لإشكالاتهم :

لما صادفت هؤلاء إشكالات الوهـابية التي تلقـاها عـدد من عديم الإدراك يـداً بيـد ، ولم تكن لديهم قـوة العلم والتمييز بحيث يجيبـون عنهـا ـ إذ سيـأتي عن قـريب تسليط الضوء على مقدار علمهم ووعيهم حتى يطلّع عـلى وزنهم أولئك الـذين لا علم لهم بهم ـ ولم يـريدوا اللجـوء إلى عالم يـأخذون منـه جوابهـا وقعوا في التقليـد الأعمى للوهابيين وهم عصبة من علاّ في الجـهال الفارغـين من العلم والتمدن . ولّمـا لم يعطوا لأنفسهم صفة اتباع حفنة من سكنة الصحراء ذوي الوجه المظلم وعـديمي الإدراك ولم يريدوا أن يتحملوا أعباء عار تقليد وحوش نجد بالإضـافة إلى حب الشهـرة والتكبر ، نسبوا تلك النظرية إلى أنفسهم وبطريقة قديرة خاصة وادعوا أنهم مبتكروها والسابقون إليها وقدّموا للشعب حفنة من الكلمات الغبية التي أتت من مثيري الفتن مـع شيء من السباب والتفاهات ، غافلين عن أن عين هذه الأقوال وأمثالها ومئات المسائل الأخـرى كانت شائعة بين العلماء من أول ظهور الإسلام إلى الآن وقدموا الأجوبة المعتـبرة لها . وقد جمع عبد العزيز بن سعود الذي تقدم ذكره إشكالاته ، التي أخذها هؤلاء منه ومن أمثاله ، في رسالة أرسلها إلى الشيخ المعظم الشيخ جعفر المتوفي سنة ١٢٢٨ ، وأجاب الشيـخ عن هذه الإشكـالات التي مصدرهـا ابن تيميـة إجـابـات مفصّلة في رسـالـة « منهج الرشاد » المطبوعة في النجف سنة ١٣٤٣ ، وهذه ليست مسائل علمية تستحق التقدير حتى يكون صرف الوقت فيها أمراً مناسباً .

اشتباه مضحك لا أساس له :

ينسب هؤلاء الساعون وراء الفتن تأخرهم عن شعوب العالم وعن تمـدن أوروبا اليوم إلى الدين وأئمـة الدين ويعتـبرون أن إطلاق العنـان وترك الـطقوس الـدينية من أسباب الرقي والتمدن . ومع غض النـظر عن أن أوروبا التي يـطمحون إليهـا ليست

متمدنة بما للكلمة من معنى ولا نريد الدخول في هذا البحث ، الذي يخرجنا عن بحثنا ، كي نوضح أن كلمة التوحش هي أقرب إلى أوروبا من التمدن . لكن أوروبا أيضاً ليست بعيدة عن الدين والطقوس الدينية كما هو معروف للمطلعين وتحترم النبي عيسى المسيح وأمه مريم إلى حد اعتبروه الله ـ وقد أخزاهم القرآن في العالم ـ . وقد رأينا جميعنا ما تناقلته صحف إيران عن الصحف الأوروبية عن مراسم صلوات كبار أوروبا . ويقول أهل الخبرة أن كبار الانكليز وأمريكا يأتون كل صباح بمراسم الصلاة التي ينظر إليها كتابنا المطلق عنانهم نظرة استهزاء واحتقار .

اشتباه وغلط :

من سنين طويلة والعقيدة الوهابية التي يقدّسها من ذلك اليوم بعض كتابنا الساعين وراء الفتن ويعتقدون أن جميع الإصلاحات والتصحيحات منها ، قد شاعت في صحراء نجد وبلاد الحجاز وبذلوا الجهود في نشرها وتوسعة هدفهم فألغوا جميع الطقوس المذهبية والمراسم الدينية حتى أنهم اعتبروا النبي بعد الوفاة أقل من خشبة اليد (عكاز) . ونحن لم نر أنهم قاموا بخطوات في طريق الرقي والتمدن حتى نستخدم مستشاراً من البلاط السعودي لأجل ترك الخرافات ـ حسب تعبيرهم ـ كي تصل بلادنا أيضاً إلى التمدن الذي بلغته تلك البلاد التي تركت المراسم الدينية ، وحتى تكون في هذا الركب زعيمة التمدن . يجب أن يُفهم الآن اشتباه هؤلاء المفتنين وخطأ هؤلاء الطلاب للفساد . فقد ظنّوا أن الإسلام الذي سيطر على نصف العالم خلال نصف قرن قد نزل إلى الحضيض على مدى ثلاثة عشر قرنا ، بسبب تدين الشعب وقيامهم بالطقوس الدينية . إن مراجعة لأحوال الحكام والزعماء والقادة ومؤمني الصدر الأول والتأمل في أحوال اليوم توضح لنا بجلاء حيل المحتالين . قادة ذلك اليوم من الإسلام كانوا يقيمون الحدود الإلهية في جميع أنحاء البلاد ويقطعون يد السارق ويجلدون المفسدين ومثيري الفتن ويتجنّبون الأجانب والكفّار ويحترزون حتى عن تقليدهم في اللباس والمأكل وما يركبون وقالوا بحرمة التشبه بهم . كانوا مستقلّين في شعاراتهم الوطنية والدينية ولم يكن عندهم تعاطي ومودة مع الأجانب كانوا يقولون عندما سرق خلخال من قدم امرأة يهودية كانت تحت حمايتهم : « لو مات المسلم غمّاً لما أخطأ » وعندما نهى رسول الإسلام عن لبس الحرير كان إذا توجه قادة الإسلام إلى بلاط الملك لم يكونوا ليجلسوا على الحرير . كانت قوتهم الروحية إلى حدّ أن أحد

القادة الإسلاميين الكبار شرب السمّ لعقيدته أن رب الإسلام والقرآن سيحفظه في مقابل أعداء الدين . وكذلك كان حال عسكر الإسلامي . الستون منهم حملوا على ستين ألفاً من الجيش الرومي فهزموهم . وزلزلت عدة من الآلاف منهم سبع مئة ألف من الروم واحتل عدد محدود منهم إيران . هذا كله من تأثير الروح الدينية . ومن ارتباطهم بالدين لا من استهانتهم به وبمراسمه . ماذا يشبهكم أنتم بأولئك ؟ أولئك حقّقوا الفتوحات لما حملوه من عقيدة أن في القتل (قتل العدو أو أن يقتلوا) سعادة والشهداء أحياء أبداً عند الله يتنعمون .

وحاصل الكلام أن هؤلاء أخذوا نصيبهم من التدين والإيمان بالغيب والإرتباط بالروحانيات وبقينا في جميع هذه المجالات متأخرين وسنبقى .

من هو المخادع ؟

أحسنتم أيها المثرثرون الماهرون إذ تظهرون في البداية تعلقكم بالدين الحقيقي وتشدّون انتباه الناس إليكم بالعبارات الخلابة ثم في آخر الكلام وبعد صفحات تقولون فجأة : الدين عبارة عما يرشد إليه العقل وما يفهمه عقلنا هو الدين . لو كان الدين هو ما يفهمه عقلكم وعقلنا فلماذا تحملون إسم الإسلام وكتاب الله ورسول الإسلام وتتهمون أعاظم الإسلام بلا دليل بأنهم مخادعون . أنتم الذين تخدعون الناس في عدة مواضع من كتاب مؤلف من عدة صفحات . فأولاً تتكلمون عن الدين وتبرزون الإهتمام بالإسلام وتلقون بثقل القرآن والإسلام على الصدور وتعدّون أنفسكم من المتدينين وأصحاب القرآن ثم بعد صفحات تقولون وبجرأة وجسارة كاملتين إن شرع ما قبل الألف سنة لا يعالج آلام اليوم لأنه لا يوجد فيه قانون السند والجمرك مثلاً . ونحن سنوضح فيما بعد أن إله محمد (ص) الذي شرّع التشريع قد حدّد حال الجمرك والسند وكل جزئي من الجزئيات التي يحتاجها البشر في كل العصور . وما علمكم أنتم بشرع الإسلام ، نحن نعرفكم أكثر من أي شخص آخر ونعرف ماضيكم جيداً وما علمكم أين هي تشريعات الإسلام . وماذا نقول لمن لم يقرأ القرآن ولو مرة واحدة ويقول بصريح العبارة أنه لم يرد في القرآن إسم جبرئيل وأن جبرئيل ليس هو الذي أوحى بالقرآن ونحن سنذكر فيما بعد شيئاً من هذا ليعرف الخائن .

الأساس هو الهجوم على علماء الإسلام :

يعلم هؤلاء وكل واحد من أصحاب الآراء الباطلة والأقوال المهزوزة أن الذي يمكنه أن يفضحهم في المجتمع وأن يسلّط الضوء على أكاذيبهم هم العلماء ، وباقي الناس إما أنهم لا علم لهم بهذا المجال أو إن كان لهم علم قل أو كثر لا يرون أنفسهم مسؤولين عن التصدّي لهؤلاء المطلق عنانهم . فرأوا أن الشيء الذي يجب أن يفعلوه قبل أي شيء آخر حتى يبلغوا أهدافهم المسمومة أن يسعوا بكل وسيلة لإبعاد الناس عن العمل ، بالثرثرة والأكاذيب والتهم والافتراءات . وأن يحقروهم أمام الناس ويقلّلوا من تأثير قوتهم الروحية ، بكل جهد كي تخلوا لهم الساحة للإغارة والتعدي وليتمكنوا من التلاعب بأرواح وأعراض وأموال المستضعفين المظلومين وإلا فإن التاريخ الصحيح يشهد على أن الذي حافظ على الدين بعد وفاة رسول الإسلام والذي تصدّى لهذيانات العابثين هم العلماء والباقون أما أنهم لم يكن لهم إهتمام بهذا الشأن أو لم يروا ذلك من مسؤولياتهم .

لماذا كان رضا خان سيئاً مع العلماء ؟

رأيتم ورأينا أنه خلال هذه السنوات العشرين والتي هي بحق فترة اختناق إيران والدين أن أسمى هدف كان عند رضا خان هم العلماء . وقد كان سيئاً تجاههم إلى حد لم يسيء إلى غيرهم بمقدار ما أساء إليهم . لأنه كان يعلم أنه إن لم يشدّ على أعناقهم بقوة وإن لم يقفل ألسنتهم في كل مكان بقوة السلاح فالذي يمكن أن يواجه أهدافه المسمومة وأن يخالفه في الطرق التي أراد سلوكها على خلاف مصالح البلاد وصلاح الدين ليس إلا العلماء . ومن كان بيدهم زمام الأمور ذلك اليوم إما كانوا من حاشيته يماشونه في أهدافه وإما ضعاف النفوس خائفين يفرون من الميدان عند أدنى صوت . أمضى أياماً مع المرحوم « المدّرس » فكان على تماس معه ففهم أنه لا يمكن اقناعه بأي شيء لا بالترغيب ولا بالترهيب ولا بقوة المنطق وقاس عليه العلماء الآخرين وسلك طريقه لتنفيذ مخطط أسياده فأعمل كل الضغوط والأذى والإهانات وبالخصوص بحق العلماء في تلك الفترة وهم بدورهم قاموا وانتفضوا مرات عدة لمواجهة الفساد الذي كانوا يعلمون به من مصادر صحيحة الإطلاع فانتفضوا في أصفهان وتبريز ومشهد . لكن تراخي الناس الذين يشكلّون القوة الإجرائية لمقاصد العلماء الحكيمة

أبطلت ما أقدموا عليه . فالعلماء شخّصوا من أول الأمر أن تصدّي رضا خان مخالف لمصالح البلد ، وسعوا لإِطْلاَعِ الناس على مفاسده وما يسببه من تفكك بالعلن إن استطاعوا وبالسر إن لم يقدروا وبطرق خاصة لكن إعلام تلك الفئة بمساعدة صحف تلك الأيام التي كانت عاراً على إيران ، واليوم يشارك بعضهم في اللعبة ، أسقط العلماء في أعين الناس إلى درجة أنهم لا يصعدونهم في سياراتهم ، وإذا طرأ عيب على السيارة يعتبرون ذلك من شؤم الشيخ وحيث كنت سيّداً فلم أكن مورداً للاعتراض . فالمشايخ المستضعفون سقطوا وفتحت الساحة أمام لاعبي العصر الذهبي وقد رأيتم أيّاماً سوّداء جلبت العار لتاريخكم لا تنجبر الآن ولا إلى سنين طويلة وكان جزاء تلك الملة التي افتخرت بالذين يفعلون ما يحلو لهم وتخلفت عن الدين ومراسيمه أن أكمل رضا خان المرحلة الديكتاتورية المظلمة . وقد كان يُظن أن الشعب قد فهم مشكلته وأخذ العبرة خلال عشرين سنة من الضغوط والتسلط على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم فيعطوا البقيّة الباقية من مفلسي العصر الذهبي جزاءهم ويسحقوا الذين دعوا إلى ترك الدين ومراسمه ، لكنهم ما زالوا نائمين وقد نسوا أيامهم السوداء ولمّا لم يقم الشعب لتحقيق حقوقه استغل المفسدون الفرصة ليعتدوا على العلماء وليواجهوا الدين والمتدينين معاً ويسحقوا محكمات القرآن بأغراضهم المسمومة حتى يتمكنوا بكل اطمئنان من تنفيذ نواياهم الفاسدة في هذا البلد ويعيدوا مرة أخرى المساوىء والأيام المرّة .

ولو أردنا أن نطيل في هذا الكلام فلن نصل إلى غرضنا الأصلي وهو رد كلام الوهابية الفارغ فلندخل الآن في المطلب لنجيب على أقوالهم واحداً واحداً ، تلك الأقوال الوهابية التي لا تهضم ، وأمثالها ليتضح حال هؤلاء الكذّابين والخائنين . وجزاء هؤلاء المفسدين نطلبه ـ حينذاك ـ من الدولة والشعب الإيراني الغيور وسنأخذ على عاتقنا التعريف بهم فرداً فرداً حال مواجهتهم .

المقالة الأولى
في التوحيد

السؤال الأول :

هل من الشرك طلب الحاجة من الرسول والإمام وطلب الشفاء بالتربة والسجود عليها وعمل القبب والمقامات أم لا ؟ وإن كانت شركاً فبيّنوا وإلا فالرجاء أن تبينوا لنا أولاً معنى الشرك حتى نرى الفرق بين الشرك الذي حاربه الإسلام والقرآن كل هذه المحاربة وبين هذه الأعمال .

جواب السؤال الأول :

ينقسم هذا السؤال إلى عدة أقسام :

١ ـ طلب الحاجة من النبي والإمام شرك أم لا ؟ .

٢ ـ طلب الشفاء بالتربة شرك أم لا ؟ .

٣ ـ السجود على التربة شرك أم لا ؟ .

٤ ـ عمل القبب والمقامات شرك أم لا ؟ .

٥ ـ إن لم تكن شركاً فما هو الشرك الذي حاربه الإسلام والقرآن هذه المحاربة وما هو معنى الشرك حتى نعلم الفرق بين هذه الأعمال والشرك .

ونحن نضيف إليها سؤالاً أخر وهو هل أن إحترام وتعظيم القبور شرك أم لا ؟

مقدمة لتوضيح المقصود :

لما كان الجواب عن هذه الأسئلة يتوقف علىٰ فهم معنى الشرك وأقسامه وآراء

وعقائد العرب وغير العرب حين ظهور الإسلام ليعرف أي الآراء والمعتقدات حاربها القرآن والإسلام ، كان لا بد لنا أن ندخل هذا البحث بنسبة ما فإذا أراد القراء المزيد من التفصيل فليراجعوا كتب الملل والنحل والتواريخ والسير[1] .

شرك المجوس وذكر طوائفهم إجمالاً :

من معاني الشرك أن للعالم مبدأين أحدهما النور وهو « يزدان » والآخر الظلمة وهو « أهريمن » وقد كان المجوس الأصليون يعتقدون أن « يزدان » قديم و « أهريمن » حادث . وكانوا ينسبون الخيرات والمحاسن إلى يزدان والشرور والمساوىء إلى أهريمن واختلفوا في سبب وجود أهريمن ومن طوائف المجوسية فـ « الكيومرثية » التي تعتقد أن أهريمن حدث من فكر النور السيء و « الزروانية » و « الزردشتية » .

مذهب التنويه :

هؤلاء قالوا بأصلين قديمين أزليين ، فهما متساويان في القدم والأزلية مختلفان في الجوهر والطبع والفعل والمكان والحيّز والأجساد والأبدان والأرواح وقد ظهر « مانويه » في زمان شابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز . ظهر هؤلاء بعد عيسى واعتقدوا أن العالم مخلوق من أصلين قديمين عالمين قويين حساسين وأنهما متضادان في النفس والصورة والفعل والتدبير وفي الحيّز متحاذيان واعتقدوا أن جوهر النور حسن ، فاضل ، ذو رائحة جميلة ، ذو نفس ساعية للخير ، حكيم ، نافع فعله الخير والصلاح والسرور والنظام ومكانه جهة فوق والظلمة تخالف النور في جميع ذلك ولكل واحد من النور والظلمة خمسة أجناس أربعة بدنية وخامس روح وأبدان النور هي : النار والنور والريح والماء وروحها النسيم الذي يتحرك في هذه الأبدان وأبدان الظلمة : الحريق ، الظلمة ، السموم والضباب وروحها الدخان الذي يتحرك في هذه الأبدان ولديهم آراء وعقائد غريبة أخرى لن ندخل فيها .

« مزدك » والآراء المزدكية :

ظهر « مزدك » في زمان « قباد » والد أنوشيروان ودعاه إلى دينه فقبل منه ثم قتله أنوشيروان . ولهم أيضاً آراء عجيبة فمن ذلك اعتقادهم بأصلين قديمين وقد نقل عنه أنه قال : إن الهي في العالم العلوي يجلس على كرسي كما يجلس « خسرو » في العالم

السفلي وأن لديه أربع قوى « التمييز ، الفهم ، الحفظ ، السرور » كما لدى خسرو أربعة أشخاص « مؤبدان » و « هربد أكبر » و « أسيهبد » و « رامشگر »[1] وهذه الأربعة تدبر أمر العالم مع سبعة أشياء : « الرئيس » و « المعاون » و « المنطاد » و « الحاجب » و « الخبير » و « الوزير » و « الطفل » وهذه السبعة تدور في فلك اثني عشر روحانياً « القارىء » و « المعطي » و « الآخذ » و « الفائز » و « الآكل » و « الراكض » و« الناهض » و « الوازن » و « الضارب » و « الفاعل » و « الآتي » و « الصائر » . ويقولون أن كل إنسان يصير في العالم السفلي ربانياً إذا اجتمعت فيه هذه الأربعة والسبعة والاثنا عشر ومنه تؤخذ الأوامر .

وهناك طوائف أخرى كالديصانية والمرقونية والكينوية وأصحاب التناسخ ويطول ذكر هذه المذاهب . وأقام المجوس بيوت النار وأول بيت بناه « فريدون في طوس ثم بنيت بيوت النار في بخارا وسجستان وفي مشرق الصين وفارس على الترتيب . وكانت موجودة قبل ظهور زردشت الذي سنّ بناء بيوت النار في نيشابور وغيرها .

عقائد أهل الأهواء والنحل :

وكان هؤلاء في مقابل أصحاب الأديان والأنبياء ، وكان اعتمادهم على فطرتهم وعقلهم وذهنهم الخالي . فطائفة منهم الدهريون الذين لم يهدهم عقلهم إلا إلى المحسوسات ومنهم من آمن بالمبدأ والمعاد ويعملون فيما تبقى حسب عقولهم كما نرى اليوم بعض الكتاب يتبعون هذه الطائفة ظنّاً منهم أنه فكر حديث من مبتدعات أدمغتهم عديمة الإدراك غافلين عن أن هذا الفكر المهترىء له آلاف السنين وهو في أصله ناشىء من الأنبياء .

عقائد وآراء الحرنانيين :

وهم طائفة كانت من المجوس جمعت بين تثليث النصارىٰ وشرك الثنوية وقالوا بخمسة أصول اثنان منها حيّان وفاعلان « الله والنفس » وثالث منفعل « الهيولي » ورابع وخامس غير فاعلين ولا منفعلين « الدهر » و « الخلاء » ولهم آراء عجيبة أيضاً نغض النظر عن ذكرها .

معنى آخر للشرك وبيان طوائف من المشركين :

من معاني الشرك ، الشرك في العبادة ويعني عبادة أكثر من إلـه وتقديس آلهـة أو صورة الآلهة ونحن فيما بعد سنبين معنى العبادة وأكثر طوائف المشركين على هذا الشرك وفيهما طائفتان كبيرتان يقال لإحداهما أصحاب الهياكل وللأخرى أصحاب الأصنام .

آراء أصحاب الهياكل :

وهؤلاء يعتقدون أنه لا يمكننا أن نعبد الله العـظيم ونحن بحاجـة في العبادة إلى واسطة نعبدها وتقربنا إلى الله فقالوا بالأرواح المجرّدة واعتقدوا بـأنّها مدبـرة العالم ولمّـا أرادوا عبادتها رأوا أنهم لا يرونها ورأوا الحاجة إلى عبادة مـوجود يـرونه فتـوجهوا نحـو الهياكل أي الكواكب السيّارة واعتقدوا أن كل روح متعلقـة بكوكـب منهـا وأن الهياكـل أبدان الأرواح ونسبة الأرواح إلى الأبـدان كنسبة النفـوس الإنسانيـة إلى أبدانها . وأن الكـواكب أحياء بحيـاة الأرواح وقالـوا أن التقرب بـالأبدان تقـرب بـالأرواح وعبـادة الكواكب عبادة لأرواحها التي تقربنـا إلى الله العظيم ثم الـتزموا بـطقوس دينيـة لسبعة كواكب وحدّدوا أولاً بيوتها ومنازلها وأسماءها ، وثانياً مشارقها ومغاربها ، وثالثاً علاقاتها بحسب الطبائع وأشكالها الموافقة والمخالفة ورابعاً توزيع الليل والنهار والساعات عليها وخـامساً تقـدير الصـور والأشخـاص والأقـاليم والمـدن لهـا ثم جعلوا أدعيـة وعـزائم وخواتيم وصنعوا خاتماً لكـل من هذه الكـواكب يضعونها في أيـديهم في اليوم والسـاعة المختصة بالكوكب ولبسوا لها ألبسة خاصة وبخّروا البخور وعبدوا كل واحـدة في وقتها وطلبوا حوائجهم منها من كل كوكب حاجة خاصة وآمنوا بـأن الكواكب آلهـة وأرباب والرب العظيم رب الأرباب وإله الآلهـة واعتقد بعضهم أن الشمس هي آلهـة الآلهة . ومن علومهم السحر والكهانة والتنجيم والعزائم والخواتيم .

آراء أصحاب الأصنام :

وذهب هؤلاء إلى أن الأرواح التي هي أربابنا ووسيلتنـا للتقرب إلى الله لا تـرى ولا نستطيع التحدث معها ومخاطبتها فلن يحصل التقرب إلا بالكواكب لكن الكـواكب أيضاً شروقاً وغروباً ولا نستطيع رؤيتهـا دائماً والتحـدث معها فـالتقرب بهـا أيضاً غـير ميسور فرأوا ضرورة صناعة تماثيل على مثال الهياكل السبعة فصنعوا الأصنام وعبدوهـا

لتقربهم إلى الهياكل والهياكل تقربهم إلى الأرواح التي هي أرباب صغار تقربهم إلى الرب العظيم . وكان كل صنم من معدن يناسب أحد تلك الكواكب فعبدوا تلك الأصنام ليشفعوا لهم عند الله وكانوا يراعون الساعة والدقيقة والدرجة والعلاقات والحسابات النجومية ورأوا أن لها الدخل في قضاء الحوائج ونفوا عن الله خلق الأشياء المضرة والمؤذية ونزهوه عن ذلك ونسبوا خلقها إلى علاقات الكواكب وامتزاج العناصر حسب ما اتفق وهنا آراء وعقائد كثيرة أعرضنا عن ذكرها .

آراء العرب في زمان الجاهلية :

كانت هذه الآراء حتى ظهور الإسلام كثيرة فطائفة منهم الدهرية التي اعتقدت أن الطبع هو المحيي والمميت هو الدهر وأن الموت والحياة من تركيب العناصر وتفككها والجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر . وطائفة منهم آمنت بالله وحدوث الكون لكنهم أنكروا المعاد والنبوة . وطائفة آمنت بالله والمعاد بنسبة ما لكن أنكرت النبوة وعبدت الأصنام وشبهات هؤلاء تارة من جهة بعث الرسل وأخرى من جهة بعث الأجساد بعد الموت . ومن أشعارهم :

أأترك لذة الصهباء يوماً ... لما وعدوه من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم نشر ... حديث خرافة يا أم عمرو

منشأ آراء العرب :

في أوائل مِلك شابور صار عمرو بن لجي كبير قومه في مكة واستولى على الكعبة ثم سافر إلى الشامات فرأى في مدينة البلقاء قوماً يعبدون الأصنام فسألهم عن ذلك فبيّنوا له آراءهم فأعجبته وطلب صنماً فقدموا له هبلاً فأتى بهذه الهدية من الشام إلى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس إلى عبادتها إلى أن شاعت عبادة الأصنام في مكة واتخذت كل قبيلة من العرب صنماً لها يعبدونه وجعلوها وسائل وشفعاء عند الرب العظيم يتلمسون حاجاتهم منها .

قبائل العرب وأصنامها :

والأصنام هي : ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر واللات والعزّى ومناة وهبل وإساف ونائلة . ود لقبيلة كلب كان في دومة الجندل ، وسواع لهذيل ويغوث لمذحج

وقبائل اليمن ونسر لذي كلاع ويعوق لهمدان واللات لبني ثقيف وعزى لقريش وبني كنانة وقوم من بني سليم ومناة للأوس والخزرج وغسان . ونصب هبل على سطح الكعبة ، كان صنماً كبيراً . وأمر عمرو بن لحي بوضع أساف ونائلة على الصفاء والمروة وكان لبني ملكان من كنانة صنم يقال له سعد .

وكانت هناك طوائف أخرى لها اعتقادات أخرى بعضها يهود وبعضها نصارى وطائفة من الصابئة وقوم عبدوا الملائكة وآخرون عبدوا الجن واعتقدوا أنهم بنات الله .

آراء وعقائد النصارى :

بعد رفع عيسى (ع) إلى السماء اختلف الحواريون والآخرون حوله وعمدة خلافهم في أمرين أحدهما في كيفية نزوله واتصاله بأمه . والثاني في كيفية صعوده واتصاله بالملائكة . . لهم كلام ومعتقدات في كيفية نزوله وخرافات في تجسد الكلمة لا لزوم لذكرها . وقالوا بالأقانيم الثلاثة لله تعالى فالله في الجوهر واحد وفي الأقنوم ثلاثة والأقنوم كلمة سريانية معناها « الأصل » فذات الله في أقنوم الوجود أب وفي أقنوم العلم ابن وفي أقنوم الحياة روح القدس واعتقدوا أن العلم تجسد وأن عيسى ابن الله الوحيد . وافترق النصارى ٧٢ فرقة أهمّها ثلاث :

١ ـ الملكانية التي اعتقدت أن المسيح ناسوت محض وقديم أزلي ومريم أولدت الرب الأزلي وأن المسيح ابن الله غير مخلوق وهو من سنخ أبيه .

٢ ـ النسطورية التي اعتقدت أن الأقانيم الثلاثة زائدة على الذات غير متحدة معه وبعضهم يرى أن الأقانيم الثلاثة هي الله وبعضهم يرى عيسى إلهاً وإنساناً وأن الناسوت اتحدّ مع اللاهوت .

٣ ـ اليعقوبية وقالت عن الأقانيم الثلاثة مثل قول أولئك لكن ذكروا أن اللاهوت انقلب إلى الناسوت فالله صار المسيح والمسيح هو الله المتجسد . وبينهم عقائد غريبة أعرضنا عن ذكرها .

كان هذا مجمل آراء وعقائد البشر من العرب وغير العرب حتى ظهور الإسلام .

مع من كانت مواجهة الإسلام والقرآن ؟

نذكر نماذج من الآيات الكريمة ثم نبين الفرق بين المراسم والآداب التي يأتي بها الشيعة بل جميع المسلمين بل جميع المتدينين بدين بل جميع العقلاء سواء أكانوا أصحاب دين أم لم يكونوا وبين الذي واجهه الإسلام والقرآن حتى يعلم غباء وجهالة وما يسعى إليه هؤلاء المرخى عنانهم وليعلم الجميع من هم كذبة وخونة هذه الأمة والبلد وأدع الحكم للإيرانيين ذوي اللسان الفارسي والذين كتبت هذه الأوراق لمصلحة دينهم ومذهبهم ووطنهم ، كي يحكموا على أساس وجدانهم الطاهر وفطرتهم السليمة ثم بعد وضوح الحق أوكل إلى همة الرجال والشباب الغيورين المتدينين جزاء هؤلاء الذين يتحدثون عن مذهب الأمة بكلام فارغ ليضعفوه والذين لم يدعوا شيئاً من مقدساتها الدينية حتى تطفأ نار الفتنة التي انطلقت من بيوت « فارس » وأتباع زردشت ومزدك . وإذا تساهلوا في ذلك فسنرى هذه الحثالة التي أوقدت بيوت النار المجوسية تدعوكم إلى الزردشتية نحن نعرف تماماً مصدر هذه الآراء المسمومة ونعرف بدقة ما يرمون إليه وعرفنا متأخراً أن هذه الهذيانات قد صدرت من دماغ صغير غبي في مقابل إحساسات ٤ مئة مليون متدين . وفي موقعه فيما يأتي عن قريب سنسلط الضوء على عارهم حتى تتنبه الدولة والناس إلى أفكار هؤلاء .

نماذج من الآيات في رد الدهرية :

لما كان أكثر الإيرانيين والعرب والهنود في ذلك الزمان من عباد الأصنام وقل وجود الدهريين والماديين فكانت الآيات القرآنية الواردة في مواجهة الدهريين قليلة وكانت أكثر الآيات ضد عبادة الأصنام . ونكتفي بذكر نماذج من هذه الآيات بالنسبة إلى كل طائفة من طوائف المشركين التي تقدم ذكرها ومن أراد المزيد فليراجع القرآن الكريم .

وقد ورد في سورة : ﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾[1] في رد طائفة من العرب كانوا يعتقدون بذلك (الدهرية) أيام الجاهلية فليراجع آراء العرب في ذلك الزمان .

---

(١) سورة الجاثية ، الآية (٢٣) .

وبعض الآيـات الـرادة للنـاس إلى فـطرتهم والـداعيـة إلى التفكـير يَصلح لـرد هــذه الطائفة .

مما ورد من الآيات في الرد على القائلين بتعدد الإله :

وقد وردت في القرآن آيات كثيرة ترد بشكل عام على المشركين القائلين بإلهين أو أكثر وآيات تثبت التوحيد ففي : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحـان الله رب العـرش عـما يصفــون** ﴾[1] ورقم ٢٤ : ﴿ **أم اتخذوا من دونــه آلهـة قـل هـاتــوا برهانكم** ﴾[2] . وبهذا المضمون سورة التوحيـد وآخر سـورة الحشر وكثير من الآيـات الأخـرى وفي الآيات التي نـزهت وقدّست الله عن مـا نسب إليه من أوصـاف رد على مذهب الثنوية والمزدكية فلتراجع آراؤهم كما أن الآيات الواردة في إبطال رأي المشركين شاملة لهذه الطوائف .

مما ورد من الآيات في الرد على عبادة الكواكب :

كثـيرة هي الآيات التي تعـرضت للشرك في العبادة وللشرك بشكـل عـام وردت عليه . وهي آيات أيضاً تشمل مـا نحن فيه كـما ورد في خصوص محـل الكلام آيـات أيضاً . مثال ما في : ﴿ **فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هـذا ربي فلمّا أفل قـال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلمّا أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون** ﴾[3] فإبـراهيم رفض عبادة الكـواكب والقمر والشمس بـبرهان الغروب الذي هو من خواصّ الممكن وقد نقل القرآن برهان إبراهيم من أجـل إبطال قول مشركي العرب .

من الآيات الواردة في الرد على عبادة الأصنام :

لما كان المشركون العرب في أغلبيتهم ـ كما أشرنا ـ من الوثنيين كـانت الآيات في أكثرها مهتمة بهذا الأمر وتصدّت غالباً لإبطال مذهبهم وقد وبخهم القرآن في كثير من

---

(١) و(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٢٢ ـ ٢٤) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨) .

لسور وببيانات مختلفة . ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾(١) .

﴿ وإذا رآك الذين كفروا أن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون ﴾(٢) .

﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم من يصحبون ﴾(٣) .

وفيها قضية إبراهيم وتحطيمه الأصنام ومحاجته لهم : ﴿ انكم وما تعبدون من دون الله خصب جهنم أنتم لها واردون ﴾(٤) ﴿ لو كان هؤلاء ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾(٥) .

الآيات التي ذكرت أصنام العرب :

تقدّم أن قبائل العرب اتخذت كل منها لنفسها صنماً تعبده وذكرنا أسماء تلك الأصنام وقبائلها وهذه آيات صرّحت بأسماء الأصنام .

﴿ ومكروا مكرا كبيرا ، وقالوا لا تذرّن الهتكم ولا تذرّن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾(٦) .

﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾(٧) .

(١) سورة يونس ، الاية (٩) .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٣٧) .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٤٤) .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٩٨) .
(٥) سورة الأنبياء ، الآية (٩٩) .
(٦) سورة نوح ، الآية (٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣) .
(٧) سورة النجم ، الآية (١٩) .

آيات في النصارى :

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ﴾[1] والثلاثة هي الأب والابن وروح القدس .

﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ﴾[2] .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾[3] .

﴿ وقالت اليهود عُزَير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [4] .

والآيات في هذا المجال كثيرة لم نذكرها رعاية للاختصار .

ما تمسّك به الساعون وراء الفتن :

تمسك الساعون وراء الفتن عديمو التعقل ، إما عن جهل أو عن علم يريدون الخديعة ، بإحدى الآيات هاملين ما سبقها وما لحقها وعليها يريدون أن يلفقوا أكاذيبهم . ولنذكر الآية مع ما تقدم عليها ولحقها لينكشف ما في قبضة الخائنين . وهي آية وردت أيضاً في ابطال الوثنية والنصرانية .

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ، الأ له الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفّار ، لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ، ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنّى تصرفون ﴾[5] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٧٧) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٦٩) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (١٩) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (٣٠) .

(٥) سورة الزمر ، الآيات (٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨) .

وليتأمل القراء هذه الآيات وآراء العرب في الجاهلية الذين كانوا يعبدون أرباباً تقربهم إلى الله وآراء النصارى الذين يعتقدون تارة أن المسيح الله وأخرى أنه ابن الله كي يتضح المطلب بشكل جيد . ويتضح أن هذه الآيات وردت أيضاً في عقب آيات ردت على المشركين الذين عبدوا أرباباً والنصارى الذين زعموا أن لله ولداً .

الفرق بين العبادة والتواضع :

وحيث اتضح مع أي عقائد وأفكار باطلة كانت مواجهة القرآن والإسلام وأنها كانت مع الوثنيين وعبّاد الكواكب وأمثالها من الأفكار المتزلزلة . وقد اسمع القرآن الكفار خلاصة الأمر في سورة صغيرة هي « الكافرون » ﴿ **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد . . . لكم دينكم ولي ديني** ﴾[1] . فاللازم هنا أن نوضح الفرق بين العبادة والتواضع فإن أحدهما كفر وشرك واجهه القرآن والإسلام والآخر من الإيمان والفضائل وقد أمر به القرآن والإسلام .

العبادة من العبودية أي أن يُتخذ شخص رباً يعبد سواء اتخذه رباً كبيراً أم صغيراً كما كان عليه المشركون كما إتضح سابقاً . وأما التواضع فخلاف ذلك كما يظهر ذلك من مراجعة اللغة العربية والفارسية بالنسبة إلى مرادفاتها ، وهو ما يحصل مع جميع العقلاء في العالم في الليل أو النهار قل أو كثر ، مع أصدقائهم وكبارهم ومن يحترمونهم في الشوارع والأحياء فيقدمون الاحترامات اللائقة ويظهرون التواضع بما يناسب كل شخص دون أن يصيروا بذلك عباداً له أو هو معبودهم . وعقلاء وعلماء كل أمة وبلد يعتبرون التواضع من أفضل الكمالات الإنسانية وكل من اتصف به أكثر يمدح أكثر في الوقت الذي يذمّون فيه عبادة غير الله . ولدى جميع شعوب العالم مراسم احترام لأئمة الدين والدنيا وجميع البشر يقولون باحترام وتواضع الكبير في الدين أو الدنيا قل (الاحترام) أم كثر . إذن يجب أن نعتبر جميع البشر كفاراً ومشركين ولن يخرج الناس من الشرك ما لم تمح كلمة التواضع من قاموس العالم وما لم يتعاملوا مع بعضهم البعض عندما يتلاقون كالحيوانات لا يعتنون ولن يصلوا إلى التوحيد من دون ذلك . وهل الوهابيّون وأتباعهم الذين يشكلون في إيران عدداً غير معتبر عندما

---

[1] سورة الكافرون :

يلتقـون مع من يتفقـون معه في الـدين يتعاملون معهم من دون أي تـواضع واحـترام ويمرون على بعضهم مرور الحيوانـات أم أنهم يتعاملون طبق مـا يليق من الاحترامـات والآداب الإنسانية . وفي هذه الصورة هل يكونون قد عبـدوا بشراً مثلهم وعبـدوا غير الله وصـاروا مشركين أم لا . فـإن قالـوا كما لا بـد ـ أن العبادة غـير التواضـع فليبيّنوا الفرق لينجلي خزيهم وخيانتهم .

شاهد من القرآن :

من أكبر مظاهر التواضع وأعلى مراسم الخضوع السجـدة التي نرى أنها لا تجـوز لغير الله لورود النهي عنـه في الإسلام . هـذه السجدة التي هي أرقى من كـل احترام فإن لم يؤت بها بقصد العبادة فهي ليست شركاً قد يكـون إطاعـة لأمر الله واجبـة وقد تكرر في القرآن الكريم أمر الملائكة بالسجود لآدم نذكر نموذجاً : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾[1] وهؤلاء الذين يقولون إن التواضع لغير الله شرك يجب أن يناصروا إبليس في هذه القضية وأن يعتبروا جميع الملائكة كفاراً ومشركين ما عدا إبليس وأن يخطئوا الله في هذا الأمـر ويلومونـه ان كيف يدعو الملائكة إلى الشرك ولام إبليس الموحّد المتقي . قد يقال إن سجود الملائكة لآدم كان بأمر الله ولم يكن شركاً وما تقومون به من احترام ليس بأمر الله فهو شرك .

والجواب :

أولاً : إنه إذا كانت سجدة الملائكة عبادة لآدم كانت شركاً وان أمر الله بها بـل لا يمكن أن يأمر بذلك لأنه دعوة إلى الشرك ومخـالف للعقل وإن لم تكن عبـادة لم تكن شركاً وإن لم يأمر الله بها .

ثانياً : إن الاحترام والتواضع للعلماء والأعاظم لا يحتاج إلى أمر بل العقل يرشد الإنسان إلى ذلك ولذا لم ينتظر أحـد من عقلاء متـديني العالم أمـر الله في الاحترامـات المسنونة . نعم إذا نهى الله عن نحوٍ من التواضع يجب الإطاعة وإن لم يكن شركاً كـما هو والحال في السجدة التي لا تجوز لغـير الله وإن كانت لـلاحترام وإذا سجـد شخص لآخر احتراماً يكون عاصياً وإن لم نعتبره مشركاً وكافراً .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٣٢) .

ثالثاً : نحن نحترم ونتواضع ، بأمر من الله ، للمؤمنين والأنبياء والأئمة الـذين هم مثل الإيمان الأعلى وكمال الإنسانية كما ورد في سورة المـائدة الآيـة ٥٩ : ﴿ **يا أيهـا الـذين آمنوا من يـرتد منكم عن دينـه فسوف يـأتي الله بقوم يحبهم ويحبـونه إذلّـة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ .

دليل آخر من كلام الله :

واذكر آية تقطع الكلام ولا يبقى مجال لثرثرة المثرثرين . ففي سورة يوسف الآية ١٠٦ : ﴿ **ورفع أبويه وخرّوا له سجّدا وقال يا ابت هـذا تأويـل رؤياي من قبـل قد جعلها ربي حقاً** ﴾ فإما أن نعتبر يعقوب النبي وأولاده مشركين وإن الله أخطأ في جعل مشرك نبياً أو أن نعتبر أن السجود كان احتراماً متعارفاً في ذلك الزمـان ولم ينه عنـه الله تعالى إلى أن ورد النهي عنه في الإسلام . وقد ورد النهي في الآيات الكثيرة عن التكـبر وهو ضد التواضع نهياً مشدداً كالآية ٣٩ من سورة بني إسرائيل ﴿ **ولا تمش في الأرض مـرحاً** ﴾ والآيـة ١٧ من سورة لقـمان ﴿ **ولا تصعر خـدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ ووردت في ضمن حكم لقمان التي فيها « يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » فإن كـان التواضـع شركاً لكـان لقمان مـوصياً بالخطأ وكان كلامه متناقضاً .

تحكيم القراء :

فليحكم القـراء ماذا نختـار ؟ ان نخطّىء الله إذ دعـا إلى السجود لآدم واعتـبر الملائكة المشركين مطيعين ووبّخ إبليساً وكفرّه لأنه لم يتحمل السجود الذي هـو الشرك وابعـده عن مقـام القـرب ، وعـينّ يعقـوب المشرك نبيـاً واعتـبر المشركـين أي الـذين يتـواضعون للمؤمنـين أحبابـاً له وأن نلتزم بـأن الملائكـة والأنبياء وجميـع عقلاء العـالم مشركون ولا موحـد إلا إبليس لأنه لم يسجـد إلا لله ولا اطلاع لنـا على أنـه احترم أو تواضع لأحد آخر أو نلتزم بأن كلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وحفنة من ذوي القلوب المظلمة من نجد ، العارية من كل معرفة وعلم وتقـوى من التي قلّدت مقالـة أولئك من دون تعقل ، كله كلام غير مقبول ونخطئهم في ذلك .

ولكي يتم الكلام نذكر ما قالته الـوهابيـة وأتباعهـا من كلام لا يـرتكز عـلى أي أساس ونذكر الجواب عنه .

السؤال الأول وجوابه :

كان السؤال الأول في طلب الحاجة من النبي والإمام وهل هذا شرك أم لا ؟ . وأعتقد أن القراء بعد أن توضح لهم معنى الشرك سيجيبون بأنفسهم عن ذلك ولا يحتاج الأمر إلى طول كلام ومع ذلك لا نأبى عن جوابه حتى يتميز قول الحق عن الباطل فنقول :

إن كان طلب الحاجة من النبي والإمام وأي شخص آخر غير الله باعتبار أنه رب ومستقل في قضاء الحاجة فهذا شرك يدل على ذلك العقل والقرآن . وإن لم يكن على هذا الاعتبار فليس من الشرك وعليه نظام العالم إذ يقوم على قضاء حاجة البعض للبعض الآخر وتمدّن العالم يستند إلى تعاون البعض مع البعض الآخر . ولو كان مطلق طلب الحاجة من شخص شركاً لكان جميع العالمين بلا استثناء مشركين ولكان العالم مبنياً على أساس الشرك فالأنبياء يسعون في معاشهم أيضاً ولهم من الناس حاجات وقد ساروا في ركب الحياة بالتعاون .

أعمال الله :

قد يقال أنه ليس مطلق طلب الحاجة شركاً بل طلب الحاجات التي تخرج عن الطاقة البشرية هو الشرك . أي طلب الأعمال الإلهية من غير الله كفر وشرك .

والجواب : يجب أن نميّز بين فعل الله عن فعل غير الله ليعلم أن ليس كل عمل عادي هو غير إلهي وأن ليس كل عمل غير عادي هو إلهياً . فنقول : فعل الله حسب البرهان والوجدان عبارة عن الأفعال التي يقوم بها الفاعل دون الاستعانة بالغير والاستمداد من قوة أخرى . أي أن يكون الفاعل في فعله مستقلاً تاماً لا يحتاج إلى الغير . أما الأعمال غير الإلهية فهي خلاف ذلك . مثلاً الله الذي خلق العالم قد يرزق أو يمرض أو يعطي الصحة وهو في هذه الأفعال مستغنٍ عن أية قوة أخرى وليس لأحد أي دخالة في أفعاله لا كلية ولا جزئية وليست قدرته وقوته مكتسبة مستعارة من الغير . أما غير الله فإذا قام بعمل سواء كان عادياً وسهلاً أم غير عادي وصعباً فليست قوته من ذاته وهو لا يقوم بالعمل استناداً إلى قوته . وعليه فلو طلب شخص من أحد غير الله عملاً مهماً كان صغيراً على أساس أنه رب فهو مشرك بحكم العقل والقرآن وإذا طلب على أساس أن رب العالم قد أعطاه القوة وأنه محتاج لله وهو غير مستقل في

هذا العمل فليس هذا عملاً إلهياً وليس طلب الحاجة حينئذ شركاً .

دليل من القرآن :

قد يقال إن مطلق طلب الأعمال غير العادية شرك مهما كان اعتباره . وفي جوابه نقول بالإضافة إلى أنه لا دليل على هذا الكلام وإلى أن العقل حاكم بخلافه وإلى أن إنكاركم ليس إلا تعسف وإثارة للفتن . بالإضافة إلى ذلك لدينا دليل واضح من القرآن على ما نقول ففي سورة النمل : الآيات ٣٨ ـ ٤٠ : ﴿ **يا أيها الملأ أيّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلمّا رآه مستقراً قال هذا من فضل ربي** ﴾ .

فنسأل القراء هل إحضار عرش بلقيس قبل أن يرتد الطرف من مكان بعيد أمر عادي أم غير عادي فإن كان على خلاف العادة وبحسب كلام هؤلاء عملاً إلهياً فسليمان النبي بنص الله والممدوح من الله قد طلب هذا العمل غير العادي من الذين كانوا في محضره كما دلت عليه الآية ٣٨ وهي حاجة طلبها نبيّ عظيم الشأن من العفاريت والآخرين وقد لبّى آصف بن برخيا الحاجة فسليمان إما مشرك فيلام الله على جعله نبياً ويخّطأ في ذلك وإما أن نلتزم بأن طلب أمثال هذه الأمور غير العادية ليس شركاً وأن كلام هذه الحفنة المتشردة الهاذية لا قيمة لها .

دليل آخر من كتاب الله :

يذكر الله حكايات عجيبة لعيسى بن مريم في القرآن مع احترام لائق وتقدير واضح وينسب إليه أفعالاً فوق مستوى القدرة البشرية وهذا نموذج ليتضح ما في جعبة المفسدين .

سورة آل عمران الآية ٤٨ : ﴿ **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وإبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم** ﴾ وهذه الأمور التي ذكرها عيسى أفعال غير عادية أو إلهية حسب تعبير هؤلاء فطلب بني إسرائيل هذه الأمور منه شرك وكفر

وعيسى يكون ـ على ما ذكروه ـ مدعياً للألوهية داعياً إلى الشرك فالله مخطىء في جعل مثل هذا المدعي للألوهية الداعي إلى الشرك نبياً فإذا كان كلام هذه الشرذمة من نجد ووحوش الصحراء صحيحاً فالجوهر مهما بلغ فاسد .

وهناك شواهد أخري من كلام القرآن أعرضنا عن ذكرها .

طلب الحاجة من الأموات :

قد يقال إن الشرك طلب الحاجة من الأموات لأنه لا نفع ولا ضرر من نبي أو إمام ميتين إن هما إلا كالجمادات .

والجواب عن هذا التوهم :

أولاً : لم تبيّنوا لنا معنى الشرك والكفر حتى نعتبر كل ما نريده حسب رأيكم شركاً وبعد أن اتضح أن الشرك هو طلب شيء من أحد غير الله باعتبار أنه رب . وما عدا ذلك فليس شركاً . لا فرق في ذلك بين الحي والميت حتى أن طلب الحاجة من الحجر والمدر ليس شركاً وإن كان عملاً لغواً باطلاً .

ثانيا : نحن نستمد من أرواح الأنبياء والأئمة المقدسة التي منحها الله القدرة . وقد ثبت بالبراهين القطعية والأدلة العقلية المحكمة في الفلسفة العليا أن الروح باقية بعد الموت وإحاطة الأرواح الكاملة بهذا العالم هي بعد الموت أرقى . ويعتقد الفلاسفة باستحالة تلف الروح وهي من مسلّمات الفلسفة الثابتة من أول ظهور الفلسفة لدى العلماء وأعاظم الفلاسفة قبل الإسلام وبعد الإسلام . وتسالمت عليها جميع الملل من اليهود والنصارى والمسلمين واعتبرتها من ضروريات أديانها وبديهياتها بل إن بقاء الروح وإحاطتها مسلم عند الفلاسفة الروحيين والإلهيين الأوروبيين أيضاً أيضاً ، وحيث إن هذا المختصر لا يسع ذلك لأن المسألة تحتاج إلى كتاب لما لها من توابع . فلن تدخل في البحث والتحليل لكن نكتفي بنقل آراء بعض الفلاسفة الكبار ممن يعتمد على أقواهم . ومن يرى نفسه من أهل البرهان فليراجع كتبهم ليظهر له صحة الأمر .

آراء الفلاسفة قبل الإسلام

رأي ثاليس الملطي : وإن كانت كلمات كثير من قدماء فلاسفة ما قبل الإسلام مبهمات ، للمتأخرين في حلّها عدة احتمالات لكن مسائل كثيرة منها مصرّح بها ومن تلك المسائل مسألة بقاء النفس وكونها روحاً تلازم البقاء . يقول ثاليس الملطي وهو أحد الحكماء السبعة أساطين الفلسفة ، بعد أن يقول أن الله أبدع عنصراً فيه صور جميع الموجودات والمعلومات يقول : « هذا العنصر له جهة صفاء وجهة كدورة فما وجد من جهة الصفاء الجسم وما وجد من جهة الكدورة الجرم والجرم يفنى والجسم لا يفنى والجرم كثيف ظاهر والجسم لطيف خفي ويظهر الجسم في نشأة أخرى ويفنى الجرم » ومن الواضح أن مراده من الجسم الخفي واللطيف والباقي الجسم المثالي الذي يكون في عالم البرزخ وهو يعتقد أن العقول والأنفس تشتاق إلى عوالم أخرى ويقول : البقاء في النشأة الأخرى .

رأي انكسيمايس الفيلسوف الملطي : في رموز هذا الفيلسوف الكبير شواهد أيضاً على بقاء النفس حتى النفوس الشريرة يقول : « جميع آثار الحياة من عالم العقل ، والثبات والبقاء هنا بقدر ما فيه من نور العقل والفساد الذي يطرأ على هذا العالم هو للجزء الأسفل الثقيل منه لأن هذه الأجزاء قشور والقشر يرمى جانباً » ويقول : « أوساخ هذا العالم الجسماني كثيرة وكل من التصق بها لن يصل إلى العالم العلوي وكل من أعرض عنها يسمو إلى عالم لطيف جداً سروره أبدي » .

أنبذقلس الفيلسوف الكبير : وقد كان في زمان النبي داود ومنه ومن لقمان الحكيم أخذ الحكمة . وآراؤه أوضح ممن تقدم ذكرهم وهو يعتقد أن جميع الاختلافات والتضاد منشؤها عالم المادة والائتلاف والمحبة من عالم الأرواح ويقول

« كل نفس دانية هي قشر للنفس العالية . فالنفس النامية قشر للنفس البهيمية وهي قشر للنفس الناطقة وهي قشر العقل وبواسطة اللب تعود إلى عالمها . والنفوس الجزئية من أجزاء النفس الكلية والنفس الجزئية أتت من العالم الأعلى وإليه تعود » .

فيثاغورت الحكيم : وكان هذا الفيلسوف الحكيم في زمان سليمان ومنه أخذ الحكمة وآراؤه بشكل عام رمزية ورسم الآراء الإلهية بشكل رياضي . وقال : « الإنسان بحكم الفطرة يقابل جميع العوالم فالإنسان عالم صغير وعالم الإنسان كبير والنفس قبل اتصالها بالبدن قد أبدعت من التأليفات العددية الأولية فإذا هذّبت خلقها بما يناسب فطرتها وتجرّدت من المناسبات الخارجية فستتصل بعالمها الأصلي وتنخرط في سلك العوالم الغيبية في هيئة أجمل وأكمل » .

ومن الفلاسفة « خرينوس » و« زينون » وكانا من أتباع فيثاغورت في آرائه إلا في بعض الأمور وكانا يقولان إن النفس إذا طهرت تذهب إلى العالم الأعلى حيث مسكنها اللائق بها .

سقراط الفيلسوف الكبير الإلهي العظيم تعلّم الحكمة من فيثاغورت وإرسالادوس وتفرّغ للحكمة وفنونها والإلهيّات والأخلاقيّات واشتغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الأخلاق وأعرض عن الدنيا واعتزل في جبل وغار ونهى الناس عن الأصنام والشرك بالله حتى أجبر الناس السلطان على قتله وسمّمه على ما هو المعروف من قصته . وله في باب الإلهيّات وعلم ما قبل الطبيعة وما بعدها آراء متينة جيدة . وكان يقول في باب النفوس الإنسانية إنها كانت موجودة قبل الأبدان بنحوٍ من أنحاء الوجود وكان اتصال النفوس بالأبدان لأجل الاستكمال . والأبدان قوالب وآلات للنفوس ثم تبطل الأبدان وتعود النفوس إلى عالمها الكلي . وقال سقراط للملك الذي قتله : « سقراط في وعاء ولا يستطيع السلطان إلا كسر الوعاء فإذا انكسر عاد الماء إلى البحر » .

أفلاطون الإلهي الفيلسوف العظيم : كان من الأساطين الكبار في الحكمة الإلهية معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان أردشيرين دارا وتعلم الحكمة من سقراط وعندما سمّم سقراط خلفه أفلاطون ومن أساتذته أيضاً طيماوس . وله في باب الإلهيّات آراء محكمة متينة واستدل وأقام البرهان على بعضها الشيخ شهاب الدين

الحكيم الاشراقيّ وصدر المتألهين الإسلامي الشهير، كالقول بالمثل الأفلاطونية والمثل المعلّقة. ومن أقوال هذا الفيلسوف أن النفوس كانت في عالم آخر وهي مسرورة بعالمها وبما كان فيه فهو بهجة وسرور ثم نزلت النفس من ذلك العالم وتستفيد النفوس في هذا العالم بواسطة الآلات والجزئيات والأشياء التي لم تكن في ذاتها فسقطت عنها أجنحة ما هناك ونالت أجنحة جديدة تطير إلى عالمها.

أرسطاطاليس الفيلسوف الكبير: وهو أرسطو بن نيقو ماخوس من أهل أسطاجرا ومن كبار فلاسفة العالم. والتعاليم المنطقية وقواعد علم الميزان الذي هو أساس العلوم رهينة الجهود القيّمة التي بذلها هذا الرجل الكبير وحيث أنه مؤسس هذه التعاليم اشتهر بالمعلم الأول وقد انحنى الشيخ الرئيس أعجوبة الزمان أمام تعاليم هذا الرجل العظيم إلى الأرض وقبّلها تأدباً. وعلى حد قول الشيخ الرئيس لم يذكر أحد أيّ إيراد إلى الآن على القواعد المنطقية التي حدّدها أرسطو ولم تقع آراؤه مورد نقض وإبرام لمتانتها. وقيل إن ديكارت في عقيدته وبعض كتابنا المحترمين قد أحدثوا انقلاباً في المنطق. لكن من له في هذا الميدان نظر يعلم مقدار معلومات ديكارت في هذا الباب وفي باب الإلهيّات وإلى أيّ حد هي ضعيفة وطفولية. وللأسف أخذتنا هيبة الأوروبيين حتى خسرنا أنفسنا بالمرة وغدونا نتلقى بسذاجة من الأوروبيين علوماً تخصصنا بها بحيث لن يصلوا إليها حتى ألف سنة أخرى. وما حاجة من عنده منطق الشفاء وحكمة الإشراق والحكمة المتعالية إلى حكمة ومنطق الأوروبيين التي لا زالت تحضّر في الصفوف. يظن هؤلاء أنه إذا تقدم بلد في سيره المادي فسوف يتقدم في الحكمة الإلهية وهذا من كبائر الاشتباهات ويجب أن يعتبر من مفاسد كتّاب المشرق الإسلامي.

يقول أرسطو حول بقاء النفس: «إذا كملت النفس في قوة العلم والعمل تصير آية إلهية شبيهة به وقد بلغت كمالها وهذا التشبّه يكون حسب طاقتها واستعدادها واجتهادها وعندما تفارق البدن تلتحق بالأرواح والملائكة المقرّبين وتصير لذتها وابتهاجها كاملين» وقال في النفوس الخبيثة ضدّ هذا.

وهناك حكماء وفلاسفة عظام آخرين كالاسكندر وغيره لم نر لزوم ذكرهم. والآن نذكر كلام بعض الفلاسفة الإسلاميين والجميع يعلم أن المسلمين طرّاً يرون أن الروح باقية بعد الموت ونذكر عدداً من أعاظم فلاسفة الإسلام كنموذج على ذلك.

آراء فلاسفة الإسلام

الشيخ الرئيس الفيلسوف الكبير أبو علي حسين بن عبد الله بن سينا من أهل بخارى كان أبوه بلخيّاً . وقد امتلأت حياته ودراسته وتأليفاته بالأعاجيب تترك العقل حيراناً . صنّف كتاب القانون وله من العمر ١٦ سنة على ما نقل . وذكر أنه صنّف إلهيات وطبيعيات الشفاء كل يوم خمسين ورقة دون الرجوع إلى أي كتاب . هذا الفيلسوف الذي تبرز مصنفاته مقامه في العلم له في أكثر كتبه كلام حول عدم فساد النفس بفساد البدن واستحالة فساد النفس ويقيم على ذلك البرهان ويذكر في « الإشارات » ما يقرب من هذا المعنى ويقول : « إن النفس الناطقة وهي محل الصور المعقولة ، غير قائمة ومنطبعة في الجسم بل الجسم آلة لها فإذا تعطلت الآلة لا يضر بها بل هي باقية بالإستفادة من الجواهر الباقية ، ويقول أيضاً إذا استفادت النفس الناطقة فلا يضر بملكة الاتصال بالعقل الفعال فقدان الآلات لأنها تعقل ذاتها بذاتها لا بالآلات » وله في كتبه الأخرى كلام بهذا المضمون أقام البرهان عليه .

الشيخ شهاب الدين الحكيم الإشراقي الكبير الشيخ المقتول أبو الفتوح يحيى بن حبش المعروف بشهاب الدين الشهرَوَرْدي صاحب الكتب النفيسة والمصنَّفات العزيزة ومحيي حكمة أفلاطون وطريقته ومن تصانيفه حكمة الإشراق الذي يحكى عن مقاله الشامخ في الفلسفة العالية الذوقية الإشراقية . وكان موصوفاً بمقام الخلوة والتجرد وصفاء الباطن . وقد فصّل كثيراً هذا الحكيم الإشراقي في أحوال النفوس بعد الموت وطبقاتها وعيّن لكل طبقة حكماً فقال عن النفوس الكاملة : عندما تدرك الأنوار الاسيهبدية أي النفوس المجردة ملكة الإتصال بعالم النور المحض ويفسد جسدها تنجذب إلى ينبوع الحياة وتنطلق نحو عالم النور المحض وتصير قدسيّة ثم يذكر في هذا

الباب تفصيلات ويقول حول المتوسطين : وأهل السعادة من المتوسطين وأهل الزهد يتخلصون بعالم المثل المعلقة .

صدر المتألهين الفيلسوف الإسلامي الشهير محمد بن إبراهيم الشيرازي أعظم الفلاسفة الإلهيين ومؤسس القواعد الإلهيّة ومجدّد حكمة ما بعد الطبيعة . وهو أول من أسس المبدأ والمعاد على أصل متين لا يقبل الخلل وأثبت المعاد الجسماني بالبرهان العقلي وأوضح ما عند الشيخ الرئيس من ثغرات في العلم الإلهي ، وحقّق الإنسجام بين الشريعة المطهرة والحكمة الإلهيّة . وقد وجدنا وبعد تحقيق كامل أن كل من قال عنه شيئاً فهو من قصوره وعدم وصوله إلى مطالبه الرفيعة . نعم دخل معاندون في مطالب تستند أسسها على أصول كثيرة ومتعددة أوجب سوء الظن بأساطين الدين والحكمة حتى أن مطاعن « صدرا » على الأشاعرة والمعتزلة حملوها ـ لجهلهم بالمقصود ـ على حملة الدين ومشايخ المذهب .

ولهذا الفيلسوف العظيم الشأن شروح طويلة حول بقاء النفس وحالات ما بعد الموت واللازم الرجوع إلى كتبه ويعتقد صدر المتألهين بالمعاد الروحاني والمعاد الجسماني أيضاً ويقول في المعاد الروحاني : « إذا صارت النفوس كاملة وتقوّت تنتهي علاقتها بالبدن وترجع إلى ذاتها الحقيقية وإلى مبدعها وتنال بهجة وسعادة لا يمكن وصفها أو مقارنتها باللذات الحسيّة » . ويقول في هذا الفصل أيضاً « إن الوجود الجسماني يصاحب الموت والغفلة والهجران والفوت وكلما ازداد التعلق بالمادة كلما كان الحضور والإدراك أقل حتى أن إدراكنا لأنفسنا عند مفارقة البدن أشد . وأكثر الناس تنسى أنفسها عند استغراقها في الأبدان المادية وانتقالها ولا يستشعرون بذواتهم .

هذه هي آراء الفلاسفة قبل الإسلام وبعد الإسلام . وحيث إن الكثير من القراء يتلقون آراء الفلاسفة الأوروبيين بإهتمام نذكر وباختصار بعض آرائهم .

ديكارت الفيلسوف الفرنسي :

اشتغل الروحيون من الفلاسفة الأوروبيين بمعرفة النفس من قرون . وقد أثبت فلاسفتهم في ابتداء الأمر كاليونانيين خلود الروح وبقائها بالبرهان واليوم يعتقدون بقاء الروح وتصرفها في هذا العالم بدليل حسي من خلال التجارب الحسيّة وخوارق العادة المحسوسة . فقط ديكارت اعتقد بالروح العاقلة وكان عنده اهتمام في كيفية امتزاج

الروح مع الجسم واعتقد أن أخص صفات الروح الفكر وأخص صفات الجسم الامتداد واعتقد أن هذين الأمرين متميزان كليّة . ومن كلامه : إن الروح شيء والجسد شيء آخر ويترتب عليه أنه لا يتصور تبعية الروح للجسد في حاله ومصيره وعليه فالجسد يفنى والروح تبقى . والذين تبعوا ديكارت كثرة وإن خالفوه في خصوص امتزاج الروح العقلانية مع الجسم وأثبتوا الواسطة . وديكارت مع ما له من المقام الشامخ في فلسفة أوروبا لكنه لم يخرج مسألة خلود الروح من حدّ الخيال والتصور إلى الحقيقة والوجود حتى جاء العلماء الروحيون في العصر الجديد وأثبتوا من خلال علم إحضار الأرواح تميّز وجود الروح عن الجسد وبقاءها بعد الموت . وهذا الرأي مقبول اليوم في أوروبا وأمريكا ومن كان من الماديين تغيّر وصار من الأنصار الجديين لبقاء الروح ، وتنتشر قضايا عجيبة حول الأرواح منقولة عن علمائهم الكبار . ويذكر فريد وجدي صاحب دائرة المعارف والمؤمن بعلم التنويم المغناطيسي وإحضار الأرواح ، اسم ٤٧ شخصاً من رجال العلم في بريطانيا وفرنسا وأمريكا وألمانيا وإيطاليا ممن آمنوا بهذه الحكايات الخارقة للعادة ويقول إننا لم نكن بصدد استقصاء المؤمنين بذلك وإلا فإن عددهم يبلغ الآلاف ومن يريد الاطلاع على تلك الحكايات فليراجع ما كتب في هذا المجال وليرَ ما ينقل عن فلاسفة أوروبا من قضايا ليصدّق بقاء الروح .

كانت هذه لمحة خاطفة عن آراء الفلاسفة القدماء والجدد اليونانيين وغيرهم ، الإسلاميين وغيرهم .

دليل من القرآن :

ومع أن حياة الروح بعد الموت من مسلّمات الأمور لدى جميع الأديان ولدى العقل والفلاسفة حتى التناسخية إلا أننا نذكر هنا أدلة من القرآن الكريم ليتضح المقصود ولا تبقى للشبهة مجال عند أحد .

سورة الزمر الآية ٤٣ : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ دلت على أن أرواح الأموات يحفظها الله في عالم خاصّ بها .

سورة المؤمنون الآية ١٠١ : ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون**

لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هـو قائلهـا ومن ورائهم برزخ إلى يـوم يبعثون ﴾ .

سورة البقرة الآية ١٤٩ : **﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بـل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾** .

وسورة آل عمران الآيـة ١٦٣ : **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيـل الله أمواتـاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾** .

سورة المؤمن الآيات ٤٨ ، ٤٩ : **﴿ وحاق بآل فـرعون سـوء العذاب ، النـار يعرضون عليها غدّواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ﴾** .

سـورة الممتحنة الآيـة ١٣ : **﴿ قد يئسـوا من الآخرة كـما يئس الكفّـار من أصحـاب القبور ﴾** .

حكم القراء :

فليحكم القـراء والشباب ذوي الأفكـار الجديـدة المطّلعـون عـلى الاكتشـافـات الـروحية اليـوم من فلاسفـة أوروبا الاكتشـاف والاختراع ، وانصـار الـرأي الجـديـد (التنويم المغناطيسي) ، والمطّلعون على آراء الفلاسفة الكبار في القـرون الماضيـة قبل الإسلام وبعد الإسلام ، والعلماء المطلعون على تاريخ الملل والنحل وآراء أهل الأديان في العالم في القرون الماضية والحاضرة ، ليحكموا : هل نتخلى عن آراء آلاف العلماء والفلاسفة الكبار والأدلة القطعية العقليـة والحسيّة ونـدوس على آراء الأنبيـاء واتباعهم البـالغ عـددهم الملايـين ، والآيات الكـريمة من الكتـاب الكـريم التي تعلن بصريـح العبارة حياة الأرواح الأبدية ، ونأخذ برأي ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب الشرذمـة المسودّة الوجوه من نجد ورأي الأشقيـاء من الإيرانيـين ممن غلبوا عـلى عقلهم والمطلق عنانهم ولا يدرون ماذا يفعلون ونقلدهم تقليداً أعمى أو أن نعتبر أن ابن تيمية وأتباعه الذين قطع لجامهم والأحقر في جميع ملل العالم في عالم العالم ونعتبرهم تاهوا عن سبيل العلم والعقل والدين ولا حق لهم من الحقوق المدنية والدينية ؟ .

خدمة الدين :

قـالوا : إذا أردنـا أن نخدم الـدين بحق لا بـدّ أولاً أن نـرمي هـذه الأكـاذيب وحثالات الألف سنة من أمامنا كي يتضح الطريق .

وقد ظهر مما ذكرنا إلى الآن من هو الكاذب والمخادع والخائن . ومقصود هذه الأقلام القاتلة المسمومة من خدمة الدين أن نعتبر إذا كنا خدّام الدين أن آلاف الملايين من الناس وأعاظم الدين والمذهب والشهداء في سبيل الله هم جماد مهترئون مع أن الفلاسفة على مر العصور جزموا بحياتهم وبها صرّح القرآن وذكرهم الله في تعظيم تام . ولمن يريدون أن نتعامل معهم باحتقار وأن ننساهم ونستخّف بروح التضحية والشهامة والشجاعة لدى المضحّين في المجتمع وأن نعتبر أن العقيدة التي صرح القرآن بمطابقتها لنظام الكون والحياة الفردية والاجتماعية من حثالات الألف سنة وأن نصفها أكاذيب . كل ذلك حتى نخدم الدين . آه من لجاجتك يا ابن آدم .

السؤال الآخر وجوابه :

ومن تساؤلات هؤلاء أن طلب الشفاء من التراب شرك أم لا ؟ .

وقد اتضح الجواب بعد ملاحظة معنى الشرك فالشرك كما علمتم عبارة عن الاعتقاد بأن شخصاً هو رب أو أن يعبد على أنه رب أو أن تطلب حاجة من شخص على أنه مستقل التأثير كما كانت عليه طوائف المشركين فراجعوا آراءهم . إذا طلب شخص الشفاء من تربة أو من أي شيء آخر بعنوان أنه رب أو شريك الله أو مقابل الله مستقل في التأثير أو على أساس أن صاحب القبر رب فهذا شرك بل جنون . أما إذا كانت لاعتقاد أن الله على كل شيء قدير يجعل الشفاء في حفنة من التراب إكراماً لشهيد قدّم وجوده في سبيل الدين فهذا لا يلزم منه أي شرك وكفر .

دليل من كتاب الله :

فإن قيل مطلق طلب الشفاء شرك مهما كان عنوانه . قلنا يلزم على هذا الكلام أن يكون الله داعياً إلى الشرك أيضاً ففي سورة النحل الآية ٧١ : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾ وهذه الآية تتحدث عن العسل الذي يعطيه النحل . فطلب الشفاء من العسل وإن كان على أساس أن الله قد جعل فيه الشفاء يصيّرنا مشركين ويكون الله الذي أرسل الأنبياء لنشر التوحيد إنما فتح لهم طريق الشرك ويكون الرسل دعاة إلى الشرك . وليس كذلك فإن طلب الشفاء ليس إلا توسلاً وتوجهاً إلى الله وإنما فسره الباحثون عن الفتن كما يحلو لهم كي ينسبوا المتدينين إلى الخرافات .

خدعة وشعبذة :

وهنا خطر على بال العابثين حذاقة عجيبة فيقولون : إن كانت تربة الإمام شفاء من كـل داء وأمان من كـل بلاء فلماذا هـذه المستشفيات والصيـدليات وكليـات الطب ومصانع الأدوية ؟ .

وجواب هذه المغالطة . إن هذا الكلام لو صح لجرى بالنسبة إلى العسل من أنه إذاكان القرآن يقول الحق فليحتفظ كل شخص بإناء عسل في منزله وليتخلص من شر الطبيب والدواء وإذا كـان في العسل شفـاء فلتقفل أبـواب جميع المستشفيـات وكليات الطب ومصانع الأدوية . هذا هذيان ولغو من القول لأنكم لا تعرفـون مورد استعـمال هذا الدواء الإلهي . فإن التوسل بالأمور الغيبية يكون عندما تتوقف الطبيعة والأسباب الطبيعية التي هي في مجموعها المصنع الإلهي وآلات قدرة الحق تعالى . فعندما لا يبقى مجال للخلاص من خلال الأسباب الظاهريـة وعندمـا لا ينفع عـلاج الأطباء والأدويـة حينئذٍ فتح الله بـاب أمل لعبـاده كي لا ييأسـوا بالكليـة من الله والأسباب الغيبيـة ولا يقفلوا قلوبهم على الطبيعة وآثار الـطبيعة ولا يغفلوا عن إلـه العالم وخـالقه وحينئـذٍ قد يتحقق الشفاء مع رعاية الشرائط في أخذ التراب واستعماله فلا منافـاة أبداً بـين العمل وفق الأسباب الطبيعية والذهاب إلى الأطباء وجريان هذه السنّة الطبيعية المحكمة وبين التوسل بالله إله العالم والطبيعة لأن سنّة الطبيعة أيضاً من مظاهر قدرة الحق تعالى فالله هـو الذي أعـطى لكل دواء خـاصيّته أم أن الآثـار التي في أدوية الصيـدليات هي من ذواتها بل هي آثار جعلها الله القادر العالم منها . فإذا قال الله المعبود بقوته التـوحيديـة إن الأثر الموجود في الأدوية قد جعلته لمن يئس من مصنـع الطبيعـة في تربـة من سالت عليه دم المظلوم الشهيد في سبيل الله كي لا يقطع الأمل عن الناس حتى الموت ثم إذا أراد يهب الشفـاء بذلـك الدواء الإلهي وإن شـاء لم يرد لكن يقـدم المريض إلى محضره المقدس بقلب مليء بحب إلهـه وبعين متفـائلة بمستقبل العـالم (فهل هـذا شرك أم هو عين التوحيد ومعرفـة الله) أليس هذا هـو الأفضل أم الأفضـل تعلق القلب بالـطبيعة وإغماض العين عن الآثار الإلهية الغيبية واليأس عن قدرة ورحمة الله غير المتناهيتين .

العلاج الروحي :

كان يعتقد كبـار الأطباء القـدماء كـالشيخ الـرئيس أبي علي ابن سينـا بنوع من العـلاجات الـروحية التي تكـون أحيانـاً أنفع من العـلاجات الـطبية . وقـد أيّد هـذه

النظرية علماء وأطباء أوروبا الكبار حتى إنه نقل عنهم أن المريض إذا لقن نفسه مراراً بتحسن حاله فهذا يساعد جداً في تحسنه وإذا اطمأن بسلامته فهو يتحسن تماماً فهذا الإيمان الروحي هو الذي شفاه . ويستند هذا الاعتقاد إلى قوة تأثير الروح في البدن وتبعية البدن للنفس كما هو رأي بعض الفلاسفة العظام[1] من أن الصحة والمرض كلاهما من الروح . وعلى فرض أن هذه النظرية لم تثبت إلا أن النظرية الأولى في العلاج الروحي المرتكز على تقوية روح المريض قد تأكدت اليوم في أوروبا وحازت اهتماماً كبيراً . ومن عنده اطلاع بآراء العصر الجديد في التنويم المغناطيسي يدرك إلى أي مستوى وصلت إليه المعتقدات حول الروح وتأثيراتها في هذا العالم . وحدّث أحد العلماء الثقات قائلاً : كنت قد ذهبت إلى مستشفى مدينة الري للعلاج فكنت أحياناً أزور المرضى وادعو لهم وكان هناك طبيب أوروبي لم يكن على ديننا وكان يدفعنا إلى زيارة المرضى ويقول : قوموا بعملكم فقد فهمنا من كلام الأطباء قديماً وحديثاً أنه حتى لو فرض عدم وجود متدينين في العالم فإن العلاقة الروحية ورجاء النفس وتعلقها بأن شفاءها في الشيء الفلاني هي سبب طبيعي للشفاء ومساعداً للأجهزة الطبيعية وما فعلوه من فصل القلب عن الروحانيات بالكلية والاتكال على خصوص الأسباب الطبيعية وصرف الناس عن المعنويات لهو خيانة للنوع الإنساني وعامل مساعد على الموت .

تراب قدم الاحياء يهب الحياة :

ونذكر هنا دليلاً من القرآن حتى يعلم الجميع أن الله قد يهب آثار الحياة لقبضة من تراب مشى عليها حيّ ففي سورة طه الآية ٩٦ : ﴿ **قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها** ﴾ جاءت هذه الآية بعد ذكر قصة السامري وصناعته العجل وحياته وصدور الصوت منه (الآية ٩٠ من نفس السورة) فيسأل موسى السامري أن كيف فعل ذلك أي كيف تم إحياء العجل فيجيبه بأنه أخذ التراب من تحت قدم الرسول أي جبرئيل ونثرها فصار حيّاً . فهذا أثر وهبه الله للتراب من مرور حيّ عليه ولا مجال لأن يقول أحد الله غير قادر على أن يجعل التراب الميت منشأ حياة . وعليه فإن تأثير دم الأحياء في الأبدية الذي أريق على التراب في هذا التراب ليس أمراً بعيداً عن قدرته وبالتأكيد فإنه مع الاعتقاد بأن الله

(١) نجد هذا في هامش ص ٩٧ من الجزء الثاني من كتاب « حاضر العالم الإسلامي » .

على كل شيء قدير لا إشكال على الإطلاق في أن يجعل عديم الأثر ذا أثر كما يمكن أن يسلب الأثر عن ذي الأثر كما ذكر القرآن عن نار نمرود التي سُلب أثرها في سورة الأنبياء الآية ٦٩ : ﴿ **قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾ فنحن مؤمنون بأن المدبّر لهذا العالم هو الله وتخضع جميع ذرات الوجود لمحضره فكما يسلب عن النار المشتعلة أثرها بإرادة نافذة كذلك وبإرادة نافذة يعطي الأثر لتراب شهيد . فإذا كان الميزان في عدم صحة أمر ونقصانه هو عقلنا وعقلكم فاعملوا على أن يحذف من القرآن ما ذكر من تبريد النار وإحياء الأموات وتكلم النمل وأمثال ذلك حتى تتمكّنوا من تمرير أفكاركم السخيفة يا معشر الشرذمة من الجهال ، على السذّج الذين لا حول لهم ولا قوة . وكي تتمكنوا مطمئنين من تحميل المجتمع أهدافكم المسمومة بتفاؤل وإذا كان لديكم كلام في القدرة اللامتناهية لرب العالم فنحن على استعداد إلى النهاية كي نبحث بحثاً عقلائياً بموازين عقلية لا بهذه الكلمات الصبيانية المخزية التي يسخر بسببها أهل العقل والعلم على الناطقين بها والسامعين والمجيبين وقد ابتلينا بذلك قضاء للضرورة .

معاجز الأنبياء :

عثر هؤلاء العابثون على وسيلة أخرى واهرقوا الماء دفعة واحدة . وبلا ربط بين الأمور أنكروا المعجزة واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً** ﴾ دون أن يتأملوا فيها وأن يرتكزوا إلى أساس صحيح كما أتوا بدليل مضحك مخزي من أن المعجزة إن كانت أمراً حقاً لكان اللازم على النبي أن يشفي ابن مكتوم من العمى وأن يشفي أمير المؤمنين عقيلاً .

ونحن قبل ذكر الجواب نسأل العقل : هل يمكن لنبوة أن تتم بدون معجزة . والمقصود من المعجزة الدليل الذي على أساسه نصدّق بأن هذا الشخص المدعي للنبوة لم يأتِ بكلماته من عقله البشري وإن أقواله وأفكاره من الله الذي خلقنا وخلق العالمين . والذي تجب طاعته بحكم العقل وبمخالفته الضرر في الدنيا والآخرة . والعقل الفطري الموهوب من الله يحكم بأن قبول كل دعوى بلا دليل وبرهان غير جائز ومن يقبل شيئاً بلا دليل فقد انحرف عن الفطرة الإنسانية . فلو جاء من يقول : أرسلني الله ببلاغات يجب أن تقروا بها وتعملوا بها وأن لا تأسوا على أرواحكم

وأموالكم في سبيلها وضحّوا لأجلها بما تملكون ومن يخالف ذلك اقتلوه ودمروا مساكنه وعلى شبابكم أن يتلقوا بصدورهم رصاص البنادق والمدافع ورماح عدوي وعدو كلامي وعليكم تقبل كل ذلك بكل ميل ورغبة وبشاشة وجه . فهل تقولون لنا أن لا نسأله عن الدليل الذي يستند إليه في أن الله أرسله رسالة وأن هذه هي أقوال الله وأنه كلام سماوي وأنه لو سألناه وأجاب أنه كلام لا يحتاج إلى دليل بل عليكم قبوله وبذل أرواحكم في سبيله فهل يرضى العقل أن نقبل منه من دون دليل .

أدلة من القرآن :

وكأن هؤلاء لم يروا القرآن الكريم ومن دون أي وجه يتباهون على المتدينين ويلصقون أنفسهم بالقرآن أو أنهم رأوه لكن يريدون التحايل بإغفال أقوال القرآن المخالفة لرأيهم بصريح العبارة غافلين عن أنه يمكن أن يفضحهم شخص ما في المجتمع ويخزيهم عند الجميع . وهذا عدد من الأدلة من القرآن ليتضح أن الأنبياء ألقوا دعوتهم إلى الناس مع معجزة ولم يطع أحد نبياً في أي عصر بدون دليل ولم ينحرف ، عن جادة العقل .

سورة القصص الآيات ٣١ ـ ٣٢ : **﴿ وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقّب يا موسى أقبل ولا تخف أنك من الآمنين ، أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾** وحتى يصح كلام هذه الحفنة التائهة يجب أن نعتبر هذه الأمور أموراً عادية غير معجزة أو أن ذلك كان اقتراحاً في غير محله أعطاه الله لموسى مع عدم احتياج النبوة إليه .

وفي سورة آل عمران الآية ٤٨ التي تقدم ذكرها جاء فيها **﴿ أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وابرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ﴾** فقولوا إذن إحياء الميت وجعل الطين على هيئة الطير طيراً ليس بمعجزة أو أن عيسى أقدم من رأسه على ما لا فائدة فيه حتى لا يتزلزل فكركم ويقال إنكم ذوو فكر جديد جداً . هل معلوماتكم حقاً هي بهذا المقدار أم أن الضغوط الفكرية في ميدان الحياة المادية جعلت أعصابكم مضطربة وقد تم وجه الكلام فوضعتم أنفسكم في هذا اليوم الأسود المنفّر والموجب للذل .

وقد أعلن القرآن الكريم في عدة مواضع عن إعجاز نفسه لتمام البشر في تمام العصور وعن عجز البشر جميعاً بل عالمي الجن والإنس عن المجيء بمثله واليوم تشهد ملة الإسلام آية الله هذه بين يديها وهي تعلن لجميع البشر بإطمئنان كامل أن هذه علامة نبوة النور الطاهر محمد (ص) فأي شخص في الدنيا كثير الخوض في العلم والفكر يأتي بمثله فسنسلّم له ونتراجع عن أقوالنا .

وفي سورة بني إسرائيل الآية ٩: ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ .

وفي سورة هود الآية ١٦ : ﴿ **أم يقولون أفتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ والآية ١٧ ﴿ **فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله** ﴾ .

فعلى كتّاب تلك الأوراق المذّلة أن يحذفوا هذه الآيات من القرآن كي تستقيم كلماتهم .

الجواب عن كلام مثيري الفتن :

اتضح إلى الآن بجلاء أن آية ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً** ﴾ لا تريد أن تنفي المعجزات التي هي آية النبوة وآية صدق النبي بل هي في صدد إسماع العالمين إحدى آيات التوحيد وقدرة خالق العالم بأن لا أحد يملك القيام بأي عمل على نحو الاستقلال ولا يمكن لأحد أن ينفّذ شيئاً من نفسه من دون إمداد غيبي وإستناد إلى الله . والأنبياء الذين هم مثل الإنسان الأعلى هم أيضاً لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً . وإذا أرادت الآية ـ حسب قولكم ـ أن تقول : إني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً بأي وجه من الوجوه فسوف يكون أقل من الجماد وهذا يهز أدمغة البشر وتبقى آثاره حتى يوم القيامة لأن الجماد أيضاً له قوة تماسك تنفعه وجميعنا يعلم أن الإنسان مهما كان فهو بمعنى يمكنه أن ينفع نفسه بالأعمال الحسنة والأفكار الصحيحة والآراء المتينة كما يمكنه أن يضر نفسه بالأعمال السيئة والأفكار القبيحة والآراء الفاسدة . أنتم تقولون أن الله أمر رسول الإسلام أن يقول : إنني لا أستطيع القيام بأي عمل لا الحسن من الأعمال ولا الرزين من الآراء ومحكمها ولا ما يقابلها . ومثل هذا الكذب

والخراف لا يقبل به لو قيل في المجتمع حتى الأولاد والمجانين . أم نقـول إن المراد من المضار والمنافع التي تلحق العالمـين إنما هي بتقـديرات إلهيـة ويد القـدرة الإلهية التي لا ترى ، حيث أن مالك النفع والضر بالاستقلال هـو . وإذا حوّل مـوسى العصا ثعبـاناً وأبرز للعالم يداً بيضاء فهذا ليس من آثار قـدرته . وإذا أحيى عيسى الأمـوات وشفى العميان فهذا ليس من قدرته هو وإذا شق الرسول (ص) القمر كـما دلت عليه الآيـة الشريفة : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ فذلـك بالقـدرة الإلهية غـير المتناهيـة لا قدرته الذاتية . وكل بشري أوحى الله إليه قد أعطي بإذن الله وقدرة الله اتيان الأعمال العظيمة التي يعجز عنها البشر .

وأما ما نقوله لم يشف ابن مكتوم وعقيلاً وحيث أن هذا لم يحصل فـالمعجزة أمـر غـير صحيح فهـو كلام يضحـك الأطفال ويبكي المتـدينـين العقـال وضحـك أولئـك لسذاجة الكلام وبكاء هؤلاء لما وصل إليه الزمان من تلاعب أمثـال هؤلاء بدين الله . وإذا سألنا الآن أطفال الصف الأول عن استفادة قاعدة كلية من عدم وقوع حادثـة كما لو لم يذهب شخص إلى الطبيب للعلاج فنقول الطب كذب لأنه لو كان صحيحاً لكان اللازم أن يذهب هـذا الشخص إلى الطبيب . والمستشفيـات في العالم خـدعة لأنها لـو كانت حقاً لكان اللازم أن يذهب المريض الفـلاني الذي وقـع في الشارع الفـلاني إلى المستشفى . ظن هؤلاء الجهال أنه إذا كانت المعجزة حقـاً يجب على النبي والإمـام أن يـدوروا في الأحيـاء وينـادوا : « نـأتي بـالمعجـزات ، نفعـل الكـرامـات » كـما ينـادي الجوالون : « نخلّي الماء من الحياض ، ننظّف السجـاد » أفٍ لهذا المنـطق والبرهـان . المعجزة التي هي آية النبوة والكرامة التي هي آية الإمامة بيد الله لا أنها لعبة وملهـاة . وإذا أراد الله أحياناً لأجل تنبيه الناس إلى عالم وراء عالم الطبيعـة أن يحقّق أمراً خـارقاً للعادة عن طريق النبي أو الإمام فهل يـوجب ذلك أن تشـوّش جميع الأعـمال ويزلـزلها وأن يشل جميع ما يدور في عالم الطبيعـة ويزلـزل نظام الحيـاة البشرية وأن يحقق جميـع الأمور بالمعجزة وخوارق العادة . وإلا فإنكم حينئذٍ ممارون وتصيرون منكري قدرة الله تماماً إذ يقال : الله الذي خلق بقدرته الكـاملة السماء والأرض لِم لم يخلق للبشر رزقهم بلا جهد ولا تعب ليرتاحوا من المتاعب الكثيرة جرّاء تهيئة الحياة فإذا كان كذلك لنقـل لم يخلق الله السماء والأرض إذ لو فعل لكان من اللازم أن يقوم بالعمل الـذي ذكرنـاه بنحو الاعجاز وحينئذ سيكون إلهاً بتحرك وفق اقتراحاتنا وآرائنا لا الإله العظيم .

القول بالغيب :

تحرك هؤلاء المثيرون للفتن في موضع آخر وقالوا للمتدينين : القرآن ينفي في عدة مواضع منه علم النبي بالغيب فلماذا ينسب المؤمنون التكلم بالغيب إلى النبي والإمام .

ولعل جواب هؤلاء المخادعون قد اتضح مما سبق لكن أيضاً يجب هنا أن يبين طريق الاشتباه كي تزداد فضيحتهم .

إن المؤمنين لا يقولون أن النبي أو الإمام يتكلمان بالغيب من أنفسهم ومن دون تعليم الله . بل هما بشر أيضاً بحيث لولا التعاليم الإلهية لا علم لهم بالغيب والآيات التي تقول أن النبي بشر لا يدري بالغيب تريد هذا المعنى (نفي ذاتية العلم) وإلا فلدينا من كتاب الله دليل على أن الأنبياء بل وغيرهم يتكلمون بالغيب ويخبرون عن الأمور المستورة والماضية والمستقبلية بتعليم الله لهم .

الأدلة القرآنية :

نزلت بعض الآيات الدالة على تكلم الأنبياء بشكل عام بالغيب وتكلم بعض الأنبياء بالخصوص بذلك نذكر للقراء بعضاً منها ليستوعبوا الأمر بشكل أفضل وليعرفوا جيداً غرض هؤلاء وهذيانهم .

ففي سورة الجن الآية ٢٦ : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾ أي يخبر عن الماضي والمستقبل .

وفي سورة آل عمران في ذيل الآية ٤٣ التي تحصي معجزات عيسى : ﴿ **وأنبئكم بما تأكلون وتدّخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وسورة التحريم الآية ٣ : ﴿ **وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلّما نبأت به وأظهر الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلّما نبأها قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير** ﴾ .

بل أثبت القرآن الكلام بالغيب لمريم أم عيسى في آية نذكرها فيما بعد

وحينئذ إما أن تحذفوا هذه الآيات من القرآن لتصح أفكاركم أو أن تعترفوا بخطئكم ليرتفع الخلاف .

كلام الفلاسفة :

وهذه المقالة المختصرة والأوراق المعدودة لا تتسع للحديث عن هذه المسائل من جهة الفلسفة الإلهيّة والطبيعية العليا وللتحقيق في خوارق العادات وأسرار الآيات والأساس الحقيقي للكلام بالغيب حتى تتضح المسألة بالتحليل العلمي والتحقيق الفلسفي . لكن نكتفي بكلام عدد من الفلاسفة المعتبرين وعظماء علم الروح القديم والجديد ، الشرقي والغربي . ومن أراد الإطلاع بشكل كافي على آرائهم وبراهينها العقلية الفلسفية أو الحسية الطبيعية فليراجع الكتب القديمة والجديدة التي كتبت في هذا المجال ليعرف مستوى علم وإطلاع كتّاب تلك الأوراق المذلة ومثيري الفتن وأغراضهم . وإذا كان في الدنيا خزي حقاً فاعرفوا مثاله الأعلى وإليكم الأقوال الثمينة لكبار فلاسفة العالم .

الشيخ الرئيس الفيلسوف الكبير : يقول رئيس فلاسفة الإسلام أبو علي ابن سينا الذي شهرته ورتبة علمه أسمى من أن يحتاج إلى بيان ، يقول في النمط العاشر من كتاب الإشارات وهو من الكتب المحكمة المعتبرة : « إن جاءك خبر عن عارف يتحدث عن الغيب وصدق فصدّقه ولا تتردد في الإيمان به لأن لهذا الأمر في الطرائق الطبيعية أسباباً معلومة » ثم يبين هذا الرأي مع البرهان في ستة عشر فصلاً ويقول في بعض التنبيهات : إذا قلت الاشتغالات الحسية فلا يبعد أن تنال النفس فجأة فرصاً تتخلص معها من التخيل وتحلّق في جانب القدس ثم تنقش فيها نقوشات من نقوش عالم الغيب وهذه تحصل في حال النوم وأيضاً في حال المرض . ثم يقول وإذا قويت النفس في جوهرها بحيث تحيط بالأطراف المتجاذبة فلا يبعد أن تحصل لها فرصة ذلك في حال اليقظة . ثم يذكر بعد ذلك أقساماً . وللشيخ الرئيس في باب الكرامات والمعجزات كلام ، فمنه : إن جاءك خبر عن عارف أن له طاقة بقوته على القيام بعمل أو إعطاء حركة لشيء أو أن يتحرك بنحو يخرج الأمر عن قدرة الآخرين فلا تسرع في الإنكار فلعلك تجد ممراً على طرق الطبيعة إن طويتها .

الشيخ شهاب الدين الفيلسوف الإشراقي الكبير : هذا الحكيم الكبير الذي جمع بين الفلسفة والرياضات النفسانية والذي يعتبر من كبار العلماء بالروح قال في المقالة الخامسة من كتاب حكمة الإشراق : « إذا قلّت شواغل الإنسان الحسيّة الظاهرة فأحياناً يتخلص من التخيل ويحصل له اطلاع على الأمور الغيبية » . ثم يذكر برهان هذه الدعوى ويقول بعد ذلك : « وما يناله الكمّل من الغيب والأنبياء والأولياء وغيرهم أحياناً يكون بشكل كتابات وأخرى بسماع صوت بحيث يكون هذا الصوت ناعماً مؤنساً أحياناً وموحشاً أحياناً أخرى . وقد يكون بمشاهدة شكل موجود قد يرى فيه شكل إنسان جميل يخاطبه بغاية اللطافة ويخبره عن الغيب » ويقول هذا الحكيم النوراني حول الكرامات والمعجزات : لاخوان التجريد أي الذين بلغوا الكمال في العلم والعمل والرياضات النفسانية مقام خاص وهم في مقامهم هذا يملكون القدرة على ايجاد موجودات قائمة بهم بأي صورة أرادوا » وقال أيضاً في بعض الفصول : اعلم أنه إذا أشرقت إشراقات العالم العلوي على النفوس المقرّبة تصير مادة العالم مطيعة لهم ويصير دعاؤهم في العالم الأعلى مستجاباً . والنور الذي يفيض من العالم الأعلى على بعض النفوس هو اكسير القدرة والعلم وبواسطته يصير العالم مطيعاً له والنفوس المجردة تملك بواسطة ذلك النور القدرة على الأبداع .

صدر المتألهين الفيلسوف الإسلامي الشهير والحكيم الإلهي العظيم الذي أنار أفق الشرف بنور حكمة القرآن . يقول في التعليقة على حكمة الإشراق : « أساس المعجزات والكرامات مبنية على أمور ثلاثة اجتمعت كلها في النبي : الأول خاصيّة في النفس بحيث تخضع له الأجسام وتطيعه المواد العنصرية وتتخذ شكلاً ما . وهذا أمر ممكن » ثم يذكر البرهان عليه ثم يقول « الخاصية الثانية : قوة في النفس نظرية بنحو تحصل للنفس صفات تصير بواسطتها شديدة وتتصل بالعقل الفعّال إلى أن يفاض عليها العلوم العقلية » ثم يبين ذلك ويبيّن أقسامه . ثم يقول : « الخاصية الثالثة أن تقوى القوة المتخيّلة وتتصل في اليقظة بعالم الغيب المثالي » ثم يذكر أقسام الاتصال بعالم الغيب وكيفيته في كلام طويل .

فلاسفة أوروبا الروحيون :

المينياتيزم أو التنويم المغناطيسي هزّ العالم بقوة وجعل أنفاس الماديين الأخيرة

معدودة وفي المستقبل القريب سينزع العلم الستار كلية وسيسلط الضوء على عالم الأرواح وحياتها وآثارها الغريبة من قبيل عدم إحساس النائمين مغناطيسياً وحديثهم عن الغيب ومئات الأسرار العجيبة ويزول أساس المادية من العالم إلى الأبد . وخطوات العلم الكبرى اليوم في اتجاه اكتشاف أسرار العالم وخوارق العادات والمعجزات والكرامات والاطلاع على المغيبات تقرب اليوم من الواضحات في دنيا العلم . والأشياء التي يفتخر بها علماء أوروبا الروحيين هي أمور أعلنها قبل ١٣٠٠ سنة رسول الإسلام وأئمة الشيعة بلهجة صريحة جازمة عندما كان الظلام يعم العالم كله خصوصاً الجزيرة العربية دون أن يكون لهذا الكلام في عالم ذلك اليوم أية سابقة . وفي غد العلم سيهز العالم هزّة أخرى ويدرك البشر الطريق إلى حقائق أدق أعلن عنها القرآن . ونحن أهل القرآن نعلن للعالم اليوم تسبيح ونطق جميع ذرات العالم من الجمادات والنباتات والحيوانات وننتظر أن يخطو العلم خطوته الثانية ويهز العالم ليجلي هذه الحقيقة . فبالأمس كنا قد قلنا إن الله أعطى رسله نصيباً من علم الغيب ويطلع من يختار على الغيب بالالهام الغيبي واليوم أدركتم هذا في حركة الطبيعة والشيء الذي قد ناله الأنبياء من دون وسائط طبيعية وأسباب ظاهرية والذي وهبهم الله إياه عبر الوحي والالهام وهو القول بالغيب ، قد عثرتم أنتم على طريق ضيّق وعر إليه على أساس أسباب الطبيعة وهذا هو أحد الفوارق بين الطبيعة وغيرها فأصحاب المعجزة والكرامة يقومون بالأعمال من دون الوسائل الطبيعية أما الآخرون فهم إما غير مستطعين أصلاً أو أنهم لا يستطيعون ذلك من دون الوسائل الطبيعية . أنتم إن قطعتم بالطائرة مسافة شهرين فسليمان كان يطوي تلك المسافة ببساطه .

كلام فريد وجدي في دائرة المعارف :

كتاب دائرة المعارف وكثير من الكتب الأخرى التي كتبت في هذا الموضوع بالخصوص مليئة بالحكايات العجيبة جداً والتي منها التكلم بالغيب بواسطة التنويم المغناطيسي ويقول فريد وجدي بعد أن ينقل الأمور العجيبة : إن جميع هذه المشاهدات والملايين من أمثالها كتبت في كتب الطب وهذا لا اختصاص له بفقدان الشخص النائم للحس بل هناك أمور أخرى مهمة أيضاً مثل التكلم بالغيبيات ورؤية الأشياء البعيدة والوقوف على أسرار الأقارب والأباعد من الأمور التي لا يمكن أن يقبلها الإنسان لو لم تكن وقد ثبتت تلك الأمور بالمشاهدات الحسية الكثيرة وتواتر

النقل العلمي بحيث لا يحسن الشك فيها . ومن الأمور التي ينقلها في دائرة المعارف أن « لويس » أحد المنّومين المعروفين . نوّم امرأة بحضور جماعة وطلب منها الذهاب إلى منزلها لترى ماذا يفعل أهل المنزل فأجابت المرأة النائمة : ذهبت ورأيت شخصين يقومان بأعمال المنزل فقال لها لويس ضعي يدك على أحدهما فضحكت وقالت وضعت يدي فدخلها الرعب . فسأل لويس الحضور إن كان فيهم من يعرف منزل المرأة فرد أحدهم بالايجاب فطلب منه الذهاب ليتأكد من صحة القضية فذهب ووجد أهل المنزل في حالة خوف وهلع فسأل عن السبب فأجابوا أنهم رأوا في المطبخ هيكلاً يتحرك ووضع يده على بعض من كان في المنزل .

وأمثال هذه القضايا في كتب هذا الفن كثيرة واليوم تعتبر الملل الغربية وفلاسفتهم وكبار الروحيين ان هذه القضية من الواضحات .

تحكيم القراء :

ماذا تحكمون أيها القراء المحترمون ؟ هل نرفع اليد عن أقوال القرآن الصريحة حول المعجزات والأخبار بالغيبيات وعن مقالة فلاسفة العالم الكبار مع براهينهم القطعية وعن آراء الفلاسفة الأوروبيين في العصر الحديث وتجاربهم وعن نقل الملايين من المسلمين والنصارى واليهود بحيث تواتر النقل يداً بيد عن معجزات الأنبياء ، وأن ندير أظهرنا لآيات القرآن وندوس على كلام عظماء العالم وبراهينهم الواضحة ونتبع شرذمة من الأطفال الجهال التائهين . أم نتلقى كلماتهم الممتزجة بالأهواء ، بسوء نية ونعتبر أن قطع جراثيم الفساد هذه التي توجب زوال الوحدة الإسلامية والإخوة القرآنية والتعاون الوطني من وظائفنا وأن نشد بقوة على أعناق هؤلاء الجهال بيد الانتقام البطولية حتى لا تتكرر هذه الهذيانات ولا تطال اليد النجسة أقوال الله والأنبياء وأوليائه ولا يستخف بروح ووحدة وإحساسات الملايين من الناس .

منشأ انكار المعجزة وسرّه الأصلي :

أنكر الميرزا أبو الفضل الگلپايگاني المعجزة وهو صاحب كتاب الفرائد الذي ألّفه لترويج مذهب الباب والبهائية وهؤلاء المثرثرون قد أخذوا كلامهم من ذلك الكتاب دون أي نقيصة . وسبب إنكار أبو الفضل الگلپايگاني للكرامات والمعجزات

أنه لما كانت يد البهائية قاصرة عن ذلك وكانوا من أناس أقل من عادين على ما يدل عليه كتابهم وكلماتهم التي هي في متناول اليد ومناقشة الباب مع نظام العلماء التبريزي المحفوظ في التواريخ(١) فرأوا أن لا محيص من إنكار المعجزات كلها حتى لا يطالبهم أحد بالمعجزة . ولذا يكتبون ضد أعاظم الدين وأولياء الدين كل ما يجري على أقلامهم وأحياناً يقتفون أثر ابن تيمية ووحوش نجد وأحياناً يتبعون البابيين وأبو الفضل الگلپايگاني البهائي وليراجع من أراد كتاب فرائد الميرزا أبو الفضل البهائي وكتاب منهج الرشاد الذي كتب رداً على الوهابية أو أي كتاب آخر من الكتب التي ذكرت مقداراً من سخافات هؤلاء كي يتضح الأمر ويتضح أساس كلامهم وحينئذٍ يتضح قيمة وقدر هذا الكلام وكتّابه في المجتمع .

سؤال آخر وجوابه :

ومن الأسئلة أن السجود على التربة شرك أم لا ؟ وقد اتضح جوابه الآن ولا يحتاج إلى إعادة وتطويل ولذا نكتفي بذكر الخلاصة . فبعد أن تبين معنى الشرك والعبادة نقول إذا سجد شخص على التربة أو أي تراب آخر أو أي شيء على أساس أنه أو أن صاحبه رب وعلى أساس عبادة القبر أو صاحب القبر فهو مشرك وكافر . أما إذا سجد على تربة القبر أو غير القبر لله وإطاعة لأمر الله فهذا ليس شركاً بأي وجه بل هو عين التوحيد وعين عبادة الله . واسألوا الـ ١٠٠ مليون شيعي وأكثر من عشرة ملايين من الإيرانيين الشيعة انكم لماذا تسجدون على تربة كربلاء ؟ هل تعتقدون أن الحسين بن علي رباً وابن الله أو تعتبرون أنه في قبال الله مستقل في التأثير؟ اتعبدونه ؟ فإن أجابكم فتيان ونساء عوام الشيعة الاثني عشرية بالايجاب وإن عثرتم بين الشيعة على من يدّعى ذلك فسنرفع أيدينا عن أقوالكم ونستعفيكم من كل الكلام . وإذا كنتم ـ وأنتم الذين كنتم إلى سنين في مذهب الشيعة وتربيتم في مجتمع الشيعة ـ تصدّقون أن سجود الشيعة على التربة الحسينية لله كما يسجد جميع المسلمين على التراب بلا فرق غاية الأمر أنهم (الشيعة) يعتقدون أن في السجود على التربة ثواباً أكثر فهم يسجدون لله ومنه يطلبون الأجر وحينئذٍ عليكم سحب كلامكم وأن تتوبوا

(١) يراجع الملل والنحل للشهرستاني ودائرة المعارف لفريد وجدي ومروج الذهب للمسعودي وبيان الأديان لأبي المعالي .

من اتهام الشيعة ـ تبعاً للسنّة والوهابيين ـ ومن الموقف الذي وقفتموه في محكمة العدل والانصاف والشرف والإنسانية والذي أدنتم واذللتم من خلاله أنفسكم . والله يقبل توبة التائبين وطريق التوبة أن تعلنوا عن خطئكم بقلم واضح من خلال الصحف أو كتاب منفصل حتى نعرف أنكم ذوو عقيدة حرة وفكر واضح . حرية الرجل أن لا يعاند إذا رأى خطأ نفسه ونحن نعرف الشخصية بالوضوح في الفكر إذا ابتعد عن المماراة والفساد وإذا تراجع عن أقواله إن كانت باطلة .

ولحاجة « شريعت سنگلجي » كانت باعترافه تعقيباً على بعض الخطباء . وثباته على رأيه كان لأجل عدم التراجع عن كلام لم يكن معتقداً به . وترك الذكريات القبيحة ويعلم العلماء (لا الآخرون) ذلك . وما يخبئه معروف في مجتمع العلم والدين . نحن لا نعتبر أمثال هؤلاء الأشخاص أحرار فكر وشخصيّات مستقيمة ونشجبهم في محكمة الإنسانية والحرية .

دليل من القرآن على قولنا :

لعلكم تقولون أن السجود على التربة بأي نحو كان شرك والجواب :

أولاً : بعد أن كان معنى الشرك معروفاً عند جميع العلماء وليس شيئاً بمقدوركم محوه والجميع يعلم أن السجود على أي شيء اتباعاً لأمر الله ليس شركاً بل توحيد وطاعة . فهذا الإشكال لا قيمة له .

ثانياً : بناء على قولكم ، يجب أن يكون جميع المسلمين مشركين لأنهم كلهم يسجدون لله على التراب والحجر والخشب والكثير منهم يجوّز السجود على الفرش والمعدن وأشياء أخرى وأبو حنيفة إمام السنة يرى جواز السجود على القاذورات إذن جميع المسلمين مشركين ما عدا الذين لا يصلون أبداً ولم يشتغلوا بهذه العبادة فالموحّد هو الذي لا يصلي فقط .

ثالثاً : أمر الله بالسجود في آيات كثيرة من القرآن منها ما في سورة الحج الآية ٧٦ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ فالله ـ على قولكم ـ أمر المؤمنين بالخروج من الإيمان والدخول في الشرك حتى يفلحوا فعلى من يُضحك .

رابعاً : قد ذكرنا أكثر الآيات التي تحكي أمر الله الملائكة بالسجود لآدم والآية التي ذكرت بصريح العبارة سجود يعقوب وأولاده ليوسف فبناء على كلامكم يكون جميع الملائكة ويعقوب وبنيه بل جميع الأنبياء والأولياء مشركين لأن الجميع قد يسجدوا على شيء من أجزاء هذا العالم من التراب والحجر والخشب بأمر الله . فاللازم إذن أن نلغي كلمة التوحيد من قاموس العالم وأن نكتب كلمة واحدة على صحف أعمال العالمين « مشرك » حتى تصح حجتكم على الشيعة أتباع علي وأولاده وحتى يكونوا في عداد المشركين .

الكاذب المخادع :

يعلم الجميع أن السجود على تربة الحسين ليس عبادة وشركاً وإذا كنتم كما تدعون من أهل العمل وفي صدد الإصلاح والبحث عن العلاج وكنتم صادقين في سعيكم لأجل الدين وإصلاح المجتمع ولم تخطوا خطوة إلا لإصلاح البلد ولصلاح الناس فلماذا هذا الإهتمام بهذا الأمر البسيط وسجود الناس لله على الحجر أو التربة وهاجمتم واعترضتم . وسكتم عن الجرائم التي ترتكب ضد صلاح البلد والدين في العاصمة ومراكز توزيع الأصناف الصالحة والطالحة والأمواج التي تنشر من أوراق الصحف في جميع أنحاء البلد بل سعرتم نار الفتنة . ماذا حصل أيها الموحدون طلاب الله أعداء الشرك حتى لم تشهروا السيف أبداً وسكتم عن جواب هذيانات ذلك الكتاب القبيح مع ما له من الإسم المخجل كأنه كتب بلغة الجن وتكلم مع الناس بمئات الألفاظ الغربية والبعيدة عن الفهم وجدّد الزردشتية المجوسية المشركة عبّاد النار وبيوت النار في إيران ويعتبره الآن أتباعها من عباد النار رجلاً طاهراً عابداً لله . أنتم الذين تدعون أنكم تسعون لخير ملايين الناس ورفع الأغلال الثقيلة التي قيد الناس لجهلهم أيديهم وأرجلهم بها وتدعون أن لا غرض إلا الشفقة وخدمة الحق فما الذي حصل حتى اتبعتم اللغو القذر فقلتم إن الله لم يكلّف الناس بأي تكليف وترك ملايين الناس من أهل الشهوة والمتوحشين بوسائل جديدة وآلات مروعة قاتلة للإنسان دون أن يحدد لهم تكليفاً ودون أن يبني لهم طريق سعادة البشر وخيرهم وشرّهم ولم يجعل بينهم قانون عدل . آه من هذا البشري الذي ينسب الله إلى الهوس وفعل السوء وهو الذي لا يعمل إلا على أساس العدل والإنصاف ، ونسب إليه أعمالاً لا تصدر من خائن فتف عليك أيها البشري . إن رئيس مصنع فيه خمسون عاملاً ، وإدارة فيها

ثلاثون موظفاً ، وبيتاً فيه عائلة من خمسة أو ستة أنفار ، يحددون نظاماً للحياة وللعامل ووقت العمل ومقداره ويعيّن كل شخص في عمله ويسنّ لهم قانوناً والله ترك جماعات الناس متروكة اللجام تعيش مع بعضها وخلق هذه البلاد الشاسعة مع ما فيها من عباد الشهوة وطلاب الرئاسة والمتوحشين دون أن يجعل لهم قانوناً بل كل من أراد أن يعمل شيئاً عمله ، وحسب رأيكم كلما كان الإنسان مسروراً فالعالم في سرور . مبارك هذا الذكاء الوقاد الذي تملكون إذ تدلون الناس على مثل هذا الإله فلينظر مفكروا العالم هل المادية أفضل أم الاعتقاد بمثل هذا الإله .

أيها المدعي لحب الله وإن الله معك إن كنت صادقاً فيما تقول فلماذا تبنّيت آراء مثل هذا المجنون الأبله الذي أذبلت دماغه الفاسد المشروبات المسكرة والمخدرات ولماذا الخداع تريد تجميع الناس بإسم الله والقرآن . ولو أُعطيتم المجال لقلتم لكلامكم الآخر فقولوه من الأول .

السؤال الثاني وجوابه :

هل عمل القبب والمقامات شرك أم لا ؟

وجوابه أيضاً اتضح مما سبق في تعيين ميزان الشرك واتضح أن بناء القبب والمقامات إن كان للوثنية وعبادة الإمام والنبي كما يفعل الوثنيون فلا شك أنه شرك ومن يذهب إلى هناك لأجل عبادة النبي أو الإمام أو ابن الإمام فهو مشرك وكافر . لكن إن كان ذلك احتراماً لهم أو كي يستريح الآتي لزيارته أو لعبادة الله في ذلك المكان فهذا ليس شركاً أبداً بل هو عين عبادة الله واتباع أوامر الله . وأنتم تعلمون أنه في كل سنة تزور مئات الآلاف من الشيعة قبر النبي والإمام وابن الإمام والمؤمنين ونحن نسمح لكم ولجميع العالم أن تستنطقوا الشيعة الاثني عشرية كبيرهم وصغيرهم رجالهم ونساؤهم حضريهم وبدويهم (ولا نكفل غير الاثني عشرية) واسألوهم فإن أجابوكم أو أجابكم واحد منهم إننا نذهب إلى المدينة أو كربلاء كي نعبد النبي والإمام ولأننا نؤمن بأنهم آلهة أو آلهة الأرض فسنتراجع عن أقوالنا وسندخل في الدين على الطريقة التي يعلمكم إياها أساتذتكم وإلا وهو كذلك كما تعرفون أنتم بأنفسكم ويعلم جميع القراء أن شيعة الأئمة الأطهار يرون الأمر خلاف ذلك فلنا الحق حينئذ أن نتهمكم بالخديعة أو أنكم تريدون أن يكون لكم بين أزواجكم اسماً ورسماً . فقد

رأيتم إن ما لفقتموه قد لفقه غيركم ولا قدرة لديكم على مثل هذا الابتكار والذكاء فحدثتم أنفسكم أن هذه الكلمات ذات صدى في إيران قليل فيمكن أن تمر على الناس أن هذا من ذهننا الوقاد وأن هذ الفكر الجديد لم يخطر إلاّ على بالنا وظننتم أن لا أحد في الميدان يجيب عن هذه الإشكالات الكبرى ! وإن كان من جواب فاتونا به . ولم تظنوا أن يظهر من يدل الناس على أصل ومستوى كلامكم وأنه تجميع من الكتب التي عفى عليها الزمان . فقسم منه من الوهابية وقسم آخر من البهائية وقسم ثالث فحش وإساءة إلى أعاظم الدين من صحيفة الملا نصر الدين القفقازي وأمثاله غاية الأمر أن ما في تلك الصحيفة من سباب وإساءة قد كتب بطريقة جميلة جذابة أما أنتم فحتى هذا الحسن تفقدونه ، وقد عثرنا على منشأ أقوال أربابكم الخالية من أي حسن لفظي فهم فئة من أهل الهوى كانوا ضد الأديان وكانوا يقولون بالمبدأ والمعاد لكن أنكروا التشريعات والأحكام والحدود ، وهؤلاء مع أنهم أخذوا هذه الترهات من أصحاب الأهواء والنحل المخالفة للزردشتية أيضاً هم مع ذلك من أنصار الزردشتية وهذا من غبائهم إذ لا يدرون ما يقولون وماذا يفعلون فلو كانوا زردشتيين فما هو هذا المذهب ؟ وإن لم يكونوا كذلك فما علاقتهم بآراء زردشت .

دليل من القرآن :

وأمثال هذه الأمور وإن كانت مستغنية عن الدليل إذ يكفي أن الله لم ينه عن تلك الأمور كي تكون جائزة لا مانع منها ولذا لو أراد أحد أن يبني بيتاً لا ينظر في القرآن ليرى ماذا أمر في هذا المجال كما أن القرآن لم يأمر بشيء فيكفي أنه لم يُمنع في الدين عن ذلك حتى يكون بمستطاع كل شخص أن يبني بيته كيف يشاء . لكن مع ذلك فقد ورد في ذلك (القبب والمقامات) تشريعاً ونحن نذكر الآية كي يحسم الأمر . وهي الآية رقم ٣٣ من سورة الحج ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ فالقلب النوراني الطاهر هو الذي يعظم الله وشعائر الله . ومن أعظم تعظيم الشعائر الإلهية أن يكون بيت الله معظماً مجلّلاً وأن يكون محل العبادة محط رغبة الداخلين وجالباً لقلوبهم . ففي هذه الأماكن المحترمة يشتغل مئات الآلاف من المسلمين الأطهار بعبادة الله ومدحه وثنائه والصلاة والتذلل إلى محضره المقدس فما أحسن أن تبنى قبة عالية رفيعة تعظيماً لعبادة الله والشعار الإلهي وأن يُبنى مسجدٌ في عظمة وجلال كي يميل الناس للدخول إليه وحتى يدخل أكابر الناس العادين إلى

المقامات على أبهتها وعظمتها فيشاركون الناس في العبادة والصلاة . فلا ربط لهذا بالشرك . وفي سورة النور الآية ٣٦ : ﴿ **وفي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوة والآصال** ﴾ فبعد أن يذكر آية النور يقول ذلك المصباح في بيوت . . . ولا شك أن في هذه البيوت تسبيح الله وتهليله صبحاً ومساء ومن يدخلها يشتغل بذكر الله وقد أذن الله أن ترفع ويعلو شأنها وأن تبنى على عظمة وهيبة ، والجميع يعلم آثار العظمة والهيبة الظاهرتين في القلوب فإن منزلاً مهيباً عظيماً أو بلداً عظيماً يجعل الناظرين إليه يتواضعون له وإن كانت عظمة الإسلام والقرآن وعظمة أعاظم الإسلام ثابتة بالقوانين الحقة الصحيحة والمعارف والحقائق الشامخة والتعاليم العقلانية التي تكفل السعادة الأبدية والنورانية الدائمة ، وهي المتعهدة بالحياة في هذا العالم والعالم الآخر ، لكن لما كانت العيون الضيّقة والتي تنظر إلى الظواهر فمن التعظيم الشكلي يترسخ ذكرى في القلب ومن عظمة البنيان ينتقل إلى عظمة صاحبه وقد اهتم الإسلام بتعظيم البيوت التي يعبد فيها وبتعظيم الشعائر الدينية واعتبرها من التشريعات القرآنية فيظهر على دنيا أوروبا المزخرفة كلها وإن كانت خالية من الفضائل الإنسانية فالإسلام أيضاً يظهر الزينة . ومن هنا فإن الأبنية التي قدّمها إلى الدنيا المسلمون والإسلام بهيبة وعظمة كاملتين حيّرت عيون الغربيين وشدّت انتباه العالم الأوروبي على عظمته فمن أراد أن يتعرف على عظمة البناء الإسلامي المتشتت في بلاد العالم والتي تمثل ذكرى الماضي فليراجع كتاب تمدن الإسلام .

بناء القبب والمقامات ليست من مختصاتنا :

اعتقد هؤلاء الجهال الباحثون عن الفتن أن بناء القبب والمقامات لأعاظم الدين من مختصات الشيعة فهاجمونا وهو اعتقاد ظني غير صحيح ، باطل . فإن جميع الملل الإسلامية وكل الفرق الدينية لها مثل هذه الأبنية والقبب المهيبة والعظيمة . وعليه فجميع المسلمين سنة وشيعة وجميع الفرق الدينية مشركون والتوحيد خاص بفئة من رعاة الإبل الجهال البعيدين عن التمدن . ووقفت حفنة من المشردين تقلدهم . فكل سنة يذهب حوالى المئة ألف إيراني إلى العراق والحجاز والجميع يرى أن المرقد المحترم لنبي الإسلام في وسط بلاد السنّة قد بني بقبة ومقام وضريح ومظاهر مشرّفة . وسنوياً يزور قبر النبي حوالي ٣٠ ألفاً من مصر والهند واليمن والعراق وإيران وأفغانستان وسائر البلاد الإسلامية التي يشكل السنّة أكثريتها ويقومون بنفس الآداب التي يقوم بها

الشيعة احتراماً له ولقبور أئمة الدين . وكذلـك الحال في العـراق حيث القبة العـظيمة للشيخ عبد القادر ولأبي حنيفة في بغداد وقد رأى أو سمع الجميع آداب السنة عندهما فـاللازم إذن أن يقـال إن جميع الملل الإسـلامية من أي فئـة ومذهب كـانوا هم كفـار ومشركون وثنيون وأن الذين بنوا ذلك وثنيون وهـذه البيوت بيـوت أصنام كي يستقيم هذيان هذه الحفنة من الحثالات وليصل الخـراب إلى الجوهـر . ومع الغض عن ذلـك كله فإن الكعبة ليست إلا الحيـطان الحجريـة الأربعة والحجـر الأسود ليس إلا حجـراً أسـود . والصفا والمـروة إن هما إلا تلّتـان فلماذا يـطوف حـولها مئـة ألف تقـريبـاً من المسلمين سنوياً ويقبلون الحجر الأسود ويتلمسونه ولماذا يسعـون بين الصفـا والمروة ولم يصر أي منهـا بواسـطة هذه الأعـمال بيتاً معبوداً أو تلّة معبـودة وآمن الجميـع أن تلك الأمـور عبادات لله فهـل المسلمون يجـدون الله في ذلـك البيت وحـول تلك الأحجـار والتلال أم لأن الله أمرهم يطيعونه وهو عين التوحيد . فالأولى لكم أن تقولوا كلمتكم دفعة واحدة وأن الكعبة يجب أن تخرّب وأن نرتبط بالله من دون أيـة وسيلة لا بيت ولا حجر أسود ولا تلة .

والحق أنني عندما قرأت كتاب التوحيد في عبادة السنگلجي ووصلت إلى قوله : « لما كان وضع خاتم العقيق في اليـد شركاً فقـد أخرجتـه في الطريق إلى الحـج ورميته بعيداً » . ضحكت من هذ الدماغ الخالي من الإدراك ، فلماذا يذهب هذا الرجـل إلى مكـة ويطوف حـول تلك الأحجـار فهـذا يعني أنهم يـرون أنها لله أو أن الله في ذلـك البيت وعند الحجر فإن قالوا نذهب إطـاعة لأمر الله نقول إن جميـع تلك الأمور أيضـاً هي إطاعة لأمر الله وإلا فما من أحد يعبد حجراً أسود بلا قيمة ولا أحد له حـاجة إلى الخاتم من ياقوت أو عقيق .

حجة المهاجمين :

وتمسكـوا بحجة مضحكـة هي « مـا ورد في الأخبـار أن ارفعـوا قبـورنـا أربعـة أصابع » فقـال إن رفع القـبر أربعة أصـابع وصب المـاء أيضاً حتى يكـون مساويـاً مع الأرض .

وجواب هذا الكلام في أمور :

١ ـ إن فـورانكم وصراخكم ومعركتكم إن كـان لأجل أن النـاس لم تـطع أمـر

الإمام الذي قال بالرفع مقدار أربعة أصابع فإن كنتم مثل المسلمين الطاهرين المؤمنين تشقون قميصكم لأجل أمر الإمام فلماذا تسكتون عن كل هذه المعاصي التي ترتكب في طهران عاصمة الشيعة فاللازم أيضاً أن تتكلموا عن السفور المشين ومجالس الرقص وأحواض السباحة المختلطة وشرب المسكرات ومعاملات البنوك والشركات الربوية وتكتبوا كلمة عن ذلك . فالقرآن إضافة إلى الأخبار قد ذكر حكم هذه الأمور . فالواضح أن مرادكم شيء آخر إذ بالإضافة لما نعرفه عن مسلككم وأخلاقكم في قم وطهران فإن المحرك لكم لكتابة تلك الأوراق ليس تدينكم .

٢ ـ كان بناؤكم على عدم الاعتناء بالأخبار وطرحها جميعاً (ولنا معكم في هذا المجال حديث طويل) فلماذا تلطمون الصدور بثقل الأخبار فلعل أولئك الذين بنوا القبب لا يهتمون بالأخبار وإنما التفتوا إلى ما في القرآن من كونه شعاراً دينياً .

٣ ـ لو فرض أن ها هنا مخالفة لأمر الإمام فهل هذا من أسباب الشرك . وكيف نصيره بذلك مشركين كفاراً . بل لا نكون إلا كسائر العصاة .

٤ ـ لو فرضنا كراهية بناء القبر أكثر من أربعة أصابع فما ربط ذلك ببناء القبب والمساجد والساحات (الصحون) والأورقة . فالجميع يعلم أن الصحن والرواق والمسجد والقبة والضريح ليس أي منها قبراً وهذا يتضح من خلال ما إذا طلب أحد منكم أن تضعوا اليد على قبر النبي وقراءة الدعاء الفلاني فإنكم لا تضعون اليد على حائط الصحن أو أرض الرواق أو على القبة . إذن لا ربط بين رفع القبر أربعة أصابع وبين الأبنية المحيطة ورفع القبة . فإن قلتم الذي نفهمه وجوب عدم بناء أي شيء قلنا لم نفهم هذا الشيء ولسنا من مقلديكم . ثم من أين فهمتم من هذه الأخبار ذلك وهي لا تدل عليه ولا طريق آخر لاثبات ذلك الأمر .

٥ ـ ثم إن هذا الفوران مرجعه إلى فهمكم هذا الحكم من الأخبار والحال أن فهم الحكم منها ومن القرآن ليس بهذه السهولة حتى يتدخل فيه أمثالكم فإن لهذا تخصصاً وفنّاً يحتاج إلى جهد خمسين سنة وتدخلكم في أمر الاجتهاد هو بالضبط كتدخّل الحمّامي والحلاّق في الميكانيك والكهرباء أو كتدخل الخادم والمكاري في علم الاجتماع والتنويم المغناطيسي وهنا كل اشتباهكم إذ ظننتم أن الصحافة التي اشتغلتم بها مدة تناسب فنّ الاجتهاد وكما يقال « أنتم أيضاً من أهل الرتي » .

٦ ـ وردت روايات[1] من طرق السنة والشيعة في الترغيب ببناء قبور الأئمة (ع) نذكر واحدة منها كما إن أمثال البهائية يذكرون شيئاً ويهملون شيئاً آخر إن كان مخالفاً لقولهم . فليعلم المخادع .

ينقل الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عامر واعظ أهل الحجاز قال أتيت أبا عبد الله (ع) فقلت له : ما لمن زار قبره يعني أمير المؤمنين (ع) وعمّر تربته ؟ فقال : يا أبا عمّار حدثني أبي عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي (ع) أن النبي (ص) قال لأبي : والله لتقتلنَّ بأرض العراق وتدفن فيها قلت يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمّرها وتعاهدها ؟ قال لي : يا أبا الحسن إن الله قد جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة وعرصة من عرصاتها ، وأن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحنّ إليكم وتحتمل الأذى والمذلة فيكم فيعّمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله ومودّة منهم لرسوله ، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي ، وهم زوّاري غداً في الجنّة ، يا علي من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه فأبشر وبشّر أولياءك ومحبّيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكن حثالة من الناس يعيّرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعيّر الزانية بزناها أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي .

وقد ذكرنا هذا الحديث الطويل لأمرين : أحدهما : أن الجمع بين هذه الرواية وأمثالها وبين الرواية التي أوصت بأن يرفع القبر بمقدار أربعة أصابع هو : أولاً أنه عندما يراد تسوية القبر في ابتداء الأمر فالأفضل أن لا يزيد عن الأصابع الأربعة لكن في البناء اللاحق لا مانع أن يكون بأي نحو كان . ثانياً : أنه وبناء على هذه الرواية لا مانع من بناء القبة والصحن وهذا لا ربط له بأي وجه ببناء القبر بل له ثواب بناء بيت المقدس .

والأمر الآخر : أنه في هذا الحديث سمّي الذين يعيّرون بالزيارة بالحثالة وهي في اللغة ما تبقى من قشور القمح والشعير التي لا نفع فيها والتي يجب أن ترمي بعيداً

---

(١) يراجع كتاب المزار من الوسائل والطهارة من جواهر الكلام ورسالة منهج الرشاد .

وهو عين التعبير الذي استخدمه ذلك الكاتب حيث ذكر أولاً أنه يجب المنع من حثالات الألف سنة فسمّاه رسول الإسلام وسمّى أمثاله الذين يعتبرون ذلك حثالة بأنهم هم الحثالة يجب تكنيسهم من طريق المسلمين .

وأما تلك الرواية التي أشار إليها القائل من قول علي (ع) إذا رأيت قبراً أعلى من الأرض فاجعله مساوياً لها وامح كل تمثال تراه عينك . فقد اشتبه الأمر على الكاتب في فهم ذلك من الخبر لأن العبارة الواردة في الخبر هي « ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته » فقد كانوا يسنمّون القبور وهو مكروه والتسوية تعني جعله مسطحاً فنفى المانع عنها في مثال التسنيم ولو أريد ذلك لقال « محوته » لا « سويته » وهذا الكاتب لا تقصير عنده لأنه لا يفهم العربية وقد سرق ذلك أيضاً من الكتب الأخرى . ثم إنه كان في ذلك الزمان بقية وثنية فكانوا على ما يذكر التاريخ يضعون التماثيل على القبور ويعبدونها وعليه فلو فرضنا أن المراد بالتسوية التخريب والمحو فالمقصود منها أمثال تلك القبور بمناسبة حال الرواية حيث كانت في ذلك الوقت قبور للمسلمين في الحجاز والعراق ولم يصدر أمر بتخريبها كما أن نبي الإسلام قد دفن في أول الأمر في بقعة وحجرة وأبو بكر وعمر دفنا فيها أيضاً فكان الأولى أن تخرب تلك الحجرة حتى لا يرد إشكالكم عليهم .

ولن نتحدث أكثر من ذلك عن هذا الأمر والذي يجب أن يفهمه القراء قد تبين .

فقرات زيارة الجامعة الكبيرة :

ومن الأمور التي واجهوا المتدينين بها أنكم تقولون في زيارة الجامعة الكبيرة : « من أراد الله بدأ بكم ومن قصده توجّه إليكم بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزّل الغيث » فإن لم يكن هذا شركاً فلا شرك في الدنيا .

ولست أدري ماذا فهم هذا الشخص من هذه الفقرات البسيطة حتى وجد فيها شركاً فكان اللازم أولاً أن يذكر معنى هذه العبارات حتى يعلم أين الشرك . وقد بيّنا في السابق أن الشرك هو إما الاعتقاد بإلهين أو عبادة إلهين أو عبادة صنم أو كوكب على أنه رب أو صورة الرب أو طلب الحاجة على هذا الأساس فلنر الآن مع أي معنى من معاني الشرك تتلاءم هذه العبارات حتى نتخلى عن الزيارة الجامعة . فنقول .

معنى الفقرة الأولى : « من أراد الله بدأ بكم » أمر بسيط عادي . وهو أن الذي يريد أن يعرف الله أو يعبد الله عليه أولاً أن يأتي إليكم ويأخذ التعاليم الدينية والنظام العادي منكم إذ لا يحق للمرء أن يعبد الله من دون اتباع التشريع الإلهي الذي علمكم إياه رسول الإسلام فعندكم مراسم العبادة وبرامج الصلاة والصوم والحج وسائر الأمور . وهل تقول أنت أيها المعترض أن نعبد الله كما نشاء فنصلي عشر ركعات ونصوم قدر ما نشاء من شهر رمضان لا فرق بحيث لو كان هناك تعاليم دينية عند شخص نريد الذهاب إليه لتعلمها لكان هذا شركاً مثلاً لو قيل لنا إن أردتم سلامة البدن فاذهبوا إلى الطبيب فماذا تفهمون من هذه العبارة غير أن في الحصول على العافية يجب أخذ الأوامر من الطبيب . فلماذا تفسرون هذا الكلام البسيط بمعنى من أنفسكم وتعتبرون الأمر كحاكم مدينة وحاجب أو مثل ملك ووزير ثم تفترون وتقولون من أراد الحكم فليراجع الحاجب أولاً . من قال ذلك ومع من تحدثتم وسألتم وأجبتم بمثل هذا الكلام ومن نباهتكم وحلاوتكم أنكم تذكرون في تلك الأوراق أجوبة غبية تنسبونها للمؤمنين وتدافعون عنها . من قال لكم هذه الأمور . نحن نقول إذ أراد أحد أن يعرف الله فعليه أن يفهم الأحكام بمقدار قدرته . وأن يتعلم العبادات وأن يذهب إلى عالم تلقى هذه التعاليم من رسول الإسلام بواسطة أو بغير واسطة وأنتم تعتبرون ذلك شركاً وتروننا على باطل في هذا الكلام فاللازم أن تفتحوا الطريق من أوله وأن على كل شخص أن يأتي بما يريد من عنده كما يصرّح بذلك أربابكم .

دليل من كتاب الله :

سورة الحج الآية ٢٢ : ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾ أتقولون أن الحجّاج إذا ذهبوا إلى إبراهيم فهم مشركون فالله إذن في هذه الآية يدعو الناس إلى الشرك وأمر إبراهيم أن يدعو الناس في عبادة الله أن يأتوا إليه أولاً وهذا شرك . أما نحن فنقول إن تكليف الناس في ذلك الزمان أن يأتوا إبراهيم أولاً إذا أرادوا إجابة دعوة الله لأن إبراهيم كان نبي عصرهم يتعلمون منه آداب ومراسم الحج ثم يحجّون فمن أراد في ذلك الزمان أن يعبد الله أو أن يتعرف على الله فعليه أولاً أن يأتي إلى إبراهيم وفي زمان رسول الإسلام يجب أيضاً أن تأتي الرسول (ص) . وفي زمان الأئمة (ع) أيضاً يجب الذهاب إليهم ولذا جاءت

بعد تلك الفقرة وبلا فصل عبارة « ومن وحّده قبل عنكم » أي أن توحيد الله نتلقاه منكم بالشكل الصحيح .

خيانة الكاتب في نقل الزيارة الجامعة :

وحيث أن هذه العبارة توضّح المقصود وتبرز التوحيد لم يذكرها الكاتب الخائن عن عمد وعناد . فمن هو المجرم والخائن . تحذفون تلك الكلمة التي تصرّح بأن من أراد التوحيد والخروج من الشرك عليه أن يتعلم منكم وتفسرون كلمة واضحة بمعنى من أنفسكم وتقيّدون رقاب المؤمنين بأمر مجهول وتتهمونهم بالشرك . ماذا ستفعلون أنتم بهذه الفضيحة في مجتمع الشرف والعلم .

ومما ذكرنا يتضح المقصود من « من قصده توجه إليكم » لأنها تبين ذلك المعنى لكن بعبارة أخرى .

الأمر الآخر الذي يواجهوننا به هو « بكم فتح الله وبكم يختم » هنا تدخل قدم الإنسان ذي الوجدان إلى الروض لأنه لا يمكن بأي وجه أن نجعل العبارة مفيدة للشرك إذ في هذا الكلام احتمالات ثلاثة كل منها ليس فيه أدنى مناسبة مع الشرك .

١ ـ وهو الأظهر : بكم فتح الله باب الإمامة وبكم ختمه أي أن الإمامة من بيتكم لا تخرج منه أبداً وأول الأئمة (ع) وهو منكم وهكذا حتى آخر الأئمة وهو الحجة بن الحسن وهو أيضاً منكم . ومن أين يأتي احتمال الشرك أو احتمال قريب من الشرك إلا أن تقولوا لا يجوز أن يُعرفوا حتى بالإمامة .

٢ ـ إن الله خلق أولاً نوركم وآخر من يختم الله به العالم هو أنتم . وهذا الإحتمال وإن كان لعله خلافه الظاهر إلا أنه لا ربط له بالشرك إذ لا بد أن يكون الله قد خلق أولاً موجوداً ما . ومهما كان فهو مخلوق لله ومخلوق الله غير شريك الله . فكيف ضغطتم هذه العبارة وعصرتم منها الشرك . لا ندري فاللازم أن تبينوا ذلك .

٣ ـ إن الله بواسطتكم ابتدأ بالخلقة وبواسطتكم ختمها . وهذا الإحتمال أيضاً بعيد . لكن لو فرضنا صحته فما ربطه بالشرك . فالثابت بالوجدان أن جميع موجودات العالم تأخذ الضوء من الشمس حتى أن الجمادات والنباتات والحيوانات وسائر الأمور إنما هي لنفع الإنسان خاضعة لسلطانه كما ثبت في هذا العصر بعض من

ذلك . فلو قال شخص لمثل الإنسان الأعلى أن الله لأجلك بدأ الخلقة ويختمها فما هي مناسبة ذلك مع الشرك .

ومن هنا يتضح معنى العبارة الأخرى « وبكم ينزل الغيب من السماء » إذ من الواضح أن نزول المطر هو لأجل الإنسان ونفعه فإذا أنزل الله الغيث لأجل المثل الأعلى للإنسان فما هي مناسبة ذلك مع الشرك حتى يقال : « إن لم يكن هذا شركاً فلا شيء هو يشرك أبداً » . وفي تلك الفقرة نسب إنزال الغيث إلى الله لا إلى أحد آخر . ولعل الكاتب قد فهم من هذه العبارات اللطيفة البسيطة معنى يترتب عليه الشرك . وحينئذٍ فما هو ذنبنا نحن إلا أن تزعموا أن الشيعة عندما تقول لا إله إلا الله فالمقصود من « الله » علي فهم إذن مشركون وكفار .

نظر في زيارة الجامعة الكبيرة :

من الجيّد أن ينظر القرّاء المحترمون بدقة في الزيارة الجامعة الكبيرة التي جعلها الكاتب المترثر إلى هذا الحد مورد تقريع حتى يعرفوا بدقة من هم هؤلاء ومع من اضطر المؤمنون للنقاش والمحاورة . أو لسنا نقرأ في هذه الزيارة هذه الكلمات « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد الله لنفسه وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه لا إله إلا الله هو العزيز الحكيم وأشهد أن محمداً عبده المنتجب ورسوله المرتضى » إلى أن نقول في وصف الأئمة « وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهديّون المعصومون » فهل هذه الزيارة التي تحوي الاقرار الصريح بتوحيد الله ورسالة النبي وإمامة الأئمة يجب وصف ما شملته بالشرك . وفي أية محكمة من محاكم العدل والوجدان والإنسانية يجب محاكمة هذه الأكاذيب وهذا الكلام الفارغ . نعم يمكن أن تكون هذه الكلمات لصاحب خيال « الملنخوليا »[1] مفيدة للشرك فيقال مثلاً معنى « أشهد أنكم الأئمة » أنكم الله ومعنى الإمام الإله وينتهي حينئذ الحديث .

كذب وافتراء واضح :

يكذب بعض هؤلاء المحجفين على المتدينين بشكل واضح ويقول : « بعد أن هدى الأنبياء الناس إلى غرضهم الأصلي أي التوحيد فلم يمض زمان حتى تذكروا

(١) الملنخوليا مرض يصيب الرأس يوجب تخيلات وقد تشتد بحيث يرى المريض الأمور بمنظار تشاؤمي وقد يحاول قتل نفسه والتعبير بالفارسية « ماليخوليا » وأصل اللفظ يوناني . (المترجم ـ عن قاموس عميد) .

الهند وقالوا نحن لا نستطيع أن نرى إلـه الأنبياء ولا أن نلمسـه ولا أن نتصوره كـما لا نستطيع أن لا نستمع لكلامهم وعليه فنقول إن إله الأنبياء لهم وهم لنا آلهة فنستـطيع أن نجعل حول قبورهم المنافذ وتتلمسها أيادينا فإن لم نتمكن من إيصال أنفسنـا إليهم فنستحضرهم في الذهن » . ثم بدأ بالجواب عن هذا الكلام .

من الجيـد أن القراء المحـترمين (الإيـرانيين) جميعهم تـربّوا في مـركـز التشيـع ووسط بلد الشيعـة ويعرفـون جيداً عقـائـد الشيعـة ولا يمكن أن تسلب منهم عقـولهم ووعيهم . فانظروا في الشوارع والأحياء واسألوا من شئتم من أتبـاع هذا المـذهب هل أنتم لا تعبدون الله بل تعبدون الأنبياء . وهذه الصلاة والصوم والحج وسائر العبادات هي من أجل النبي أو الإمام . فإن وجدتم امرأة عجوزاً توافقكم على هـذا الكلام أو وجدتم شخصاً قبل بذلك من خلف الجبال فكلامكم صحيح ونـتراجع وإلا فـلا قيمة لكلامكم ولمستوى أفكاركم غير العقلانية في مجتمع الشرف وعند علماء إيران وهي على الأرض تذروها الرياح . وأساس هذه الهذيانـات التي هي من المقالات الغبيّـة لذلـك الدماغ الفارغ لمدّعي النبوة هذا الأساس كله على الماء . وآراء كل طائفة يجب أخـذها من كتب ومنشورات عقلائها أو من أقوال ومحـاضرات محاضريهم أو مقـالات صحفهم ومجلاتهم أو أقوال شعبهم . ولو أنكم أشرتم إلى دليل صغير على هـذا الكلام الفـارغ وتمسكتم بكتاب حتى ولو كان كاتبه شخص غير عالم كتب فيه مثـل ما ذكـرتم وأشرتم إليـه مع مـا عند المتـدينين من كتب كتبت من ألف سنـة وأكثر . والمجـلات الـدينيـة ومحاوراتهم في الأسواق وعمّالهم لو فعلتم ذلك ليطلع الجميـع لم نكن لنتهمكم بالخيـانة ولاتّبعنـا أقوالكم . وإلا فلدينـا الحق أن نعرّفكم للنـاس بأنكم أسـوأ من المختـاريـين والأحمديين وسائر لاعبي العصر الذهبي لأن هؤلاء قد اختبئوا في مكيدتهم بدماء عـدة أشخاص وختموا الحياة المادية المعدودة في حبس مظلم وأنتم تتلاعبون بثرثرتكم بالحياة المعنوية والحياة والسعادة الاجتماعيتين لفئة يبلغ عددها الملايين وتزرعون أساس تعـاسة أمة شريفة . آه من هؤلاء المحتالين والحسرة من هؤلاء القذرين .

فيا أخوتنا في الدين ، إخواننا الأطهار ، أحباؤنا الإيرانيين ، شبابنـا الغيورين ، مـواطنينا الشرفـاء ، اقرأوا تلك الأوراق المذلة ، مـظاهر الجـريمـة ، أسس النفـاق ، جـراثيم الفساد ، الـدعوات للزردتشيـة والردة إلى المجـوسية والإهـانات للمقـدّسات المذهبية وابحثوا عن العلاج . ويجب في فوران وطني وحركة دينية وغيرة على النـاموس

وتكاتف وطني وإرادة قوية وقبضة حديدية أن يقضى على هذه البذور القذرة الذليلة في الأرض . هؤلاء يعرّضون تراثكم التاريخي للفناء ويتلاعبون بالودائع الإلهية بيد الهوى والهوس . هؤلاء يحرقون كتبكم الدينية التي وصلت ببركة الدماء الطاهرة لشهداء الفضيلة . هؤلاء يحتفلون بعيد إحراق الكتب وأي كتب ؟ تلك الكتب التي هي بين أيديكم بتضحيات الحسين بن علي (ع) والأذى الذي تحمله النبي وأولاد النبي . نعم نحن وإياكم لم نتحمل الأذى في الدين ولم نرشد شبابنا الراشدين إلى طريقه ، ولم نبذل الدماء الغالية في سبيله ولذا لا ندرك قيمة ذلك ولا نملك جواباً في المحكمة الإلهية . نحن مدانون في محكمة الدين . نحن أذلاء في محضر رسول الإسلام فيا أيها الشرفاء انتفضوا من مكانكم حتى لا يغلبكم هؤلاء الوحوش .

خيانة في نقل رواية الكافي :

ومما تمسك به هؤلاء العابثون أنه « ورد في الكافي ـ وهو من الكتب الأربعة المعتبرة ـ أن الله خلق الخلق وفوّض الأمر إلى محمد وعلي وفاطمة » لكن فيما بعد ـ كما تعلمون ـ زاد هذا العدد إلى اليوم حيث لا تخلو أصغر قرية ومدينة من بيت أو أكثرمن بيوت الوثنية .

ألا يظن هؤلاء الأغنياء المقطوع لجامهم أن يأتي شخص يدل الناس على هذه الرواية ويبرز ما تخبئه هذه الشرذمة ويظهر خيانتهم ومكرهم . وقد اطمأنوا عدة أيام إلى كذبهم ونقلوا رواية مقطوعة الصدر والذيل من دون حياء واعتبروا المؤمنين على أساسها مشركين . والرواية هي في كتاب مرآة العقول في شرح الكافي المجلد الأول ص ٣٥٤ الحديث الخامس : « الحسين بن محمد الأشعري عن معلّى بن محمد عن أبي الفضل عبد الله بن إدريس عن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر الثاني (ع) فأجريت اختلاف الشيعة فقال يا محمد إن الله تعالى لم يزل متفرداً بوحدانيه ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى ثم قال يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ومن تخلّف عنها محق ومن لزمها لحق خذها إليك يا محمد » .

هذا هو الحديث الذي من خلاله يتهم المثرثرون المؤمنين بالشرك . وهل هناك

عبارة أدل على التوحيد من « لم يزل متفرداً بوحدانيته » وهل إذا قال أحد أن الله خلق نور النبي وعلي وفاطمة قبل أي شيء يكون مشركاً إذ لا بد أن هناك شيئاً خلقه أولاً سواء كان ماء أو تراباً أو إنساناً لا فرق وليس أي منها شركاً . وهل وجوب إطاعة النبي وعلي وفاطمة شرك . وهل إن تفويض أمر الأشياء الذي ذكر بعد ذكر إيجاب الله لطاعتهم والذي ذكر بعده أنهم قادرون على التحليل والتحريم فهل يعني غير تفويض الأحكام . أما كيف يحلّلون ويحرمون . فالإمام أشار إلى ذلك في الرواية يحلّلون ما أحله الله ويحرمون ما حرّمه الله . وهذا الكلام صحيح من أوله إلى آخره وهو لا يعني إلا أنهم تابعون لله لا يريدون إلا ما يريده الله ويحلّلون حلال الله ويحرمون حرامه . وبالجملة فوض الله إليهم نشر الأحكام وهذا لا ربط له مع الشرك أبداً . فإن قلتم لم يفوّض إليهم نشر الأحكام وبيان الحلال والحرام قلنا فلمن فوّض ذلك إذن . ومضمون هذه الرواية هو مضمون الآية ٦٢ من سورة النساء ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ لا أكثر . ومن ينقل رواية ـ مع أنه قد يحتمل الفضيحة ـ ويخون هذه الخيانة كيف يكون مشفقاً وأن يكون من عبّاد الله مع تساهله في الافتراء وذكر ما لا يليق بحق أعاظم الدين . ونستميح القراء المحترمين أن نقول لهؤلاء السفلة الأغبياء أنتم محرومون من حقوق الإنسانية خارجون عن صف الشرفاء .

وللأسف يصرف عمر قرائنا وعلمائنا ، القيّم في هذه الكلمات الفارغة والأكاذيب التي لا تستند إلى أي أساس ويتلف العمر بحكم الضرورة مع أنه يجب صرفه في المعارف القيمة العقلائية ويجب صرف وقتهم العزيز في طريق الرشد والهداية . إن أضرار هؤلاء لا تنجبر وهم يجرحون ويسحقون فكر شبابنا المثقفين ويجعلوننا نسيء النظرة إلى أعاظم الدين والعلماء الذين يشكّلون أساس عزتنا ومفاخر هذا المجتمع . وهم يشوّشون على شبابنا مئات الكتب النفيسة تراث عزتنا وشرفنا وعظمتنا ويستخفون بروح العلم والفخر في شبابنا اليافعين . آهٍ من مضارّك أيها البشري .

بحث حول الشفاعة :

ومما كتب في تلك الأوراق من دون أن يستند فيها إلى أساس أن الله هل هو

كمعلم مدرسة يضرب تلميذه إلا إذا توسط أحد بين المعلم والتلميذ تعالى الله عما يقول الظالمون علّواً كبيراً .

وأصل هذا الكلام من الوهابية ، وهو كلام مرتبط بالشفاعة فبعد أن ذكر بعض كتّاب مصر هذا الكلام ببيان آخر وأنكر الشفاعة كليّة وفسرها بتعاليم الأنبياء جاء الشيخ الطنطاوي وقبل ذلك الكلام ونسبه إلى نفسه واعتبر نفسه فاتح هذا الفتح العظيم . ثم جاءت فضلات المصريين إلى إيران وابتداء نسب « شريعت سنگلجي » ذلك إلى قوة ابتكاره ، في جو صاحب . وقرأ في هذا الباب رسائل الملوك ثم أخذ هذه الهذيانات اللاواعية الآتية من الوهابيين والتي تقدم ذكرها وعبّر بحثالات الألف سنة وواجه المؤمنين بهذا التعبير العليل وهو في هذا الكلام وسائر الكلمات قلّد أربابه الأغنياء . ونحن نذكر الاشكالات الواردة في باب الشفاعة ونرد عليها .

١ ـ طلب الشفاعة من الأموات شرك .

وجوابه أنه تقدم مفصّلاً وأوضحنا أن الشفعاء بعد رحيلهم من هذه الدنيا ليسوا أمواتاً بل بيّنا أن حياة الأموات أي أرواحهم ، وخلودها في ذلك العالم وإحاطتها بهذا العالم من الأمور المسلمة في كلٍ من الفلسفة القديمة والفلسفة الأوروبية الروحية . وعلى فرض أن النبي والإمام يصيران بعد الموت ـ حسب تعبيرهم ـ كالخشب والحجر وسائر الجمادات فلماذا يكون طلب الشفاعة شركاً غايته يكون عملاً لا طائل منه .

٢ ـ طلب الشفاعة تدخل الغير في الأعمال الإلهية وهذا شرك .

والجواب أن الشفاعة ليست عملاً إلهياً لأنها في الحقيقة دعاء النبي والإمام أن يغفر الله ذنب هذا الشخص وهذا عمل العبد لا الله وقد أوضحنا سابقاً الميزان والفرق بين العمل الإلهي وعمل الخلق وقلنا إن الأعمال التي يؤتى بها من دون إستناد إلى أية قوة مكتسبة من الغير هي الأعمال الإلهية ومعلوم أن الشفاعة أمر يقع بإذن الله وهي رتبة يعطيها الله للشفيع .

٣ ـ وهو اشكال هؤلاء الذين أفلتوا لجامهم . وهو أن الشفاعة والوساطة تنافي مقام الألوهية ويكون الله على قول المؤمنين كمعلم المكتب ما لم تتدخل الواسطة لا يتراجع عن عمله .

والجواب[1] أن الاشكال بهذا الحد كلام لا دليل عليه وقول لا فائدة منه إذ بناء عليه يجب أن لا يعلم الله العباد لأن التعليم شغل معلم المكتب فيجب إذن أن نعتبر جميع الشرائع والأديان لغواً وأن نرفع اليد عن أوامر الأنبياء بل يجب أن لا نعتقد بوجود الله لأن معلم المكتب موجود . ثم إن المتدينين يقولون لكم أنتم أيضاً تعتبرون الله مثل معلم مكتب عنيد فإذا أراد أن يضرب أحداً يضربه بلا رحمة ولا عفو . فالحق أن هذا الكلام إلى الآن كلام غير صحيح وإشكال صبياني ولذا لندخل في بيان أمر آخر .

٤ ـ إن الشفاعة تنافي الإرادة الإلهية الأزلية ولازمها أن يتراجع الله عن تصميمه وهذا مناف لمقام الالوهية .

والجواب أن هذا الكلام ذكر في كتب الفلسفة ككتب الشيخ الرئيس أبي علي والمحقق الداماد عظيم الشأن وفيلسوف الإسلام الكبير صدر المتأهين وأجابوا عن ذلك في تلك الكتب بالتفصيل . وهذا الإشكال لا يرد فقط على الشفاعة بل على استجابة الأدعية وقبول التوبة والتي هي من واضحات تمام المذاهب وذكرها القرآن بأجمعها . وحاصل الكلام أن هذه الأمور تستلزم البداء وهو مناف لمقام الله .

وخلاصة الجواب أن التصميم الأزلي تعلق بقبول الشفاعة واستجابة الدعاء وقبول التوبة . إذن لا تغيير في التصميم . وحيث أن لهذا الكلام أسساً علمية كثيرة تخرج عن فهم أكثر الناس فلن ندخل في تفصيلاته ونقدم الجواب لهؤلاء على الطريقة العامية كطريقتهم وإلا فإن أكثر هذه البحوث ذات تحليل علمي دقيق يقصر عن إدراكها هؤلاء الأطفال الأغبياء فنقول :

بناء على قولكم يلزم أن لا يقبل الله التوبة وأن لا يستجيب الدعاء فالله حسب ما تعرفّونه اله عنيد أسوأ من المختاريين والأحمديين والمغول والمتوحشين . فإن كل من يخطو خطوة في مخالفته يخاصمه ويضيّق عليه بكل ما يملك من قوة حتى لا يكون مثل معلم المكتب . تفٍ على هذه الحيوانات المفترسة التي تتدخل في الأعمال الإلهية مع هذه الجهالات . وآه من هذه الاحجافات التي ينسبونها إلى الله الرحيم .

---

(١) هذا الجواب مفاده أنه إذا كان وجود شبه بين الله وبين معلم الكتاب منافياً لمقام الألوهية فالتعليم جهة شبه فيكون منافياً لمقامه والوجود جهة شبه فلا يجوز أن يكون موجوداً (المترجم) .

شيء من القرآن لأجل الاستدلال :

هؤلاء الثرثارون لم يقرأوا القرآن ولو مرة واحدة على الأقل ليروا كم أنزل الله من آيات حول الشفاعة وبلغها الناس بعبارة صريحة حتى لا يقولوا بجرأة كاملة « تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً » ونذكر عدداً من الآيات ونطلب الحكم منكم . ففي سورة البقرة الآية ٣٥٦ : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ . وفي سورة الأنبياء الآية ٣٨ : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾ وسورة النجم الآية ٢٦ : ﴿ **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ فليقرأ القراء المحترمون هذه الآيات وليعتبروا من غباوة هؤلاء المنكرين للشفاعة التي أجازها الله بصريح العبارة بإذنه لفئة من الناس والذين اعتبروا المؤمنين بالشفاعة ظالمين . نحن ندرك تماماً مصدر هذه الآراء المسمومة وقد رأينا بوضوح أقوالهم السخيفة . هدفهم الأصلي النيل من القرآن والعلماء وأقوالهم والكتب والأخبار حتى يؤذوا قلوب الناس ويهدروا قوة الأمة الدفاعية ويجعلوا أقوالهم عديمة القيمة ثم بعد ذلك ينكشفون عن هدفهم الأصلي . وها نحن نوقظكم ونبين لكم خدعهم وأكاذيبهم وضربنا على كلامهم الفارغ بما دلت عليه كلمات القرآن حتى لا نكون مدانين في وجدانكم وفي المحضر العظيم لرب العالمين ولا نكون أذلاء . فيا أمة القرآن الغيورة اقطعي أيادي هؤلاء المجرمين واكسري أقلام هؤلاء الجناة ليبقى القرآن الذي هو تاج كرامتك وشرفك .

أيها القرآن العزيز ، أيها التحفة السماوية ، أيها الشرع الإلهي العظيم ، أيها المرشد إلى سعادة البشر أيها الشمس المشرقة من أفق الغيب ، ويا أساس عزّة أمة الإسلام ، ومحطم الأسس الفاسدة ، أيقط أمتّنا ونبّه شباب وطننا وأعطهم الروح والوحدة والاخوة وأحي فيهم قوة المحارب وحسن التضحية وادعم وارحم شبابنا .

شعبذة عجيبة :

تمسك هذا الكاتب بحجة أخرى تخيل أنها من ذكائه واستخرج من مقدمة معلومه نتيجة مخالفة . قال : « يقول الدين اليوم : الثاني من أصول الدين العدل لكن في مقام العمل يعرّفنا الدين على إله يشبه بائع القمح والشعير ظالم وأعماله طفولية لأنه إله يعطي الحبة إلى قبة والقبة إلى حبة هذا الإله لا يعطي مقابل ثمن لكن يعطي لسبب غير منطقي » .

عفارم على هذه الشعبذة والشعوذة إذ تربط « الحبة للقبة والقبة للحبة » . وهـذا الأمر صحيح أي كون الله عادلاً لا يظلم أحداً ولا يجوّز الظلم لكن العفـو عن ذنوب العبـاد ونشر الرحمـة على الخـاضعين وحسب تعبـيركم يعطي القبـة للحبـة ، لا ينـافي العدالة وأين هي هذه المنافاة وليس معنى العادل أنه إذا خالفه أحد أن يقضي عليه بأي ثمن بحيث إذا عفا عن الضعفاء والمساكين وتجاوز أخطاءهم يكون ظلماً . نعم إذا عفا الله عن حق الغـير وصرف النـظر عن ظلم النـاس لبعضهم فهـذا خـلاف العـدل والمؤمنون لا يقولون ذلك ولا يعرّفون النـاس على هـذه الصفة لله بـل يقولـون لا يعفو عن حق الناس إلا إذا عفا صـاحب الحق . اما عن حقـه تعالى فـإن شاء عفـا وهو لم يقفل باب الرحمة بالكلية عن عباده وليس هو كالظالمين المتجبرين في هـذا العالم يعـاند الناس ويسحق الضعفاء فإن كان اسم هذا عندكم ظلماً ، فهذه لغة تخـالف لغة البشر واصطلاح مغاير لاصطلاحهم ولا أعتقـد وجود أحـد غيركم يعتـبر العفو ظلماً والـرأفة عمـلاً طفوليـاً . ومن ألاعيبكم أنكم أحيانـاً تأخـذون عقايـد المؤمنين من شعـر أحـد الصـوفيين وتقـولون « المتـدينون يقـولون : إذا هلك العـالم فالمهلِك عـلي وأحيانـاً من هـامش معركـة الدروايش تلتقـطون سطراً وعبـارة لا تستند إلى أسـاس وتنسبـونها إلى عـظماء الدين وأنهم يقـولون « الله لا يعـطي الجنّة ثمن ويعـطيها لعـذر في غـير محله » ويعطي الحبة للقبة والقبة للحبة فاللازم إذن أن تأتوا بكتاب الـ « قاآني » ثم قولـوا إن علماء الإسلام والمتدينين يربّبون « علي قلي ميرزا » و « محمد شاه القاجاري » إذ ورد في إشعـاره أن دوران الفلك واستقرار العـالم بإرادتهما . والـدراويش الجـوالـون لا تقـل معلوماتكم عنهم ولهم الكثير من هذه الكلمات فكان اللازم لو أنكم في كتابكم النفيس الذي هو من ذكريات الإصلاح ، أضفتم إليه مقداراً كثيراً لتتم الاستفادة .

القرآن دليلنا :

هؤلاء الأغبيـاء إما أنهم لم يقـرأوا القـرآن ولم يـروه أو أنهم قـرأوه ولكن يجعلون أقواله خلف آذانهم ولم يحترزوا من الفضيحة وانكشاف أمرهم وسمّـوا عفو الله ورحمـة الله عملاً طفولياً غفلة منهم عن أنه قد ينهض شخص من بين المجموع ويسلط الضوء عـلى أقوالهم واحـداً واحداً ويكشف عن أكـاذيبهم المخالفـة لصريح القـرآن وتعـاليم الإسلام خطوة خطوة . يمكن أن لا يكون عند هؤلاء أي حياء من الـذلة وأن يفقـدوا كل شرف وماء وجه أن يعتقدوا أن أقوال المتدينـين من حثالات الألف سنـة ولا كلام

لنا معهم ولا أمل لدينا في أن يتقبلوا كلامنا ولا قيمة لهم عندنا . لكن نتخوّف منهم أن يلوّثوا القلوب الطاهرة لشبابنا الفتيان ونحن نحذر أن يتأثر أحبابنا حديثو السن من كلامهم المسموم ونخشى أن تفسد هذه الأقوال ذات الغرض القذر والمخالفة للقرآن والتعاليم الدينية ، القلوب الساذجة لفتياننا وهذا هو السبب الذي دعانا للإقدام على هذا الأمر أي ليس إلا لحفظهم . وهذه آيات من كتاب الله التي سمّاها أولئك بالأقوال الطفولية :

سورة الزمر الآية ٥٤ : **﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾** .

سورة النساء الآية ١١٦ : **﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾** .

سورة آل عمران الآية ١٢٤ : **﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴾** .

فالله كما تعلمون يعد عباده الضعفاء بالرحمة والمغفرة وأنهم غير مطرودين من باب رحمته ولطفه بسبب الذنب أما هؤلاء فيدلون الناس على إله كديكتاتور لا رحمة له ولا مروءة . هؤلاء المحجفون أعداء العلم الذين لم يستوعبوا عالم المحسوسات يريدون الحديث عن عالم الغيب ويتحدثون عن المعقولات وهم لا عقل لهم . ويتدخلون مع جهلهم بالشرع الديني وعدم اطلاعهم على كتاب المسلمين الديني تدخلاً صبيانياً في كل ذلك . فماذا تعرفون عن تعاليم القرآن كان يمكن أن تشتهروا بطريقة أخرى فلماذا اخترتم طريق الكذب والافتراء على الدين والمتدينين . صحيح أن في طهران مشترياً لكل متاع حتى إذا ادعى أحد الألوهية فقد قلّل لكن النبوة الكاذبة والألوهية الكاذبة تحتاج إلى ماء وجه أكثر وظاهر أفضل وهو لا يتوفر فيكم .

كلام حول البداء :

يقول الكاتب أنه ورد في الكافي بسند صحيح أن الله عينّ قيام القائم في سنة ٧٠ للهجرة لكن لما قتل الناس الإمام الحسين (ع) غضب الله على أهل الأرض وأخّره إلى سنة ١٤٠ للهجرة لكن لما أذاعوا الأمر أجّل الله الموعد إلى أجل لم يسمّه لنا . وفي رواية أخرى أن الإمام الصادق (ع) نصّب إسماعيل إماماً بعده لكن لما أتى

إسماعيل بعمل ما عزله وجعل الإمامة في موسى ولما سئل عن ذلك قال قد بدا الله في إسماعيل . فإذا كان الأمر كذلك فيمكن لكل شخص أن يدعي الألوهية » .

كانت مسألة البداء ولسنين طويلة مثار جدل بين السنّة والشيعة وهي من مسائل الفلسفة التي قيلت فيها الكلمات وجرت المحاورات . وهذا قد سمع عنها حديثاً ولم يسعفه الإدراك كي يراجع موارد المناقشات في كتب علم الكلام والفلسفة أو على الأقل الكتب التي شرحت الأحاديث لينظر في جوابها . ومن دون أية فائدة يحاول لفت نظرنا ونظر الآخرين إليها . ما الذي يجب فعله وابن آدم في هذه الحياة سيواجه شاء أم أبى وقائع لا يتوقعها ولا يريدها . ولم يخطر على بالنا يوماً أن نناقش ولداً أو ولدين جاهلين في بحث من مباحث الفلسفة العليا وفي بحوث لها موازينها الدقيقة جداً واللطيفة . وأن نخوض فيها بحثاً سوقياً صبيانياً لتقرب إلى أفهامهم فنحن نبحث في هذا المطلب بمقدار ما يناسب هذه الأوراق ونوكل التحليل العلمي والفلسفي إلى الكتب التي اشتملت عليه كالشفاء للشيخ الرئيس والاسفار لصدر المتألهين ونبراس الضياء للمحقق الداماد وسائر الكتب المؤلفة في هذا الباب وجميعنا يعلم وقد نصّ عليه في كتب علماء الإمامية وأعاظم الشيعة من زمان الأئمة إلى الآن كل بدوره وكتب باهتمام شديد ، إن البداء بمعنى أن يتخذ الله تصميماً على فعل ثم يعدل عنه أمر محال غير ممكن وقد ذكر علماؤنا أن من يعتقد ذلك في حق الله كافر ولا يوجد بين الشيعة طرّاً من يقول بذلك كما توهّم ونحن بافتخار كامل واطمئنان نقول إنه لا يوجد بين جميع المذاهب الإسلامية والفرق البشرية مثل مذهب الشيعة في تقديس الله وتنزيهه عن الأشياء غير الجائزة عليه ومن ينكر ذلك فليراجع كتب علمائنا الكبار ابتداء من زمان الغيبة حتى الآن ككتب السيد المرتضى والشيخ المفيد والشيخ الطوسي والخواجة نصير الدين الطوسي والصدوق ومن المتأخرين المحقق الداماد وصدر المتألهين والفيض الكاشاني والمجلسيان الأول والثاني وسائر علماء هذه الطائفة فإن جميع هؤلاء المحققين والعلماء جزموا بعدم إمكان ذلك في حقه تعالى . فماذا يجب أن نفعل إن كان هؤلاء الثرثارون ينسبون إلينا أننا ندل على إله يتخذ تصميماً على أمر ويتراجع عنه ويفسرون رواية كما يحلو لهم وينسبون هذا التفسير للمؤمنين وهو تفسير واهٍ . أليست هذه خيانة ، أليست خديعة ، أليست فساداً . يجب أن يقال إن غرض هؤلاء إساءة نظرة المجتمع إلى أعاظم الدين .

معنى الرواية وحقيقة البداء :

البداء في اللغة العربية بمعنى الظهور فالله تعالى يُظهر أحياناً ولمصالح معينة يقصر إدراك البشر عن فهمها ، يُظهر شيئاً بحيث يظن الإنسان أن هذا العمل مراد الله لكن لا يفعل الله ذلك ولم يكن يريده من أول الأمر ففي أيام مزوردين يكون الرعد والبرق وتغطي الغيوم الشمس فيظهر للجميع مقدمات المطر فيقول الناس أرسل الله المطر وهذا رحمة منه فلا يمضي وقت حتى تتفرق الغيوم وتنكشف الشمس من بين الغيوم دون أن تمطر والله من أول الأمر لم يكن يريد للسماء أن تمطر . وما أظهره من صوت مهيب ورعد وبرق أوهم الناس بذلك وأسرار العالم كثيرة فلعل هذا منها . وقد يكون لكم ولد عزيز كثير المرح تريد أن تخوّفه فتأتي بخشبة وتهيء له الفلقة وتكون قد دبّرت أن يتوسط أحد وعندما يتوسط ذلك الشخص لا تضربه فأنت لم تكن تريد ضربه من أول الأمر ولم تغيّر عزمك وتصميمك إنما أظهرت أنك تراجعت . فالإمام بيّن للناس بأمر الله أن إسماعيل هو الإمام لمصلحة خفية لا نعلمها ثم عرّف أن موسى بن جعفر هو الإمام فيظن الجاهل أن الله بدّل رأيه لكن الله رأى أن في إظهار الإمامة لإسماعيل مصلحة ثم يظهر ما كان يريده من أول الأمر بالإرادة الإلهية الحتمية والتصميم الإلهي الذي لا يتزعزع . وهذا هو أحد معاني البداء الذي لا إشكال فيه أبداً وهو ظاهر كثير من الآيات والأخبار . إضافة إلى أن حديث البداء المتعلق بإسماعيل مردود عند علمائنا لأن الأئمة الاثني عشر معروفون بأسمائهم ـ من زمان النبي (ص) حتى زمان الإمام الصادق (ع) ـ عند أصحابهم (ع) بالاسم والرسم وكل من يراجع كتب الأحاديث لا يبقى عنده شك في أنه حديث مردود مناف لجميع الأحاديث .

المعنى الآخر للبداء :

هو أن بعض الأمور ترتبط ببعضها البعض بحيث إذا لم يوجد أحدها يثبت للآخر حكم وإذا وجد ثبت له حكم آخر . فالحرب الأوروبية المميتة إن لم تحصل لكانت المواد الغذائية في إيران متوفرة وبسعر منخفض لكن لمّا اندلعت الحرب حصل الغلاء وقلّت المواد . فهذان الأمران مترابطان . وأنت مثلاً تؤدب ولدك إذا عصاك لكنّه لم يعصك فلا تؤدبّه . فإذا قلت الآن « إن إيران هي بطبعها كثيرة المواد والأسعار

رخيصة » فأنت لم تخطىء حتى لو وقعت الحرب وقلّت المواد وإن كنت عالماً بوقوعها فهنا أيضاً نقول لو لم تقع حادثة كربلاء لقام الحسين بن علي (ع) وحكم العالم لكن لما وقعت تلك الحادثة تأخر الأمر بسببها . ولو لم يفش الناس سرّ الأئمة لكان أحد الأئمة قد نهض سنة ١٤٠ وحكم العالم لكن لما أفشوا السر تأخر الأمر أيضاً إلى وقت الظهور والله كان يعلم من أول الأمر أن واقعة كربلاء ستحدث وإن الناس يفشون الأسرار وكان التصميم لو لم تحصل حادثة كربلاء أن يحدث ذلك لكن لما كان يعلم أن الواقعة ستحدث فإذن هو من أول الأمر لم يصمّم .

نذكر مثالاً آخر . عندك تصميم على السفر بالقطار إن كان هناك خط سكة بين قم وأصفهان لكن لمّا لم يكن الخط موجوداً سافرت بالسيارة فهل تراجعت عن تصميمك أم أن تصميمك هو على حاله لكنه مرتبط بأمر ما لم يحصل لن ينفّذ . وأنت عندما يقال تراجعت عن التصميم إنما يصح ذلك إذا كان رأيك وعزمك على السفر بالقطار إن كان هناك خط ثم تعدل عن السفر بالقطار وإن كان هناك خط . فالله كان يريد أن يكون إمام زمان كربلاء هو القائم بالأمر لو لم تقع حادثة كربلاء لكنه كان يعلم من الأزل أنها واقعة فلا خلل إذن في تصميمه ولا نقص في علمه .

أمثال هذا الحديث في القرآن كثير :

ظن هؤلاء ان رواية الكافي هي الوحيدة في هذا المجال فنقلوا الرواية في ضجّة مفتعلة واعتقدوا أنهم جاؤوا بإشكال كبير غافلين عن أن في القرآن مثله بحيث يرد عليه هذا الإشكال بلا أي فرق والآيات كثيرة أجاب العلماء الكبار الإسلاميون عن ما يرد عليها من إشكالات ونذكر بعضها كي يرى القراء المحترمون أن هدفهم الأصلي من الاشكال على الأحاديث النيل من القرآن .

سورة الرعد الآية ٣٩ : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ .

سورة البقرة الآية ١٠٠ : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ .

فقولوا إذن إن هذا الإله كثير الخيال يأخذ اليوم تصميماً يتراجع عنه غداً ، يثبت اليوم شيئاً ويأتي اليوم بآية ويمحوها غداً وينسخها ويأتي بغيرها . وماذا تقولون فيما ورد في الآيات حول استجابة الدعاء وقبول التوبة مثلاً في سورة المؤمن الآية ٦٢ : ﴿ **وقال**

ربكم ادعوني استجب لكم ﴾ فلتحذف هـذه الآيات من القـرآن وإلا فإنها مـا دامت موجودة فالاشكال على ذلك الحديث لا قيمة له هنا أيضـاً يجب أن يقولـوا ما هـو هذا الإله الكثير الخيال يقرّر اليوم شيئاً كـأن يمرض شخصـاً أو يميته ثم يعـدل عن قراره ، بل قولوا أكثر من ذلك من هو هذا الإله الكثير الخيال الذي ينشر بين الناس يومـاً دين مـوسى ويجعـل التـوراة كتـاب البشر الـديني ثم يعـدل عن ذلـك وينشر دين الإسـلام فعاندوا وقولوا هـذه الأديان ليست من الله . أكـثر من ذلك قـولوا إن الله يخلق اليـوم جماعة فيندم غداً فيخلق خلقـاً آخر ويميت الأوائـل فأي إلـه هذا الـذي يُمرض أحيـاناً ويعافي أحياناً أخرى يقرّر أن يعذب المذنبين فيتوبون ويدخلهم الجنّة يجعل يومـاً فلانـاً ملكاً ويسلّطه على الناس ثم يذلّـه . ويأمـر إبراهيم الخليـل بأن يـذبح إسـماعيل لكن عندما يريد أن يقدم على ذلك يرسل الله الفداء . ويعد موسى بن عمران بثلاثين يومـاً وعندما تنتهي يضيف إليها عشرة أيام أخرى . إن العالم كله مبني عـلى هذه التغيـيرات والتبديلات والزمان دائماً عرضة للحوادث اليومية . فهـل تقولـون إن الله لا علاقـة له بهذه الأمور بل ذهب واستراح أم تقولون إن التصرف في جميـع الأمور حقـه والحجر لا يتحـرك من مكانـه إلا بإرادتـه فالـلازم أن تعفو الله من صفـة الـربـوبيـة حتى يكـون اشكالكم وارداً على حديث الكافي الصحيح وكي تأخذوا ثاراتكم القـديمة من العـرب وأولاد العرب .

وليعلم القراء أن هذه الإشكالات وأمثالها التي ذكرناها قد بحث عن كل واحـد منها في الفلسفة العليا كثيراً وأعطي الجواب لجميعها مع الأدلة الواضحة عليها وهؤلاء الذين يذكرون أمثال هذه الإشكالات تقصر أفهـامهم عن الوصـول إلى هذه المـطالب العالية وهم لا خبر لهم عن القرآن والحديث .

السؤال الثاني وجوابه :

هل يمكننا من خلال الاستخارة أو غـيرها أن نتصـل بالله وأن نـطلع على حسن المستقبل أو سوئه أم لا ؟ فإن كنّا نستطيع فاللازم أن ننال من هذا الطريق منافع كثيرة وكبرى من مالية وسياسية وعسكرية وأن نتقدم الدنيا كلها فلماذا كان الأمـر على عكس ذلك « قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني من سـوء » وإن لم نكن نعلم فلماذا التلاعب باسم الدين بأرواح وأموال الناس .

وجواب هذا السؤال يتضح بعد أن نبيّن معنى الاستخارة وموردها . وبعد أن يتضح ذلك يتضح أن هؤلاء اما أنهم لا يعلمون فوقفوا في وجه المؤمنين وتكلموا عن أعاظم الدين بما لا يليق أو أنّهم يعلمون وتعمدوا ذلك لأجل إساءة نظرة الناس عنهم فأتوا بمثل هذه الأكاذيب واستخرجوا منها استنتاجاتهم الصبيانية والعلماء براء مما يقولون .

معنى الاستخارة :

للاستخارة معنيان : أحدهما : وهو المعنى الحقيقي وفيه كثر استعمالها في الأخبار[1] وهو معروف لدى الخواص . وهو طلب الخير من الله وهذا أمر مستحب في كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان وهذا من الدعاء الديني الذي اهتم به القرآن حتى قال في سورة الفرقان الآية ٧٧ : ﴿ **قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لزاماً** ﴾ فالله يخبر عن هؤلاء الذين أفلت لجامهم أنهم لا يعطون للدعاء قيمة ويكذبون به والحال أن قيمتهم معدومة إن لم يكن هناك دعاء . والحاصل أن هذا القسم من الاستخارة هو الأكثر الذي تعرضت له الأخبار وذكرت آدابه وهو محض دعاء وطلب الخير من الله ولعل كاتب هذه الترهات لم ير أو يسمع بمثل هذه الاستخارة وعامة الناس لا تعرف الاستخارة بهذا المعنى حتى يصل إلى اسماع أولئك .

المعنى الآخر أن الإنسان عندما يتحيّر في أمرٍ تماماً أو لم يهده عقله إلى وجه الحسن أو السوء ولا بيّن له عاقل آخر ذلك ولم يشرع الله في مورده حكماً ليعمل به ففي هذه الحال حيث لا طريق للعثور على كون الفعل حسناً أو سيئاً لا بد للناس مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين أن يختاروا أحد الطرفين وأن يختاروا وهم في حال العمى والحيرة . والتحيّر في حال الاضطرار من أسوأ ما يعرض على البشر من حالات والجميع يعلم أنه إذا وجد المرء في هذه الحال شخصاً يرشده إلى جهة تطمئنه وتحركّه بقلب مطمئن وإرادة راسخة لكانت خدمة عظيمة . وفيما نحن فيه يقول المتدينون أن الله ملجأ الضعفاء وحاكم الضعفاء قد فتح في هذه الحالة التي هي من أشد الحالات التي يحتاج فيها المرء إلى من يأخذ بيده ، باب أملٍ من عالم الرحمة والرأفة وإذا التجأ

---

(١) راجع وسائل الشيعة باب صلاة الاستخارة .

الإنسان في حال الاضطرار إليه وطلب هدايته ونـاجاه : إلهي قـد عجز عقلنـا وعقول الآخرين عن إدراك طريق الصلاح والفساد ولم يبق لنا مخلص فخلصنا نحن الضعفـاء وأرشدنا إلى عالم الأسرار الخفية وقوّ إرادتنا نحو أحد السبيلين واعطنا الاطمئنـان وخذ بأيدينا فالله القـادر على الايجـاد والاعدام امـا أن يرشـده نحو طـرف ويهدي قلبـه فهو مقلب القلوب وهـذا نحو من الاستخـارة (النحو الأول) وأمـا أن يرشـده من خـلال قبضة من سبحّة أو آيـة من القرآن إلى جهـة يطمئن إليهـا . فما هـو جواب المـثرثرين عديمي الدين عن جواب المتدينين ، أولاً تعرض لـلإنسان في هـذه الحياة وأيـام الدنيـا كثـيرة الصعاب التي قـد يصادف فيهـا كل شيء ، مثـل هذه الحـالـة ؟ لا محيص عن الإجابة بنعم لأن جميع مفكري العالم قد يأتيهم يوم لا ينـير لهم عقلهم مستقبلهم فهل يبقى الإنسـان في حالـة تحيّره متحيـراً مع عجـز عقول الآخـرين عن بيان السبيـل فلا يحتاج إلى مرشد يفتح له طريق الحل ؟ هنا أيضـاً لا سبيل لكم إلا الجـواب بالايجـاب وهل إذا اطفئت أنوار العقول وامتنع تدبير العقلاء ، هل هناك غير الله المظهر والمُخفي من عنده السبيل ، وهل هذه الحـال من حالات الاضـطرار ؟ لا بد أن تقـولوا نعم . فهل يقدر الله أن يأخذ بيد الإنسان في هذه الحال ويرشده إلى طريق الخير ؟ ولا مجـال لكم لإنكار قدرة الله . وهنا ينتهي الكلام بسؤال آخر هل الله المتّصف بصفات الرحمة والرأفة والعطف والذي بسط مائدة الرحمة وسفرة النعمة للعالمين والـذي سنّته الهـداية وعادته الإعانة ، هل إذا ما تـوجه إليـه عبد مضـطر يحرمـه . هنا يقـول المؤمنون نحن نعـرف الله بمعين الضعفـاء مرشـد العاجـزين فماذا تقـولون أنتم . بـل أقـول لـو رأى المختاري إنساناً في ذلك السجن المظلم على هـذه الحال واطلع عـلى قلبه أنـه لم يتعلق إلا به فإنه سيعينه فاعتقدوا على الأقل بـأنّ الله مثل المختـاري وحينئذٍ تتصـالحون مـع المؤمنين وترجعون عن طريقكم والله يقبل اعتذاركم وإن لم يقبل أهل الدنيا .

دليل قرآني :

ومع أن هذا الأمر بسيط واضح يؤمن بـه كل عـاقل ويقبـل به كـل من له أدنى إيمـان بالله وغـير محتاج إلى دليـل غير إرشـاد العقل ، لكن حتى يعلم القـراء أن قـول المتدينين هذا له دليل من كتاب الله ، نرى الحاجة لذكـره ، ففي سورة النمـل وردت الآية ٦٣ : ﴿ **أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ في ضمن آيـات يعدّ الله فيها قدرته ونعمه فهـل هناك غـير الله من يجيب المضطر ويجيب دعـاءه ورجاءه ويـزيل

عنه السوء وهل هناك غير الله يلجأ إليه الناس يأخذون منه ما يطلبون ويكشف عنهم السوء . فليس إلا الله من يجيب طلب المضطرين المتحيّرين ويكشف عنهم السوء ويبعده عنهم . فلو مرض شاب هو أمل أمه وأبيه العاجزين واجتمع الأطباء فاختلفوا في إجراء عملية لهذا الشاب أو ترددوا في الموافقة لما في العملية من خطر وفي تركها خطر فهنا لم يسفعهم نور علم الأطباء ليعرفوا ماذا يفعلون ولم يحددوا ما يجب أن يُقدم عليه بالنسبة إلى المريض . أليس للوالدين الحنونين اللذين ليس لهما إلا هذا الولد يسعدان به في هذه الحياة ، أليس لهما حالة اضطرار . فلو فتح الله لهما حينئذٍ باباً من خلال الدعاء والتوسل ودلّهم على حسن العملية أو سوئها فأين تضطرب الحياة وهل هنا من يحكم في هذه الحال إلا الله . هنا يقول المؤمنون يمكن من خلال الاستخارة والتوجّه إلى الله الرحيم أن نكشف الطريق نعم يبقى أن يقال إن الأخبار الواردة في الاستخارة لم تعد بأن الله دائماً يوصل المرء إلى المقصود بل وعدت بأن الله يعطي الخير لطالبه فإن كان صلاحه أن يُعطى في الدنيا أُعطي منها وإلا فإنه يدّخر له ذلك إلى الآخرة .

تأثير قوة الإرادة :

يقبل بوضوح علماء العالم وعلماء معرفة الروح وعلماء النفس القدماء والجدد : الشرقيّون والغربيّون وتلقوا في المحافل العلمية بالقبول أن الإنسان يتقدم في أعماله بقوة الإرادة بحيث لولاها لا يستطيع أن يأتي بعشر الأعمال . بل الإرادة القوية في الإنسان تمكّنه أحياناً من القيام بأعمال غير عادية فالمريض الذي يجب أن يعالج بالأدوية ، تعالجه إرادته القوية أو إرادة الطبيب . كما أن من المعلوم للجميع أن الاطمئنان بعمل والأمل بالتقدم أمر له آثاره الواضحة وغير العادية كما يظهر ذلك فيما إذا اشتغل شخصان بعمل ما أحدهما بائس ويقوم بالعمل في تردد وحيرة والآخر مطمئن فإن الثاني يتقدم بقوة إرادته وقلبه المتماسك والأول أمضى وقته باضطراب وتردد لأنه إذا قام بالعمل قام به ببرودة وتكاسل فلا يوفق .

نقول إذا لم تقبلوا بما تقدم منّا مع أنه من أوضح أحكام العقل ، وأصررتم على أن الله لا يلتفت إلى حال عباده أو لا دخل له في شؤون الناس ، نقول كفى في الاستخارة فائدة هذه النتيجة وهي أنها أحياناً تقوّي من عزيمة المترددين وتبدل الكسل

والخمول حيوية ونشاطاً . فماذا تقولون أنتم . أتقولون بأن نطمئن المتحيرين والمترددين ونخرجهم من حالة التحيّر إما بترك العمل والاشتغال بأمر آخر فلا يقضون عمرهم وأوقاتهم في تردد وحيرة وإما بأن يفعلوا مطمئنين بأن الله معهم في ذلك وهذا بحدّ ذاته سند وسبب في التقدم كما ثبّت الله مؤمني الصدر الأول واظفرهم على غيرهم وواجهوا الفئات الكثيرة مع قلة عددهم كما جاء في سورة الأنفال الآية ٦٦ : ﴿ **يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا** ﴾ فقد كان المقوي لإرادتهم الموجب لغلبتهم على الكفار هو هذا الاعتماد على الله . أم تقولون بإبقائهم على ترددهم وأن يمضوا أيامهم بكسل وخمول وإذا تركوا مقصودهم فإن قلوبهم تبقى معلقة به وتتفكك قواهم الروحية وأثر ذلك أن يتأخر في عمله وإذا استمر في عمله فإنه يستمر مع ضعف الإرادة والخمول والتكاسل . ندع الحكم للوجدان الطاهر للقراء المحترمين .

خطأ الباحثين عن الفتن :

هؤلاء الجهال لا يعدمون من اشتباه وخديعة فيوحون للناس أن العلماء قد أعرضوا عن حكم العقل كلّية وجميع أعمالهم يأتون بها مع استخارة ثم يقولون من الأفضل أن نختار عالماً بالاستخارة . هذا الضعيف الجاهل غافل عن أن هذا الكتاب كتب بالفارسية ونشر بين الناس وأكثرهم على علاقة مع العلماء فيعرفون مورد الاستخارة فالعمل الواضح في عقل الإنسان أو من يهديه إليه ليس مورد استخارة والناس لا تستخير فيه كما أن العلماء لا يستخيرون لهم إذا عرفوا الأمر . المريض يحتاج إلى الطبيب بحكم العقل فإذا وجد طبيب معروف بعلمه ولا يوجد غيره فهنا لا استخارة . لكن لو وجد طبيبان لا نعرف الأفضل منهما ولا طريق لنا للترجيح فالناس حينئذٍ اما أن تسأل الله الخير فتختار أحدهما باطمئنان وهذا قسم من الاستخارة وإما أن يستشيروا الله وهم في حالة الاضطرار فيفتحون القرآن ويفتح لهم باب أمل والله الرحمن لا يحرمهم أيضاً ولا يطردهم عن باب رحمته الدائمة . فكم هي القوة الروحية التي سيزرعها في قلب المريض هذا التفاؤل بالعلاج والأمل بلطف الله ، وكم هو تأثيره في تحريك المريض مع الأمل ، وبأي اطمئنان سيقوم الطبيب بعلمه . هذا في حد ذاته من طرق العلاج تعرّف عليه علماء النفس بعد مضي سنين طويلة وقد عرفنا ذلك من

نور النبوة قبل أكثر من ألف سنة . فقولكم فلنهاجم بريطانيا بعدة من الأشخاص راكبين وراجلين باستخارة ونضم العالم إلى لوائنا قول غلط وجهالة ولو كان في العالم خزي فإنه لا يتعداكم أيها المثرثرون . وأما قولكم كان الأفضل لموسوليني أن يستخير بدل أن يخوض حرباً لسنين وبدل تلك الخسارات المادية والروحية فهو غباء . ونحن نقول أن موسوليني حتى لو لم ير من يواجهه في ميدان الحرب العالمية الواسعة كان عليه أن يتجنب الحرب وليس المورد مورد استخارة لأن للعقل هنا طريقاً إلى الواقع ولو كان متحيراً واقعاً ولم يأمر الله بشيء في هذا المورد وتوجه وهو في حال الاضطرار والضعف إلى بيت الله لم يكن ليجيز له أن يدخل في هذه الحرب المشتتة للعباد . ولسنا ندري هل سألتم موسوليني فأجابكم بأن استخارته كانت جيدة حتى يرد نقضكم أم أنكم تأتون بمثل لا مورد له وتضيّعون وقتنا ووقتكم بلا فائدة . وأما حرب القفقار فإن كانت للضرورة ودفاعاً عن البلد فلا كلام فيها وإلا فإنه يأتي فيها الكلام المتقدم فلا حاجة للتكرار ، وإما الأمثلة التي ذكرتها من أن فتاة أُعجب بها شاب بعد تحادثهما لكن الاستخارة لم تكن حسنة فانفصلا ، وان بيتاً اعجب المشتري لكن انصرف عنه بسبب الاستخارة . فإن الجواب عنها وعن الآلاف من أمثالها يتضح مما تقدم في تحديد مورد الاستخارة ولا محل لحمل كلامكم إلّا على الجهل أو إثارة الفتن . ففي مورد الزواج الغالب أن يكون الإنسان جاهلاً بخصوصيات أخلاق عائلة الفتاة والزوج الذي لا يعرف ذلك يكون في حيرة من أمره فالله يرشده في مثل هذه الحالة المظلمة المهمة . وأما قولكم « فالله يعلم ما يصلنا بسبب الاستخارات من المضارّ والخسائر » فهذا من حذاقتكم أنكم لم تبرزوا واحدة منها فليتكم أتيتم بمثال واضح ورد فيه الضرر على المؤمنين بسبب الاستخارة كي يقبل كلامكم وإلا فإنه يمكن بمجرد الادعاء أن يقول شخص : الله يعلم كم يصلنا من المنافع بسبب الاستخارات ويسكت عن ذكر مواردها إلا أنه يكون كلاماً لا قيمة له في عالم العلم ما لم يأت بدليل .

والمفكرون يتمكنون الآن ومن خلال ملاحظة كلام كلا الفريقين أن يتفهموا المطلب بلا حاجة إلى تعقيب .

اشتباه وكذب :

هؤلاء الأغبياء حتى يسيئوا نظرة الناس إلى العلماء وقعوا في خطإٍ آخر ونسبوا إليهم فرية واضحة فقالوا : « أما التكلم بالغيب أو أي عمل آخر مثله فإن كان

بطريق الدين فلا أحد أقـرب إلى الله من الأنبياء وأنتم تؤمنـون أن نبي الإسلام صرّح في عدد من الآيات أنه بعيد عنه وإن كان من خـلال العلم وطريق الـطبيعة فـلا أحد مثل الأوروبيين في ذلك وترون أنهم لم يدّعوا مثل ذلك . ومـع الغض عن ذلك نقـول لا دليل أفضل من الوقوع فإن كان لديكم خبر عن ناطق بالغيب أو مثـل ذلك ممـا هو خـارج عن طريق الـطبيعة فهيّـا اعلموا المفكّـرين وأقيمـوا مجلساً ليقـوم بـالعمـل في حضورهم ونحن نعلن ذلك للعالم ليعرفوا أن إيران مـوطن رجال الله فـإن قلتم : من تعرّف على أسرار الحق ممنـوع من الكلام[1] نقـول ما هي هـذه الأسرار التي تقولـونها للبسطاء سريعي التصديق فإذا حضر أناس مدققون تصير من الأسرار » .

عفـارم على هـذا التلاعب والشعبـذة حيث ربطتم في أسـطر بين أشيـاء لا ربط بينهـا ولفتّم أنـظار النـاس بعـدة أكـاذيب وافـتراءات ألم تحتملوا أن يـأتي شخص يستنطقكم . فها نحن الآن نسألكم ونسأل كل الذين لهم ارتباط ما مع العلماء من هو الذي ادّعى منهم التكلم بالغيب والإتيـان بمعجزة وكـرامة . وقـد رأيتم أن الاستخارة ليست تكلماً بالغيب بل تشبث بـالدعـاء إذ الله فقط من يعطي الخـير للعبد المضـطر أو أنها تعبر عن الخروج من حالة الاضطراب والتردد فتعود علينا بمنـافع كثـيرة . من قال ومتى قيل إننا نتكلم بالغيب وأن أسرار الحق لدينـا . نعم قد يـوجد في طهـران حاذق يستفيـد من بساطـة الناس ويعلن أنـه يضرب بالـرمل ويعـرف الجفـر ويخاطب الجن ويتكلم عن الغيب هؤلاء يدّعون ذلك فاذهبوا إليهم وامتحنوهم فإن كانـوا من العلماء أو كان لهم أصلاً علم يتوفر في العلماء لكان لكم الحق أن تنسبوا إليهم ذلك . فاذهبوا يوماً إلى هؤلاء الضاربين بالرمل والمحتالين وانظروا هـل الذين يـترددون إليهم هم من له ارتباط أكـثر مع العلماء وتعلمـوا من العلماء مسائـل دينهم ، فيطلبـون من هؤلاء أن يتكلموا بالغيب من خلال الرمل والجفر والاستخارة أم أن من يأتيهم هم من الذين لا علاقة لهم مع العلماء ولم يستفيدوا منهم أبداً . وإذا كان لهؤلاء دفـتر يسجلون فيه اسم وعنـوان من يأتي إليهم فسيتضـح حينئذ أن الـذي يأتيهم هـو من المؤمنـين المعـاشرين للعلماء أم من غيرهم من أمثالكم الذين قطع لجـامهم . إن العلماء يعتقدون أن عمـل الجفـر والـرمـل والتكلم بـالغيب وتسخـير الجن وأمثـال ذلـك حـرام وكتبهم بـين

---

(١) مضمون بيت بالفارسية : حركه راسرار حق آموختند مهركردند وَدهانش دوختند .

الأيـادي[1] . وأنتم تدّعـون أن من يقـوم بهـذه الأعـمال هم العلماء وتمـر عـلى النـاس سريعي التصديق هذه الخدعة أو أنكم تقـرأون بيت شعر لصـوفي وتنسبون كـلامه إلى العلماء وأنهم يقـولـون « كـل من تعـرف عـلى أسرار الحق . . » فـما هـو ذنب العلماء المساكين المخالفين دائماً لهذه التـوافه حتى ينسب إليهم كـل شيء بلا أي ربط فلماذا لا تقولون أن العلماء يجبرون الناس بـالقوة عـلى السفور ، العلماء بنـوا أحواض السبـاحة وأمثال ذلك . عندما يقول العلماء أن التدين خير والفلتان شر فلأجل ذلـك إذ المتدين في طول عمره لا يكذب على الناس ولا يتهم والتهمة من أسوأ الذنـوب وأعلى مـراتب الدناءة فالله قيّد قلمه ولسانه أما الذي قطع لجامه لا يتقيد بأي قيد فلا يرى مانعـاً من أن يقول كل ما يخطر على باله ولا عيباً في أن يهيء أكاذيب وتهماً ينسبها بلا خجـل إلى فئة تمثل العضو الشريف في المجتمع فهذه من مضار عدم التدين والفلتان الذي حاربه كل من الأنبياء والأئمة والعلماء ولا يزالون يحاربونه ولا يتخلون عن وظيفتهم الخـاصة التي حمّلهم الله إياها وهي هداية الناس ، بسبب هذيانات عدد من الأغبياء .

وأمـا قولكم أن الأنبيـاء لا يتكلمون بـالغيب ولا يأتـون بـالخـارق للطبيعـة وأن الأوروبيين لم يدّعوا مثل ذلـك . فقد بيّنـا فيما سبق أن الأنبيـاء بصريح القـرآن كانـوا يتكلمون بالغيب ويأتون بـالخوارق للطبيعـة وأنتم إما لم تقـرأوا القرآن أو قـرأتموه لكن تكذبونه أيضاً حيث تقولون بصريـح العبارة ومن دون أي حيـاء : « إن كل من ادعى عملاً خارجاً عن قدرة البشر كـاذب وأسوأ من المحتـال وقاطـع طريق يجب إعـدامه » فموسى كليم الله وعيسى بن مريم ومحمـد بن عبد الله الأنبيـاء العظام الأطهـار هم على قولكم كاذبون محتالون قطاع طرق يجب إعدامهم أمام أعين الناس حتى يصح كلامكم أيها الزردشتيون المجوس عباد النار . « تفٍ عليك أيها » .

الأوروبيون أيضاً عثروا على شيء من الطريق إلى عالم الغيب ويتكلمـون بالغيب مع التنويم المغنـاطيسي والعلماء الروحيـون الإنكليز والألمـان والأمريكيـين والفرنسيـين والـروسيين وسـائر الـدول قد خـرجـوا من مـرحلة القـول إلى مـرحلة الإحسـاس بـه والوجدان . وأما ما ذكرتم من أن الأوروبيين لم يدّعوا مثل هذه الدعوى فهذا يبين أن مستـوى معلوماتكم بمستـوى الأطفال الصغـار لأن الأطفال الصف الـرابـع والخـامس

---

(١) فليراجع المكاسب المحرمة من الكتب الفقهية .

سمعوا أن الأوروبيين يكشفون عن الحقائق بواسطة التنويم المغناطيسي وأنهم يعتقدون بكشف الغيب من خلال إحضار الأرواح .

أجوبة صبيانية من أنفسهم :

ومن أعمال هؤلاء المقطوع لجامهم الملوكية أنهم يختلقون أجوبة ينسبونها إلى المؤمنين ثم يردون عليها وهذا من ألاعيبهم وخدعهم يريدون أن يوهموا الناس أن لا وجود لأجوبة عن هذه الأسئلة صحيحة ومنطقية وأن لا حلّ لها . أو ليس عندهم احتراز من أن ينهض أحد المؤمنين ويفضحهم ويخزيهم في المجتمع وقد خلا هؤلاء من العلم والتقوى إلى حد أنهم أحياناً يتكلمون بكلام لا يليق حتى بالأطفال الصغار وأحياناً يتكلمون بأكاذيب يتقى منها اللواطيون . ومع ذلك يظهرون أنفسهم ـ بما لهم من علم ومعرفة وطهارة ذيل وروح صافية ! ـ على أنهم طلاب إصلاح وأن جهودهم ه في سبيل الله ورأفة بالناس . وقد أدرك القراء المحترمون وشبابنا المثقفون وأخواننا في الدين وطلاب الجامعات والمدارس ، آراء هؤلاء وأجوبتنا وتبيّن لهم بوضوح مستوى معلوماتهم ودرجة تقواهم واستقامتهم واشفاقهم وعبادتهم لله .

ثم إنه ذكر (أي الكاتب) تسعة أجوبة من نفسه نسبها للمؤمنين والحال أن أيّاً منها لا ربط له بالمؤمنين الذين يملكون الأجوبة الكافية عن هذه الأسئلة المتضاربة والمضطربة والمتذبذبة والصادرة عن سوء نية فينسب إليهم مثلاً القول : إن الأفضل بدل هذا الكلام أن تفكروا في أرزاق الناس فهذا الكاتب الخائن يلفق الكذب ليظهر عجز المؤمنين عن الإجابة والحال أن تفكير هؤلاء في أرزاق الناس مثل تفكير المسؤول عن ألبسة المستحمّين (في الحمامات العامة) بالنسبة إلى تأسيس كلية الطب أو مثل تفكير الدلاك في إيجاد الروابط السياسية بين دول أوروبا وآسيا . أبداً لا يقول المؤمنون فكّروا في الأرزاق بل يقولون ليكن فكركم فكر الشرف والناموس ثم يقول : « ويقولون : ٢ ـ إن هذا الكلام يوجب النفاق ٣ ـ كلام لأجل الاشتهار ٤ ـ يوجب تحريك الأجانب » ونحن نقول إنكم وإن ذكرتم كلامكم لأجل هذه الأهداف القذرة لكن ليس هذا هو جواب المؤمنين ولا أنتم ستحققون أهدافكم لأنكم أحقر من أن تستطيعوا إيجاد النفاق نعم حققتم شهرة ما لكن بأي طريقة ؟ نَكِل ذلك إلى القراء .

أما ما ذكرتم من قولهم تحريك الأجانب فهذا كذب لفقتموه عن سوء نية وقذارة

ظنّاً منكم أن الأجانب مثلكم لا عقل لهم ولا إدراك حتى تعطوا قيمة لهذه الأكاذيب الواضحة . أنتم أردتم بهذه الكلمة تحريك الأجانب في غفلة عن أنكم أحقر من أن يتلفت إليكم أحد .

ثم يقول : « يقولون : ٥ ـ كيف لم يفهم ذلك جميع العلماء والعظام وأنت فهمته . ٦ ـ سلمنا أنها أغلاط وأعرضنا عنها فماذا يحل محلها » .

وهذه وإن لم تكن أجوبة المؤمنين لأن أجوبتهم الجبّارة مبنية على الموازين العلمية بما لا يسد أفهامكم وقد أفهمناكم بالمقدار المستطاع وما ذكرته في هذه الأوراق أقل من مستوى إدراك الأطفال إلا أن الجواب الخامس لو أنصف الإنسان سيجده جواباً مجملاً صحيحاً . ولنوضح ذلك بمثال :

يوجد في إيران وأوروبا وأمريكا وألمانيا وباقي البلاد مئات الآلاف من الأطباء والعلماء ويمضي الكثير منهم ٦٠ أو ٧٠ سنة في التفكير بمسائل الطب وفروعه وألّفوا في ذلك الكتب حوت براهينهم وتجاربهم وقدّموها للناس ورأت الناس منهم العمليات الطبية الممتازة فاتفق هؤلاء الأطباء مثلاً على عشرة مسائل لا ترديد عندهم فيها وبيّنوا ذلك في كتبهم أو محاضراتهم وفي الأثناء يظهر شخص مهمته الحفاظ على ألبسة المستحمّين وتجوّل سنتين واشتغل سنتين أو ثلاث في محل سمانة فسنحت له فرصة أن يكتب بعض الأوراق ونشرها ووجدنا في تلك الأوراق أغلاطاً واضحة هذا الشخص بهذه المواصفات كتب في صحيفة رسمية رأياً مخالفاً لأطباء العالم يخطئهم في رأيهم . فماذا يقول العقل والبشر طرّاً حينئذٍ ونحن من صدر الإسلام إلى الآن ظهر الملايين من المجتهدين والمتخصصين في علوم الدين من جميع الأقطار الإسلامية والمتخصصين في العلوم المذهبية وفي العالم مئات الملايين من المؤمنين وقد اتفق جميع العلماء والمتدينين على جملة أمور اعتبروها من الشعائر الدينية أو المذهبية وفجأة يظهر شاب اشتغل عدة سنين في بيع السجاير وفي مراكز التجليد وصعد المنبر مدة لأجل الارتزاق وعرف الجميع أوضاعه الحياتية ومستوى معلوماته والآن يشتغل في إدارة البريد (أو عمل إداري) ويقول إن جميع علماء الإسلام أخطأوا وجميع المتدينين مشركون وأنا وحدي سلكت الدرب الصحيح وفهمت الإسلام ، وهؤلاء الذين عرفهم الناس بالزهد والتقوى والعلم والفكر همّهم الرئاسة وأن يفتحوا دكاناً على حسابهم وأنا أعلم منهم

وحـدي وأفضل منهم في الـزهد والتقـوى ، أعمالي لله لا أهـدف إلا عبادة الله والـرأفة بالناس . فلنزن هذا الكلام على أسـاس العقل الـذي وهبنا الله ولنـطلب حكمه مـع ملاحظة هوية الكاتب وشغله .

ثم يكتب : « يقولون : عقـل البشر ناقص بـدليل مـا نراه من أديـان لا تحصى فهذه جميعها تقول دليلنا العقـل والحال أن الـواقع واحـد لا أكثر » ثم يفصّـل ويطيـل الكلام في ذلك فراجعوا الكتاب .

ونحن نقول ظنّ هذا الغبيّ أن المؤمنين داسوا عـلى حكم العقل ولا اعتنـاء لهم به أبداً وهذا من جهله وعدم اطلاعه . أو ليسوا هم هؤلاء المتدينـون الذين كتبـوا كل هـذه الكتب في الفلسفة والكـلام واستناروا في آلاف المسـائل الفلسفيـة بهدى العقـل وضياء نوره أو ليسوا هم أعاظم الدين الذين جعلوا حتى في الفقـه العقل من أدلتـه . لكنكم عن عمـدٍ وعداوة وإثـارة للبلبلة أو عن جهل وعنـادٍ تفترون عـلى العلماء بهـذه الأكاذيب الواضحة . فما العمل هنا حيث تبقى قدم العقلاء في الطين . فحتى الأنبياء لا يستطيعون أن يهدوا أمثالكم نعم يفترق المؤمنون عنكم بالقول : بأننا بعد أن عرفنـا الله بعقلنا وبه آمنا بالنبي وبكتاب الله . نرجع في الأمور التي لا يدرك العقل صلاحها وفسادها إلى الرسول والقرآن ونسلّم لهما ونقبل منهما . فهم يقولون نحن آمنا بالـبرهان بوجود حياة أبدية للروح . وكل حيٍّ يحتاج إلى أجهزة للحياة وله سعادة وشقاء ونحن من أنفسنا لا نعرف الوسائل التي تتطلبها تلك الحياة ولم ندرك خصوصيات عالم الغيب والله الذي عنده أسرار العالم أرسل الأنبياء ليعلموا الناس تلك الوسائل وهم بـدورهم يعلمـوننا . وأنتم مـاذا تقولـون هل تقـولون لا عـالم إلا العالم المـادي وأن الأرواح لن تبعث في عالم آخر ولا تحتاج إلى تلك الأجهزة أو تقولون لنا اطلاع عن عالم الغيب من أنفسنـا . اختاروا مـا شئتم والمؤمنون يثبتـون أخطاءكم بـدليل العقـل والقرآن . وإذا نسب إلى الله أو النبي شيء عـلى خـلاف الـدليـل العقـلي القـطعي فـذلـك المنسـوب مـرفوض . وهـذا الكلام مسـطور في كتبنا لكنّكم لم تقـرأوها وهنـا عيبكم إذ يتدخـل إنسان جاهل لم يحصّل العلم ، في أمر الدين وقد تقدم مستوى عقله وعمله . أنصفوا أليس تدخلكم مع هذا المستوى من المعلومات الصبيانية من قلة العقل الآن يصـح أن يقال أن العقل ناقص إذ لا دليل أفضل من الوقوع .

وأما زيارة القنفذ في مشهد والتصاق شخصين ببعضهما وتواجهون بها المتدينين فهذا من جهلكم لأن آخر من يصّدق هذه الأمور هم العلماء ومن له علاقة بهم وغالبكم أكثر خرافة فإن الذين يجلسون حول الساحة ويتوسلون ويذهبون لزيارة حافر القنفذ وأمثال ذلك هم من الذين لا علاقة لهم مع العلماء وإذا رأيتم في حياتكم عالماً يعتقد بأمثال هذه الأمور أو قام هو ومن حوله بمثل هذه الأعمال فكلامكم صحيح . نعم هنا كلام آخر ذكرتموه عن جهل وهو أن جميع المعاجز هي من هذ القبيل ولازم هذا الكلام الغبي إنكار القرآن وجميع الكتب السماوية وتكذيب الله لأن القرآن نقل الكثير من معاجز الأنبياء فحيث كان ذلك كذباً فتحويل عصا موسى حية واحياء عيسى بن مريم للأموات كذب أيضاً وهذا دليل نقصان عقلكم مع أنكم تدعون أن العقل ليس ناقصاً .

أيضاً كذب وافتراء على المؤمنين :

وهنا كذبة أخرى افتروا بها على المتدينين وهم لا علم لهم بها . منها ما ذكره الكاتب : « يقولون هذه الخرافات موجودة في كل الدنيا ولم يترتب منها ضرر فلماذا تؤذي الناس فإن ما تسمّيه خرافات أفضل من الفلتان » . ثم يبدأ بذكر الأجوبة ويذكر جواباً على هذه النقطة .

يكذب ويفتري كي يُفهم الناس أن المتدينين يعترفون بأنها خرافات . يجب أن تُسألوا أي متدين قال لكم إن معجزة الأنبياء التي صرح بها في القرآن وأن تعظيم واحترام الأنبياء وأولاد الأنبياء الثابت بحكم العقل والقرآن وأمثال ذلك من الخرافات .

ومن جديد يتحدث الكاتب عن الشرك ومواجهة القرآن للمشركين . وقد اتضح جواب هذه الأمور واشتباهات هؤلاء ثم يسند سبب تأخر الشرق عن الغرب إلى المتدينين والحال أنه من المعلوم أن تقدم المسلمين في العصر الأول كان بسبب تدينهم لا الفلتان . أما الأمثلة التي ذكرها فهي كسائر كلامه لا علاقة لها بالعلماء بل ما هو مرتبط بالعلماء بعيد عن ذلك كل البعد . ولا نرى الحاجة إلى التعقيب على المقالة الأولى أكثر من ذلك . فالمفكرون الذين رأوا أجوبتنا لهم الحكم وقد أدركوا أن القوم يريدون إثارة الفتنة ويبيّتون نيّة سيئة وإذا كان المفكرن يرون أنفسهم مسؤولين

عن حفظ الدين والقرآن والمقدّسات المذهبية فعليهم أن يقمعوهم وأن يدوسوا على رؤوسهم بقدم الشهامة ويسحقوهم . وأن يمنعوا هذه المطبوعات المخالفة للقانون والدين وأن تجري على هؤلاء الثرثارين في حضور أنصارهم حكم الإعدام وأن يسقط هؤلاء المثيرون للفتن المفسدون في الأرض حتى لا يضرموا نار الفتنة ويؤججوها ولا يفرقوا الكلمة ولا يمدّوا أيدي الخيانة لتنال من المقدسات الدينية .

والسلام

المقالة الثانية
في الامامة

السؤال الثالث وجوابه :

إذا كانت الإمامة الأصل الرابع من أصول المذهب وإذا كان ـ كما يقول المفسرون ـ أكثر آيات القرآن ناظرة إلى الإمامة فلماذا لم ينص الله على مثل هذا الأصل المهم ولو مرة في القرآن حتى لا يقع كل هذا النزاع وسفك الدماء على هذا الأمر .
هؤلاء الجهال يصلون أحياناً في دعواهم العقلانية إلى أن يكونوا في مقام الأنبياء ويقولون العقل رسول الله القريب للإنسان قرب العين له لاحق له في أن يتحرك بدون أمره وأحياناً يصلون بالعمل الغبي إلى حد أنهم يظهرون في مثل هذا الأمر الذي هو من أوضاح أحكام العقل الترديد أو يظهرون الانكار بالكلية .

ونحن قبل أن نذكر الجواب عن هذا السؤال نرى الحاجة إلى أن نلقي نظرة عامة حول الإمامة ونطلب الحكم من العقلاء لنرى هل العقل الرسول الباطني يقر بالإمامة كأصل من أصول الدين المسلة ويرى ضرورة أن يعلن الله عن هذا الأصل للناس بعد أن كانت أعماله قد رسمت على أساس العقل أم لا ؟ ولعل الكلام ينتهي بيننا وبينكم ولا يحتاج إلى تعقيب . والكل يعلم أنه عندما كان الناس يرون فخرهم وعظمتهم بربهم بأن يجعلوا بيت النار أكبر من جميع بيوت النار أو بأن يجعلوا بيوت الأصنام أكثر فخراً وأصنامه أكبر وأن تصنع من المعادن الأغلى قيمة من كان ربّهم من ذهب في طول وعرض فإن أهميتهم وشموخهم أكثر من غيرهم حتى إنهم كانوا يأتون بالأرباب إلى الحروب يحملونها في العربات كما فعل أهل مكة إذ أتوا بهبل الصنم الكبير للحرب مع المسلمين . ففي مثل هذه الأيام أرسل الله نبي الإسلام وأول ما طرحه على البشر ذلك اليوم أن يحطموا هذه الآلهة التي صنعوها وأن يبلغوا الفلاح

بتوحيد الله : ﴿ قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ﴾ ثم أتى بالقوانين السماوية التي بأجمعها ترتكز على أساس العقل وبلّغها إلى البشر شيئاً فشيئاً ورمى بالأفكار الجاهلية وما ابتدعوه من أنفسهم وشكّل حكومة عادلة ترتكز على شريعة السماء . وقد وفّق بعد عشرين ونيّفاً من السنين أن يقيم بعد سلسلة جهود وتبليغات إلهية منطقية وسيرة عادلة وأخلاق عظيمة جالبة للقلوب وقوة سماوية وأرضية نادرة وبعد تضحيات المضحين في سبيل الدين الإلهي المقدس ، تشكيلات تقوم على العدالة والتوحيد ولم يتوقف رسول الإسلام عن بذل الجهد حتى آخر العمر كما هو معلوم للجميع ومنصوص في التواريخ واستمر في إقرار توحيد الله وتوحيد الكلمة والعقيدة حتى يقيم الدين والمذهب ونظام المدينة الفاضلة . والآن نحن نسأل عقلاء العالم والذين يمسكون بزمام الأمور في الدنيا هل لإبقاء هذا الأساس المحكم والدين السماوي الكبير أهمية في محافل العقلاء ويرون أن تثبيت الله لهذا الأساس بواسطة رسول الإسلام أمر لازم أم يتلقونه ببرودة واستهتار بحيث يكون بقاؤه وعدمه سواء فلا فرق بين أن يعود الناس بلا دين وبين أن يكونوا متدينين وإذا كان الأمر كذلك فإن بمقدور المفكرين حينئذٍ أن يقفوا معترضين على الله أنه إذا كانت هذه الحكومة وهذا الدين وجودهما كعدمهما فلماذا أرسلت رسولاً وأنزلت كتاباً . وبالتأكيد أنتم تنزهون الله من عدم الاعتناء بالعدل والتوحيد وحينئذٍ يجب أن يعطي أوامره لتركيز هذا الأساس بعد النبي حتى لا يبقى الناس من دون تكليف بعده ولا تصير البلاد والدين تتلاعب بها الأهواء وحب الرئاسة . أن نبيّاً لم يدع صغيرة أو كبيرة ألا وبين حكمها حتى أحكام المرحاض والخلوة مع المرأة ورضاعة الطفل فإن لم يذكر حكم هذا الأمر المهم الذي يرتكز عليه بقاء أساس الدعوة والنبوة وتتوقف عليه أسس التوحيد والعدالة وإن لم يشر بأية كلمة طول عمره عن هذا الأمر ويدع الدين الإلهي عرضة لأغراض حفنة الغزاة ليقوموا بعد موته بكل تلك الأعمال التي يعلمها الجميع طلباً للرئاسة والتي ذكرت في كتب السنة والشيعة وكتب التواريخ . فإن هذا النبي سيكون مورد اعتراض من قبل مفكري العالم وسيُلام ولن يعترفوا بنبوته وعدله وانصافه . إن نبينا يقول من مات ولم يوص مات ميتة جاهلية أي مات كافراً ويأمره الله لأجل الوصية ويرسله بآيات القرآن فإذا لم ينطق بكلمة تجاه هذا الأمر الذي هو أهم الأمور والوصيّة به أولى من كل شيء وأحوج ولم يعمل بقول الله فما هو الاعتبار الذي يمكن أن يعطى لمثل هذا النبي . نحن نعبد إلهاً نعرف أن أعماله ترتكز على أساس العقل ولا يعمل عملاً يخالف العقل ، لا إلهاً يبني بناء شامخاً من التألّه والعدالة

والتدين ثم يخربه بيده ويعطي الامارة ليزيد ومعاوية وعثمان وأمثالهم من المهـاجمين ولا يحـدد المطلوب من النـاس بعد النبي إلى الأبـد حتى لا يساعـد في تأسيس بنـاء الظلم والجور .

إن رئيساً تحت يده خمسـون موظفـاً أو رب عائلة مؤلفـة من عشرة أشخاص إذا أراد أن يسافر لشهـرين لا يبقى المصنع أو العـائلة من دون أن يحدد المـطلوب منهم أو بلا مسؤول فكيف برسـول الإسلام الـذي أتى بآلاف التشريعـات السماويـة العظيمـة والإلهية المحكمة وأقام نظاماً عقلائياً شامخاً وحكومة إلهية عادلة وهو يريد أن يرحل عن هذه الأمة إلى الأبد وقد عرف خلاف الثلاثين أو الأربعين سنة الخائنين والمنـافقين والله مطلع وعالم بأن حكومات جائـرة ستتشكل بعـده وسيجعلون الدين غـطاء لأغراضهم المسمومة فالعقل هنا هل يقول بوجـوب أن يؤتى بهذا العمـل الأخير الـذي هو أعـظم الأعمال لبقاء أساس التوحيد والعدالة أم يقول يضع دينه تحت يد جماعة معلومة الحـال عندما يموت سيزلـزلون الأمـور وينشرون الفوضى ليصلوا إلى الـرئاسـة والحكومـة وأن يشعلوا الفتنـة من ذلك الحـين . ويتراجـع عن الهدايـة والارشاد لصـلاح الأمـة حيث عرّفهم ذلك خلال أكثر من عشرين سنة وأنزل الله خلالها من القرآن « إنما أنت منـذر ولكل قوم هاد » وحينئذٍ ، وهو حين تزلزل أساس التوحيد والعدالـة وأمة القـرآن هي أحـوج ما تكـون إلى التنصيص على المـطلوب منها بعـد النبي ، يدعهم في هـذا الحين متحيرين . ماذا يقول عقلكم وجميع العقـلاء . ماذا يقـول هذا الـرسول القـريب من الإنسان قرب العـين له هـل لا يحكم بأي شيء أبـداً في هذا المجـال أم يحكم بأنـه لا يلزم عـلى الله والنبي التصرف وفق حكم العقل بـل يمكن أن يقوم بـأعمال لا نفـع لها يأتي بنظام عـظيم تصنعه يـداه ثم يخربـه فوراً . أم يقـول أن الإمامـة أصل مسلم في الإسلام حدّده الله سواء أتى على ذكره في القرآن أم فرضنا أنه لم يأت على ذكره .

دليلّ من القرآن على الإمامة :

هؤلاء الساعون وراء الفتن كأنهم آتون حديثاً من صحراء افريقيا ليس لهم أدنى علاقة مع أصول الإسلام وفروعه ولا اطلاع لهم أبداً على تاريخ الإسلام والجهود التي بذلها رسول الإسلام في الإمامة . والبحث في الإمـامة بحـر لا ينتهي بحيث أن تعداد الكتب التي كتبت فيها من ابتداء صدر الإسلام حتى الآن يحتاج إلى كتاب وقد أحصى

العلامة الشيخ آغا برزگ التهراني المعاصر مئة وكتابين فقط من الكتب المعروفة باسم الإمامة أو كان اسمها مجهولاً . ذكرها في كتاب الذريعة . أما الكتب التي كتبت في هذا الموضوع منذ وفاة الرسول حتى الآن بأقلام الشيعة والسنة فهي أكثر من أن يتمكن أحد من احصائها وسنذكر فيما بعد أسماء بعضها ليتبينّ مستوى معلومات هؤلاء الجهال وحتى لا يضعوا أقدامهم أبداً خارج بساطهم . وهذه بعض الآيات الواردة في الإمامة والحكم يتوخى من العقل رسول الله الباطني .

آية أولي الأمر في الإمامة :

سورة النساء الآية ٦٢ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ فالله تعالى في هذه الآية شكّل حكومة الإسلام إلى يوم القيامة ومن الواضح أنه لم يوجب على الأمة إطاعة أحد إلا هؤلاء الثلاث وحيث أوجب عليهم اطاعة أولي الأمر فلا محيص عن أن تكون الحكومة الإسلامية حكومة واحدة لا أكثر وأن لا يكون هناك أكثر من تشكيلة واحدة وإلا لزم الهرج والمرج . وإطاعة الله والنبي معروفة والذي يجب على العقل الرسول الباطني أن يبحثه هو تحديد من هم أولو الأمر وما هي مواصفاتهم . يقول البعض إنهم السلاطين والأمراء قد أوجب الله على الناس إطاعتهم واتباعهم وآمنوا أن سلاطينهم من أمثال مصطفى كمال باشا رئيس جمهورية تركيا ورضا خان شاه إيراه هم أولو الأمر وطاعتهم واجبة . والسنّة طبقوا ذلك على الخلفاء المسلمين ومن جملتهم معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية وسائر الخلفاء الأمويين والعباسيين .

والآن نسأل العقل الذي وهبنا الله إياه هل أن الله الذي أرسل رسول الإسلام مع آلاف الأحكام السماوية وأسس حكومته على التوحيد والعدالة وأمر الناس بأشياء ونهاهم عن أشياء وبعد الجهود الكثيفة وتعليم وتطبيق القوانين الإلهية يأمر الناس بعد أن ركز أساس العدل في الدنيا مع تضحيات المسلمين ومنع من الظلم وعدم العفة ، أيأمرهم جميعاً أن يطيعوا أتاتورك الذي يقول إن الدين غير معترف به في الدولة والجميع يعرف الظلم الذي الحقه بالمؤمنين وما أتى به من منافيات العفة ومخالفات دين الله . أو يقول يجب إطاعة بهلوي الذي رأى الجميع سعيه للقضاء على دين الإسلام . ولو أراد أحد أن يبينّ مخالفاته الصريحة لكتاب الله لاحتاج إلى كتاب .

ولعل مثل هذا الإله الذي أقام أساس العدل والدين ويخرب الأمر بيده لا يعترف به ذووا الألباب بالألوهية والعدل والانصاف فإن مقام الألوهية منزّه عن هذا العمل الباطل . فهل تقولون أن الله لم يكن يعلم بأن الظالمين سيتسلطون على الحكم وكان يظن أنهم موافقون له ، فهذا خلاف حكم العقل لأن من لا يعلم بعباده ليس إلهاً .
أم تقولون أن الله تراجع كان يريد ولفترة من الزمان أن يقوم التوحيد والتقوى والعدالة بين الناس لكنه بعد ذلك دعا الناس إلى الشرك والظلم واللاعفة ، وهذا أيضاً خلاف حكم العقل فمن كان كما تقولون ليس إلهاً . فلا بد إذن من القول بأن أولي الأمر ليسوا هم السلاطين والأمراء . وإن نظرة إلى أحوال الخلفاء ومراجعة لكتب الحديث وتاريخ أهل السنّة أنفسهم تكشف أن حالهم هي كذلك أيضاً ولا شغل لنا الآن مع الشيخين . ومع مخالفتهما[1] للقرآن وتلاعبهما بأحكام الله والتحليل والتحريم من أنفسهم والظلامات التي الحقوها بفاطمة بنت النبي (ص) وجهلهما بأحكام الله حتى إن أبا بكر قطع يد السارق اليسرى وأحرق شخصاً مع أنه حرام ولم يدر ما حكم الكلالة وميراث الجدة ولم يحدّ خالد بن الوليد مع أنه قتل مالك بن نويرة وأخذ زوجته في نفس تلك الليلة ، وأعمال عمر أكثر من تذكر مثل أمره رجم المرأة الحامل والمرأة المجنونة ونهاه عن ذلك أمير المؤمنين (ع) واشتباهه في حكم المهرية فنبّهته امرأة خلف الستار حتى قال عمر جميع الناس حتى المخدرات أعلم بأحكام الله منّي وحرم متعة الحج ومتعة النساء خلافاً لحكم الله والنبي وأحرق باب ببيت النبي (ص) . لكن عثمان ومعاوية ويزيد الذين يعرفهم الجميع ومع ذلك يقال إن الله أمر بإطاعة معاوية ويزيد مما يعني أن جرائم معاوية وقتل يزيد للحسين بن علي والقتل العام الذي أقدم عليه في المدينة هذا كله حكم الله ومن لم يحضر قتل الحسين بن علي كانوا مخالفين لله .
ماذا يقول هنا العقل هذا الرسول الإلهي الباطني أيقول إن أولي الأمر هم هؤلاء . هل الله يرشد الناس إلى هؤلاء الظلمة العابثين أم يقول إن الإمامة أصل مسلّم ذكره الله في القرآن وأمثال هؤلاء الأشخاص من الجهال الظالمين لا يليقون بالإمامة وليسوا بأولي الأمر .

ثم مع الغض عن جميع ذلك نقول إن الله في القرآن ، والنبي في الأحاديث قد

(١) قد ثبت الجميع في الكتب الكلامية من طرق العامة راجع الفصول المهمة وشرح التجريد .

حرّما سفور النساء والتصرف في الأوقاف مثلاً فـإذا أمر السلطان أو الخليفـة بذلـك فما هو تكليف الناس حينئذٍ فمن جهة هم مأمورون بإطاعـة الله والنبي فلا يجـوز إذن لهم السفور والتصرف في الأوقاف ومن جهة أخرى مـأمورون أيضـاً بإطـاعة أمـر السلطان فإذن عليهم السفور وأن يتصرفوا في الأوقاف . افٍ عـلى هذا الجـور ، إذ ينسبون إلى الله العادل هذه التفاهات أفلا يقول العقل الرسول الإلهي القريب أن أولي الأمر يجب أن يكونوا في جميع الأحكام من أول إمـارتهم حتى آخر أعـمالهم غير مخـالفين لشرع الله والنبي لا بالقول ولا بالعمل وأن تكون حكومتهم حكومة إلهية على وفق حكومة النبي كما يتضح ذلك من جعل إطاعة الثلاثة مقـرونة مـع بعضها الأمـر الذي يـدل على أن الجميع من نبع واحد .

مقالة الشيعة في باب الإمامة :

اختلف الشيعة والسنة بعد وفاة نبي الإسلام في هذين الموضوعين اللذين أخذنا حكمهما من العقل ومنذ الأيام الأولى أعلن أعاظم أصحاب النبي الذين يحترمهم جميع المسلمـين ، الخلاف ولم يـطعن أحد فيهم كـأمير المؤمنـين عـلي بن أبي طـالب والحسن والحسين وسلمان وأبي ذر وعمار والعبـاس وابن عباس وأمثـالهم وأرادوا تنفيذ كـلام الله والنبي في بـاب أولي الأمر إلا أنـه كانت تـظهر خـلال الحياة البشريـة من أول الخليقة جماعة شلّت حكم العقـل وتحكّم فيها الـطمع والهـوى فداست عـلى الحق والحقيقة في كـل زمان . وفي ذلـك الزمـان وجدت مثـل هذه الجـماعـة وقـامت بعملهـا وبشهـادة التواريخ كان أولئك (الأصحاب المعظّمون) مشتغلين بدفن النبي فانعقدت السقيفـة وانتخب أبو بكر للحكومة فبدأ الإعوجـاج ، وبعد انقضـاء عصر الإسلام الأول عـاد الحوار بين الطائفتين فالشيعة أتباع علي يقولون إن الإمامة بحكم العقـل بوجـوب نص الله عليها والخلفاء والسلاطين لا يليقون بها وأولوا الأمر هم علي وأولاده المعصومون لم يخالفوا الله في قول أبداً . كما أن رسول الإسلام قد نص عـلى أن الإمام بعـده علي بن أبي طالب كما سنذكر فيما بعد .

لماذا لم يصرّح القرآن باسم الإمام :

بعد أن تبينّ حكم العقـل والقرآن من أن الإمـامة من أصـول الإسلام المسلّمـة وأن الله قـد ذكر هـذا الأصل المسلم في عـدة مواضـع من القرآن نـذكر الآن جـواب

السؤال : لمَ لم يـذكر الله اسم الإمـام ليرتفـع الخـلاف ولا تسفـك كـل هـذه الـدمـاء والجواب عن هذا الوهم بعدة أمور :

إن الاشكـال وارد عليكم أيضاً بـلا فرق لأنـه يمكن للمؤمنين أن يقـولـوا : إن الإمامة إذا كانت أمراً باطلاً فلماذا لا يعلن الله بطلان هذا الأمـر ليرتفـع الخلاف بـين المسلمين ولا يقع كل هذا السفك للدماء . فكان اللازم أن ينزل الله سورة يبّـين فيها أن علي بن أبي طالب وأولاده لا إمامة لهم في الإسلام وحينئذٍ لا يبقى خلاف يقيناً لأن علي بن أبي طالب كما يعرفه الجميع لا يتخلف عن أمـر الله لحظة والجميـع يعلم أنه لم يكن طالب رئاسة لكن سنثبت أن الله حتى إذا نصّ على اسمه لن يرتفـع الخلاف بـل ستترتب مفاسد أسوأ بكثير من مفاسد عدم النص .

٢ ـ القـرآن ـ كما نعلم ـ كتـاب دعوة إلى الـدين في مقابـل عدم التـدين وهـذا الكتـاب السماوي العـظيم قد جـاء في الحقيقة لأجـل تحطيم الآراء والعقـائد الجـاهلية الباطلة ولا يجب عليه أن يتعرض للجزئيات بل عليه أن يبيّن الكليات ويدع الجزئيات والخصـوصيّات للنبي . كـما أن تعريف الله عن نفسـه أولى من التعريف بعـلي بن أبي طالب ، ولم يفعل ذلك حتى يرتفع الخلاف بين المسلمين في مثـل هل الله ذو صفـة أم لا ؟ وعلى فرض أن له صفات فهل هي عين الذات أم لا ؟ وهل هـو جسم ذو مكان أم لا ؟ فقد وقع الخلاف بين المسلمين في جميع ذلك ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى كـلام الله وإرادة الله هـل هما حـادثان أم قـديمان بـل هناك خـلاف أيضـاً بينهم في حـدوث صفـات الله وقِدمهـا وفي صفات النبي والخليفـة . وبالجملة ينـدر أن لا يكون هنـاك خلاف بين المسلمين في فرع أو أصل مهما صغـر . فلنعمّم الاشكال حينئـذٍ في الجميع فلماذا لم تذكر هذه الأمور في القرآن بوضوح حتى لا يختلف الناس . ونحن سنبّـين أن جميع هذه الخلافات التي وقعت في جميع الشؤون هي من آثار السقيفـة فلولاها لم يقـع أي خلاف بين المسلمين في التشريعات السماوية .

٣ ـ لو فرضنا أن القرآن قد نصّ على اسم الإمام فكيف يرتفـع الخلاف ؟ فـإن أولئك الذين تمسكوا بدين النبي سنينـاً طمعاً وحبّـاً في الرئـاسة ولم يكـونوا مستعـدين للتراجع حتى مع نص القـرآن وهم يتوسلون بـأية وسيلة لينفـذوا ما يـريدون بـل لعل الخلاف بين المسلمين يؤدي ـ حينئذٍ ـ بحيث ينهدم أصل أساس الإسلام لأنـه كان من الممكن إذا رأى طـلاب الرئـاسـة أن وصـولهم إلى غـرضهم لم يعـد ممكنـاً من خـلال

الإسلام فسوف يشكّلون حزباً ضد الإسلام ويثور المسلمون حينئذٍ ولم يكن ليسكت علي بن أبي طالب وباقي المؤمنين . وبملاحظة أن الإسلام لا زال فتّياً فإن مثل هذا الخلاف العظيم في الإسلام سيقضي على أصله إلى الأبد وسيفنى حتى ذلك الإسلام الجزئي . إذن التصريح باسم علي بن أبي طالب مخالف لمصلحة أصل الإمامة القاضية بأن لا يؤدي شيء إلى خلاف مصلحة الدين .

٤ ـ كان من الممكن إذا نصّ القرآن على الإمام أن يعمد أولئك الذين لا يربطهم بالإسلام والقرآن إلا الدنيا والرئاسة ويريدون أن يصلوا من خلال القرآن إلى تحقيق نواياهم السيئة ، يعمدوا إلى حذف تلك الآيات من القرآن وتحريف الكتاب السماوي وإلى الأبد ويبقى هذا العار على المسلمين إلى يوم القيامة ويصيب المسلمين ما أصاب كتاب اليهود وكتاب النصارى .

٥ ـ لو فرضنا أنه لن يحصل أيّ من هذه الأمور فأيضاً لن يرتفع الخلاف لأنه كان من الممكن أن ينسب أولئك الذين شكّلوا حزباً في طلب الرئاسة والذين لن يتراجعوا ، حديثاً إلى رسول الإسلام أنه قال قبل وفاته أمركم شورى بينكم وان الله خلع علي بن أبي طالب من هذا المنصب .

مخالفات أبي بكر لنص القرآن :

قد تقولون « إنه لو نصّ على الإمامة في القرآن لم يكن ليخالف الشيخان ، ولو فرض أنهما يخالفان فلن يقبل المسلمون منهما ذلك » . ولا بد في هذا المختصر أن نذكر عدداً من مخالفاتهما لصريح القرآن ليتبين أنهما كانا يخالفان وأن الناس تقبل منهم .

وهذه مخالفات أبي بكر لصريح القرآن حسب نقل التواريخ المعتبرة والأخبار الكثيرة بل المتواترة عن أهل السنّة :

١ ـ نقل في التواريخ المعتبرة والكتب[1] السنّية الصحاح ان فاطمة بنت النبي جاءت إلى أبي بكر تطالبه بإرث أبيها فقال لها أبو بكر أنّ النبي قال : « إنا معشر

(١) أواخر باب غزوة خيبر ص (٣٦) من الجزء (٣) لصحيح البخاري ، أول كتاب الفرائض (ص ١٥٠ ، ج ٤) من صحيح البخاري وفي كتاب الجهاد (ص ٧٢ ج ٢) من صحيح مسلم و (ص ٦ ، ج ١) لمسند أحمد وفي شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة وسائر كتب التواريخ وأخبار هذه القضايا .

الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة » وذكر في صحيح البخاري وصحيح مسلم ما يقرب من هـذا المعنى وقال إن فـاطمة لم تكلم أبـا بكـر حتى تـوفيّت . وصحيحـا البخـاري ومسلم من أفضل كتب أهل السنّة . وهذا الكـلام الذي نسبـه أبو بكـر للنبي مخالف للآيات الصريحة من أن الأنبياء يورّثون نذكر بعضاً منها :

ففي سـورة النحـل الآيـة ١٦ : ﴿ **وورث سليـمان داود** ﴾ وداود هـو والـد سليمان . وفي سورة مريم الآية ٥ : ﴿ **فهب لي من لـدنك وليـاً يرثني ويـرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيّاً** ﴾ .

فماذا تقولـون الآن ؟ هل نكـذّب القرآن أو نقـول إن الرسـول ينطق بمـا يخالف كـلام الله . أم نقول إن هـذا الحديث لم يقله الـرسول وإنمـا وضـع لاستئصـال أولاد النبي . ومـع الغض عن ذلك أليس هـذا الحكم مخالفـاً للعقل فنمنـع أولاد النبي من إرث أبيهم وأن تكـون أموالهم صـدقة ويجعـل مصروفهم من بيت المـال هـذا لا يمكن اعتباره إلا من أعمال الجهّال .

٢ ـ اتفق السنّة والشيعة على أن النبي كان يأخذ سهماً من الخمس له وسهماً آخر لـذوي القربى ولم يتغـير هذا الحكم إلى أن صـار أبو بكـر خليفـة فـأسقط سهم النبي وسهم أقاربه ومنع الخمس عن صاحبـه كما نقـل البخاري في صحيحـه في باب غـزوة خيـبر من أن فاطمـة طالبت أبـا بكـر ممـا بقي من خمس خيـبر فـأبى أن يعـطيهـا شيء فأعرضت عنه ولم تكلمه حتى أخر عمرها ودفنها زوجها ليلاً وصـلّى عليها وهـذا المعنى موجود أيضاً في صحيح البخاري وصحيح مسلم أيضـاً وفي تفسير الكشـاف وغيره أن أبا بكر منع الخمس من بني هاشم ، وهذا الأمر معلوم وواضح عند العـامة والخـاصة وهو مخالف لصريح القرآن . إذ ورد في سورة الأنفال الآية ٤٢ ﴿ **واعلموا أنّمـا غنمتم من شيء فـإن لله خمسه وللرسـول ولذي القـربى واليتامى والمسـاكين وابن السبيـل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا** ﴾ فأبو بكر خالف صريح هـذه الآية ولم يعـترض عليه أحد من المسلمين .

٣ ـ اتفقت جميع طوائف المسلمين على أن من مصارف الزكـاة المؤلّفة قلوبهم أي أنـه يمكن الإعطاء من الـزكاة لجلب قلوب الكفـار . والجميـع متفقـون عـلى أن هـذا الحكم استمر إلى أن توفي النبي (ص) وقد كان (ص) يصرف هذا السهم في مورده لكن أبا بكر أسقـطه بأمـر من عمر وصـار الحكم بين السنّـة إلى الآن هو إسقـاط هذا

السهم ويعتبرون أنّ من يصرف الزكاة في هذا المورد لا تبرأ ذمّته .

يقول صاحب كتاب « الجوهرة النيّرة »(١) على مختصر القدوري في الفقه الحنفي وهو من أشهر كتبهم والسنّة يتبركون به يقول في ص ١٦٤ من جزئه الأول : جاء المؤلّفة قلوبهم بعد النبي إلى أبي بكر حتى يكتب لهم كالعادة ورقة بذلك فكتب وأرسلهم إلى عمر لينفذ لكن عمر مزّق الورقة ثم عادوا إلى أبي بكر وقالوا له أنت الخليفة أم عمر فقال عمر . وأمضى الحكم الذي حكم به عمر وأسقط سهم المؤلفة قلوبهم . وهذا مخالف لصريح القرآن ففي سورة التوبة الآية ٦٠ : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله** ﴾ فذكر ثمانية طوائف لهم أسهم الزكاة فأسقط أبو بكر طائفة منهم ولم يقل المسلمون شيئاً . وهناك موارد كثيرة فليراجع القراء كتاب الفصول المهمة .

مخالفات عمر لكتاب الله :

نذكر هنا بعض مخالفاته ليتضح أن مخالفة القرآن عند هؤلاء ليست شيئاً مهما حتى إنه لو فرض ذكر القرآن اسم الإمام بالنص لخالفوا ومعه لا يصح الاشكال اللاعقلائي على الله .

١ ـ متعة النساء التي شرعت في زمان رسول الإسلام بإجماع جميع المسلمين ولم ينسخ حتى وفاة الرسول (ص) كما دلت عليه الأخبار المتواترة عن أهل البيت وصحاح السنة(٢) أنفسهم . ففي صحيح مسلم وبعدة طرق عن جابر بن عبد الله أننا كنّا نتمتع على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر ثم نهى عنها عمر » وقد استفاض النقل وصار مسلّماً أن عمر صعد المنبر وقال « متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء » . وهذا الحكم مخالف للقرآن ففي سورة النساء الآية ٢٨ : ﴿ **فما استمتعتم به منهنّ فآتوهن أجورهن** ﴾ وينقل الطبري(٣) عن أُبي بن كعب وابن عباس وسعيد بن جبير والسدي كما ينقل عنهم

---

(١) راجع الفصول المهمة .
(٢) الفصول المهمة (ص ٥٨) .
(٣) المصدر السابق (ص ٥٥) .

الكثير من المعتبرين وعن ابن مسعود أن هذه الآية نزلت في متعة النساء . إضافة إلى أن عمر يعترف على المنبر أن هذا الحكم كان في زمان النبي وأنا أنهى عنه وأعاقب من يرتكبه .

٢ ـ متعة الحج التي ثبتت بين المسلمين بالضرورة وتواترت الأخبار بين الفريقين أنها شرّعت في زمان النبي وبقيت حتى زمان عمر فنهى عنها كما تقدم بل أن إجماع السنّة[١] انعقد بعد عمر على هذا الحكم وبقائه والغوا هذا الحكم الخارج عن الشريعة . وحكم عمر مخالف للقرآن . ففي سورة البقرة الآية ١٩٢ : ﴿ **فمن تمتّع بالعمرة إلى الحج** . . . ﴾ إلى آخر الآية واجمع المسلمون أن هذه الآية نزلت في متعة الحج على أنه يكفي اقرار عمر .

٣ ـ مسألة الطلاق الثلاث فقد كان يقع متفرقاً في أيام النبي وأبي بكر وغيّرها عمر . وينقل في صحيح مسلم وهو من كتبهم الصحيحة في ص ١٧٤ من الجزء الأول بطرق مختلفة عن ابن عباس أنه في عهد النبي وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر كان طلاق الثلاث[٢] يحسب واحداً لكن عمر قال إنّ الناس تستعجل فالأفضل أن نجعل هذه الثلاث ثلاثاً فإذا قال أنت طالق ثلاثاً فهذا ثلاث تطليقات . وهو مخالف للقرآن ففي سورة البقرة الآية ٢٢٩ : ﴿ **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾ إلى أن يقول : ﴿ **فإن طلّقها فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره** ﴾ وواضح أنّ مفاد هذه الآية أن التطليقات يجب أن تقع متفرقة .

وأما مخالفاتها لأقوال رسول الإسلام فيحتاج ذكرها إلى كتاب فمن أراد الاطلاع على مجمل منها فليراجع كتاب الفصول المهمّة تأليف العلامة الكبير السيد شرف الدين العاملي .

٤ ـ عندما كان رسول الله (ص) في حال الاحتضار ومرض الموت وقد اجتمع عنده جماعة كثيرة طلب منهم أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً فقال عمر بن الخطاب « هجر رسول الله » وقد نقل المؤرخون هذه الواقعة ورواة الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد مع اختلاف في اللفظ . وجملة الكلام أن هذا الكلام اللغو صدر من

---

(١) المصدر السابق (ص ٥٧) .

(٢) أي في مجلس واحد ولفظ واحد (المترجم) .

ابن الخطاب الذي يهجر وهو كاف إلى يوم القيامة للمسلم الغيور . والحق أنهم يعرفون قدره جيداً وهو الذي تحمّل الأذى والشدائد من أجل هدايتهم وإرشادهم وبذل جهده لذلك والإنسان المؤمن الشريف الغيور يدرك بأي حال مضت هذه الروح المقدسة النور الطاهر بعد سماع ذلك الكلام من ابن الخطاب . إن هذا الهذيان الذي ظهر من بقايا الكفر والزندقة ، مخالف للآيات الكريمة : ففي سورة النجم الآية ٣ : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى علّمه شديد القوى** ﴾ وآية ﴿ **اطيعوا الله وأطيعوا الرسول** . . ﴾ وآية ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** . . ﴾ وآية ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ وغيرها من الآيات .

نتيجة الكلام في هذا المقام :

يتبين من مجموع هذه الأمور أن مخالفة الشيخين للقرآن وأمام أعين المسلمين لم يكن أمر مهماً جداً والمسلمون اما كانوا في حزبهما يوافقونهما في الأغراض أو أنهم كانوا مخالفين لهما لكن لم يجرأوا على اعلان ذلك حتى كان لهم ذلك التعامل مع رسول الله وابنته أو أنه إذا تكلم أحد أحياناً لا يعتنى بكلامه . وجملة الكلام أنه حتى إذا صرّح القرآن بذلك فإنهم لن يتراجعوا عن هدفهم ولن يتركوا الرئاسة بسبب كلام الله غاية الأمر أن أبا بكر يحل المسألة بوضع حديث كما حصل بالنسبة لآيات الإرث اما عمر فلا يستبعد منه أن يقول في آخر الأمر أن الله أو جبرئيل أو النبي قد اشتبهوا في هذه الآية فيتركها والسنّة حينئذٍ ستتبعه كما تبعوه في جميع تغييراته التي أوجدها في دين الإسلام ، وكان كلامه مقدماً على الآيات القرآنية وكلام الرسول .

نظرة في مقالة الثرثارين :

إلى الآن اتضح أن الإمامة من أصول الإسلام المسلّمة وأن أولئك الذين أخذوا هذا الموقع بالإجبار غير لائقين به وقد تبينّ الوجه في عدم ذكر اسم الإمام في القرآن . ثم إننا نجد هذيانات أخرى في المقالة الثانية حول الإمامة وهي وإن لم تكن ذات قيمة لكن كي يتضح مستوى معلوماتهم وليتبين أن العلماء عندما يعرضون عن الرد عليهم فلأنهم ليسوا أهلاً لذلك ولأن وقتهم أعزّ من أن يصرفوه في هذه المناقشات كان لا بد أن نذكر جملة من كلماتهم ونذكر الجواب ليزداد هؤلاء ذلاً .

مقالته الثانية في الإمامة :

قال : يعتبر الدين اليوم الإمامة بعد النبوة لكن في مقام العمل يعتبرونها أفضل بكثير منها إذ لم نسمع أن نبيّاً شافى أعمى أو أبرأ المريض ولم نر أن أحداً نذر نذراً للنبي لكن سمعنا ورأينا الكثير من ذلك وأمثاله بالنسبة إلى الأئمة وأبناء الأئمة . وقد سمعنا قول الرسول (ص) : « لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً » لكن هؤلاء (المؤمنين) يقولون : إذا فني العالم فقد أفناه علي » .

كأن هؤلاء الأغبياء ليس لهم أي معرفة بالمؤمنين ولا اطّلاع لهم أبداً على الكتب التي كتبوها بالفارسية والعربية وانتشرت بين المسلمين بل لعل العجائز والأطفال لديهم شيء من الاطلاع على ذلك . أم أنهم يريدون أن يخدعوا الناس فيشيعون الأكاذيب والتهم بلا حياء وينسبونها للمؤمنين . وقد ذكرنا فيما مضى أنه قد نقل في كتبنا العلمية حتى شرح التجريد للعلامة (الحلي) بشكل مختصر معجزات الرسول (ص) ولعلهم معذورين فإنهم قاصرون عن فهمها لكن كان اللازم أن يقرأوا على الأقل كتب العلامة المجلسي التي كتبها باللغة الفارسية حتى لا يبتلوا بهذه الجهالة والذلة ، صحيح أنّ الناس لم تعد تميل إلى هذه الكتب وما دامت الأكاذيب وخرافات القصص التي ينشرها الأوروبيين بطريقتهم الخاصة وينشرون الأغراض الفاسدة المسمومة بين شبابنا ويسلبونهم روح الشهامة والشجاعة والرجولة ويبثون فيهم روح الهوى واللاعفة والانغماس فيها فلن يعتنوا بهذه الكتب لكن يوجد بينهم ما تبقى من القديم ولهم اطلاع على هذه الكتب وقد يوجد في منازل الكثير منهم بقيّة من عهد التدين . ونحن نذكر هنا بعض عبارات كتاب حق اليقين للمرحوم المجلسي ليتبين درجة معلومات وإدراكات هؤلاء الأغبياء الكاذبين الباحثين عن الفتن . وإذا أرادوا أن يشتهروا من خلال هذا الطريق فليدخلوه الآن .

يقول المجلسي في ص ١٢ من كتاب حق اليقين : « القسم الأول في بيان مجمل من بقية معجزاته (ص) : اعلم أن الحق تعالى لم يعط أي نبي معجزة إلا وأعطاه الله مثلها وأزيد ومعجزاته (ص) لا تحصى وقد ذكرت في الكتب الأخرى أكثر من ألف معجزة » بعد ذلك يدخل في بيان معجزات الرسول (ص) بالتفصيل وذكر أقسامها إلى أن يقول : القسم الرابع : استجابة دعاء الرسول (ص) في احياء الأموات وإبصار الأعمى وشفاء المرضى وهذا النوع أكثر من أن يحصى » . وإذا اطّلع الإنسان

على كتب علماء الإسلام والأخبار من طرق الشيعة والسنّة بشكل مجمل يعي جيّداً أكاذيب هؤلاء ولا أظن أنه يوجد بين المسلمين وكثير من ملل اليهود والنصارى والطوائف الأخرى من يقول لم نسمع أن النبي شافى من العمى أو يشفي المريض . إذن لا يمكن القول إنهم يقولون ذلك عن جهل بل هم يتعمدون الكذب يريدون الخيانة . ولعلهم يريدون القول أننا لم نر شيئاً من قبر النبيّ لكنّا سمعنا الكثير عن قبور الأئمة وهذه إشارة مهمة لأننا لسنا في جوار ذلك القبر الشريف حتى نرى ولذا لم نر شيئاً من قبور أئمة البقيع أيضاً اما قبور الأئمة الأخرى فإنه يزورها كل سنة مئات الآلاف فقد تتعلق إرادة الله مرة كل كذا سنّة في أن يشفي أحداً عند قبورهم . وأنتم أيضاً لو التجأتم إلى تلك القبور وطلبتم من الله أن يشفيكم من داء الجهل والمماراة وهذا أسوأ الأمراض فقد يشفيكم الله ولا يجوز اليأس من رحمة الله الرحيم .

ثم إن المؤمنين لا ينسبون كل كرامة إلى الإمام أو ابن الإمام . صحيح أنهم أكثر دقة من الآخرين وأن علماءهم آخر من يصدّق بذلك منهم لا يصدقون إلا إذا ثبت ذلك ضمن المعايير فإن الله على كل شيء قدير . لكن لا يردون كل شيء بلا مبرر كما لا يثبتون كل شيء بلا دليل وهذه علامة التعقل والتدين فإن من يرد شيئاً بلا دليل كمن يقبله بلا دليل فيه انحراف عن التعقل والتدين .

أما الاشكال بـ لماذا لا ينذرون للنبي فكلام عاميّ لأن الذين ينذرون ينذرون لمن هم في جوارهم من الأئمة أو أبناء الأئمة ويضيئون لهم الشموع ليستجلبوا خيرات مقصودة ولذا لم يسمع عن أحد أنه نذر لأئمة البقيع . فليس ذلك إذن لأجل أن المؤمنين يفضلون الأئمة أو أبناء الأئمة على النبي . وإلا فلو صح هذا الكلام لكان عليكم أن تقولوا أيضاً أن المؤمنين يفضّلون أبناء الأئمة على الإمام الحسن والإمام الباقر والإمام الصادق(ع) وهذا ما لا تلتزمون به أنتم أنفسكم .

ويجدر القول إن النذر للنبي أو الإمام أو أي شخص آخر هو فيها إذا كان النذر شرعياً وصحيحاً أي ينذر لله وأمراً راجحاً مع صيغة النذر ويهدي ثوابه للنبي والإمام وإلا لكان لغواً باطلاً وأحياناً يكون تشريعاً محرّماً .

إشتباه وكذب :

هؤلاء الباحثون عن الفتن لا يتراجعون عن ضغينتهم للأئمة ولذا يبرزون الأمر الواضح بصورة سيئة فيقولون : « لماذا تعقد كل هذه المجالس وتكتب الكتب في

فضائل الأئمة والسادة ولا نرى ذلك بالنسبة للنبي (ص) ولماذا هذه المنافسة واللحاجة » .

غير معلوم مع من نحن في لجاجة ، أو ليس رسول الإسلام نبيّنا ونبي السنّة حتى نكون في منافسة بين النبي والإمام كان اللازم أن تقولوا لماذا لا تكتبون في فضائل أبي بكر وعمر ولا تعقدون لهما المجالس ليصح طرح قضية المنافسة . وعلى كل حال فما ذكروه اشتباه لأننا نذكر أيضاً فضائل الرسول (ص) كما أن له معجزاته التي لم تثبت للأئمة وما كتب في غزوات وسيره الرسول (ص) وسائر ما يرتبط به (ص) لم يبلغ ما كتب عن غيره مقدار نصفه نعم كتبت في المصيبة كتباً وأكثرها في مصيبة الإمام الحسين فوجّهوا أشكالكم على المسلمين الأوائل ان لماذا لم يقتلوا الرسول كما قتل الحسين ولم يقع عليه كل ذلك الظلم حتى يكتب كتاب حول ذلك . والمجالس التي نقيمها باسم مجالس العزاء جميعها دروس في الأخلاق والأحكام والعقائد بعد ذلك تذكر مظلومية ذلك الشهيد الذي ضحّى في سبيل الدين وهذا من بركات مذهب الشيعة المستمرة حتى الآن والتي صانت أحكامهم مع كونهم أقلية مطلقة وقد حافظوا على الوطن والدولة بشكل كامل لأن أساس بلد وتدين الشيعة يرتكز على ذلك فإن حفظ الحكومة من الوحدة الوطنية وهذا الشعار المذهبي أفضل أساس لحفظ الوحدة الوطنية ومعها لا تتزلزل أية حكومة .

افتراء على المؤمنين

قالوا : يعتقد المؤمنون أن الشرّ من الله والخير من الأئمة . وإن النبي لا دور له بدليل أننا إذا مرض لنا مريض تقول ممرضته هكذا شاء الله وعندما يتحسّن تقول هذا ببركة الأئمة الأطهار .

لم يفكر هذا الكاتب أن هذه الأوراق التي تنشر بين الشيعة سيعرفون أنها كذب بلا حاجة إلى أية توضيح ومن دون أي تأمل . لكن أقول إن هذا الكاتب لم يفهم كلام الممرضة إذ لو فهمه لما ذكر هذا الاشكال السخيف . أما القول بأن المرض أمر شاءه الله فكلام صحيح إذ لا يمكن لأحد أن يلغي إرادة الله حتى عن السيئات كما قال تعالى ﴿ **قل كلّ من عند الله** ﴾ وأما القول بأنه تحسن ببركة الأئمة الأطهار (ع) فليته سأل هل لله دور في ذلك أم أن الأئمة الأطهار هم قاموا بالعمل بدل الله حتى يسمع

الجواب من الممرّضة العجوز . ولا زال هنا مجال فنسأل جميع الشيعة كباراً وصغاراً شباباً وشيوخاً هل لا تعتقدون أن الحسنات من الله وأن السيئات هي فقط منه أم أن الجميع من الله غاية الأمر أن تحسّن المريض لما كان مع توسّل قيل هذا من بركاتهم . لا بد أن تلك المرأة التي قالت ذلك كانت قد استشفعت بالأئمة وإلا فإنها تؤمن بأفضلية النبي من الأئمة وبأن شفاعته أكثر قبولاً عند الله . وأنت لم تفهم كلامها . وكثيراً ما يمرض المريض فيقال أراد الله ذلك ثم يذهب إلى الطبيب فيقال شفاه الدكتور الفلاني إذن هؤلاء ينسبون الشر إلى الله والخير إلى الطبيب ولا دور للأنبياء والأئمة هنا .

إنّ لنا الحق أن نقول إن من سخافات الدنيا أن يدخل المؤمنون في مناقشة مع هذا الجاهل .

مصدر عقيدة العوامّ :

يرى هذا الكاتب أن جريمة العوام أنهم يأخذون عقيدتهم من الأحاديث الصحيحة ثم ينقل عدة أحاديث تخيّل بذلك أنه حقق فتحاً عظيماً فلا محيص عن الدخول في البحث في هذه الأحاديث[1] بقدر فهمه لتتضح جهالته .

فمنها الحديث الذي يرويه أبو حمزة عن الإمام علي بن الحسين (ع) .

ومنها الأحاديث التي تقول إن جبرئيل كان يأتي فاطمة بعد وفاة النبي ويخبرها عن الغيب وأمير المؤمنين يكتب ذلك وهو مصحف فاطمة .

اعترض على هذه الأحاديث بثلاثة إشكالات :

أحدها : إن القرآن يقول ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك** . . . ﴾[2] ولم يذكر اسم المنزل بالوحي وأنه جبرئيل .

ثانيها : إن الملائكة لا أجنحة لها ولم يرد في القرآن ذلك .

ثالثها : إن هذه الأحاديث إذا صحّت فيجب أن يكون في الإسلام أربعة عشر نبيّاً بدل الواحد .

---

(١) وسنبحث في مقالة الحديث في الأحاديث بشكل عام .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٩٤) .

والجواب عن الإشكال الأول أنه كان اللازم عليه وهو يريد أن يعترض على فخر الدين والمؤمنين أن يقرأ القرآن ولو مرة حتى لا يبتلى بالفضيحة . وإليكم آية ذكرت اسم جبرئيل ونزوله بالوحي ليتضح أن هؤلاء الجهال لا يعرفون القرآن أو يتعمدون الكذب فقد يوجد من لا خبر له بالقرآن فيصدّق قولهم ويحققون من خلاله أغراضهم وهو إخراج الناس من الدين وإن كان مع خروجه يصير العدد اثنين . ففي سورة البقرة الآية ٩١ : ﴿ **قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله** ﴾ .

والجواب عن الإشكال الثاني يظهر أيضاً بالرجوع إلى القرآن الكريم ففي سورة فاطر الآية ١ : ﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ويزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير** ﴾ فماذا تفعلون بهذه الفضيحة أتعترفون بها وبجهلكم وغبائكم أم تحذفون هذه الآيات من القرآن ليظهر لغوكم بشكل الصحيح لكن مع ذلك لا تصح بذلك هذياناتكم إذ حتى لو فرض أن القرآن لم يذكر اسم جبرئيل ولم يتحدث عن أجنحة الملائكة فهل يصير هذا دليلاً على أن جبرئيل ليس ملكاً أو أن الملائكة بلا أجنحة . وإذا بني ـ كما تقولون ـ على أن ما لم يذكر في القرآن فهو غير موجود إذن جميع الموجودات في العالم خيال وغير موجودة . وإنما أتيتم بهذه الهذيانات لأنكم لم تقرأوا حتى المنطق الفارسي وغفلتم عن المنطق الذي وهب الله عباده لأن الأطفال الصغار يعلمون أيضاً أن عدم ذكر اسم في القرآن ليس دليلاً على عدم وجود شخص أو على أن اسمه ليس كذلك .

معنى النبوة :

وأما الإشكال الثالث من أنه إذا كانت تاتيهم الملائكة فيجب أن يكون في الإسلام ١٤ نبياً فهو ناشيء من الجهل بمعنى النبوة فظننتم أن النبي هو كل من يرى الملائكة أو تعلم منها شيئاً وهذا خطأ كبير لأن معنى النبوة والرسالة إن الله يختار شخصاً لتأسيس الشريعة وتبليغ الناس الأحكام والتشريعات من خلال ما يأتيه بواسطة الملائكة أو بدون واسطة وكل من كان كذلك فهو نبي أي هو المأمور بالتبليغ سواء نزلت عليه الملائكة أم لم تنزل ومن ليس كذلك فليس بنبي سواء رأى الملائكة أو لم يرها فلا ربط إذن بين النبوة وبين رؤية الملائكة .

دليل من القرآن :

وفي القرآن آيات تدل على أن أشخاصاً ليسوا بأنبياء رأوا الملائكة بل جبرئيل وتحدثوا معه وهذه نماذج منها تفضح هؤلاء الثرثارين . ففي سورة آل عمران الآية ٣٧ : ﴿ **وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين** ﴾ ثم يحكي الله قصة مريم وفي الآية ٤٠ تخبر الملائكة مريم عن كثير من حالات عيسى المسيح ومعجزاته ويحدثونها عن الغيب . وفي سورة مريم الآية ٧١ : ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً** ﴾ وقضية ذهاب وإياب الملائكة وجبرئيل مع مريم مذكورة في القرآن كثيراً وتنقل الأخبار الغيبية التي أخبروها لمريم . وفي سورة هود الآية ٧٤ قصة رؤية زوجة إبراهيم للملائكة وتكلمها معهم واخبارهم لها عن الغيب وفي سورة البقرة الآية ٩٦ حكاية الملكين هاروت وماروت اللذان علّما أهل بابل السحر . وحينئذٍ فإما أن تحذفوا هذه الآيات وأمثالها من كتاب الله حتى تتم خديعتكم واما أن تقولوا إن مريم وزوجه إبراهيم وجميع أهل بابل كانوا أنبياء .

نتيجة الكلام ومذلة الثرثارين :

وحاصل الكلام أن النبوة التي شأنها تبليغ التشريع عن الله والإمامة التي شأنها حفظ القانون وبيانه وتعليمه للناس لا ربط لهما برؤية الملائكة والتعرف منهم على شيء من أمور الغيب أو غير ذلك . فيمكن لأحد أن يعرف من الملائكة أخبار المستقبل والماضي وتحصل له منهم علوم كثيرة دون أن يكون نبياً ولا إماماً كمريم التي أخذت من الملائكة أخبار عيسى ونبوته وأقواله ومعجزاته مع أنها ليست نبياً ولا إماماً . وعليه فإذا أرسل الله الملائكة إلى بنت رسول الإسلام إكراماً له وهو أعظم الأنبياء وأشرف موجودات عالم الإمكان لتسليتها عن موت أبيها ومما لاقته من أذىً من أمّة أبيها ، واطلاعها على أخبار العالم والغيب فأين الخلل في ذلك وكيف يلزم وجود ١٤ نبياً . ومن أنتم حتى بهذه المعلومات الكثيرة والعقل غير المتناهي تحدّدون تارة الأعمال الإلهية وأحياناً أخرى تحدّدون دور النبي الم يكن من الأفضل لكم أن تبقوا أرجلكم على بساطكم لا تمدونها أكثر من ذلك ، من أن تزعجونا بلا فائدة .

نظرة إلى اخبار التقية :

هؤلاء الجهال وعلى عادتهم يواجهون المؤمنين بكل ما يسمعون سواء فهموا أم لم

يفهموا ولذا يضيعـون في الحديث ولا يعـرفون رحلهم من أيـديهم وينتقلون من غصن إلى غصن ومن دون أية مناسبة . ولا رعاية لآداب الكلام . فدخلوا في أخبار التقية . قال : « قال زرارة سألت الإمام عن شيء فأجابني بجواب فجاء آخر وسألـه عن نفس ذلك الشيء فأجاب بجواب آخـر ثم جاء ثـالث وسأل ذات السؤال فـأجاب بجـواب آخر فقلت قد أجبت ثلاثة أجوبة عن سؤال ثلاثة من شيعتك والسؤال واحد . فقـال ذلـك ليقع الخـلاف بينهم فلا يعـرفون ؟ فـإذا كانت هـذه الأحاديث الصحيحـة فماذا نقول ؟ » .

ولست أدري كيف ابتعدوا بالكلية عن حكم العقل فكتبـوا كل مـا جرت عليـه أقـلامهم مهما كـانت النتيجة . وإلا فـإن جواز بـل وجوب التقيـة من أوضح أحكـام العقـل ومعنى التقية أن يقـول الإنسان حكـماً على خـلاف الواقـع أو يقوم بعمـل على خلاف الشريعة حفظاً لدمه أو ماله أو عرضه أو دم ومال وعرض غيره . مثلاً الوضـوء في حكم الله أن تغسل اليد من المـرفق وأن تمسح الـرجل ويـرى بعض السنّة وجـوب غسل اليد ابتداءً من رؤوس الأصابع حتى المرفق وغسل القدم أيضاً . فإذا فـرض أن شخصاً تعرض لخطر إذا كان بين السنّة وأراد يتوضأ بـوضوء الشيعـة أو تتعرض حيـاة مسلم آخر لخطر فحكم الله هنا وجوب التوضؤ بوضوئهم ولا يلقي نفسه في الخـطر . وهذا الحكم مطابق لحكم العقل القطيعي إذ لا عقـل يقول في هـذه الصورة بـوجوب الـوضوء بـوضـوء الشيعـة حتى لـو أدى ذلـك إلى تعـريض روحـه أو أرواح المسلمـين الآخرين للخطر . وكـل من اطلع على التـاريخ يعلم أن زمـان الأئمة زمـان في غايـة الصعوبة على الأئمة وشيعتهم تحتاج إلى تقية كـاملة بحيث لو عـرف سلاطـين وخلفاء ذلـك الزمـان الشيعة لأخـذوهم وقضوا عـلى أرواحهم وأمـوالهم وأعـراضهم والأئمـة مأمورون من النبي بحفظ أرواح وأعراض الشيعة كيفما كان ولذا كانوا أحياناً يحكمون على وفق التقية خـلافاً للحكم الإلهي الأولي لكي يحصـل الاختلاف بـين الشيعة فـلا يعرف المخالفون أنّ أحكامهم يأخذونها من مصدر واحد فلا يترتب عـلى المسلمين من ذلـك أذى . وأنت تقول « مـاذا نقول إذا كـان هذا الحـديث صحيحاً » وهـو المـوافق لحكم العقل والذي هو من الأوامر الخاصة لرسول الله . فإذا تريـد أن تقول : أتقـول أن لا يتوضأ الشخص على خلاف الحكم الأولي الإلهي ليتعرض المجتمع للفناء وتصير الأرواح والأعراض عرضة لذلك .

دليل من القرآن :

وهـذا وإن لم يكن بحاجـة إلى شيء إلا حكم العقل الـواضح وكـل من له أدنى حظ من العقل يعي أن التقية من أحكام الله القطعيـة كما ورد أن « لا تقيـة له لا دين له » لكن نذكر أيضاً لـذلك دليـلاً من القرآن ففي سـورة النحل الآيـة ١٠٨ : ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بـالإيمان** ﴾ نـزلت في عمار بن يـاسر الذي أكرهه الكفار على الكفر فأظهر الكفر وقال ما طلبوه منـه من شفاعـات ثم بكى وأتى الرسول فنزلت هذه الآية وأجازت التقية .

نظرة أخرى في الإمامة :

بعـد أن بيّنا أن الإمـامة من أصـول الإسلام المسلّمـة وأن القرآن أوضـح الأمر بالمقدار المطلوب ولم يكن في صلاح الإسـلام والمسلمين بيـان أكثر من ذلـك ، لا نجد الحـاجة إلى متـابعة البحث لكن لما أريد في هـذا الباب تضييـع الحق كـان لا بـد من الإكمال ليتبينّ صحة كلامنا ولا يبقى محل شبهة عند أحد .

يقول ذلك الجاهل : « يقولون يخاف النبي أن يقول شيئـاً عن الإمامـة ولا يقبل الناس والحال أن القرآن والتاريخ يدلّان على أن النبي لم يكن عنده أي تحفظ تجـاه أي عمل .

وقد أثبتنا في بداية هذه المقالـة أن النبي كان يخشى من أن يضرب القـرآن بعده إذا ذكر الإمام فيـه بالاسم والـرسم أو أن يشتد الخـلاف بين المسلمـين بحيث يوجب القضاء على الإسلام بالكليـة . ونأتي هنـا بدليـل من القرآن عـلى أن هناك تحفـظاً من إظهار الإمامة بالاسم والرسم وأنه كان يخشى من المنافقين .

الدليل من كتاب الله :

ففي سورة المائدة الآية ٧١ : ﴿ **يـا أيها الـرسول بلّغ مـا أنزل إليـك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ نزلت يوم غدير خم للتبليـغ بإمامة علي بن أبي طالب باعتراف أهل السنّة ونقلهم ذلك بطرق معتبرة عن أبي سعيـد وأبي رافع وأبي هريرة وبإتفاق الشيعة . وسـورة المائـدة آخر مـا نزل من القـرآن وهذه الآيـة والآية الشريفـة ﴿ **اليوم أكملم لكم دينكم . .** ﴾ نـزلت في حجة الـوداع آخـر حجة للنبي وبين نزول هذه الآية ووفاة النبي شهران وعشرة أيام لا أكثر . ومعلوم أن

الرسول حينئذاك كان قد بلّغ جميع الأحكام كما بيّن ذلك الرسول (ص) في خطبة يوم غدير خم ، يعلم من ذلك أن هذا التبليغ متعلق بالإمامة وقد وعده الله أن يعصمه ويحفظه وهذا دليل على أنه سيبلّغ شيئاً من هذا القبيل وإلا لم يكن عند الرسول في تبليغ جميع الأحكام أي خشية أو تحفظ ، والحاصل أن هذه الآية من خلال هذه القرائن والأحاديث الكثيرة تدل على أن النبي كان يخشي من الناس في أمر تبليغ الإمامة وإذا راجع الإنسان التواريخ والأخبار يفهم أن خشيته كانت في محلّها إلا أنّ الله أمره بالتبليغ ووعده بالحفظ وقد بلّغ وسعى كل سعيه في ذلك حتى آخر نفس إلا أن الحزب المخالف لم يدعوه يكمل العمل .

أجوبة ابتدعوها :

كان على هؤلاء الجهال أن يقولوا مع من بحثوا في هذه المقال وعمّن ينقلون هذه الأجوبة السخيفة . فالمقطوع به أن لا وجود لأحد بل هي أجوبة اخترعوها ونسبوها للمؤمنين ليحقروهم في نظر الناس . هنا أيضاً ابتدعوا جواباً لا قيمة له نسبوه للمؤمنين . قال الكاتب « ويقولون أيضاً : قد صرّح في القرآن كثيراً حول الإمامة إلا أن أولئك حذفوه » .

مع من تحدثتم في هذه المسألة وأجابكم بهذا الجواب . لعلكم رجعتم إلى بعض الكتب أو بعض الأخبار التي يظهر منها للوهلة الأولى وبالنظرة الساذجة ذلك المعنى من أن القرآن حُذف منه شيء . وهذا من عيوبكم ترجعون إلى الأخبار مع هذا المستوى الذي لديكم في العلم والعقل ، وتقرأون الكتب العلمية تريدون فهم الأخبار وكتب العلماء . هذه ليست قصصاً وحكايات يمكنكم مراجعتها وفهمها . إن رجوعكم لتلك الكتب هي بالضبط كرجوع المزارع إلى الفلسفة العليا أو مطالعة الحمّامي للرياضيات العالية . إن فهم الكتب العلمية يحتاج إلى تخصصّ . ولما دخلتم في عالم الأخبار على عماكم كانت هذه هي النتيجة أن الإمامة مذكورة في القرآن لكن حذفت آياتها . إن تلك الأخبار مرجعها إلى التفسير والتأويل نحن نقول المراد بأولي الأمر في القرآن وأهل الذكر في آيات كثيرة وأهل البيت في آية التطهير والصادقين في آية ﴿ **كونوا مع الصادقين** ﴾ وحبل الله في آية الاعتصام بحبل الله وصراط الله والصراط المستقيم والمؤمنين في آية ﴿ **إنما دليلكم الله** . . . ﴾ والإمامة في آية ﴿ **إنه عرضنا الأمانة** . . ﴾ ومئات الآيات ، المراد الإمامة والأئمة لا أن اسم الإمام قد ذكر

في القرآن بخصوصه . وما نقوله ليس مستنداً فقط إلى أخبار الشيعة بل نقل أهل السنّة ذلك أيضاً وهو مسطور في كتبهم فليراجع من أراد ما كتب في هذا المجال . وكثير منها موجود في كتاب غاية المرام وإجماله موجود في المراجعات تأليف العلامة الكبير السيد شرف الدين العاملي المعاصر . فراجعوا .

نعم هنا شيء . هو أن بعض الاخباريين والمحدّثين من الشيعة والسنّة لم يعتن بشأنهم العلماء قد خدعوا بظاهر بعض الأخبار وأظهروا مثل هذا الرأي لكن ردهم العلماء ولم يعتن بكتابهم في المجتمع . إذن لا يجوز أن ننسب إلى المؤمنين كلاماً غير موزون والحال أنهم لم يقولوه ولن يقولوه وقد ذكرنا أن ذكر اسم الإمام في القرآن لم يكن في صالح الدين أبداً .

سرقة من البهائية :

بعد أن أنكر الميرزا أبو الفضل الگلپايگاني البهائي معجزة الأنبياء كليّة وتبعه هؤلاء كما بيّنا ، كي يتمكنوا من أن يضعوا قدمهم عند البهائية ، اعتبر أن دليل النبوة نفوذ الكلمة[1] أي تأثير القول في الناس . وهؤلاء المثرثرون تكلموا بكلام أسخف منه وسرقوا هذا الكلام من الميرزا أبو الفضل البهائي وواجهوا به المؤمنين . فقال : « إن الدليل الكبير على صدق النبي القرآن والدليل الآخر تأثير أقواله في أصحابه ويقولون إن الأول قد بُدّل وأنه ارتد الناس بعد رسول الله إلا ثلاثة » .

القرآن من معجزات النبي الكبرى وقد اتضح ان ما ذكره بالنسبة إلى تبديل القرآن هراء . لكن تأثير كلام النبي ليس دليلاً على النبوة أبداً إذ قد يوجد أشخاص ضعاف النفوس يقبلون كلامه بمجرد إظهار مقدار من الحيلة والحذاقة ، كما أنه في جميع المذاهب الباطلة يوجد عدداً ـ قل أو كثر ـ من تابعيها يقبلون كلامها إذن جميع هذه المذاهب صحيحة في آن واحد كما أن اتباع مذهب بوذا أكثر من أتباع سائر المذاهب والأديان مع أنه معلوم البطلان للجميع . وأما معنى ارتد الناس بعد رسول الله فهو تراجعهم عن البيعة التي قدّموها لأمير المؤمنين في حجة الوداع لا الارتداد عن دين الإسلام وارتدادهم عن البيعة ثابت بالتاريخ والأخبار المتواترة عن السنة والشيعة

---

(١) في فرائد الميرزا أبو الفضل الگلبايگاني جعل نفوذ الكلمة دليلاً وأنكره ، فليراجع كتاب الهداية المهدوية لمجد العلماء الأردكاني .

إلا الثلاثة أو السبعة الذين لم يرتدوا أبداً لا بقلوبهم ولا في ظاهرهم أي لم يظهروا الموافقة مع مخالفي علي (ع) وإلا فإن الذين لم يرتدوا عن بيعة علي (ع) باطناً هم أكثر من ذلك بل يزيد العدد عن المئتين ذكرهم السيد الكبير السيد شرف الدين في كتاب الفصول المهمة باسمائهم وعلاماتهم . وقد اعتبروا في كتب الاستيعاب والإصابة وأسد الغابة وسائر كتب السنّة المعتبرة من شيعة علي واعترفوا بشيعة هذه العدة من الأصحاب .

تقليد أعمى :

نطق بعض أعداء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بكلام كله كذب وتبعه هؤلاء الجهال عن عمى نذكر كلامهم ونبين الخطأ والكذب ليزدادوا ذلاً .

« كانت الإمامة في صدر الإسلام أمراً بسيطاً أو سياسياً سكت عنه القرآن والمسلمون لكن فيما بعد صوّر زعماء إيران الإمامة بهذا النحو ليخرجوا عن حكم الخلفاء العرب أو الأتراك » ثم يذكر الدليل على ذلك بـ « أنّ بين الكتب قبل زمان الصفوية وكتب ما بعدها فرقاً بالنسبة للإمامة . فالكتب بعد الصفوية برز فيها الكثير من الغلو والتعظيم » . وحاصل كلامه « أن مذهب التشيّع من بدع الصفوية كي تتقدم أعمالهم واستمر الأمر فيما بعد على هذا اللون » يقول ذلك الرجل الجاهل الأفيوني في كتاب الشيعة « الشيعة قوجدت في زمان بني أمية ثم أخذت تتخذ طابعها في زمان جعفر بن محمد وغيره » .

سنذكر هنا مختصراً من تاريخ الشيعة مستندين إلى أقوال التاريخ وأخبار أهل السنّة لتتضح خيانة هذا الأفيوني الجاهل وقيمة أقوال هؤلاء المفسدين .

جواب المقال بحكم العقل :

وقبل ذلك أثبتنا بحكم العقل أن الإمامة التي تعني حفظ الدين يجب أن تكون من مسلّمات دين الإسلام . وإنه حتى لو كان مشرّع الإسلام شخصاً عادياً عاقلاً كان عليه أن يحدد تكليف المؤمنين لمرحلة ما بعده . فنقول إن الله الذي شرّع التشريعات لحياة البشر وسنّ أحكاماً لسعادة هذا الدار وتلك الدار كان لا بد ـ وبحكم العقل ـ أن تكون تشريعات وأحكام أراد الله والنبي لها أن تطبّق لا ضد ذلك . وهذا لا يحتاج إلى دليل بل هو من أحكام العقل الواضحة فإن كل مشرّع إنما يضع قانونه ليكون

عملياً لا لمجرد أن يكتب ويقال . ولا بد أن لا تنحصر هذه القوانين والأحكام الإلهية بحياة النبي بل اللازم تطبيقها بعده أيضاً كما هو واضح ، ونحن نثبت فيما بعد أنه لا بد حينئذٍ أن يعيّن الله العارف بكلام الله وكلام النبي بالتفصيل ومن لا يخطىء في تنفيذ أحكام الله ولا يخون ولا يكذب ولا يظلم ولا يبغي لنفسه نفعاً ولا طمعاً ولا رئاسة ولا جاهاً ولا أن يتخلف عن التشريع ولا يدعو أحداً للتخلف عنه ولا يتحسر على نفسه ومصالحه في سبيل الله . وهذا هو معنى الإمامة وهذه هي أوصاف الإمام وهي لم توجد إلا في علي بن أبي طالب[1] كما شهد بذلك التاريخ المعتبر والأخبار المتواترة من السنّة والشيعة . فما هو حكم العقل هنا فهل يحكم أن التشريع إنما وضع كي يكتب والقرآن إنما أنزل كي يقرأ أم أريد إجراء الأحكام المشرّعة وإذا أريد ذلك فهل هذا مختص بعصر الرسول أم يشمل ما بعده وحينئذٍ اما أن تلتزموا بوجوب نصب شخص لتنفيذ القانون أو أنه يدع الأمر لكل شخص حسب ما يريد ويفهم . ولازم الثاني الهرج والمرج لأن تنفيذ القانون مرتبط بنظر المشرّع لا كما يحلو لأي شخص فإن الناس تختلف في ذلك بالضرورة والله لا يريد الهرج والمرج ولا يخطىء إذن لا بد من تعيين طريق كي يطبق القانون وذلك الشخص يجب أن يتحلّى بالصفات التي أشرنا لها سابقاً كي يحصل المقصود وعليه فبحكم العقل كما أن للدين والقرآن أهميتهما عند الله والرسول كذلك يجب أن تكون الإمامة لأنها القوة الإجرائية والإجراء هو المقصود الأصلي من الدين والتشريع وعليه فإن تشريع القانون يصير لغواً خالٍ عن الفائدة بدون الإمامة وهذا مخالف لحكم العقل فبالإمامددة يكمل الدين ويتم التبليغ فظهر معنى قوله تعالى في حجة الوداع بعد نصب أمير المؤمنين (ع) للإمامة كما شهد بذلك أهل السنة واتفق عليه الشيعة ، في الآية رقم ٥ من سورة المائدة ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ والواضح أن الإمامة لو تمت كما أراد الله وكما بلّغه النبي وسعي إليه لم تكن لتقع جميع هذه الاختلافات في بلاد الإسلام ولم تكن لتقع كل هذه الحروب وسفك الدماء ولم تكن لتحصل كل هذه الخلافات في أصول الدين وفروعه . بل لم يكن ليقع الاختلاف بين مجتهدي الشيعة الذي يجب اعتبار يوم السقيفة من أسبابه لأن اختلاف الآراء ناشيء عن اختلاف الأخبار واختلافها ناشيء عن صدور بعضها تقية كما تقدم الحديث عن ذلك فلو

---

(١) ذكرنا فيما سبق شيئاً من مخالفات أبي بكر وعمر للقرآن فمن أراد المزيد فليراجع الفصول المهمة .

وصلت الزعامة إلى أهلها لم يكن للتقية مورد . فإذن ما حصل للمسلمين إلى الآن هو من آثار يوم السقيفة .

جواب المقال بالقرآن :

ذكرنا بعض الآيات القرآنية الواردة في باب الإمامة وبيّنا أن الإمامة من أصول الإسلام وبيّنا من هو الذي يجب أن يكون الإمام . وهنا نشير إجمالاً إلى بعض الآيات وبعض أخبار السنة الموافقة لنا في هذا الموضوع كدليل[1] حتى يتضح ما أعطاه الله من أهمية لهذا الموضوع في القرآن وأن الإمامة لم تكن أمراً بسيطاً أو سياسياً سكت عنه القرآن والمسلمون كما زعم هؤلاء الجهال . بل أن الله وحتى المخدرات[2] من المؤمنين قالوا كلمتهم وسعوا سعيهم لكن حزب طلّاب الدنيا وطلّاب الرئاسة كانوا الأكثرية دائماً ولم يدعوا للتدين الذي يرتكز على العدالة وترك الشهوات وتجاوز الذات أن يجري مجراه . ولنذكر الآيات الآيات من القرآن التي نزلت في علي وإمامته بشهادة السنة المخالفين لإمامة علي (ع) .

١ ـ سورة المائدة الآية ٥ : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ . وذكر في غاية المرام باب ٣٩ ستة أحاديث من أحاديث أهل السنّة أنها نزلت يوم غدير خم عندما نصّب رسول الله علياً للإمامة . وفي أكثرها أن النبي قال : الله أكبر على إكمال الدين وتمام النعمة ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي .

٢ ـ سورة المعارج الآية ١ : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع** ﴾ ولما سمع النعمان بن الحرث أن النبي نصّب أمير المؤمنين يوم الغدير للإمامة جاء إلى النبي وقال : يا محمد أمرتنا عن الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع[3] ابن عمك ففضّلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله . فقال رسول الله (ص) : والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله فولّى النعمان يريد راحلته

---

(١) غاية المرام ، باب ٣٩ ـ ٤٥ .

(٢) إشارة إلى احتجاج فاطمة الزهراء بنت الرسول في خطبتيها المعروفتين وقد نقلها أهل السنة أيضاً ، راجع المراجعات ص ٣٧٥ .

(٣) الضبع : العضد كلها أو وسطها أو الإبط (المترجم) .

وهو يقول : اللهم إن كان مايقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء واتنا بعذاب أليم . فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله وأنزل : سأل سائل بعذاب واقع » وقد نقل هذه القضية الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير والعلامة المصري الشلنجي في كتاب نور الأبصار والحلبي في الجزء الثالث من سيرته في حجة الوداع والحاكم في المستدرك ص ٥٠٢ من الجزء الثاني . وهم من معتبري أهل السنّة .

٣ ـ سورة المائدة الآية ٦٠ : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ وقد نقل عن أهل السنة[1] ٢٤ حديثاً في أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب وهذا حديث منها .

ينقل الحمويني وهو من أعاظم علماء أهل السنة والثعلبي بإسناده عن عباية بن ربيعة أن ابن عباس كان جالساً على بئر زمزم يحدّث عن النبي (ص) فجاء شخص واضعاً عمامة على رأسه قد غطّى وجهه فكلما حدّث ابن عباس بحديث ذكر ذلك الرجل حديثاً فقال له ابن عباس بالله عليك من أنت فرفع العمامة عن وجهه وقال من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت النبي بهاتين الأذنين وإلا صمّتا ورأيت بهاتين العينين وإلا عميتا أنه قال علي إمام المتقين وقاتل الكفار اللهم انصر من نصره وأخذل من خذله واعلموا أنني صليت يوماً مع رسول الله صلاة الظهر فجاء سائل يطلب شيئاً فلم يعطه أحد فقال السائل اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله (ص) ولم يعطني أحد شيئاً وكان علي (ع) راكعاً فأومى بخنصره اليمنى فأقبل حتى أخذه من خنصره وذلك بعين رسول الله فلّما فرع رسول الله من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم أن أخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري واشركه في أمري فأنزلت عليه قرآناً « ستشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما » اللهم وأنا محمد نبيك وصفيّك اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به أزري فقال أبو ذر فوالله ما استتم رسول الله (ص) الكلمة حتى نزل جبرئيل (ع) من عند الله فقال يا

---

(١) غاية المرام .

محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الـذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ .

وينقل الموفق بن أحمد وهو من علماء السنة أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية « أنه نزلت أمور في القرآن في علي لم يشاركه فيها أحد » وعدّ منها هذه الآيـة . ويقول ابن شهر آشوب : اجمعت الأمة أن هذه الآية نزلت في علي (ع) . ويقول القوشيجي وهو من أعاظم السنّة في شرح التجريد : اجمع المفسرون أن هذه الآية في علي .

٤ ـ آل عمـران الآية ٩٧ : ﴿ **واعتصمـوا بحبل الله ولا تفـرقـوا** ﴾ فعن أهـل السنة أربعة[١] أحاديث أن حبل الله الذي أمر الناس بالتمسك به علي بن أبي طالب .

٥ ـ التوبة الآية ١٢٠ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقـين** ﴾ فعن أهل السنة سبعة أحاديث أنها في علي بن أبي طالب . وينقل ابن شهر آشوب من طرق السنّة عن تفسير أبي يوسف يعقـوب بن سفيان « روى مـالك بن أنس عن نـافع عن ابن عمر أن الله أمر أصحاب النبي أن يتقوا الله ويكونوا مـع الصادقـين أي محمد وأهل بيته » .

٦ ـ الصافات الآية ٢٤ : ﴿ **وقفوهم أنهم مسؤولـون** ﴾ ورد بطرق أهـل السنة ثمانية أحاديث أن السؤال عن ولاية علي بن أبي طالب . وفي بعض تلك الـروايات ان انها الولاية التي ثبّتها الرسول لعلي وقال « من كنت مولاه فعلي مولاه » فهذه يسأل عنها يوم القيامة .

٧ ـ البقرة الآية ١١٨ : ﴿ **إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ فقد ورد بـطرق أهل السنّـة حديثـان في هذه الآيـة نذكـر أحدهمـا مختصراً . فقد روى المغازلي الشافعي بسنده عن ابن مسعود أن النبي قـال : إنا دعـاء إبراهيم حيث قال « وجنبني وبين أن نعبد الأصنام . . . » وأجابه الله « لا ينال عهدي الظالمين أي عهد الإمامة ودعاء إبـراهيم يشمل علياً أيضاً إذ لم يعبـد أي منا الأصنـام أبداً فجعلني الله نبياً وعلياً وصيّاً .

---

(١) غاية المرام ، وكذا ما بعدها .

٨ ـ النحل الآية ٤٥ : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ وقد ورد ثلاثة أحاديث عن السنّة أن أهل الذكر علي بن أبي طالب .

٩ ـ البقرة الآية ٤٠ : ﴿ **واركعوا مع الراكعين** ﴾ ورد أربعة أحاديث بطرق أهل السنة أنها في النبي وعلي خاصّة .

١٠ ـ الرعد الآية ٨٠ ـ ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ . فقد ورد عن أهل السنة سبعة أحاديث أنّ المنذر هو النبي والهادي علي بن أبي طالب . منها ما يرويه إبراهيم الحمويني وهو من أكابر علماء السنة بسنده عن أبي هريرة أن النبي كان يقول : إنما أنت منذر ويضع يده على صدره ثم يأخذ بيد علي ويقول ولكل قوم هاد .

ولم نذكر آيات أخرى ورد في روايات أهل السنة أنها نزلت في علي وأولاده رعاية للاختصار فمن أراد المزيد فليراجع كتاب غاية المرام للسيد الجليل السيد هاشم البحراني فقد ذكر ١٤٠ آية من آيات القرآن ورد في روايات الشيعة والسنّة أنها نزلت في أمير المؤمنين (ع) . فاتضحت العناية التي أولاها الله للإمامة وأنها ليست أمراً بسيطاً أو سياسياً سكت عنه في صدر الإسلام وحيئنذٍ يتضح مستوى هؤلاء الجهال المثيرين للفتن .

جواب المقال من أحاديث النبي :

ليعلم القراء المحترمون أن البحث في الإمامة وخصوصاً من خلال الأحاديث النبوية الواردة بطرق السنّة والشيعة لا تتحمله هذه الأوراق ، لكن لفضح هؤلاء الجهال نذكر عدداً من الأحاديث من طرق السنّة المخالفين لنا مع أصل الإمامة وسيكون الحديث محملاً فمن أراد لمزيد من الاطلاع فليراجع الكتب التي كتبت حول الإمامة ابتداء من صدر الإسلام وحتى الآن وسنذكر فيما بعد أسماء بعض هذه الكتب ليعلم ماذا يقول هؤلاء الخائنون المخادعون من أن الإمامة لم يكن لها اسم في صدر الإسلام وإنما برز اسمها ورسمها في سياسة الملوك الصفويين . وهذه أحاديث من الكتب التي ألّفت قبل وجود الصفوية وأمثال الصفوية .

١ ـ حديث غدير خم : وقد عثر صاحب غاية المرام على ٨٩ حديثاً من طرق أهل السنّة أكثرها منقول عن مسند أحمد بن حنبل إمام السنة الكبير والمتوفي سنة ٢٤١ في بغداد ، وكتاب المسند من أعظم كتب السنّة وكثير منها منقول عن ابن المغازلي

الشافعي المتوفي سنة ٤٨٣ والسمعاني المتوفي سنة ٥٢٢ وابن أبي الحديد المعتزلي المتوفي سنة ٦٥٥ والثعالبي المتوفي حدود سنة ٤٣٩ وبعضها من صحيح مسلم المتوفي سنة ٢٦١ والترمذي المتوفي سنة ٢٧٩ وأبي داود المتوفي سنة ٢٧٥ . فمن أراد الاطلاع عن أحوال حديث الغدير فليراجع عبقات الأنوار للسيد الكبير حامد حسين الهندي الذي صنّف أربعة مجلدات كبار في حديث الغدير لم ير مثله إلى الآن . وعبقات الأنوار في الإمامة من المفروض أن يكون على ما سمع ثلاثين مجلداً لكن الذي رأيناه سبعة أو ثمانية مجلدات وقد يوجد في إيران منه إلى الـ ١٥ مجلداً ويسعى أهل السنّة إلى جمع هذا الكتاب وتضييعه ونحن الشيعة نائمون حتى فقدنا مثل هذا الكنز الثمين والجوهر النفيس وقد مضت سنتان على اقتراح تحديد الشيعة لطبع هذا الكتاب ويتلقى ذلك ببرودة ومع هذا فإن مجلد الغدير تحت الطبع بإذن الله لكن على علماء الشيعة بالخصوص والآخرين أن لا يدعوا هذا الكتاب الكبير الذي هو أكبر حجة للمذهب ، يضيع وأن يقدموا على طبعه . ونحن نذكر هنا بعضاً من طرق حديث الغدير حتى لا يقول هؤلاء الجهال عديمي المعرفة والبصيرة إن الإمامة أمر مسكوت عنه في صدر الإسلام .

نقل ابن المغازلي لحديث الغدير :

ينقل أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن المغازلي[1] وهو من أكابر المحدثين وأعاظم معتبري أهل السنّة بسنده أن أمير المؤمنين (ع) اقسم على المنبر على أصحاب النبي أن يقف للشهادة من حضر منهم يوم غدير خم فنهض ١٢ رجلاً وشهدوا أن الرسول قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ومنهم أبو سعيد الخدري وأبو هريرة وأنس بن مالك ثم قال ابن المغازلي : قال أبو القاسم بن محمد في كتاب المناقب : وهذا الحديث صحيح نقله مئة شخص عن رسول الله ، وقد تفرّد علي بن أبي طالب بهذه الفضيلة .

تصنيف ابن عقدة كتاباً في حديث الغدير :

كتب أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة المتولّد سنة ٢٤٤ كتاباً في سند حديث الغدير . وابن عقدة من أعاجيب الزمان وأعاظم أهل السنّة قال

---

(١) يراجع في هذا عبقات الأنوار وكذا التنصيفات .

عنه الدارقطني : اتفق أهل الكوفة على أنه لا يوجد أحفظ من ابن عقدة من زمان عبد الله بن مسعود حتى ابن عقدة ونقل في ذلك الكتاب عن مئة شخص من الأصحاب منهم علي بن أبي طالب والحسن بن علي والحسين بن علي وأبو بكر وعمر وعثمان وسليمان وأبو ذر وعمار والمقداد وابن عباس وابن مسعود وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن مالك وأبو أيوب وعبد الله بن عمر وعدي بن خاتم وحذيفة وغيرهم وعن عدة من النساء منهنّ فاطمة (ع) وعائشة وأم سلمة وأم هانيء وأسماء بنت عميس ثم ذكر ابن عقدة ٢٨ شخصاً لم يسمّهم نقلوا أيضاً حديث الغدير .

تصنيف الطبري كتاباً في حديث الغدير :

وصنّف محمد بن جرير الطبري المتولّد سنة ٢٢٤ وهو من أكابر المحدّثين وأعاظم مؤرخي أهل السنّة ويقال إنه كان كاملاً في جميع العلوم إلى حدّ لم يشاركه أحد فيه . صنّف في طريق حديث الغدير كتاباً في مجلدين ضخمين واسمه الولاية ويقول الذهبي : رأيت الكتاب وقد دهشت من كثير من طرقه . وقال إسماعيل بن عمر بن كثير وهو من أجلّة علماء وأكابر أهل السنّة : رأيت كتاب الطبري الذي جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين . وذكر السيد الجليل ابن طاووس في الاقبال كتاب الطبري حول حديث الغدير .

تصنيف الحسكاني كتاباً في حديث الغدير :

وكتب في سند حديث الغدير أبو القاسم عبد الله الحسكاني المتوفي سنة ٤٧٩ وكان مورد ثقة وتحليل أعاظم أهل السنة ، واسم كتابه دعاة الهداة إلى أداء حق الولاة . وقد مدحه ومجدّه السيوطي من أعاظم علماء أهل السنّة .

تصنيف السجستاني في حديث الغدير :

وصنّف كتاباً في جمع طرق حديث الغدير أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني المتوفي سنة ٤٧٧ ، وهو من أكابر محدثين وحفاظ أهل السنّة قال عنه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المعروف بالدقاق وهو من أعاظم الحفاظ أنني لم أر أفضل منه من حيث الاتقان والحفظ واسم الكتاب دراية حديث الولاية ونقله عن ١٢٠ شخصاً من أصحاب النبي مع ١٣٠٠ سنداً .

تصنيف الذهبي في الغدير :

وهـو شمس الدين محمـد بن أحمد الشـافعي المتولّـد سنة ٦٧٣ وهـو من العلماء الكبار والمحدثين العظام قال عنه السبكي في طبقات الشافعيـة : محدّث العصر خـاتم الحفاظ والقائم بأمر الحديث وحامل راية أهـل السنّة والجـماعة وإمـام أهل العصر من حيث الحفظ والاتقان ، شيخي وسيدي ومعتمدي . وقد صنّف كتاباً في الغدير .

كلام الجويني حول الـ ٢٨ مجلداً من الغدير :

محمد بن علي بن شهر آشوب المتوفي سنة ٥٨٨ وهو من فحول علماء أهـل السنّة والجماعة وأكابر علمائهم ومحدّثيهم مدحه الصفدي في الـوافي بالـوفيات والفـيروز آبادي في البلغة والسيوطي في بغية الوعاه وابن أبي بطوطة في تاريخـه مدحـاً بليغاً وأثنـوا عليه الثناء الجميل ووصفوه بصدق اللهجـة والخشوع والعبـادة والتهجد وكـثرة العلم . قال ابن شهر آشوب في كتاب المناقب على ما نقـل عنه حسـين بن خير في نخب المنـاقب ؛ قال أبو المعالي الجويني متعجباً : رأيت في بغداد كتاباً في يـدّ وراق في روايات حـديث الغدير وكان المجلد الثامن والعشرين في طريق حديث « من كنت مـولاه فعلي مـولاه » وبعده المجلد التاسع والعشرون . وهو منقـول أيضاً عن ابن كثير الفقيه الشـافعي مما أوجب تعجب أبي المعالي الجويني من رؤيـة ذلك الكتـاب عند الـوراق . والجويني من أعاظم وفحول أهل السنّة مدحه العلامة اليافعي وأثنى عليه في عدة صفحات في مـرآة الجنان واعتبره أستاذ الفقهاء والمتكلمين وذكر أن جامعيته وإمامته في الأصـول والفروع وفنون الأدب والعلم محل وفاق . توفي سنـة ٤٧٨ في نيشابـور وقد حـطّموا منـبره بعد وفاته وكسر تلاميذه الأربعماءة مادة محابرهم وأقلامهم وبقوا على هذه الحال مدة سنة .

وتواترُ حديث الغدير عند أهل السنّة والجماعة فضلاً عن الشيعة مما لا ريب فيه ولا تـرديد[1] . وإذا أردنـا أن نحصي أكابـر ومعتبري أهـل السنّة الـذين ادعوا تـواتر هـذا الحديث فإن الأمر يطول وهو مناف للاختصار الذي بنينا عليه كتابه هذه الأوراق .

٢ ـ حديث المنزلة[2] : ومن جملة الأحاديث الـواردة في إمامـة أمير المؤمنـين عن النبي (ص) حديث المنزلة وهو الحـديث الذي نقـل بالتـواتر عنـد السنة والشيعـة أن

(١) راجع في هذه الأحاديث غاية المرام والمراجعات .
(٢) راجع أشعة اللمعات للشيخ عبد الحق الدهلومي ، وشرح حالات هؤلاء المشايخ .

رسول الله قال لعلي (ع) : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » وكان لهارون جميع شؤون خلافة ووراثه موسى . وقد نقل السيد هاشم البحراني هذا الحديث بمئة مسند من طرق أهل السنّة ططوكثير منها من صحاح السنّة الستّة التي هي من أضخم كتبهم . ونذكر هنا من كل واحد من هذه الصحاح حديثاً ليتضح أن الإمامة ليست أمراً جديداً وأن هذه البذرة قد زرعها النبي بأمر من الله .

حديث المنزلة من صحيح البخاري :

يحدّث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتولد سنة ١٩٤ بسنده في صحيحه : « أنه قال النبيّ لعلي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى » وفي بعض أحاديث الأخرى تتمة له وهي « الا أنه لا نبي بعدي » وفي عقيدة أهل الحديث فإن محمد بن إسماعيل البخاري إمامهم ومقتداهم سمّوه أمير المؤمنين في الحديث وناصر الأحاديث النبوية وناشر المواريث النبوية . ومسلم صاحب الصحيح عندما يأتي على ذكر البخاري يقول : ذرني أقبل قدميك يا سيّد المحدثين وأستاذ الأساتذة . وقال عنه الترمذي : لم أر مثله جعله الله زينة هذه الأمة . وقال عنه ابن خزيمة : لا يوجد تحت السماء الزرقاء أعلم منه واحفظ منه للحديث . وبالجملة فإن أهل السنّة يعتبرونه المقدم على جميع المحدثين وكتاب صحيح البخاري من أعظم الكتب . وقال البخاري : قد أخرجت في هذا الكتاب ٦٠٠ ألف حديث وهو حجة بيني وبين الله ولم أذكر فيه إلا الأحاديث الصحيحة . وقد ذكر علماء السنّة في مدح هذا الكتاب أموراً واعتبروه أصح كتاب بعد القرآن والمقدّم على جميع الكتب . وبحمد الله فإن هذا الكتاب مع هذا الاعتبار الثابت له فيه أحاديث كثيرة دالة على مذهب الشيعة وحقّانيّته مع كمال عداوة البخاري لمذهب الحق . منها هذا الحديث الذي نقله بطرق ثلاثة على ما نعلم .

حديث المنزلة من صحيح مسلم :

ونقل أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري المتولد سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ حديث المنزلة بسبعة طرق . وهو من العلماء الكبار . وحفاظ الملّة والإمام والمقتدى عند أهل الحديث وقد سئل ابن عقدة أيهما أعلم البخاري أم مسلم فقال : كلاهما عالمان فأصرّوا عليه فقال البخاري يغلط أحياناً ومسلم أقل غلطاً منه . وقال الخطيب

البغدادي تبع مسلم البخاري ونظر في علمه وسار معه في خط متوازي وفي أكثر من ٨٠ حديثاً لا تزيد الواسطة بينه وبين النبي عن أربعة . وبالجملة فإن أهل السنّة يعتبرونه من طراز البخاري مقدّماً على المحدّثين واعتبر أكابر أهل السنة صحيح مسلم مثل صحيح البخاري ومن أصح الكتب بعد القرآن كما ذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة حيث قال : روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما الذين هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد ، به فقد ادعى الاجماع والاتفاق على صحة ووجوب قول ما جاء في هذين الكتابين .

حديث المنزلة من صحيحي الترمذي وأبي داود :

أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، أحد العلماء الأعلام والمحدثين الكبار من أهل السنّة والجماعة ، شارك البخاري في الأخذ من بعض المشايخ وكان مضرب المثل في الحفظ والضبط توفي سنة ٢٧٩ وصحيحه من كتب أهل السنّة الستة وهي أعظم كتبهم . قال الترمذي عن كتابه « صنّفت هذا الكتاب وعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فسرّوا له وكل من يكون في بيته هذا الكتاب فكأن النبي في بيته يحدثه » . وأما أبو داود سليمان بن أشعث السجستاني فهو من أكابر مشايخ أهل السنة كان المقدّم في عصره عرف عندهم بالورع والزهد والبصيرة والمهارة في فن الحديث ولد سنّة ٢٠٢ وكتابه السنن من الصحاح الستة وقد نقل عنه أنني ضبطت وقيّدت بالكتابة ٥٠٠ ألف حديث واخترت منها ٤٦٠٠ حديثاً صحيحاً .

وقد روى كل من هذين الشخصين في صحيحيهما حديث المنزلة وحديث من كنتب مولاه فعليّ مولاه .

حديث المنزلة في مسند أحمد :

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل المتوفي سنة ٢٤١ من أئمة السنّة ومقتداهم في الحديث والفقه وصفوه بالعبادة والزهد والورع وقالوا : به عرف الصحيح من السقيم والمجروح من المعدّل ورووا عنه كالبخاري ومسلم وأبي داود السجستاني وأبو ذرعة وقال عنه إسحاق بن زاهويه : أحمد بن حنبل حجة بين الله والعباد على الأرض . وقال الشافعي خرجت من بغداد وليس فيها أورع ولا أتقى ولا أعلم من أحمد بن حنبل . ومسنده من كتب أهل السنّة المشهورة والمعتبرة نقل فيه ثلاثين ألفاً من

الأحاديث ونقل عنه القول أنني انتخبت هذا الكتاب من ٧٥٠ ألف حديث . وبحمد الله فهذا الكتاب نقل حديث المنزلة بـ ١٩ طريقاً[1] .

نقل ابن ماجة والنسائي لحديث المنزلة :

أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة المتوفي سنة ٢٧٣ من أئمة ومشايخ أهل السنّة وكتابه المسمّى بسنن ابن ماجة من صحاحهم الستّة وأبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي من أكابر عصر . موصوف بكثرة التهجد والعبادة والصوم وقال الحاكم : النسائي أفقه أهل مصر في عصره . وقال الذهبي : كان احفظ من مسلم وكتابه المعروف بسنن النسائي من الصحاح الستة . صنّف النسائي من مصر كتاب الخصائص في مناقب أمير المؤمنين توفي سنة ٣٠٣ . وقد نقل محمد بن يوسف الشافعي في كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عن ابن ماجة والنسائي في سننها حديث المنزلة .

إذن هذا الحديث منقول في جميع صحاح أهل السنّة وقد تركنا ذكر الآخرين الناقلين لهذا الحديث من أعاظم ومعتبري ومشايخ أهل السنّة والجماعة رعاية للاختصار .

تواتر حديث المنزلة الشريف بقول السنّة[2] :

وصف الكثير من محققي ومعتبري علماء العامة حديث المنزلة بأنه متواتر أو قالوا عنه شيئاً لازمة التواتر ، كالحافظ أبي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفي سنة ٦٥٨ قال بعد ذكر حديث المنزلة في كفاية الطالب : « وهذا الحديث متفق عليه رواه الأئمة الأعلام الحفاظ كالبخاري في صحيحه ومسلم وأبي داود في سننه والترمذي في جامعه والنسائي وابن جامه في سننها . وكلهم متفقون على صحته وصحته مجمع عليه . وقال الحاكم النيشابوري : « هذا الحديث داخل في حدّ المتواتر . واعتبر العلامة السيوطي الغني عن التعريف بفضائله وجلالته عند أهل السنة ، ان الحديث من المتواترات . ويعتبر ابن حجر الحديث الذي يرويه ثمانية من الأصحاب متواتراً والحال أن أبا القاسم علي بن محسن التنوخي وهو من أعاظم أهل

---

(١) راجع غاية المرام .

(٢) راجع العبقات .

السنة موصوف بالوثاقة والفضل والمتوفي سنة ٤٤٧ . صنّف كتاباً في إثبات هذا الحديث ونقله عن أكثر من عشرين صاحباً من أصحاب النبي منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وزيد بن أرقم وأبو رافع والحذيفة بن أسيد وأنس بن مالك وغيرهم .

٣ ـ حديث الثقلين في إمامة الأئمة : ومن جملة الأحاديث المتواترة بطرق السنّة والشيعة والنصوص على إمامة علي (ع) وأبنائه المعصومين حديث الثقلين وهو الحديث الذي نقل عن أكثر من عشرين شخصاً من أصحاب النبي (ص) وبتسعة وثلاثين طريقاً من أهل السنة من جملتها صحيح مسلم وصحيح أبي داود والترمذي ومسند أحمد بن حنبل ومستدرك الحاكم وغيرهم من أجلّة الإثبات ومهرة الثقاة من أهل السنّة والجماعة . ونذكر هنا حديثاً من صحيح الترمذي وأبي داود فمن أراد التفصيل فليراجع غاية المرام وكتاب العبقات . قال : قال رسول الله (ص) : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي . أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني في عترتي » . وقد نصّ هذا الحديث على الإمامة في أهل بيت رسول الله إلى يوم القيامة . وفي رواية أحمد بن حنبل عن زيد بن ثابت أن رسول الله قال : إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » أي أنهما إلى يوم القيامة الخليفة معاً .

حديث السفينة في الإمامة :

ومن الأحاديث المسلّمة المتواترة حديث تشبيه أهل البيت بسفينة نوح وقد ورد من طرق أهل السنّة ١١ حديثاً في هذا الموضوع نذكر منها حديثاً ينقله أبو الحسن علي بن محمد بن الخطيب الفقيه الشافعي المتوفي سنة ٤٨٣ في كتاب المناقب بسنده عن ابن عباس : قال : قال رسول الله (ص) : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تأخر عنها هلك » .

الأحاديث الصريحة في خلافة علي :

والأحاديث كثيرة قد تتجاوز الخمسين المروية بطرق العامة أن النبي قال: الخلافة في علي كما النبوة فيّ . أو علي خليفتي من بعدي . ومنها حديث رواه ابن المغازلي

الشافعي في المناقب بسنده عن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله (ص) من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر ومن شكّ في علي كافر . وقد روى في مسند أحمد بن حنبل إمام السنة حديثاً طويلاً جاء فيه أنه بعد أن سمع ابن عباس من المنافقين قولاً في أمير المؤمنين وقف وقال : أفٍ وتفٍ عليهم أولئك الذين يقولون السوء على ذي الصفات العشر ثم يعدها إلى أن يقول : « وقال له النبي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ألا أنك إلا أنك لست بنبيّ ، أنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي » .

الأحاديث الصريحة في كون علي الوصي :

وكثيرة هي أحاديث المروية بطرق العامة قد تبلغ الخمسين أو الستين أن النبي قال : علي وصيّي . فمن ذلك ما نقله الإمام عظيم الشأن في السنة ، في مسنده بسند متصل إلى أنس بن مالك أنه قال : قلنا لسلمان اسأل النبيّ من وصيّك فسأله سلمان فقال يا سلمان من وصيي موسى قال يوشع بن نون قال وصيي ووارثي من يقضي عني ديني وينجز عداتي علي بن أبي طالب . وقد ذكر ابن المغازلي الشافعي في المناقب أحاديث منها ما يرويه بسند يصل إلى عبد الله بن بريدة أن رسول الله قال لكل نبيّ وصي ووارث ووصيّي ووارثي علي بن أبي طالب .

الإمامة قرينة النبوة :

كل من عنده أدنى اطلاع عن أوائل ظهور الإسلام وبدايات دعوة رسول الإسلام يحصل له اليقين أن الإمامة في الإسلام كانت رفيقة النبوة من أول يوم وحتى آخر لحظة من عمر الرسول . ففي ذلك اليوم الذي لم يكن هناك إسلام بعد وعندما أمر الله نبيه أن ينذر عشيرته الأقربين بقوله ﴿ **وانذر عشيرتك الأقربين** ﴾ جمع الرسول أقاربه وكان عددهم قريب الأربعين رجلاً من بينهم أعمامه فدعاهم وخاطبهم يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب قد جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكُم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم ؟ فأحجم القوم عنها غير علي ـ وكان أصغرهم ـ إذ قام فقال : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ رسول الله برقبته وقال

إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

ذكر المؤرخين لهذه القضية :

تقدم أن ابن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ كتب كتاباً في مجلدين ضخمين في طرق حديث الغدير ، وله كتاب آخر في جمع طرق حديث الطير في الإمامة وهذه القضية التي ذكرناها ذكرها الطبري في الجزء الثاني من كتاب تاريخ الأمم والملوك بطرق مختلفة . وتاريخ الطبري من التواريخ التي مدحها علماء التواريخ والسير فقال المسعودي في مروج الذهب : تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري يزيد على المصنّفات والمؤلفات وهو كتاب ذو فوائد كثيرة كيف لا ومؤلّفه فقيه عصره وعابد زمانه وإليه تنتهي علوم فقهاء المدن وأهل السنن والآثار . ومدحه ابن خلكان مدحاً لائقاً .
وبالإضافة إلى الطبري فقد نقل القضيّة جمع كثير من أكابر المحدثين والمؤرخين وأهل السير كابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي في سننه ودلائله والثعلبي في التفسير الكبير والطبري في التفسير الكبير واعتبر ابن الأثير هذه القضيّة في الجزء الثاني من المسلمات بصحتها والحلبي في سيرته . ونقل ما يقرب من هذا المعنى الكثير من أكابر محدّثي أهل السنة مثل الطحاوي وضياء المقدسي وسعيد بن منصور .
ومع الغض عن جميع ذلك فقد نقلها أحمد بن حنبل إمام السنة عظيم الشأن في عدة مواضع من مسنده والنسائي أيضاً عن ابن عباس في الخصائص العلوية والحاكم في المستدرك والذهبي في تلخيص المستدرك مع الاعتراف بصحته . ومع الغض عن جميع ذلك فقد نقل هذه القضية الدكتور هيكل المصري في جريدة السياسة بتاريخ ١٢ ذي القعدة ١٣٥٠ هـ بالتفصيل وفي العامود الرابع من الصفحة السادسة من الملحقات العدد ٢٧٨٥ من نفس الجريدة نقلها عن ابن مسلم في الصحيح وأحمد في المسند وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند وابن حجر الهيثمي في جمع الفوائد وابن قتيبة في عيون الأخبار وأحمد بن عبد ربه في العقد الفريد وعمرو بن بحر الجاحظ في رسالته .
وذكرها جرجس الانكليزي في كتاب باسم مقالة في الإسلام ترجمه إلى العربية هاشم العربي كما ذكرها عدد من الأوروبيين في الكتب الفرنسية والانكليزية والألمانية وذكر مختصرها توماس كارليل في كتاب الأبطال .

آخر كلام للنبي في الإمامة :

وقد تبيّن أن الرسول (ص) من أول ساعة من اعلان نبوته أعلن في تلك الساعة خلافة وإمامة علي بن أبي طالب لكن تلقى أقاربه هذا الكلام بالضحك والاستهزاء . وقد بذل الرسول (ص) كل جهده خلال فترة الرسالة وخصوصاً السنوات الأخيرة من عمره الشريف كي يثبت هذا الأمر وتشهد على ذلك كل تواريخ الإسلام وكتب الأحاديث السنيّة والشيعية وكل من يراجعها سيعلم أنه لم يعط في الإسلام لشيء أهمية كما أعطيت الإمامة ولم يرد في شيء هذا المقدار من الأحاديث الواردة في الإمامة . أما آخر كلام للنبي فقد كان أيضاً في الإمامة كما نقل ذلك في كتب الأحاديث والتواريخ المعتبرة بل هي من القضايا المشهورة المتواترة[1] . ففي صحيح البخاري في عدة مواضع منه وفي صحيح مسلم ومسند أحمد وسائر كتب الأحاديث أن ابن عباس بكى وقال : يوم الخميس وما يوم الخميس قال رسول الله (ص) ائتوني بالكتف والدواة واللوح والدواة اكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً فقالوا إن رسول الله يهجر » . ويتضح من مراجعة كتب الحديث والتاريخ أن كلمة الهذيان هذه قالها عمر بن الخطاب وتبعه بعض آخر ولم يَدَعوا النبي يكتب ذلك الكتاب ، والذي أراد الرسول كتابته هو باعتراف عمر بن الخطاب في إمامة علي بن أبي طالب فقد جاء في المجلد الثالث من شرح ابن أبي الحديد المعتزلي على نهج البلاغة وفي تاريخ بغداد لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر أنه وقعت محاجّة بين ابن عباس وعمر في خلافة علي بن أبي طالب فقال عمر أن النبي أراد النص في حال المرض على اسم علي بن أبي طالب فمنعته من ذلك . ويروي ابن أبي الحديد عن ابن عباس أنه سافر مع عمر إلى الشام وفي أحد الأسفار كان يمشي وحده فتبعته فشرع بالشكوى على علي بن أبي طالب حتى وصل الكلام إلى أن أظهر ابن عباس رأيه من أن النبي كان يريد الخلافة لعلي فقال عمر . يا ابن عباس أراد النبي له ذلك ولكن الله لم يشأ ذلك .

الحكم من القراء المحترمون :

فليعلم القراء المحترمون أننا إذا أردنا أن نذكر فهرست الآيات والأخبار الواردة في الإمامة وفهرست كلمات المؤرخين لاحتاج الأمر إلى كتاب كبير . ونحن لم نذكر أكثر

---

(١) المراجعات .

مما ذكرنا رعاية للاختصار فالمطلوب من القراء أن يحكموا بعين الانصاف الخالية عن أي غرض أن الإمامة بحكم العقل هي من أصول الإسلام المسلّمة كما أنّها مسلّمة بحكم آيات القرآن وحكم أخبار النبي التي تتجاوز الآلاف وبحكم التواريخ المعتبرة أن النبي من أول البعثة حتى يوم وفاته بذل كل جهده في هذا الأمر . أيضاً يجب القول هل كان ذلك أمراً بسيطاً أو سياسياً سكت عنه المسلمون وإنما أبدعه سلاطين إيران . نحن لا نعلم ما هو ذلك التاريخ أو أي كتاب ذكر هذا الوهم الفارغ حتى يتجرأ هؤلاء جرأة تامة وينطقون بهذا الكذب الواضح أمام الناس أوَ لم يحسبوا أن أولئك الذين تنشر بينهم هذه الكتب فيهم الكثير من أهل التاريخ والسير والأخبار والآثار . لكن قد يوجد عدد من الأشخاص السذّج يقبلون كلامهم بلا دليل وبمحض الادعاء فكان لا بد أن يقتنع هؤلاء العابثون الجهال بهذا المقدار (من العدد) .

الكتب التي كتبت في الإمامة قبل الصفوية(١) :

هنا أيضاً وللضرورة يجب أن نفتح باباً على القراء يفضح أولئك ليعرف المجتمع ما هي قيمتهم وليعلم الجميع أن المؤمنين مع أي كائنات هم في مواجهة . وبأي تفاهات يضيّع أولئك أوقاتهم وأوقات القراء .

يقول : « إن الساقية إذا نبعت من مكان كلما نزلت أكثر فإن لم تنقص فهي لن تزيد . فقارنوا الكتب التي كتبت في الإمامة بين ما كتب قبل الصفوية وبين ما كتب بعدها فسترون أنه كلما نزل أكثر كلما زاد الغلو وزاد حجمها » .

والجواب ، أولاً : كأن هذا الكاتب لا اطلاع لديه عن وضع الكتب بالمرة وعلى الأقل لم يطالع مطالعة عامة عن الكتب التي كتبت في الإمامة فأراد أن يحجب مطلباً واضح تمام الوضوح بمثال غير مناسب يريد اغفال الناس . ونحن الآن نثبت أن الكتب التي كتبت في صدر الإسلام يجب أن تكون أصغر من الكتب اللاحقة حتى إذا أراد شخص اليوم أن يكتب كتاباً في الإمامة لا بد أن يكون أكبر بعشرات المرات من كتب المتقدمين . ولنوضح الأمر بمثال ليظهر وجه الاشتباه . فمثلاً عندما قال رسول الإسلام في غدير خم « من كنت مولاه فعلي مولاه » فلو أراد شخص من الحاضرين

---

(١) الظاهر أن كلمة (قبل) سهو أو خطأ مطبعي والصحيح (بعد) المترجم .

ذلك اليوم أن يكتب هذا الحديث في الإمامة لم يكن محتاجاً إلى أكثر من سطر فيقول « سمعت رسول الله يقول من كنت مولاه فعلي مولاه » لكن لو أراد شخص لم يكن حاضراً ذلك المجلس أن ينقل ذلك الحديث في الإمامة عن النبي لاحتاج إلى عدة صفحات ليكتب أسماء الرواة الذين نقلوا ذلك الحديث فلو فرضنا أن مئة شخص سمعوا الحديث ذلك اليوم عن النبي وكل واحد منهم نقله إلى عدة أشخاص فمن أراد بعد عشر سنين أن يكتب هذا الحديث من كل من سُمع منه لاحتاج إلى كتاب ذي أجزاء عدة يذكر فيه الرواة الذين نقلوه . واليوم إذا أردنا حقّاً أن نكتب حديث الغدير الذي ليس هو إلا حديث واحد ، وأردنا أن نكتب بحيث نثبت أن الرسول قد قاله لاحتجنا إلى كتابه مجلدات بسبب الفاصل الزمني بيننا وبين يوم الغدير أي ١٣٤٠ سنة تقريباً وإلى أن نذكر أن هذا الحديث سمعه مثلاً مئة شخص عن النبي وفي العصر اللاحق صارت المئة ألفاً ثم صاروا عشرة آلاف والآن يجب أن ينقل حديث الغدير بواسطة عشرات الآلاف عن رسول الله وإذا أردنا أن نذكر أسماء جميع رواة هذا الحديث وأردنا أن نذكر حالاتهم وتاريخ حياتهم والجرح والتعديل الواردين فيهم لوجب أن نكتب عدة مجلدات حتى نصل إلى الحديث بحق . وقد عرفتم أن الطبري المؤرخ المعروف كتب كتابين ضخمين في سند حديث الغدير وأبو المعالي الجويني المتوفي سنة ٤٧٨ وهو من أعاظم علماء أهل السنة والجماعة رأى عند الوراق ٢٨ مجلداً في الغدير في بغداد وكان هناك الملجد التاسع والعشرون ولعله يوجد مجلدات أخرى والحال أنّ حديث الغدير ليس أكثر من حديث . وكتاب العبقات وهو من أكثر الكتب التي رأيناها في الإمامة فإن أربعاً من مجلداته الكبار هي في سند ودلالة حديث الغدير . من الجيد أن يرى القراء ذلك الكتاب ليُعلم أن تكبير الكتاب ليس لأجل أنه كُتب فيه الأكاذيب أو أضيف إليه أحاديث . واليوم لو أراد شخص أن يكتب كل الأحاديث التي وردت في الإمامة بالنحو الذي كتبه صاحب العبقات لاحتجنا إلى كتابه مئات المجلدات مع ذكر جميع الرجال وخصوصياتهم .

ثانياً : إن الكتب التي كتبت في الإمامة من زمان الصفويّة وحتى الآن لو اطلع عليها المرء يعلم أن لا ربط لها بالصفوية وسياستهم . ونحن هنا نذكر أسماء عددٍ منها ليراجعها القراء ويدركوا الأمر على حقيقته .

١ ـ من الكتب التي كتبت في الإمامة والتي هي من الكتب النفيسة القيّمة كتاب

إحقاق الحق للقاضي نور الله . وقد كتب عدة كتب غير احقاق الحق حول الإمامة وردّ أهل السنة . هذا الرجل العظيم كان معاصراً للشيخ البهائي ومعاصراً للصفوية[1] لكنه عاش في « أكبر آباد » في الهند وكان يتعامل بالتقية بشكل كامل إلى أن آمن به السلطان أكبر شاه وأعتقد أنه من السنّة وجعله قاضي القضاة وكان في الخفاء والسرّ مشغولاً في الكتابة إلى أن مات أكبر شاه وصار السلطان ابنه « جهانكير شاه » والقاضي بقي في القضاء إلى أن سرّب المخالفون أنه من الشيعة فجلدوه بحكم القضاة وأحاز السلطان ذلك حتى مات تحت الجلد .

٢ ـ كتاب غاية المرام تأليف السيد الجليل السيد هاشم البحراني[2] الذي اكتفى بنقل الحديث بلا أي إضافة ويذكر اسم كل كتاب ينقل ذلك الحديث من طرق السنة والشيعة وهذه الكتب منتشرة بين الناس من أراد فليراجع . والكتب التي نقل عنها السيد هي من أكبر كتب العامة أو من كتبهم المعتبرة مثل صحيح مسلم وصحيح البخاري وصحيح الترمذي وصحيح أبي داود وصحيح النسائي ومسند أحمد بن حنبل والجمع بين الصحيحين للحميدي والجمع بين الصحاح الستة للأندلسي وأمثالها من الكتب المعروفة المتداولة . وقد كان لهذا السيد الجليل الرئاسة في « توبل » في البحرين وكما هو مذكور في أحواله فهو صاحب تقوى وروع شديد وكان لا يعتني بالسلاطين ولم يخضع لنفوذهم .

٣ ـ عبقات الأنوار الذي لم يكتب مثله في الإمامة حتى الآن . ومصنّفه السيد الكبير وعلامة العصر المير حامد حسين الهندي الذي كتب في كل حديث من أحاديث الإمامة مجلد أو أكثر وكل من يرى ذلك الكتاب يدرك سعة اطلاع وإحاطة هذا العظيم كما أن من يطّلع على ذلك الكتاب يعلم أن سياسة السلاطين لم توسع كتب الإمامة وأنّ أصحاب هذه الكتب المعضلة في الإمامة لم يكونوا تحت نفوذ السلاطين الصفوية وغيرهم بل كانوا في بلاد لم يكن فيها اسم الصفوية وأمثالها أو لم تكن خاضعة لنفوذهم .

ومع الغض عن ذلك كله فإن الأحاديث المنقولة في هذه الكتب وكتب الإمامة

---

(١) راجع الكنى والألقاب .

(٢) راجع لؤلؤة البحرين ومستدرك النوري وسفينة البحار .

الأخرى تنقل عن كتب صنّفت قبل مئات السنين من الصفوية كما يتضح ذلك من مراجعتها .

أسماء بعض الكتب قبل الصفوية :

وإليكم أسماء بعض الكتب في الإمامة كُتبت قبل الصفوية ليعلم أن الكتب التي كتبت في هذا الموضوع من زمان الصفوية إلى ما بعدها قد تدنّت وان التصنيفات في الإمامة قبل ذلك الزمان كانت أكثر بكثير . والصفوية وسياستهم أصغر من أن يخترعوا الإمامة التي هي من أصول الإسلام الكبرى .

ويجب أن يعلم أن الإمامة مسألة لم يبحث في غيرها كما بحث فيها بين العلماء والمفكرين ولا يمكن لأحد أن يطّلع على جميع ما كتبت في هذا الباب فمن أراد أن يطلع على قليل من كثير وجزءٍ من عدد لا يحصى من كتب الأصحاب فليراجع كتاب الذريعة للشيخ المتبّحر الآغا الشيخ آقا برزك المعاصر الذي طبع منه أربعة مجلدات والمأمول طباعة الباقي حتى يُفهم حقيقة المطلب . ولنذكر عدداً من الكتب هنا . وقد تقدم أن مئة وكتابين قد ذكر في هذا الكتاب من الكتب المعروفة بلفظ الإمامة أو كانت بلا اسم وسمّاها هو بذلك . وهذا غير الكتب التي كتبت في هذا الموضوع التي لها اسم خاص والتي هي بالطبع أكثر بكثير . وإليكم الكتب التي عرفت بلفظ الإمامة قبل الصفوية .

١ ـ الإمامة لعيسى بن روضة التابعي مولى بني هاشم وحاجب المنصور توفي سنة ١٥٨ .

٢ ـ الإمامة تأليف خليل بن أحمد البصري اللغوي العروضي وهو من أصحاب الإمام الصادق (ع) توفي سنة ١٦٠ أو ١٧٠ أو ١٧٥ .

٣ ـ الإمامة تأليف أبي جعفر أحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد الصيقل الكوفي ثقة من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم (ع) .

٤ ـ الإمامة من تأليف بعض قدماء الأصحاب . قال السيد بن طاووس أن تاريخ تحرير نسخته سنة ٢٢٩ .

٥ ـ الإمامة الصغير .

٦ ـ الإمامة الكبير وكلاهما من تأليف إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي المتوفى سنة ٢٨٣ .

٧ ـ الإمامة تأليف المنصور بالله إسماعيل بن محمد بن مهدي المتوفي سنة ٣٤١ .

٨ ـ الإمامة ، تأليف أبي محمد حكم بن هشام بن حكم . توفي هشام سنة ١٩٩ أو ١٧٩ .

٩ ـ الإمامة الصغير .

١٠ ـ الإمامة الكبير لناصر الحق الحسن بن علي المتوفي سنة ٣٠٤ .

١١ ـ الإمامة ، لأبي محمد عبد الله بن مسكان من أصحاب الإمام الكاظم (ع) توفي سنة ١٨٣ .

١٢ ـ الإمامة لأبي محمد عبد الله بن هارون الزبيري . توفي سنة ٢١٨ .

١٣ ـ الإمامة ، لعبد الله بن عبد الرحمن على ما ذكره النجاشي .

١٤ ـ الإمامة ، تأليف أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري صاحب قرب الإسناد . كان حيّاً سنة ٢٩٢ .

١٥ ـ الإمامة الكبير : تأليف الشريف أبي القاسم علي بن أحمد العلوي الكوفي المتوفي سنة ٣٥٢ .

١٦ ـ الإمامة ، تأليف أبي الحسين علي بن وصيف شاعر متكلم ويقال له شاعر أهل البيت استشهد سنة ٣٦٦ .

١٧ ـ الإمامة ، تأليف أبي محمد الفضل بن شاذان بن خليل النيشابوري المتوفي سنة ٢٦٠ .

١٨ ـ الإمامة تأليف الشيخ المتكلم الفضل بن عبد الرحمن البغدادي . ينقل النجاشي عن أستاذه أنه كتاب كبير .

١٩ ـ الإمامة ، تأليف أبي أحمد محمد بن أبي عمير وهو من أصحاب الإجماع أدرك الإمامين موسى بن جعفر وعلي بن موسى (ع) . توفي سنة ٢١٧ .

٢٠ ـ الإمامة ، تأليف محمد بن أحمد الصفواني ، من تلامذة الشيخ الكليني وأستاذ الشيخ الطوسي والنجاشي .

٢١ ـ الإمامة ، تأليف أبي الحسن محمد بن أحمد الحارثي ، ينقـل عنه النجـاشي بثلاث وسائط .

٢٢ ـ الإمامة ، تأليف محمد بن الحمدوني السوسنجردي نقل عنـه هذا الكتـاب الشيخ الطوسي والنجاشي .

٢٣ ـ الإمامة ، تـأليف محمد بن الحسـين بن أبي الخطاب الـزيّات الهمـداني ثقة جليل توفي سنة ٢٦٢ .

٢٤ ـ الإمامة ، تأليف أبي بكر محمـد بن خلف الرازي ، متكلم جليـل ، ذكره النجاشي وابن النديم .

٢٥ ـ الإمـامة ، تـأليف أبي جعفر السكـاك محمـد بن خليـل البغـدادي تلميـذ هشام بن الحكم . توفي سنة ١٧٩ .

٢٦ ـ الإمامة ، تـأليف محمد بن عبـد الرحمن بن قبـه الرازي ، متكلم معـاصر للشيخ الكليني تقريباً ، كان حياً سنة ٣١٧ .

٢٧ ـ الإمـامة ، تـأليف المتكلم الجليل محمـد بن عبـد الله بن مملك الأصفهـاني معاصر الجبائي ، توفي سنة ٣٠٣ .

٢٨ ـ الإمـامة ، تـأليف الشيخ عـالي المقام صَـدُوق الطائفـة محمـد بن عـلي بن الحسين بن بابويه المتوفي سنة ٣٨١ .

٢٩ ـ الإمـامة ، تـأليف المتكلم الجليل الثقـة محمـد بن عـلي بن النعـمان بن أبي طريفة البجلي الكوفي الملقب بمؤمن الطاق .

٣٠ ـ الإمامة الكبير والصغير تأليف محمد بن علي الشلمغاني صلب سنة ٣٢٢ .

٣١ ـ الإمـامة ، تـأليف أبي جعفـر محمـد بن عيسى بن عبيـد بن يقـطين . من أصحاب الإمام الجواد (ع) .

٣٢ ـ الإمـامة ، تـأليف الشيخ المتكلم الجليـل مظفـر بن محمـد البلخي أستـاذ الشيخ المفيد ، توفي سنة ٣٦٧ .

٣٣ ـ الإمامة ، تأليف أبي عيسى الوراق محمد بن هارون . ذكره النجاشي .

٣٤ ـ الإمامة ، تأليف أبي الحسن معلى بن محمد البصري . ينقل عنـه النجاشي بثلاث وسائط .

٣٥ ـ الإمامة ، تأليف القاضي النعمان بن محمد المصري صاحب الإسلام المتوفي سنة ٣٦٧ .

٣٦ ـ الإمامة ، تأليف المتكلم الثقة الجليل هشام بن الحكم الكوفي المتوفي سنة ١٩٩ أو ١٧٩ .

٣٧ ـ الإمامة في إثبات النبوة والوصاية تأليف الهادي يحيى من أئمة الزيدية المتوفي سنة ٢٩٨ .

٣٨ ـ الإمامة ، تأليف أبي محمد يونس بن عبد الرحمن مولى آل يقطين . من أصحاب الإمام الرضا (ع) توفي سنة ٢٠٨ .

٣٩ ـ الإمامة ، تأليف أبي محمد يحيى بن محمد المتكلم الفقيه ساكن نيشابور كان حياً عام ٤٧٨ .

٤٠ ـ الإمامة ، تأليف أبي شداخ على ما نقل النجاشي عن أحمد بن الحسين .

الشافي لعلم الهدى في الإمامة :

ذكرنا أربعين اسماً من الكتب التي أُلِّفت في الإمامة في زمان الأئمة أو قريب من زمانهم . وكاتب تلك الهذيانات معذور في عدم سماعه بأسماء هذه الكتب أو أسماء أصحابها لأننا نعرف مستوى معلوماته ، لكن كتاب الشافي تأليف السيد المرتضى علم الهدى المتوفي سنة ٤٣٦ الذي هو من أحسن الكتب وأشهر المصنّفات في هذا الباب ، في متناول الجميع فالأولى لكل من يقول إن الإمامة من صبغة الصفوية أن يطّلع على ذلك الكتاب ليفهم المطلب بشكل جيد وأن كل ما كتبه المتأخرون في الإمامة أقل مما حقّقه السيد المرتضى في الشافي . ومع الغض عن ذلك فإن كتب المفيد وشيخ الطائفة والخواجة نصير الدين والصدوق والعلامة وسائر المحقّقين والمصنّفين المعتبرين كانت قبل أن تكون الصفوية . فهذا يكشف عن مستوى معلومات أو خديعة هؤلاء .

الألفين للعلامة في الإمامة :

فقط آية الله جمال الدين حسن بن يوسف بن مطهر الحلي ، هو المعروف بالعلامة ، توفي سنة ٧٢٦ . كتب كتاباً في الإمامة نزولاً عند رغبة ولده العالم فخر المحققين . اشتمل على ألفي دليل . ألفٍ منها في إمامة أمير المؤمنين وألفٍ آخر في

إبطال شبهات المخالفين . وقد فرغ من تأليف الجزء الأول سنة ٧٠٩[١] . ومن تأليف الجزء الثاني سنة ٧١٢ . وقد رتبه ولده فخر المحققين لكن في النسخ الموجودة لم يبق من الألف الثاني أكثر من ثلاثين دليلا ونيفاً وضاع باقي الكتاب وقد طبع هذا الكتاب في إيران سنة ١٢٩٨ .

نتيجة كلامنا في هذا الباب :

بعد مراجعة الكتب التي كتبت حول الإمامة ومع ملاحظة أنّ مؤلفي تلك الكتب في أي سنة كانوا وفي أي بلاد عاشوا نستنتج بوضوح أن الكتب التي كتبت في هذا الموضوع قبل العصر الصفوي أكثر عدداً وأكثر تفصيلاً وإذا كتب كتاب مفصّل في زمانهم أو بعد زمانهم مثل العبقات وإحقاق الحق فهو في الهند البعيدة عن الصفوية وسياستهم ولا اسم لهم هناك ولا رسم . وعليه فنسبة كتب الإمامة إلى سياسة الصفوية غاية الجهل وعدم الاطلاع على كتب وأحوال الرجال . نعم عاش علامة المحدّثين المجلسين في زمان الصفوية وكتبه أُلّفت في ذلك الزمان وبحار الأنوار الذي هو من أكبر كتبه قد ألّف بعناية ومساعدة سلاطين الصفوية لكن يجب أن يرى البحار[٢] أي كتاب هو وما هي مصادره . البحار مكتبة مهمة ومصادر البحار قد ذكرت فيه بالتفصيل واسم مؤلفيها ورسمهم . ومدارك البحار هي في الغالب موجودة بين الأيادي فمن يقول إن سياسة الصفوية هي التي كبّرت الكتب فالأولى أن يراجع أولاً كتاب البحار وينظر في رواياته فيجد مصادره فإن رأى شيئاً جديداً فليعترض لكن بمجرد في غير محلها وكلام بلا دليل لا ينبغي أن تمر عليه حيلة ويقبل كلام اللغو .

سبب آخر لضخامة الكتب :

هؤلاء الجهال غير الموزونين لم يراجعوا الكتب يجعلون ضخامة كتاب دليلاً على كذبه والوضع فيه وعليه قاسوا كتب المقتل التي كتبت قديماً من قبيل الملهوف للسيد مع كتب المتأخرين فقالوا ما الذي حصل حتى صارت أضخم . هنا يجب القول إن كاتب هذه المقالة مع أنه قرأ مجالس العزاء مدة من الزمن فهو بلا إطلاع أصلاً في هذا الموضوع . فإن الكتب التي كتبها المتأخرون باسم عزاء المجالس رتبوها بحيث تشتمل

---

(١) راجع الذريعة .

(٢) ذكرنا شيئاً من هذا الموضوع فيما بعد .

على تفسير آية ومواعظ وأشعار كثيرة وفي آخره أيضاً عدة أسطر من الرثاء على طريقة أهل المنابر الذين من خلال العزاء يفسرون آية أو يعطون موعظة أو يتحدثون في التاريخ أو مسائل أخرى خلال وقتٍ ثم يقرأون . أفيجوز أن يقال إنها أكاذيب والذنب أن الكتاب بما لا شأن له بالرثاء .

وها هنا جهة أخرى لضخامة الكتاب هي أن كتب المتأخرين جمعت عدة كتب ككتاب المفيد والسيد والمجلسين ، فمثل هذا الكتاب سيكون أضخم ، طبعاً نحن لا نريد أن نقول إن كل ما كتب في هذا الموضوع هو صحيح لكن نقول إن مجرد ضخامة كتاب لا يصير دليلاً على الوضع فيه والكذب . وبالتأكيد يجب على الإنسان إذا أراد النقل من كتاب أن ينظر في مصادره فإن كان له مصادر تاريخية أو رواية صحيحة أخذ بها وإلا فليعرض عنها وقبول كل شيء خارج عن طريقة العقل كما أن ردّ كل شيء بمجرد أنه لا يتلاءم مع سليقتي أيضاً خارج عن طريق العقل .

اشتباه وغلط :

غالباً ما يستعجل هذا الكاتب في كلامه فلا يدري قدمه من يده . ثم يتلاعب ويربط بين أمور لا ربط بينها وهنا أيضاً قال كلاماً من غير محلّه : قال : « الإمام أي إمام إنما هو إمام زمانه لا غيره من الأزمنة » كما ورد في كتاب الكافي أن كل إمام هادٍ للزمن الذي هو فيه .

ومع غض النظر عن أن هذه الرواية وردت في تفسير قوله تعالى : ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ ومضمونها أنه في كل عصر إمام من آل بيت محمد ، وأنها في مقام بيان أن الآية تثبت ثبوت الإمامة في كل زمان لإمام من الأئمة لا أن الإمامة منفية عنه في الأزمنة الأخرى كما يظهر ذلك بمراجعة هذه الروايات نفسها إذ ورد في تلك الروايات أنه في كل زمان إمام منّا هادي يهدي النّاس إلى ما جاء به النبي والهادون بعد النبي هم علي وأبناؤه من بعده الواحد بعد الآخر فلو غضّينا النظر عن ذلك وفرضنا أن كل إمام إنما هو هادٍ لزمانه فهل يعني ذلك أن لا احترام له بعد مدته أو هل يعني أنه إذا قال حكماً من أحكام الله فيجب العمل به ما دام حياً فإذا مات لا يجوز العمل به . فإن كانت النتيجة التي تريدونها من ذلك الكلام هي الأول (فقدان الاحترام بالموت) فنقول نحن نحترم الإمام ونعظمه لأنه كان في ذلك الزمان إماماً

وهادياً مختاراً من الله واحترمه الله وكرّمه . وإن أردتم الثاني فيجب أن يثبت أنه بموت الإمام مات الله وإلا فإن الإمام لا يأتي بالحكم من نفسه حتى يموت بموته بل جميع أحكام الإمام عن النبي عن الله بلا نقيصة ولا زيادة . وعليه لا يموت حكم الله بموت الإمام .

رسالة أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان :

هذا الكاتب وبلا مبرر جاء بكلمة من نهج البلاغة ليواجه بها المؤمنين فقال : وإذا أردنا أن نستند إلى نهج البلاغة أيضاً فإن الإمام علي بن أبي طالب كتب إلى معاوية كتاباً يقول فيه : « وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى » .

يجب أن نذكر هنا عدة كلمات من نهج البلاغة ليتضح أن الإمام علي بن أبي طالب إنما كتب هذا إلى معاوية من باب الاحتجاج عليه بما يقبلون به وعملوا به في زمان الخلفاء لا أنه أراد أن يقول أن رضا الله واقعاً هو في ذلك . ونغض الطرف عن كل الروايات والآيات واحتجاجات علي والحسن والحسين والزهراء وسلمان والمقداد وابن عباس وأبي ذر وعمار وبريدة الأسلمي وأبي الهيثم وابن النيّهان وسهل وعثمان ابني حنيف وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت وأبيّ بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم ممن ذكرت احتجاجاتهم في كتاب الاحتجاج والثانية بطرق العامة والخاصة . وهذه جمل من نهج البلاغة لتعلموا أن علي بن أبي طالب كان يرى أنهم غصبوا حقّه وأنّ الخلفاء على الباطل .

١ ـ من قرأ الخطبة الشقشقية يظهر له رأي الإمام علي (ع) في الخلفاء وبأي وصفٍ وصفهم فلتراجع الخطبة .

٢ ـ في الخطبة ١٦٧ : « اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم فإنّهم قطعوا رحمي وصغّروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي » فقال له رجل من الناس « إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص » فقال : « بل أنتم والله لأحرص وإنما طالبت حقّاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه » .

٣ ـ في الخطبة الخامسة « فما زالت مدفوعاً عن حقّي مُستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيّه (ص) حتى يوم الناس هذا » .

٤ ـ الخطبة ١٤٦ : « حتى إذا قبض رسول الله (ص) رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل واتكلّوا على الولائج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي أمروا بمودّته ونقلوا البناء عن رصٍّ أساسه فبنوه في غير موضعه ، معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرةٍ قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكن أو مفارق للدين مباين » .

٥ ـ يقول في الخطبة التي خطبها بعد أن بويع : « لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الأمة أحد » إلى أن يقول : « ولهم خصائص الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة ، الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله » .

هذا مقتطف من كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة بالنسبة إلى غصب حقّه فلينظر القرّاء الآن إلى كلام الإمام لمعاوية . إن الإمام الذي أبرز كل هذه المظلوميّة من غصب حقّه ، هل يمكن حمل ذلك الكلام إلا على أنه من باب « لو سلّمنا » وعلى أساس الاحتجاج بما يلزمون به أنفسهم أو على أساس أنه (ع) كان يخشى أن يستغّل معاوية الرسالة ويجعلها وسيلة لتحقيق أطماعه وإساءة نظرة الناس إلى الإمام . فإن الناس هم أولئك الذين صرخوا : واعمراه واعمراه واعمراه عندما أراد أن يبطل إحدى بدعهم[1] حتى تراجع علي (ع) عن كلامه .

السؤال الرابع وجوابه :

أجر كل عمل مرتبط بالجهد الذي يبذل فيه والمنافع التي تترتب عليه فهل الأحاديث التي تقول إن ثواب الزيارة أو الفراء وأمثالها أكثر ضعفاً من ثواب ألف نبي أو شهيد (وهو أيضاً شهيد بدر) صحيحه أم لا ؟ .

وقبل الجواب نسأل هذا الكاتب والقراء المحترمين سؤالاً لعل جوابهم عنه يكون الجواب عن ذلك السؤال أيضاً . القوا نظرة على أنواع النعم التي منحنا الله إياها من آلاف السنين قبل أن نولد إلى الوقت الذي نموت فيه وإلى ما بعد ذلك ولنحسب نعم

---

(١) كانت نافلة شهر رمضان تصلى أيام رسول الله (ص) وأبي بكر وأوائل خلافة عمر فرادى فأمر عمر أن تصلى جماعة قائلاً : هذه بدعة حسنة ، كما ورد في صحاح السنة (فلتراجع الفصول المهمة) فأراد علي (ع) تغيير ذلك والغاء هذه البدعة فطلع الصوت واعمراه كما ورد في وسائل الشيعة .

ذلك العالم الـذي لا ينتهي فسترون ابتـداء من الشمس المنيرة والقمـر المضيء والأنجم الزاهرة ، إلى حركة الليل والنهار وظهور فصل الربيع وفصل الشتاء وذرات الكـائنات والعناصر والمعادن والنباتات والحيوانات والهواء النقي والماء العـذب والأرض الواسعـة والبحار المائجـة والصحاري التي لا تنتهي والقـوى الأرضية والسماوية وغيـوم الأمطار المتساقطة والأراضي الزراعية والجبال المتينة والسهول ، والمأكولات المختلفة والملبوسات المتنـوعـة ومئـات الآلاف من النعم التي لم ننـالها بعـد ، كلهـا جعلت في تصرف بني الإنسان وخلقت لنفعنا وراحتنا . ثم انظروا في أبدانكم وما فيه من الآلات والأدوات الظاهرة التي لكل منها حكمتها الدقيقـة والأجهزة البـاطنة كـالجهاز الهضمي والجـذب والدفع وكل الذي ثبت إلى اليوم في علم التشريح والطب والذي لعله لا يبلغ عشر ما سيثبت فيـما بعد ثم القـوا نظرة عـلى القـوى الـروحيّـة التي بيّنهـا عـلى النفس والتي لم يتوصلوا إلى الكثير منها ثم انظروا في نعم الله باختلاف السنين ابتداء من الطفولة حتى زمان الكبر والعجز ، والمتوفرة بحسب ما يناسب الأحوال ، وجملة الكلام لو أراد جميع العادّين أن يعدوا هذه النعم بحسب أنواعها فهم عاجزون عن ذلك . وحينئذٍ اسألـوا أنفسكم لماذا كانت كل هذه النعم التي لا تحصى ومقابل أية خدمة وأي خدمة قمنا بها قبل أن نوجد نحن وأنتم في هذا العـالم حتى نعطي كـل هذا النعم في مقـابلها . نعم ننظر إلى هذا العالم بأعيننا الصغيرة الموافقة لفكرنا الضعيف ننظر إلى الأعمال الإلهية كما ننظر إلى أعمالنـا وأنها لجلب منفعة ولـذا يرد في ذهننـا أن لا نصرف الليرة مقابـل عشر شاهيات كما يقول هذا الكاتب لكن يتضح من خلال نظرة إلى المصنعٍ إلهي أن الله قد وهب كـل هذه النعم بـلا أي عوض أو عـرض له بـل أعطيت أيضـاً لمن وقفـوا ضـد أحكام الله واستكبروا وادعوا الألوهية وقتلوا الأنبياء وسلبوا ، وأعطيت لهم السلطنـات والممالك وصاروا أعزّاء في الدنيا فقولوا من خـلال نظرتكم الضيّقـة هذه أنـه ليس من جهالة في أن تصرف الليرة مقابل ريال واحد . نعم من يـرى لليرة والريـال قيمة ومن تعظَم في عيونهم يرون صرف ذلك إن لم يكن فيه فائدة صحيحة عمـلاً صبيانيـاً . إلا أن خالق الأرض والسماء الذي خلق العوالم كلها بكلمة « كن » لا يعطي أحداً لأجـل منفعة بل إن كل النعم لم تسبقها أية خدمة ولم ينظر فيهـا إلى أية منفعـة ممن نحن ومن العالم كله حتى ندّعي أننا قمنا بخدمة للذات المقدسة . فيا مساكـين البشر إلى أي حد أنتم بعيدون عن معرفة الله محجوبون عن عظمة فعل الله .

لا تقل للمدّعي أسرار العشق　　دعــه حتى يموت في عــين الغــرور[1]

إن هـذا الإله الـذي أعطى كـل هذه النعم من دون نـظر إلى أية خـدمة ، إلى فرعون والفراعنة ، فما المشكلة إذا أعطى إكراماً لمجاهد في سبيل الله آلاف النعم التي لا يتمكن أحد من إحصائها .

عمر البشر وجزاء الله :

من الجيد النظر إلى عالم الآخرة والنعم التي وعد بها القرآن في أكثر من مئتي آية وإجراء مقارنة بين الأعمال التي يقوم بها الإنسان خـلال حياتـه التي هي سنين معـدودة وبين الجزاء الذي وعد بـه الله في الكتب السماويـة وخصوصـاً القرآن الكـريم فهل أن ذلك من صرف الليرة بريـال وعلى قـول هذا الكـاتب الضيّق الأفق الذي جعـل نظره ميزاناً لنـظر الله ، هل هـذه الأعمال غـير متناسبـة وخارجـة عن ميزان العـدل أم يجب الاقرار أن الله لا يعامل الناس بعدله وليست المواهب الإلهية هي في قبال هذه الأعـمال المهترئة التي لا تساوي شيئاً ، فلو فرضنا أن امرءً عمّر في هذه الدنيـا خمسين سنـة وقد أتى بجميع ما أمر الله به من حين بموته من صلاة وصوم وزكاة وحج وخمس وغيرها ولم يتخلف عن أي حكم من الأحكام الإلهية فهل تعتبرون أن هذا الشخص هو من أهل الجنّة الموعودة أم لا . لا بد من الاقرار أنه فهم فلنحسب الآن ماذا يساوي عمـل هذا الشخص في سوق الدنيا من حين بلوغه إلى انتهاء الخمسـين سنة أي فـترة الـ ٣٥ سنة وأسعار الصلاة والصوم اليوم غالية عن كل سنة ١٥٠ و ٦٠ تومانـاً فلنحسب عن كل سنة ١٠٠ تومان فالمجموع ٣٥٠٠ تومان ولنفرض أنه ذهب إلى الحج أيضاً فهذه خمسة آلاف تـومان فـالمجموع ٨٥٠٠ ولنفـرض أنه دفـع زكاة وخمسـاً كل سنـة ألفي تومـان فـالمجموع ٧٨٥٠٠ ودفـع خيرات أخـرى فتصير مجمـوع أعمالـه بحسب سوق الـدنيا تسـاوي مئة ألف . وهـذا المبلغ هو قيمـة عمارة متـوسطة في تهـران أو راقيـة في المـدن الأخـرى ولو أراد أن يشـتري بهذا المـال عشرة عقارات كـاملة فلن يكفي ذلـك المـال ولنفرض أنه تمكن من شراء عمارة راقية في تهران فلاحظوا نسبة هذه العمارة إلى الآيات التي سنـذكر نمـوذجاً منهـا ولاحظوا نسبـة الريـال إلى الليرة فسنجد أنها أقـل بكثير من

---

(١) البيت في الفارسية :

يا مدعي مكـوئيد أسرار عشق ومستي　　بكـذار تـابمـيرد درعـين خـوديـرستي

صرف الليرة بالريال . بالنسبة إلى ما وعد الله به في القرآن . وحينئذٍ فلنحذف نصف القرآن كي تتم نظرة هؤلاء السفلة الضيّقة .

وهذه آيات من آيات كتاب الله :

سورة الحديد الآية ٢١ : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض اُمدّت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ . فهل يمكن مقايسة سنين معدودة من أعمالنا البالية مع نعم الله التي لا تنتهي في زمان لا ينتهي ، فإن من ضروريات جميع الأديان وصريح الآيات الكثيرة من القرآن أن الإنسان مخلّد في الجنة إلى الأبد فهل تقاس أعمال سنين معددة بنعم أبدية وخصوصاً هذا النحو من المقايسة .

نظرة في آيات التوبة :

ولنفرض أن شخصاً عاش عمره في المعاصي والتمرد على الله ، لم يصلّ ركعة ولم يدفع حبّة زكاة ، لم يذهب للحج ولم يصم يوماً ، ارتكب أنواع المعاصي لكنه استيقظ في آخر عمره وتاب وطلب من الله العفو عن ذنوبه وأدّى حقوق الناس أو أوصى بأدائها ومات وهو تائب . مات وليس عنده إلا التوبة . إن هذا الشخص وببديهة العقل والشرائع وصريح آيات القرآن من أهل السعادة ويعطيه الله الجنة الموعودة بالمجانّ . اللازم على ذي النظر الضيّق ملاحظة آيات التوبة في القرآن أيضاً حتى لا تصرف الليرة بالريال .

سورة التوبة الآية ١٠٥ : ﴿ **الم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم** ﴾ .

سورة النساء الآية ٧١ : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾ .

فليعترض ـ إذن ـ الأنبياء وشهداء بدرٍ وأحد بهذا الاشكال البسيط وليعرضوا شكواهم على الله أمام إحدى المحاكم أننا قد تحملنا كل هذا الأذى واهرقنا دماءنا عندما كان الإسلام ضعيفاً فارتفع بناء الإسلام بدمائنا فماذا جرى إذا جعلتنا في درجة واحدة مع شخص مات بعمر السبعين لم يخدم دينك وإنّما أطاعك وأطاع النبي في الصلاة والصوم وأمثال ذلك مدة سنة أو سنتين . فالأولى لهؤلاء المفسدين أن يلغوا

هذه الآية من القرآن حتى لا يتم هذا الاعتراض من الأنبياء والشهداء على الله .

سورة القدر المباركة :

نقل المفسرون عن ابن عباس أنه ذُكر لرسول الله رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب من ذلك رسول الله عجباً شديداً وتمنّى أن يكون ذلك في أمته فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الناس أعماراً وأقلّها أعمالاً . فأعطاه الله ليلة القدر وقال ليلة القدر خير من ألف شهر .

فليقم إذن بنوا إسرائيل للاعتراض أننا جاهدنا ألف شهر فكيف صارت عبادة ليلة من أمة النبي خيراً من ألف شهر من شهور تضحياتنا . فاحذفوا هذه الآية إذن كي لا يرد اعتراض بني إسرائيل .

الجواب عن اعتراض الجهال :

فإذا علمتم أن أمثال هذه الروايات موجود في القرآن فليعلم أن هذا الاعتراض غير وارد أصلاً . واشتباههم أنهم خلطوا العدالة بالتفضّل والكرم فاعترضوا . وقد وضحنا في مسألة أجر كل عمل أن أعمال البشر ليست لها هذا الأجر وهنا نقول امضيا ان ليس للبشر أن يطالبوا الله بأي شيء في ما يقومون به من أعمال لأن كل القوى والقدرات والحركات والسكنات والآلات والأدوات هي من الله والبشر لا يملك شيئاً فإذا قدّم رأسه في سبيل الله أو بذل ماله أو صرق قوته وقدرته في هذا السبيل فإنه لم يصرف شيئاً هو له بل جميع ذلك نعم تلطّف بها الله على العباد فمن هو الذي قدّم في سبيل الله شيئاً يملكه ليستحق أن يطالب الله بالأجر عليه . بل كل شيء هو منه وتصرف الأشياء في سبيل الله بالقوة التي هو أعطاها ، إلا أن الله من جزيل فضله وعظيم كرمه تفضّل ووضع أجراً ليعتقد العباد أن عندهم شيئاً يأخذون الأجر عليه وإلا فما معنى الأجر وما هو النفع ، والعمل ممّن ليكون له عوض .

فيا مساكين البشر الذين لم تعرفوا قدركم ونسيتم عظمة الله وظننتم أنكم أصحاب حق وأصحاب عقل حتى وصل بكم الأمر إلى أن تعترضوا على أعمال الله بإشكالات غبية . الآن وقد تبين أن ما يعطيه الله إنما هو تفضل وليس أجراً على عمل فأين خرقت العدالة إذا أعطى شخصاً إكراماً لنبيّه أو ابن نبيّه فضلاً أكثر من الآخرين . نعم لو كان هذا من باب العمل والأجرة عليه لصح ذلك الاعتراض لكن

من الواضح جداً أن ليس الأمر كذلك وأن لا أحد يستحق أن يطالب بشيء .

جواب آخر على الاعتراض :

وكما ذكر الفلاسفة الكبار وهو ظاهر القرآن الكريم أيضاً فإن هناك شيئاً آخر غير الجنة المادية التي وردت أكثر آيات القرآن في وصفها ومراتب أخرى غير مراتب ثواب أهل الجنّة ، وهي المقامات والمراتب الأخرى للجنّة الخارجة عن مقام الثواب وهي المقامات المعنوية واللذات الروحية المرتبطة بالكمالات الروحية والمعارف الإلهية التي هي من مقامات النفس . وبعد هذا المقام مقامات أُخر يعبّر عنها بمدن الولاية والمحبّة ومن يصل إلى هذه المقامات المعنوية لا ينظرون إلى الجنّة المادية التي هي مقام الثواب الإلهي ، وهم عنها معرضون مشتغلون بالمقامات المعنوية . ولهذا ولغيره من الأمور التي لا يناسب ذكرها في هذه الرسالة كان من الطبيعي أن لا يلتفت أصحاب هذه المقامات المعنوية إلى منزل الثواب أي الجنّة المادية . أما الذين لم يصلوا إلى هذا المقام فإن راحتهم واهتمامهم بهذا الثواب والجنّة المادية . ودرجات جنتهم هذه أكبر بألف ألف مرة والحال أن روحهم لن تطلع على المقامات المعنوية واللذات الروحية لأصحاب هذه المقامات . وبهذا البيان يرتفع الإشكال عن الآية ٧٢ من سورة النساء التي تقدم ذكرها لأن هذه الآية تبيّن ثواب الذين أطاعوا الله والنبيّ وأنهم مع الأنبياء والشهداء وهذا لا ينافي أن يكونوا معهم في منزل الثواب لكن لا التفات لهم إلى المقامات المعنوية والروحية التي لم يروها حتى في المنام ولن يروها ، والأنبياء لا ينظرون إلى النعم التي تعطى عادة للناس ولا يحسبون لها حساباً بل في هذه الدنيا التي ليست هي في الحقيقة منزل الثواب والوصول إلى المقامات الروحية ، في هذه الدنيا نفس الكلام صار أيضاً ، فإن فرعون والفراعنة مع أنهم كانت لديهم البلاد والسلطنات التي لم تكن عند موسى إلا أنّ لدى موسى من الكمالات الروحية ما يوجب عدم الاعتناء بمملكة فرعون ، كما أن فرعون والفراعنة لم يروا تلك اللذات التي كان يسعد بها موسى ، حتى في المنام .

« ليس في ضميرنا محلٌ لغير الحبيب   اعط العاكمَين للعدّو ويكفينا الحبيب »

وفي هذا المقام كلام لا يناسب هذه الأوراق ، وهو عند أهله واضح بأقل من هذا المقدار .

نظرة في التعزية :

يجب أن يقال هنا كلمة حول خصوص العزاء والمجالس التي تعقد باسم الحسين بن علي ، فنحن لا نقول ولا يقول أحد من المؤمنين أن كل عمل يقام بهذا العنوان هو عمل مقبول بل أن العلماء الكبار اعتبروا الكثير من هذه الأعمال بحيز جائزة وكانوا يمنعون منها كما نعلم جميعنا أنه وقبل ما يزيد على العشرين سنة منع العالم العامل المعظّم المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم وهو من أعظم علماء الشيعة ، منع من تمثيل كربلاء وقد بدّل أحد المجالس الكبرى إلى مجلس قراءة العزاء ، كما منع العلماء الآخرون من أشياء كانت على خلاف شريعة الدين ولا زالوا يمنعون لكن المجالس التي تقام في بلاد الشيعة باسم العزاء هي جيّدة مع كل ما فيها من نواقص فإن التشريعات الدينية والأخلاقية وكل ما هو موجود من الفضائل ومكارم الأخلاق ، هي من آثار هذه المجالس . إن دين الله والقوانين السماوية أي التشيع المقدس مذهب أتباع علي (ع) وأولي الأمر ، قد ثبت إلى الآن ببركة هذه المجالس المقدّسة التي اسمها العزاء ورسمها نشر دين وأحكام الله وسيبقى ثابتاً . وإلا فإن الشيعة بالنسبة إلى الآخرين هم أقلية كاملة فلو لم تؤسِّس هذا الأمر الذي هو من أهم الأعمال الدينية لم يكن ليبقى إلى الآن أثر للدين الحقيقي أي مذهب الشيعة ولكانت المذاهب الباطلة التي تفرّعت من سقيفة بني ساعدة والتي تأسست على هدم أساس الدين قد خنقت الحق .

فالله لما رأى أن مفسدي الصدر الأول قد زلزلوا بناء الدين ولم يبق إلا عدد قليل أمر الحسين بن علي بأن يتحرك ويبذل النفس فأيقظ الملة بتضحيته ، وجعل الله الثواب الجزيل لأصحاب العزاء ليبقى الناس على يقظتهم ولا يتركوا أساس كربلاء الذي بُني على هدم أسس الظلم والجور وعلى الأخذ بيد الناس نحو التوحيد والعدالة ، يصير من الأمور البالية . وإذا كان الحال كذلك فاللازم أن يقرّر مثل هذا الثواب للمشاركين في العزاء حتى لا يتراجع عنها الناس مهما كانت الضغوطات والصعوبات وإلا فإن جهود الحسين بن علي ستزول بسرعة البرق الأمر الذي يعني اندثار جهود ومساعي رسول الإسلام في تأسيس أساس التشيع . وعليه فلو فرضنا أن الله يعطي الأجر مقابل منفعة تترتب على العمل فإن منفعة هذا العمل هي بقاء إلدين الحق وبقاء التشيع الذي به ترتبط سعادة الناس في الدنيا والآخرة . وبملاحظة وضع

الشيعة في ذلك الزمان وما كان يقوم به فخالفوا علي بن أبي طالب من ضغوطات على أتباعه فإن قيمة ذلك العمل أكثر من أن تتصّور والله قد جعل لهم ثواباً لم تره عين ولا سمعت به أذن وهذا كمال العدل .

بحث آخر في النبوة والإمامة :

وقع هذا الكاتب في اشتباه آخر فقال : « في كل طريق وخصوصاً سبيل الله يجب أن يضيع اسم الشخص فالإمامة التي لها محلها والنبوة أيضاً يجب أن لا يعتبرا من الدين لأنهم المرشدون إليه لا جزء منه » ثم يقول : « فبدل أن تكون هذه المناقشات العبثية على الأسماء والأشخاص تكون على الأمر الأصلي أي التوحيد والتقوى ولكانت الاختلافات أسرع زوالاً ولتقدم الدين أكثر » .

والجواب أننا لو فرضنا عدم الدليل على أن النبوة والإمامة من الدين . لكن يجب بحكم العقل أن نعرف النبيّ والإمام لأن ذلك وإن لم يكن من أجزاء الدين (حسب الغرض) لكن الله أوجب بقوله : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ على جميع البشر إطاعة النبي والإمام في جميع أقوالهم فلو جاءنا شخصان وادعى كلٌ منهما أنه النبيّ الذي أمر الله بإطاعته وقد أمرنا كل منهما بأمر يخالف الآخر وليس لنا طريق لنعرف من هو الذي يجب أن يطاع منهما إلا أن نعرفه باسمه وعلامته لنعلم أن الذي أمرنا الله بإطاعته هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المتولّد في سنة كذا وصاحب الصّفات الفلانية لا مسيلمة أو شخص آخر . أنتم ماذا تقولون أتقولون أن نطيع كل من يأتي ويقول أنا نبيّ فأطيعوني ونقبل منه دون دليل أم لا بد أن نعرفه . فلو عيّنت الدولة مثلاً حاكماً لمحافظة طهران باسم معين وعلامة معيّنة فجاء شخص وادعى أنني هو ذلك الحاكم فكونوا تحت أوامري فهل يجب أن يطاع دون أن يعرف . أو عيّنت مثلاً طبيباً مختصاً بالأمراض الرئوية فأنتم الذين تريدون مراجعته هل تراجعون كل شخص غير معروف بمجرد أنه وضع لافتةً أم أوّلاً يجب أن تعرفوه وتعرفوا أنه هو ذلك الطبيب المختص ثم تراجعونه . ونحن قد عرفنا النبي ثم جاء بعد النبي أبو بكر يقول : أنا خليفة النبي وأنا من أولي الأمر الذين أمر الله بإطاعتهم وقال علي بن أبي طالب نفس الكلام فلمن يرجع الناس حينئذٍ هل يرجعون إلى ما يقوله العقل في أوصاف الإمام وأولي الأمر وإلى كلام الله وكلام النبي ليروا ماذا قيل

في هذا الموضوع أم يتلقون الأمر ببروده ويقولون لا شغل لنا بذلك المهم هو التوحيد . نحن عرفنا الله فلا داعي لإطاعته وكل ما يقوله لا يهمنا يكفي أننا عرفنا أن الله واحد فلا حاجة إلى كل هذه التشريعات من القرآن والنبي يكفي التوحيد .

إن هذا العقل وهو الرسول الإلهي الباطني يقول إن الدليل الدال على وجوب إطاعة الله يدل على وجوب إطاعة رسوله وهو يدل على لزوم إطاعة أولي الأمر . فهذه المناقشات إذن حول أسماء الأشخاص ضرورية بحكم العقل فلو أن المسلمين كلهم يقبلون ما قاله الرسول حول أولي الأمر وردّوا الذين ادعوا الخلافة بلا دليل لم يكن بيننا وبينهم حينئذٍ نزاع ونقاش . فهذه المناقشات إذن هي منصّبة على إطاعة وإلا لم يكن لنا شغل في الحديث عن الأشخاص فإن ملايين السلاطين والعظام والفلاسفة وجدوا في هذا العالم ولم نناقش أحداً فيهم ونسينا أسماءهم وإنما تحدثنا في عدة أشخاص وما كانت كل هذه المناقشات إلّا لأنّ الله أمرنا بإطاعتهم فنحن ندخل في المتاقشات حول كلام الله أم تقولون بأن لا نعتني بكلام الله . إن العقل لا يقبل ذلك منكم .

النبوة والإمامة من أجزاء الدين :

وهذا الرأي الذي ذكرناه كان على الفرض بأن النبوة والإمامة ليستا من الدين ، لكن لدينا أدلة من القرآن وكلام النبي أنهما من الدين . أما أن الإيمان بالنبي من الدين فبنصّ القرآن في آيات عدة اعتبرت ذلك فعلينا نحن أيضاً اعتبار النبوة كذلك . وهذا دليل من القرآن :

سورة الحديد الآية ٢٨ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** ﴾ فلو لم يكن الإيمان بالرسول من الدين لم يكن لهذه الآية فائدة بل لكان المناسب أن يقول لا تذكروا الرسول وانسوا اسم النبي في سبيل الله كي يوافق كلام هؤلاء الجهّال .

سورة البقرة الآية ٢٨٥ : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله** ﴾ فقد وصف الله المؤمنين بأنهم يؤمنون بالأنبياء فلو لم يكن الإيمان بالأنبياء داخلاً في الدين ـ كما يقوله ذلك الكاتب ـ لوجب رفض ذلك ولكان على الله أن يلوم من آمن بالأنبياء لا أن يمدحهم .

وفي سورة النور الآية ٤٦ : ﴿ **ويقولون آمنا بالله والرسول واطعنا ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين** ﴾ فإذن من أركان الإيمان الإيمان بالرسول .

وأما إن معرفة الإمام ومحبته من الإيمان فالآيات تدل عليه ونكتفي هنا بذكر بعضه :

فمنها سورة المائدة الآية ٧١ : ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ فباتفاق الشيعة والوارد في الكتب المعتبرة لأهل السنّة والجماعة من طرق كثيرة عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي رافع والآخرين أن هذه الآية نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب . والآن هل تقولون أن التعريف بعلي بن أبي طالب للناس ـ بهذه الآية ـ من الدين وأن الناس مأمورون بمعرفته وإطاعته أم أن ذلك العمل بلا فائدة وغير عقلائي والمقصود اللعب واللهو .

وفي سورة الصافات الآية ٢٤ : ﴿ **وقفوهم أنهم مسؤولون** ﴾ ففي غاية المرام ذكر ثمانية أحاديث من طرق السنّة أن الناس يوم القيامة يوقفون ويسألون عن ولاية علي بن أبي طالب فإن لم تكن ولاية من الدين ولم تكن أمراً مرتبطاً بالدين لكان السؤال لغوياً .

وفي سورة آل عمران الآية ٩٨ : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ فقد ورد من طرق أهل السنّة أربعة أحاديث أن حبل الله الذي يجب على الناس أن يتمسكوا به هو علي بن أبي طالب .

واعلموا أن ما ورد من آيات في علي بن أبي طالب هي أكثر من أن يمكن ذكرها في هذه الأوراق فمن أراد فليراجع تفاسير الشيعة والسنّة ليتضح له ذلك .

وأما الأخبار الواردة في هذا الباب فهي كثيرة جداً فمن أراد فليراجع غاية المرام وكتب الأحاديث الأخرى .

فمن ذلك الحديث المعروف عند السنة والشيعة عن النبي أنه قال : « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » .

ومن ذلك الأحاديث الكثيرة التي نقلها أهل السنة[1] كقوله (ص) : « الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع عنده عمله إلا بمعرفة حقنا » وقوله (ص) : « إلا ومن مات على حبّ آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، الا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان » وغيرها من الروايات التي توازي عدد نجوم السماء .

وهنا نختم المقالة الثانية ، والمأمول أن ينظر القرّاء المحترمون بعين الانصاف ليُعلم ما يثيره هؤلاء الجهّال ونحن باختصار شديد انهينا هذه المقالة .

المقالة الثالثة
العالم

السؤال الخامس وجوابه :

هل إن ما يقولونه من أن المجتهد في زمان الغيبة نائب الإمام صحيح أم لا ؟ وان كان حقاً فما هي حدوده ؟ وهل الحكومة والولاية ضمن حدوده أم لا ؟

نظرة عامة إلى الحكومة والولاية :

نذكر هنا مقدمة للمقالة الثالثة والرابعة والخامسة ، وللجواب الخامس حتى التاسع وليَزِن القرّاء المطلب إلى آخره وليطالعوه ليتضح لهم المراد .

كثيراً ما يحصل أن توجب العادة أو تكرار العمل حجاباً على أحكام العقل بحيث لو تكلّم الإنسان بخلاف ذلك لأحدث تعجباً شديداً ، ويوجب ذلك أن يُشخِّص الأمر على خلاف الواقع ، ولا بد أن نوضح الأمر بمثال : فلو فرضنا أن شخصاً عادياً أخذ منكم بالقهر توماناً أو أجبركم على عمل لا تريدونه فالجميع يصفه حينئذٍ بأنه سيء العمل معتدي ويعتبرون عمله أمراً لا يرضى به العقل ويعتبرونه مجرماً لا بد من معاقبته . ثم لو فرضنا أن هذا الرجل المجرم شكّل عصابة من عشرين أو ثلاثين شخصاً التفّوا حوله وهجم على قرية فجرح منها أشخاصاً وتسلّط عليها . هنا أيضاً يعتبره العقلاء ظالماً ، وأعماله إجرامية لا بد من إسقاطه . لو ترقّينا أكثر وفرضنا أن هذا الرجل قويت عصابته وهجم على مدينة قتل منها أفراداً واحتلّها وأخذ من الناس الجزيات . هنا أيضاً يعتبره العقلاء ظالماً مجرماً يجب إسقاطه وإعدامه . فلو ترقّينا أكثر وفرضنا أن هذا المجرم صار تحت يده أفواج من العسكر ثم هجم على عاصمة بلدٍ وحبس أهلها وقتل جماعة كثيرة منهم واحتل العاصمة وأخرج ملك ذلك

البلد وأخذ محله وتمضي أيام على هذا العمل وتذوق الناس المرّ وفيما بعد يبدأ اسم ذلك الهجوم وقتل الناس يتبدل ثم تقام لـه الاحتفالات وتضاء له الإضاءات ويصير اسمه « سمّو الحضرة المباركة » ويُجعل حكمه هو حكم القدر ويذكر في الأناشيد الوطنية « ما هو أمر الرب وما هو أمر الشاه » فاسألوا العقل الخالي عن العادة عن التفاوت بين هذه المراتب فلماذا كلّما ضاقت دائرة الظلم كان مرتكب الظلم يُشخص أنه ظالم مجرم لكن عندما اتسعت دائرته وكثر قتل الناس والتعديات فإن جميع هذه الأسماء تتبدل فهناك يقال سارق مجرم وهنا يقال سمو الحضرة المقدسة المباركة وفرمان القضاء والقدر وأمثال ذلك .

القوا نظرة على قوانين الدنيا فلو كتب شخص عادي كتيّباً يحّدد فيه للناس وظائفهم كأن يوجب أن يدفعوا كل سنة مقداراً من الماس وأن يقوموا بالعمل المخالف لحياتهم وميولهم فإن هذا الكتاب ينظر إليه كصفحة سوداء وإذا أراد أن ينّفذ ما فيه نعتبره مجرماً ونعتبر حكمه مخالفاً للعقل والعدل . ولو فرضنا أن مئة شخص كتبوا كتيّبات منه أيضاً نجد نفس الحكم لكن لو وصل هذا الشخص إلى النيابة (في الدولة) بالقوة أو بالتزوير ولو وصل هؤلاء المئة بالوسائل التي يعرفها الجميع إلى كرسيّ النيابة وحكموا بما لا يرضى به المنتخبون وأغاروا على الأموال وهتكوا الأعراض فإن هذا الحكم سيعتبر حكماً عقلائياً وعادلاً وستكون مخالفته جرماً وجناية . فاسألوا العقل الخالي من العادات الجاهلية ، الصافي عن الفرق . قد يقال إن الناس اختارت نوابها فعليهم أتباعهم لكن نقول :

أولاً : إن أكثرهم لا يعرف شيئاً عن النيابة وعن مجيء ومضيّ وقت الانتخابات وكيفية هذه النيابة وحدود صلاحيات النائب ولذا نجد في المحافظات التي يزيد عدد سكانها عن المئتي ألف لا يعرف بالانتخابات أكثر من عشرة آلاف أو اثني عشر ألفاً ، وحينئذٍ فإن نيابتهم ظالمة وأحكامهم جور لا يجوز اجراؤها بحق الناس .

ثانياً : مضت على انتخابات إيران ١٤ دورة ورأى الجميع في الدورات السابقة في زمان الدكتاتورية أو تلك الدورات المخزية أو ما لحقها أنها لم تجر على وفق العدالة والحرية وجميع هذه الدورات يمكن المسح عليها والدورات في عصر بهلوي لا يمكن التستير عليها فما الذي أوجب أن تعتبروا كل القوانين التي صدرت في تلك الأيام عادلة وأن مخالفتها جرم مع أن العمل بها حقاً هو من أكبر الجرم والظلم .

ثالثاً : يجب على النائب بحكم العقل أن تكون أعمإله على وفق صلاح ونفع المنتخب وإلا كان معزولاً عن النيابة لخيانته وجنايته والمنتخبون لم يعطوهم أبداً أرواحهم وأموالهم وأبناءهم وأعراضهم ولن يعطوهم . إذن جميع هذه القوانين البشرية وحكومات العالم قد بنيت على الجور وخلاف حكم العقل .

الحكومة أمر لازم :

من أحكام العقل الواضحة أن أحداً لا يستطيع إنكار ضرورة وجود قانون وحكومة بين البشر والمجتمع البشري بحاجة إلى تشكيلات ونظام وحكومة أساسية . والذي يحكم به العقل الذي وهبنا الله إياه أن تأسيس الحكومة بحيث تكون ملزمة للناس بحكم العقل أن تتبع ، هو عمل من يملك كل ما يملك الناس ومن إذا تصرف فيهم يكون متصرّفاً في ملكه وهذا المالك تكون ولايته وتصرفاته نافذة على جميع البشر وصحيحة بحكم العقل وهو الله المالك لكل موجود خالق الأرض والسموات فكل حكم ينفّذه فهو إنما ينفّذه في ملكه وكل تصرف يتصرّفه فهو يتصرّف في ماله وان أعطى الله الحكومة لأحد وأمر بلزوم إطاعته بواسطة كلام الأنبياء فعلى البشر أن يطيعوه وأي حكم غير حكم الله أو غير حكم من عيّنه الله لا يجوز للبشر أن يقبلوه كما أنه لا وجه في قبول واضعي الأحكام من البشر وهم مثلهم لهم شهوة وغضب وشيطنة وخدع يريدون منافعهم الشخصية على حساب الآخرين . وجملة الكلام أن هؤلاء أيضاً محتاجون ومبتلون بعوامل كثيرة ولا توقّع من هذا البشري أن تكون أحكامه على وفق المصالح العامة وأن لا يفضّل نفسه على الآخرين وأن لا يستحق منافع الآخرين . إضافة إلى أنّ هؤلاء عندما يشرّعون لا يؤمن أن لا يقعوا في الخطأ والاشتباه بل قد يكون الحكم مضرّاً بالناس مخالفاً لمصالح البلد ولو أردنا أن نسلّط الضوء على فرع من هذه القوانين لاحتجنا إلى كتاب . ولا نعتقد وجود حاجة الآن للتوضيح بل يكفي أن القوانين المطبقة يبدلونها كل مرة أو ينقصون منها أو يزيدون عليها ويلتفتون إلى أخطائهم لكن أولئك الذين لم يلتفتوا هم أكثر بكثير . وفي القوانين الجزائية والحقوقيّة فقط يوجد ما يكفي من الأحكام المخالفة للعقل يضيق الوقت عن تعدادها فانظروا في قانون المالي لتروا إلى أيّ حدٍ المسألة في لعب فأحياناً يعطون تمام الصلاحيات لرجل بلا إطلاع بحيث يستطيع أن يتعرف كما يشاء بأرواح وأموال الناس المساكين في هذا البلد الذي لا صاحب له . فبمجرد أن يسمّى شخص باسم

مستشـار أمريكي فلن يصفـه المسؤولون بـالخطأ والاشتبـاه أو الخيانـة والسرقـة . فهم يفقـدون رشدهم أمـامه . هؤلاء المجحفـون يعتبرون أن التمسـك بـاللغـة العـربيـة ـ المأخوذة من الفكر الإلهي والدين الإلهي والتي أعطتنا ثقـافة واسعـة لا تنتهي وبأفضـل أسلوب وأجمله ـ جرماً لأنها لغـة أجنبية يجب إلغـاؤها في البـلاد لكنّهم يضعون مصـير البلد تحت يد حفنة من الأجانب ويعتبرون ذلك من دون أي خجل خطوة إصلاحية . هل يمكن أن يسمّى هذا الإعلام وعي أو خيانة ؟

دليل هذا الكلام من القرآن :

هذا الكلام وان قبله كـل من نظر إليـه بصدق وفكّـر في جوانبـه ، والبشر مهما كان لهم من القوة والقدرة فإن عقلهم يدرك أنهم ليسوا عـلى حق ولا يقبل ذلـك منهم ويعتبر أن سلطنتهم وحكومتهم ظالمة غير عقلائيـة لكنّنا مـع ذلك نـأتي هنا بـدليل من كلام الله حتى يظهر حال هؤلاء الحكام وهذه الحكـومات . ففي سـورة المائـدة الآيات (٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥) : **﴿ ومن لم يحكم بمـا أنزل الله فـأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بمـا أنزل الله فـأولئك هم الـظالمون ومن لم يحكم بمـا أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، وأنزلنا إليك الكتاب الحق مصّدقاً لما بين يـديه من الكتـاب ومهيمنـا عليه فـاحكم بينهم بما أنـزل الله ولا تتبـع أهـواءهم عـما جـاءك من الحق ﴾ ﴿ وأن احكـم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض مـا أنـزل الله إليك أفحكم الجـاهلية يبغـون ومن أحسن من الله حكماً ﴾** . وإذا أردنـا أن نذكر الآيات التي حصرت الحكم بالله بشكـل عام وخصـوصاً في المـوارد التي حصرت القوانين فرداً فرداً بالقانون الإلهي لطال الكلام فهنا أيضاً نغض الطرف عن جميع هذه الأمور ونسأل العقل : هل أن الله الذي خلق العالم بهذا النظم والترتيب البديعين على أساس الحكمة والصلاح والبشر الذي اعتبر موجوداً عجيباً بحيث في داخل كل واحـد منهم حب الرئاسة على جميع الدنيا وأن لا يأكل أحد من مائدته والتعدي والتجاوز على الآخرين هل يمكن أن يترك الناس بلا تكليف وأن لا يشكّل بين الناس حكومة عـادلة لا ريب في خروج ذلك عن حكم العقل ولا يجوز أن يُنسب إلى الله الذي بنيت أعماله على أساس العقل المحكم . إذن لا بد من أن يكون تأسيس الحكومة وتشريع الأحكام في عهدته هو تعالى ولا بد أن تكون قوانينه عـادلة تحفظ النـظام والحقوق . وبـالتأكيـد ليس من منافع شخصيـة وآراء خاصـة وعوامـل أخرى في التشريعـات الإلهية لأن الله

منزّه عن ذلك كلّه . هذا التشريع الذي لاحظ الجهة العامة لبلاد العالم وخصوصيات الأسرة والحياة الاجتماعية لكل البشر وحياة الفرد الشخصية الذي كان يعيش في الغار وحده ولاحظ مرحلة ما قبل أن تستقر النطفة في الرحم حتى ذهاب إلى القبر الضيّق ، ووضع آلاف التشريعات . هذا التشريع هو دين الله الإسلام ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ وسنذكر فيما بعد بالدليل الواضح أن الإسلام لم يهمل شيئاً في ما يختص بأسلوب تشكيل الحكومة والقانون المالي وقوانين الحقوق والجزاء وما يرتبط بنظام الدولة من تشكيل الجيش إلى تشكيل الإدارات . ولكنكّم لا تعلمون ذلك . والمصيبة كل المصيبة أن المبدأ يملك مثل هذه القوانين يمدّ يده إلى البلاد الأجنبية ويُنفّذ فيه ما اخترعه هؤلاء من قوانين تولّدت من الأفكار المسمومة لشرذمة من محبّي ذواتهم وأن يُعرض عن قانون بلد متدين متأله حتى أنه يظن أيضاً غفلة منه أنه لا قانون هنا أو أنه قانون ناقص مع أنه في باب القضاء مثلاً يوجد في الدين آلاف من الموادّ بحيث يتم القضاء بأحسن أسلوب وأسهل نظم . وسنذكر فيما بعد شيئاً من ذلك ليتضح المطلب .

نتيجة الكلام إلى الآن

ليس لأحد إلا الله حق الحكومة على أحد وليس لأحد غيره حق التشريع بل بحكم العقل الله هو الذي يشكل الحكومة للناس ويشرّع لله الأحكام . أما الشرع فهو شرع الإسلام والذي سنثبت فيما بعد إنه شرع للجميع وإلى الأبد . وأما الحكومة ففي زمان النبي للنبي وفي زمان الأئمة للأئمة (ع) والله أمر الجميع بإطاعتهم بنص القرآن . وليس لنا شغل الآن بذلك الزمان الكلام فعلاً في زمان الغيبة .

مجلس المؤسسين يشكّل الحكومة

ولاية المجتهد ـ التي هي محل السؤال ـ كانت محل بحث من أول يوم بين المجتهدين وقد وقع البحث في ثبوت أصل الولاية كما وقع في حدودها وسعة حكومته وهذا من الفروع الفقهية فيأتي الطرفان بالأدلة خلال البحث وعمدتها أحاديث وردت عن النبي والإمام وشغل لنا فعلاً بالأحاديث فإن ذلك يحتاج إلى بحث فقهي ولا يفي به هذا المختصر إضافة إلى أن هؤلاء ليسوا أهلاً لفهمه . هنا نسأل العقل سؤالاً لعله يحل المسألة . ونحن عندما نقول الحكومة والولاية في هذا الزمان بيد الفقهاء لا نريد

أن نقول إن الفقيه هو الملك وهو الوزير وهو العسكري وهو عامل البلدية بل نقول كما أنه يتشكل مجلس المؤسسين من أفراد بلد ما وهذا المجلس يشكل الحكومة ويغيّر سلطة وينتخب سلطة أخرى ، وكما يتشكل مجلس النواب من أشخاص معروف حالهم يريد أن يحكّم القوانين الأوروبية على بلد لا يتناسب أبداً مع وضع أوروبا أو يحكّم آراءه وأنتم على العمى تعتبرونها شيئاً مقدساً وتعتبرون السلطان سلطاناً بإمضاء مجلس المؤسسين دون أن يهتز العالم ودون أن يزول البلد عن محله أصلاً . فإذا تشكّل مثل هذا المجلس من المجتهدين المتدينين يعرفون أحكام الله عدول يخالفون هواهم لم يتلوثوا بالدنيا وحب الرئاسة ولا يريدون إلا نفع الناس وإلا إجراء حكم الله واختاروا شخصاً عادلاً سلطاناً لا يتخلف عن شرع الله ويحترز عن الظلم والجور ولا يعتدي على أموال وأرواح وأعراض الناس فأين يختل نظام البلد وكذلك لو تشكّل مجلس النواب من فقهاء ورعين أو تشكل تحت إشرافهم كما ينص عليه القانون أيضاً فكيف يختل العالم . لماذا إذا تشكل مجلس المؤسسين بالإجبار يكون حكمه نافذاً وصحيحاً لكن إذا تشكل من ذوي الإطلاع المستقيمين وعلى أساس شرع الله يصبح في الأمر خلل ؟ هذا ليس إلا لأنهم يحادّون الشرع الإلهي وإنما يريدون الاقتداء بقوانين أوروبا وهذا من كبرى مصائبنا كما أنه مخالف للعقل . لم يكن المجتهدون أبداً مخالفين لنظام البلد واستغلال البلاد الإسلامية بل حتى أنهم لم يخالفوا هذه القوانين مع اعتقادهم أنها مخالفة لشرع الله وإن هذه الحكومة جائرة ولن يفعلوا لأنهم يرون هذا النظام القشري أفضل من عدمه ولذا عندما يحدّدون حدود الولاية والحكومة نجد أنها عبارة عن عدة أمور . فالافتاء والقضاء والتدخل لحفظ أموال الصغار والقصرّ لا يرتبط بالحكومة ولا اسم للسلطة فيها . ومع أن كل السلطنات ما عدا سلطنة الله مخالفة لمصالح الناس جائرة وكل القوانين باطلة لاغية إلا شرع الله ، لكنهم يحترمون هذا الباطل أيضاً إلى أن يتأسس نظام أفضل .

نظرة في كلام ذلك الكتاب :

يقول : « يقول الدين في يومنا هذا إن الفقيه في زمان الغيبة نائب الإمام ويرد على هذا الكلام عدة إشكالات فقهية وعلمية » إلى أن يقول « إن كان لهم (الفقهاء) ولاية وحكومة فسيكون لدينا في كل حيّ ، وأحياناً في بيت واحد عدة سلاطين » .

هؤلاء الجهّال يتخبطون بالكلام ويقدّمون للناس الاشتباهات الكثيرة . ذكرنا أنه لم يقل أي فقيه إلى الآن ولم يكتب في كتاب أننا سلاطين أو أن السلطنة حقنا نعم لو تشكلت حكومة بالنحو الذي ذكرنا فإن كل عاقل يقر بأن ذلك أمر جيد موافق لمصالح البلد والناس وبالتأكيد فإن التشكيلات المؤسسة على أساس أحكام الله والعدل الإلهي هي أحسن التشكيلات لكن الآن حيث لم يقبلوا منهم ذلك فإن هؤلاء (الفقهاء) لم يخالفوا أبداً هذه التشكيلات النصفية ولم يريدوا أبداً أن يهدموا أساس الحكومة وإذا خالفوا أحياناً سلطاناً فإن مخالفتهم إنما هي لهذا الشخص من حيث أن وجوده مخالف لصلاح البلد وإلا فإنّه لم يبرز إلى الآن مخالفة مع أساس السلطنة بل إن كثيراً من العلماء الكبار رفيعي المقام واكبوا السلاطين في النظام مثل الخواجة نصير الدين ، والعلامة الحلي ، والمحقق الثاني ، والشيخ البهائي ، والمحقق الداماد وأمثالهم . ولم تبرز منهم معارضة مع أصل النظام والحكومة مهما كانت ضغوط الدولة أو السلاطين عليهم ومهما أساؤوا من معاملتهم . والتاريخ بين أيدينا وما قدّمه المجتهدون للدولة مذكور في التواريخ . والآن تريدون أن تسيئوا نظرة الدولة إليهم وهذا ليس إلا عن سوء نيّة وإثارة للفتنة وتفريق للكلمة وإيجاد النفاق وزرع الشقاق وهدم الوحدة التي هي أساس حفظ البلد وإلا فإن المجتهدين دائماً وقبل الجميع يريدون خير وصلاح البلد .

وأما القول بأن هذا الكلام يرد عليه عدة إشكالات علمية وفقهية فليته ذكر واحداً منها كي تتم الاستفادة ولو كان القائل لهذا الكلام شخصاً لا نعرفه ولا نعرف تاريخه لاحتملنا أن عنده إشكالاً لكن أنتم نعرفكم ولا علم لكم في الفقه بل لا تعرفون أين يكتب الفقهاء أمثال هذه المسائل فلماذا إلى هذا الحدّ تتباهون وتحقّرون أنفسكم .

دليل ولاية الفقيه في عصر الغيبة :

من هنا تفهمون مستوى معلومات هذا الكاتب إذ يقول « ثم إنّ إدعاء أن الحكومة حق الفقيه ليس له أي دليل من المباني الفقهية » .

عمدة المباني الفقهية وأخبار وأحاديث الأئمة (ع) عن النبي عن الوحي ونذكر هنا عدداً من الأحاديث ليُعرف أن هؤلاء لا يعرفون شيئاً عن الفقه .

وما ذكر من أن الفقيه له أن يعطي إجازة بالنحو الذي ذكر ، فهو أمر صحيح

١ ـ ينقل الشيخ الصدوق بإسناده[1] في كتاب إكمال الدين والشيخ الطوسي الغيبة والطبرسي توقيعاً شريفاً للإمام الغائب جاء فيه « وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم » فوظيفة الناس في زمان الغيبة أن يرجعوا في تمام أمورهم إلى رواة الحديث وأن يطيعوهم فالإمام جعلهم حجته والقائمين مقامه .

٢ ـ ينقل الشيخ الصدوق في معاني الأخبار والفقيه ـ وهو من أعظم كتب الشيعة ـ عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال قال رسول الله (ص) : « اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون بعدي ويروون حديثي وسنتي » فالذين يروون سنة الرسول وحديثه خلفاء الرسول وكل إطاعة للنبي وكل ما يثبت له (ص) من حكومة وولاية فهي ثابتة لهم أيضاً ولهم هذه الإطاعة . إذ لو أن حاكماً عرّف عن شخص أنه خليفته فمعنى ذلك أنه يقوم بالأعمال التي يقوم بها فترة غيابه وعدم وجوده .

٣ ـ مقبولة عمر بن حنظلة ، وفيها « من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردّ والراد علينا كالراد على الله وهو على حدّ الشرك بالله » .

٤ ـ رواية تحف العقول عن سيّد الشهداء وفيها : « وذلك بأن مجاري الأُمور والأحكام على أيدي العلماء ، بالله الأمناء على حلاله وحرامه » .

ونحن نختصر الأمر بهذا المقدار فمن أراد الازدياد فليراجع محل الروايات .

غلط واشتباه

أيضاً وعلى عادتهم الدائمة يقعون في الغلط تلو الغلط . قال : « يقول البعض لا يلزم أن تكون الحكومة بيد الفقيه ويكفي أن يكون أي شخص يأخذ الإجازة من الفقهاء كما يفعل بعض الملوك وكما هو منصوص في القانون ثم يذكر أشكاله على ذلك .

(١) راجع عوائد الأيام للنراقي .

بل إجازة الفقيه الجامع للشرائط إذا كانت في محلها صحيحة لكن لا يقولون أن كل أحد له أن يعطي الإجازة لكل أحد فإن المجتهد لا يملك هذا الحق بل لم يعط هذا الحق للنبي والإمام هم يستطيعون أن يجيزوا من لم يتخلف عن الشرع الإلهي المبني على أساس العقل والعدل ومن يجعل القانون الرسمي للبلد القانون الإلهي لا قوانين أوروبا أو ما هو أسوأ منها . وبحكم العقل والقانون فإن كل قانون على خلاف قوانين الإسلام ليس له أي دستورية في هذا البلد ولهذا ولغيره من الأمور نقول إن هذه المملكة إلى الآن لم تُعرف بمملكة المشروطة لأن المجلس على خلاف القانون وكذلك الانتخابات وقوانينها لكن مع كل هذا فإن المجتهدين لم يجيزوا مخالفة حتى هذا « المرق »[٢] وهم أكثر اهتماماً من غيرهم في حفظ وحراسة هذه المملكة في الموقع الذي يقتضي ذلك . وقد رأيتم كلكم أن الذي سعى في استقلال بلاد ما بين النهرين ونال هذا الاستقلال النصفي هم العلماء وعلى رأسهم الميرزا محمد تقي الشيرازي . والآن إذا كانت هناك مشاكل في البلد فإن المجتهدين يرون من مسؤولياتهم اللازمة أن يرفعوها وأن يساعدوا الدولة في المواقع الحسّاسة . ومن الأخطاء التي ارتكبت في هذا العصر المظلم في هذا البلد وأسوأ هذه الأخطاء سلب نفوذ العلماء لأن الشعب لاقى الأدنى من هذه الدولة وضغوطاتها ومظالمها والدولة لا يمكنها أن تدافع عن البلد بقلوب الناس الجريحة فلو كان نفوذ العلماء موجوداً لكان الناس كمسلمي الصدر الأول في الإسلام يعملون ، ولقاموا بيد واحدة وبقوة العلماء وباطمئنان دفاعاً عن البلد والآخرين ولتلّون الآخرون بلونهم . فهذا أحد أخطاء الدولة التي كانت ولا زالت كذلك . وحتى يفيقوا يكون عملهم منتهياً والخطأ الآخر إساءة نظرة الشباب عن العلماء إذ سعت الدولة بكل قواها لأجل ذلك وبسبب ذلك تفككت القوة الروحية عن المادية وترتبت على البلد أضراراً تكسر الظهر . إن فقدان هذه القوة المعنوية والمادية أخّر المملكة وما لم تعد هاتان القوّتان إلى بعضهما فسنبقى على هذه الحال . ونحن لا نستطيع التصديق أن هذا الأمر من إفرازات الدماغ اليابس لرضا خان لأن هذه السنّة الفكرية لم تكن لتجري لولا أن الآخرين أمروه بذلك ولا زال يُسلك هذا المسلك الدني سيؤدي إلى خراب البلد .

---

(١) المقصود هنا سائل حساء نوع من الأكل هو شورباء مؤلفة من لحم وأنواع الحبوب وكثيراً ما يطبخ في إيران أيام محرم . وأشرنا بذلك إلى كلمة مرق (المترجم) .

إجازة للدولة وبيان الدور

هذا الكاتب مع هذه المعلومات الوفيرة التي لديه يدّعي الاجتهاد إذ يقول « إنني أجيز المجلس والدولة بالقيام بكل عمل يرونه مفيداً للبلد والناس » .

والحمد لله لقد تحسّن أمر دين ودنيا المجلس والدولة والمؤمنين ويجب أن يشكل الجميع هذا الكاتب الذي قدّم هذه المنّة العظمى للجميع وحلّ جميع المشاكل فليته يجيز أيضاً كل دول ومجالس العالم لتصير الدنيا جنّة ولتكون الحكومة الإلهية جارية في جميع البلاد (!!!) .

ثم يقول: «ولن يحصل أن تكون الأعمال مرتبطة بالدستور وبعبارة أُخرى يلزم الدور لأنه على ذلك الأساس فإن القانون والمجلس يتوقفان على إجازة الفقيه ومع وجود الفقيه لا يبقى للمجلس والقانون والدولة معنىً .

هنا أيضاً يتضح مستوى معلومات الشيخ صاحب الحسن لأنه حتى الأولاد وهم في أوائل دراستهم يعرفون جيّداً ما هو الدور . الدور عبارة عن أن يتوقف شيئان على بعضهما البعض مثل أن نقول ما لم يصر الهواء بارداً لا يصر الماء مجلّداً . وما لم يصر الماء مجلّداً لا يصير الهواء بارداً . أو نقول إذا لم تطلع الشمس فالنهار غير موجود وإذا لم يكن النهار موجوداً فالشمس غير طالعة . هذه الأمور وأمثالها هي في نظر العقل محالات . وفي هذين المقالين يقال أن تجلّد الماء ومجيء النهار مرتبطان ببرودة الهواء وطلوع الشمس لكن العكس غير صحيح . أما المثال الذي ذكره الكاتب من أن القانون ، والمجلس يتوقفان على إجازة الفقيه ومع وجود الفقيه لا معنى للمجلس والقانون والدولة فلو فرضنا أن كلتا المقدّمتين صحيحتان فأين هو الدور نعم لو توقفت إجازة الفقيه على المجلس والقانون والدولة لزم الدور لكن إجازة الفقيه لا تتوقف على ذلك . وعلى كل فما ذكره من أنه مع وجود الفقيه لا معنى للمجلس والدولة والقانون كلام غير صحيح لأنّ هذا مثل أن نقول أن المجلس يتوقف على وجود الناخبين والانتخابات ومع وجود الناخبين والانتخابات لا معنى لا للنائب ولا للمجلس . وهنا نقول أن أريد تشكيل حكومة إلهية حقة عادلة يجب أن يتشكّل مجلس من الفقهاء أو تحت إشراف الفقهاء وتطرح في هذا المجلس التشريعات السماوية ويبحث في كيفية تنفيذها والدولة هي القوة الإجرائية لذلك . وجملة الكلام أنّكم تقولون أن القوة

التشريعية هي أفكار البشر المتعفنة ونحن نقول إن القوة المشرّعة هي الله العالم بجميع المصالح والرحمن بجميع العباد لا غرض لـه أو مرض وليس عـرضة للتـأثر بـالعوامـل المختلفة ولا يقع تحت تأثير أحـد ولا يجعل مصـالح بلد فـداءً لمصالـح لبلد آخر . في هـذه الصورة يكـون تشكيل المجلس عـلى وفق مصـالـح البلد بمـراعـاة الشرع الإلهي والإشراف على القوة الإجرائية .

نحن وأنتم متفقون على أنه لا بد من حكـومة وأنـه لا بد من قـوة مشرِّعة وقـوة قضائية وقوة إجرائيـة وهذا لا كـلام فيه إنمـا الاختلاف في أن الله قـادر على أن يضـع القانون مثل الأوروبيين أو الإيرانيين أم لا ؟ وهل أن الله أقدر عـلى تشخيص مصالـح البلد الإسلامي أم الأقدر هم أمثال هؤلاء . نحن نقول الله أقدر ، وقد فعـل . وأنتم في أي مجـال تدّعـون خلاف ذلـك ؟ أو أن الإسلام ليس من الله أو أن الله أنـزل هذا الـدين دون إطلاع عـلى مصالـح البلاد الحـالية ونحن الآن أقـدر على تشخيصهـا من الله . ماذا تقولون اختاروا ما تشاؤون حتى ندخل بعد ذلك في هذه المباحث ونثبت أن الشرع الإلهي قد لاحظ مصالح البلد اليوم أيضاً .

كذبة

يقول « يقول الدين اليوم أنه يجب تقليد المجتهـد الحيّ والنتيجة أن المجتهـد إذا مات تطرح جانباً جميع أقواله ورسالته والوقت الذي صرف في تعلمها وعـلى الناس أن تشتري من جديد الكتب وأن تصرف الوقت في تعلمها » .

كـأن هذا الكـاتب ليس له أي عـلاقة بـالدين ، عـلى الأقل لم يقـرأ الرسـائـل العملية . وإنما طرق سمعه شيء ما فيتلف وقته ووقتنا في هذه الهـراءات . إن لم يكن لكم ولرفاقكم تماس مع الكتب الدينية فإن الناس الذين انتشر بينهم هذا الكتـاب لهم علاقة بالدين ومسألة تقليد الميت لها مورد بحث أحدهما في التقليد الابتدائي وهل يقلِّد الحي أم الميّت ؟ وهنا يقولـون يقلّد الحيّ . وأشكال لـزوم شراء كتاب جـديد وصرف وقت آخر غير وارد هنا لأن الإنسان عليه أن يشتري كتاباً في بداية تقليـده وأن يصرف وقتـاً في تعلمه سـواء كان كتـاباً قـديماً أم جـديداً . فهنـا لا فـرق . ومـورد إشكـالهم المهترىء في البقاء على تقليد الميت ولعل غالب المجتهـدين اليوم يـرون أن تقليد الميت بقاء جائز وهذه عـين عبارات بعض العلماء الـذين هم مراجـع التقليد لعمـوم الشيعة نذكرها ليتضح الافتراء على الـدين . ومن المجتهدين المـراجع لعمـوم الشيعة ولا زال

يقلّده الكثير الآن مع أنه قد مات هو المرحوم السيد محمد كاظم اليزدي صاحب كتاب العروة الوثقى وهو من أشهر كتبه الفتوائية وقد ترجم أيضاً كان يمكن على الأقل مراجعة الترجمة وهذه عين عبارته نكتبها ليعلم هؤلاء ماذا يفعلون :

مسألة رقم ٩ : الأقوى جواز البقاء على تقليد الميت ولا يجوز تقليد الميّت ابتداءً . والسيد أبو الحسن الأصفهاني مرجع تقليد الشيعة الآن دام ظله يرى جواز البقاء على تقليد الميت في المسائل التي عمل بها في حياته . وأنت عندما تريد أن تقول ماذا يقول الدين اليوم كان عليك على الأقل أن تراجع هذه الكتب المعروفة ثم تعترض حتى لا تصاب بهذه المذّلة .

ومع الغض عن ذلك فلو فرضنا أن تقليد الميت لا يجوز لا ابتداء ولا بقاء فلنر كم يحتاج شراء كتاب جديد من مال وتعلم مسائله من وقت فلو فرضنا أنه خلال عمر شخص وجد خمسة مجتهدين . المجتهد الأول يجب تقليده وشراء كتابه والأربعة الباقون يجب شراء كتبهم بعد أن يموت أحدهم بعد الآخر وكل الذين هم على تماس مع المسائل يعلمون أن المجتهدين يتصرفون هنا مع كمال التوفير وأن الجميع يعلّقون على كتاب واحد أو يطبعون تعليقاتهم على حدة فلو فرضنا في هذه الصورة أننا اشترينا حاشية مستقلة لا يتعدى سعر الواحد منها اليوم مع الغلاء نصف توماناً أو توماناً ففي جميع عمره سيدفع أربعة توامين زيادة وقد وضع في تلك الكتب أحكام الله التي من لم يعتن بها فهو من عدم الاعتناء بالله . نقول وازنوا هذه المصاريف مع كتاب « قبلة العذراء » أو القصص الأُخرى التي تذهب بعفة وأخلاق وشهامة شبابنا وأمثال ذلك . أو مع ما يصرف لدخول السينما لليلة مع ما للسينما من وضعية مؤسفة . وحينئذٍ سيتضح ماذا تريدون أن تقولوا . نحن نعلم أن هدفكم ليس المجتهد وكتاب المسائل بل أنتم في مواجهة مع النبع الأصلي « كل شخص يعود إلى طينته » .

هذا بالنسبة إلى تلف أموال الناس المساكين أما الحديث عن صرف وقتهم فالجميع ممن لهم ارتباط بالدين ومسائله يعلمون أن الخلاف بين المجتهدين قليل فيما يحتاج الناس من مسائل فإذا صرف شخص نصف ساعة يومياً لمدة شهر ، بعد صلاة الصبح حيث لا عمل ـ وأنتم نائمون ـ أو بعد صلاة العشاء حيث لا عمل ـ وأنتم تجولون في الشوارع ـ فإذا صرف نصف ساعة في هذا الوقت لتعلم دينه وليتعرف جيداً على المسائل التي يحتاجها فإن هذا لن يؤثر على أحد . أفرضوا أن الشباب اجتمعوا كل

صباح قبل طلوع الشمس ومساء كل يوم بعد صلاة العشاء حيث تكونون أنتم مشغولين بالنوم أو التجوال وبجميع المصائب التي تعرفونها جيّداً . فهل يصح أن يقال أن الوقت الذي يصرف في تعلم الأداب الدينية والمسائل الأخلاقية وأن الوقت الذي يصرف في الشوارع وفي الأعمال المشينة إذا صرف في تعلم الدين يكون هذا إتلافاً للوقت . على الأقل اسألوا المؤمنين كم يحتاجون من الوقت في تعلم مسائل الدين كي يفهموها . من اللازم إجراء مقارنة بين الوقت الذي يصرف في ذلك مع الأوقات التي تصرف في مجالس السينما والمسرح والرقص والسباحة المختلطة وأمثال ذلك من الأمور التي مزّقت حجاب عفة شباب البلد وأضعفت روح التقوى والشجاعة فيهم ليتضح ماذا تعتبرون أنتم وقتاً ضائعاً وماذا تعتبرون عملاً . وحينئذٍ فاسألوا أنفسكم عن العلة الأصلية لهذا الفوران وهل أنتم إلى هذا الحد تهتمون بوقت وعمل ومال أهل هذا البلد لا تريدون أن يهدر في غير محلّه أم أن الدين عندكم فقد قيمته بحيث يكون وقت عدم العمل والدوران في الشوارع وإتلاف العفة والشرف لا تريدون لهذا الوقت أن يصرف في التعلم ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾ .

تدخل في غير محله في المعقولات

هؤلاء المساكين لم يدركوا المحسوسات بعد ، ويريدون التدخل في المعقولات . ولم يعرفوا العلوم البديهية ويريدون التدخل في العلوم النظرية . فهنا يأتي بدليل فقهي ويقول : « العقل والنقل يدلّان على خلال تقليد الحي لأن النقل يقولوا : « فارجعوا إلى رواة أحاديثنا » فلو كانت الحياة شرطاً لوجب طرح هذه الأحاديث . والعقل يقول أيضاً إذا مات العالم أو الطبيب أو المهندس أو الفقيه في فنّه فإن أقواله لا تسقط عن الاعتبار ولا يجوز إهمال آثاره التي منها الرسائل العملية » .

وقد تبينا أن كبار فقهاء الشيعة يرون جواز تقليد الميت لكن لو فرضنا أنهم لا يرون ذلك فإنه لا إشكال في ذلك ولا حاجة للدخول في هذا البحث لكن ليتضح ماذا يفعل هؤلاء . نقول : إن هذا الدليل الذي ذكره هو بعينه دليل على عدم جواز تقليد الميت لأن جملة « فارجعوا إلى رواة أحاديثنا » جاءت في ذيل حديث الاحتجاج وإكمال الدين الذي ذكرناه سابقاً في بيان حكومة الفقيه . يقول : « وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا » أي أن الحواديث الطارئة عليكم مهما كانت تلك الحادثة المرتبطة بالدين عليكم بالرجوع فيها إلى رواة الأحاديث . وقد حصلت

لنـا في زمان رضـا خان حـوادث مثل التجنيـد الإجباري واللبـاس المتحـد الشكـل أو القبعـات البهلوية ، ومن حـين المشروطة إلى الآن طـرأت مئـات الحـوادث وأكـثرهـا لا سـابقة لهـا . ولم يتعرض لهـا الفقهاء والمجتهـدون السابقـون وهـذا الحـديث يـأمـر بالرجوع إلى رواة الأحاديث عند كل طـارىء . أتقولـون الآن بالـرجوع إلى الأمـوات نسألهم أو نبحث في كتبهم التي لم تذكر فيها هذه الأمور أم تقـولون لا نـرجع في هـذه الأمور إلى أحد بل نعمل كما يحلو لنا . لا خيـار لكم إلا القول بـالرجـوع إلى الإحياء وعليه فإذا أردنا تقليد الميّت دائماً يلزم طرح هذه الرواية . على أن هـذه الروايـة تقول ارجعوا إلى ذوات الرواة لا إلى كتبهم فلو أن أحداً كان مريضاً فقيل له راجـع الطبيب هل يعني هذا الذهاب إلى الـطبيب أم اللجوء إلى كتـاب في الطب نعمـل به . ونحن قيل لنا ارجعوا إلى رواة الحديث فـلا بد إذن من الـذهاب إليهم إلا أن يقـول المجتهد الحي ارجعوا إلى النسخة الفلانية واعملوا بها .

ومن هنـا فإن مـا جعله دليلاً عقليـاً لا وجه لـه هنا لأننـا بموت العـالم والمجتهـد لا نـرمي كتبهم العلمية والعمليـة بـل تبقى مـورد استفـادة . وعـلى الأقـل كـان عـلى المستـدل أن يرى كتـاب الشرائع للمحقق الحـلّي المتوفّي سنـة ٦٧٦ وكتـاب القـواعـد للعلامة الحـلي المتوفي سنـة ٧٢٦ وهما من الكتب والـرسائـل العملية ولا زالا إلى الآن مـورد استفـادة الجميـع فضـلاً عن كتبهم الاستـدلاليـة العلميـة والعجب والأسف الشديدان أن شخصاً هذه هي حدود معلوماته ومع ذلك يتدخل في العلوم العالية .

ومع الغض عن جميع ذلك ، لو بُني على أن تقليد الميت جـائز في كـل الموارد لم يكن ليبقى الإسلام إلى الآن إذ لم يكن ليرجع الناس في شؤونهم إلى العلماء ولن يظهر علماء بل يظهر بين الناس مجموعة من الأشخاص العـابثين من أمثـالكم ويكتبون كتبـاً كلها كذب وينشرونها بين الناس وهي تدعو إلى الفلتان وعدم التقيّـد بدين ولا يـوجد من يبيّن طريق الاشتباه والإجحاف ويكشف أمام الناس . وإذا ظهـر خلال كـذا سنة شخص أو أكثر من أمثالكم لكـان كافيـاً في إبطال الـدين إن لم يكن في الناس علماء . والآن أتى شخص مثـلي قليل البضـاعة مجهـول الاسم قد سلّط الضـوء على كـل هـذه الاشتباهات في هذا الكتاب فعليكم أن تعلموا أنه إن احتاج الأمر يوماً ما إلى مزيد من الأجوبة وإلى أجـوبة أرقى فسيتصـدّى حينئذٍ المتخصصّـون والبارزون من أهـل الدين ليبطلوا أصول أفكاركم .

إذن تقليد الحي إبقاء للدين حيّاً وأساس بقاء الدين مبني على تقليد الحي والمجتهدون الذين يرون جواز تقليد الميّت لا يجيزونه بدون الرجوع إلى المجتهد الحيّ وعليه فالدين متيقظ دائماً حيّ لكنكم أنتم المثيرون للفتن مخالفون لبقاء وحياة دين الإسلام وفي مواجهة له وستؤدي حسراتكم بكم إلى الكفر ، والدين المحكم بقي ثابتاً على هذا الأساس والله الحافظ . ﴿ **إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ وهذه الآية تجعل عروش السلاطين نعوشاً لهم . وتذكرون أيام ظلمة الديكتاتورية ظننتم أنتم المستأنسون بالرقص إن الدين انتهى واعلموا أن الدين باق وأن الآلاف من أمثال رضا خان باتوافي قبور مظلمة فاعتبروا من حال هذا الشخص ولا تتلاعبوا بدين الله ولا تمدّوا إليه يد الخيانة وكونوا على حذرٍ فإن يد القدرة ستخرج يوماً ما من كُمِّ الانتقام وتحطم هذه الجوامد ﴿ **إنكم ما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ .

تدخل غبي آخر

يقول : « ولهذا الحكم (عدم جواز تقليد الميت) جاؤوا بدليل موهوم مطعون فيه اسمه أصالة عدم الجواز . الأفضل أن تسألوا أهل الفن أنفسهم عن معنى هذا الأصل لتروا دينكم على أي أساس مبنيٌ » .

وقد اتضح أن القائلين بعدم جواز تقليد الميت لديهم أدلة غير أصالة عدم الجواز لكن من الضروري هنا أن نبين معنى هذا الأصل الذي طعن فيه هذا الجاهل الغبي لكي يكشف أكثر ما في أيدي هؤلاء .

قد يكون عندكم مريضٍ محتاج إلى طبيب ، فماذا يقول لكم العقل هنا . هل يقول لكم إذا خرجتم من المنزل فكل من تلتقون به خذوه إلى المريض واعملوا بقوله أم يقول لكم هذا العمل غير جائز إلا إذا علمتم أن هذا الشخص طبيب لهذا المريض . وإذا أردتم أن تحصّلوا علم الحقوق أو العلوم الرياضية هل تذهبون إلى أي مكان معروف أو غير معروف وتسلّمون أمركم أم أن العقل يقول لا يجوز لكم الرجوع إلى أحد إلا إذا علمتم أنه من أهل هذا الفن . وهذا هو معنى أصالة عدم الجواز أي أن العقل يرى عدم جواز الرجوع إلى أحد إلا إذا كان هناك طريق واضح على الجواز . ونحن نقول أن الله جعل الدين أعزّ أساس للسعادة الإنسانية وباتباعه يجب أن نهيء أساس الحياة والعيش في الدارين ومن الطبيعي إن مثل هذا الشيء مهم عند

الله والعقلاء ، والعقل يقول ما لم تجد طريقاً لقبول المسائل من أحد لا يجوّز الرجوع إليه والطريق الواضح أما دليل عقلي يجوز الرجوع أو دليل نقلي وحكم الله . أم تقولون لنا أن نأخذ دين الله من كل شخص وأن لا نشترط أي شرط حذراً من العمل بأصالة عدم الجواز أم أن مثل هذا الطبيب والمعلّم له شروطاً بحيث أن العقل لا يتبع أحداً دون دليل واضح على المقصود . إن هذا من أحكام العقل البديهية عندكم وتعتبرون أن علماء العالم يسيرون على هذا الأساس والمؤمنون أيضاً من جملة العلماء الذين لا يذهبون من طريق لم يستنر بنور العقل . فظهر أن هؤلاء الجهّال يستهزؤن بأحكام العقل البديهية التي تقوم حياة البشر على أساسها . يفعلون ذلك عن جهل أو علم ولغرض في نفوسهم ويقولون انظروا أحكام دينكم على أي أسس هو قائم . نعم إن من أسس أحكام ديننا العقل ذلك العقل الذي تتباهون به وتعتبرونه رسول الله القريب من الإنسان قرب العين منه فكيف لم تر أعينكم هذا الشيء الواضح الذي هو نقطة ارتكاز مسيرة الحياة البشرية وعليها بنيت ﴿ **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً** ﴾ .

تفاخر وكلام جزاف

هذا الكاتب الغبي مع ما يأتي به من أكاذيب ويرتكبه من خيانات ـ كما رأيتم ـ وما ابتلى به من فضائح بيّناها . هنا يتباهى كالأطفال ويبرز دفعة واحدة حدود تفكيره ويقول : « قد يُظنّ أن هؤلاء لهم أدلة أُخرى غير هذا الدليل الذي لا أساس له لكن يجب أن تعلموا أنني لا أكتب هذا الكلام من خلف جبل قاف نحن لدينا سلاح وهو الحقيقة فكيف يمكن أن نكسره بأيدينا ولن أقسم لكن أطمئنكم أنني لم أكتب في هذا الكتاب من أوله إلى آخره كلمة على خلاف الحقيقة .

قد علم القرّاء آنفاً وأهل الفن أيضاً يعلمون أن هناك أدلة أُخرى لم يرها أمثال هذا الكاتب ولم يسمعوا بها . ولو فرضنا أنه لا دليل إلا هذا الأصل فقد اتضح أنه أصل تقوم عليه حياة العقلاء في جميع أُمورهم المادية والمعنوية وجميع العقلاء يعملون به سواء علموا باسمه أم لم يعلموا وهذا المسكين لم يفهم هذا الحكم العقلي البديهي فتكلم بهذه التفاهات . وأما قوله أنني لم أكتب هذا الكلام من خلف جبل قاف فهو مضحك جداً لأنه يدل هذا الكلام على أن كل من لم يكن خلف جبل قاف فله أن

يتدخل في كل شيء كل المشتغلين في حمّامات تهران وعتالي تهران ليسوا خلف جبل قاف فإذن لهم الحق في أن يتدخلوا في جميع العلوم قائلين : « لسنا خلف جبل قاف » .

أقول : حتى من كان خلف جبل قاف لو أراد أن يكتب كتاباً لكان أقرب إلى الحقيقة من هذا الكتيّب لأن العقل الذي وهبه الله لم يكن إلى هذا الحد مسحوقاً للشهوات وحب الذات . وهذا الأصل (عدم الجواز) يفهمه أهل الصحاري بفطرتهم ويعملون به وأنت اعتبرتهم لا يفهمون . وأما قوله لدينا سلاح وهو الحقيقة ولا يمكننا كسره بأيدينا ، لو كان حقاً ما يقوله ، يقوله على أساس الحقيقة . فلا يصح إلا أن يوصف بمختل الفكر والدماغ وهذا أيضاً أفضل من أن يكون شخصاً إلى هذا الحد مجافٍ للحقيقة ومخادعاً . وأما قوله لا أقسم ولكن أطمئنكم . . . فإن القراء إلى الآن قد فهموا جيداً قيمة هذا الكلام لكنني أستطيع أن أقسم أنني لا أذكر أنني رأيت كتاباً في أيام عمري كتب باسم الحقيقة والنصيحة وتقديس الحق وهو إلى هذا الحد خالٍ من الحقيقة وبعيد عن سبيل العقل والإنصاف . والقرّاء أحرار في أن يختاروا أي كتاب يريدون وليكذبوني إذا وجدوا في ذلك الكتاب عشر هذه السخافات والكلمات الجاهلة . وإلى الآن قرأت من هذا الكتيب المؤلف من ٣٦ صفحة ١٦ صفحة وحللّتها ولم أر فيها كلاماً ثابتاً والله والوجدان شاهدان . وإذا رأيت لصدّقت بلا توقف ولم أخرج عن جادة الإنصاف وأنتم أيضاً أخبرونا عن كل كلمة من كلامنا كانت خطأ فإذا كان ذلك صحيحاً تراجعنا من عند تلك الغلطة ونقدّم لكم خالص شكرنا إذا أرشدتمونا إلى الخطأ .

عنوان من أنفسهم للعلماء

عندما نقول أن هؤلاء لا علاقة لهم بالدين وأهله فصدّقوا . وهنا اخترعوا من أنفسهم ددعنواناً للعلماء افتراءً نسبوه إليهم وإلى أهل الدين فقال : « عنوان آخر جعلوه للعلماء وهو أن كل من يقول عن حذاء العالم عفن كافر » . ثم يعقّب على هذا الكذب نتائج غير عقلانية .

من اللازم أن يُسأل هذا الكاتب من أي كتاب أو رسالة نقل هذا الكلام وأي عالم قاله والمجتهدون كتبوا في رسائلهم موجبات الكفر وهي بين الأيادي وليس فيها ذكر للعالم وأشهر الرسائل العملية العروة الوثقى ويقول فيها في باب النجاسات

« والمراد بالكافر من كان منكراً للألوهية أو التوحيد أو الرسالة أو ضرورياً من ضروريات الدين مع الالتفات إلى كونه ضرورياً بحيث يرجع إنكاره إلى إنكار الرسالة » . فإنكار الضروري إنما أوجب الكفر لرجوعه إلى إنكار النبوة فالميزان في الكفر إنكار الله أو التوحيد أو النبوة والعالم هنا كغيره من الناس فحتى قتله لا يوجب الكفر نعم لو أن أحداً أهان العالم لارتباطه بالنبي بحيث يرجع التوهين إلى إنكار الرسالة وإلى العداوة مع الرسول والله لكان كافراً أيضاً لكن لا لأجل توهين العالم بل لإنكار الرسالة . وعليه فمن أين أتيتم بذلك الكلام ونسبتموه إلى العالم . ثم ذكرتم صفحة حوَت نتيجة وثبتموها . على هذه المقدمة الكاذبة . وهو مع ذلك يقول لم أقل كلمة في هذا الكتاب على خلاف الحقيقة من أوله إلى آخره وكأن لكم في « خلاف الحقيقة » اصطلاحاً خاصاً بكم لا نعرفه .

نظرة إلى إصلاح الحالة العلمائية

بعد هذه المقدمة يستنتج « وحيث أن هذا العنوان ثبت للعالم فلم يستطع أحد أن يمد يه إلى هذا الجهاز بقصد الإصلاح ويحصّل على شيء حتى كانت النتيجة هي ذلك » .

نحن لا نقول أن هذا الصنف كلّه جيد ومنزّه وأنه لا يجوز أن يخطى خطوات لإصلاحه فهم كسائر الأصناف فيهم الجيد والسيء ومساوئهم أكثر فساداً أو ضرراً من جميع المساوىء كما أن حسناتهم أكثر نفعاً للناس من جميع الأصناف وللبلد واستقلاله وأسمى ، لكن لا يجوز أن يتولى إصلاحهم أمثال رضا خان الذي لا يدري كيف تكتب كلمة « العالم »(١) والذي يقول إن جندياً سارقاً هو عندي أفضل وأسمى من جميع معارف إيران فهو لا يعرف معنى العالم والمعارف وإن كانت معارف ذلك اليوم أقبح بكثير من جندي سارق لكن لا يملك فهم الصلاح والفساد وضغوطه على العلماء لم تكن للإصلاح بل أراد أن يقضي على الأساس لكن النتيجة كانت حسب قولكم معكوسة « لا يزال يؤيد هذا الدين بالرجل الفاسق » الدولة أيضاً لا تستطيع الإصلاح ولا تملك هذا الحق . وهو أيضاً لا خيرة له في هذا المجال ولا يملك العقل الذي يتطلبه هذا العمل ولذا رأينا أن مدرسة « سبهسالار » التي أسسّوها في المنقول والمعقول

---

(١) كلمة العالم في الفارسية « روحاني » ومعنى الجملة بالدقة أن رضا خان لم يدر كيف تكتب كلمة روحاني بالهاء أو بالحاء (فهم يكتبونها بالحاء ويلفظونها بالهاء) (المترجم) .

قد أعطت عكس ما يريـدون وطلابهـا الذين أريـد لهم أن يكونـوا علماء المستقبل وأن يتولوا تهذيب أخلاق وروح الأجيال الآتية حركّوهم نحـو البنات للرقص والسخـافة . والمـدارس اليوم مـا دامت تحت يد الـدولة ومـوظّفيها فـإن أيامهـا بهذا النحـو مؤسفـة وأمثـالكم أيضاً ممن لم يُـر في كتيب من عدة صفحـات مثل مـا في كتّيبكم من عشرات الأكاذيب والخيانات وما يحويه من خلاف الوجدان والعقل لستم أهلاً لأن تمدّوا يـدكم إلى هـذا الجهاز . والـذي بمقدوره أن يمـدّ يد الإصـلاح يجب أن تتـوفـر فيـه الشروط التالية .

١ ـ التخصص في علوم العلماء حتى لا يتكلم عن عمى وجهل .

٢ ـ أن يحب التدين والحالة العلمائية وأن يعتبرها أمراً ضرورياً في البلد .

٣ ـ أن يكون طاهر النية حتى لا تمد يده لأجل منفعة يطلبها .

٤ ـ أن يكون ذا عقل مدبّر يميّز الصلاح والفساد حتى تكون أعـماله وفـق خطط عقلائية .

٥ ـ أن يتمكن العالم من أن تكون خططه عملية .

وهذه الشرائط إن وجدت فهي توجد في العلماء والآخرون خارجون كلية . وقد سعى بعض العلماء ولا زالوا يسعون للإصلاح لكن لم تحصل النتيجة أي إصلاح جميع الأفراد لكن مع كل هذه النواقص والضعف في هذا الصنف فإن أعمالهم تبقى أوضـح وأكثر تأثيراً في البلد وفي صلاح أفراد الناس من مئات الأفواج العسكرية وأفـراد الأمن الـداخلي وإداراتـه التي تستقبل السـارق . نحن لا نقول مـاذا يفعلون فافـرضـوا أنهم ينبهـون . إنهم (العلماء) ينزعـون أصل الخيـانة من قلوب النـاس ، أولئك يحـرسون المـدينة وهؤلاء يحـرسون القلوب . والأفـراد الذين يـدخلون السجن ويـلاقـون الأذى يتعلمون في السجن درس السرقة وعندما يخرجون يتابعون هذا العمل لكن من يخـرج من تحت أيـدي هؤلاء (العلماء) يعـرِّف عن صرِّة ذهب مـدة سنـة حتى يـوصلهـا إلى صاحبها .

يـا عقلاء المملكـة ، الدين جنّـة على الأرض وقـد قـام بيـد العلماء هـذا العـالم بنصف الروح الذين وقفتم أنتم « الحسك » لتقريعه . هم يديـرون ثلث هذا البلد أو أكثر بهدوء وما يصدر من أعمال منافية للعفة ومن سلب فهو من الثلث الباقي من أفراد هذا البلد ممن لا رتباط لهم بالعلماء ولو أنكم أيها الجهال الباحثون عن الفتن تركتم كل

الناس ترتبط بالعلماء لم تكن من حاجة إلى الدرك في الدنيا . إن مدرسة من مدارس العلماء تقوم بما تقوم به مئات إدارات الدرك وأنتم غافلون عن ذلك فاللازم عليكم أن تبحثوا في ملفات السجون وملفات الجنايات لتروا أن تلك المحلات لا توجد منها مساجد وحينئذٍ تعلمون إنكم ترتكبون أكبر خيانة بحق البلد . مع فقدان تأثير العالم فإن خللاً كبيراً سيصيب البلد لا تستطيع مئات المحاكم وإدارات الدرك إصلاح واحد بالمئة منها . أفٍ من لحاجتك يا ابن آدم وأسف على جهالتك أيها الماشي على اثنين .

السؤال السادس وجوابه

لو كانت مصاريف العالم لعمل قام به أو من أي طريق أخر يعطيه الحرية في قول الحقائق لكان حاله أفضل من حال اليوم حيث تؤمن مصاريفه من أيادي الناس وهذا يفرض عليه أن يكون كلامه وفق ما يميل الناس إليه .

وجواب هذا الكلام يعلم بعد العلم بأمرين : أحدهما ما هو شغل العالم . ثانيهما مصاريف العالم . ليتضح أن هؤلاء عندما يتكلمون بهذا الكلام فهو عن جهل بحال العالم ومصدر مصاريفه فذكروا هذا الإشكال عن جهل وغباء .

ما هو شغل العالم ؟

للعالم عدة أشغال أهمها تشكيل الحوزات العلمية وتأسيس المدارس والكليات الدينية فإن أهم عضو في هذه التشكيلات هو العالم بكل ما للاسم من مغنى فهم المدرسون النهائيون للعلوم الديدنية التي تشكل حوزات العلوم العالية ويدرسون « الخارج » أو العلم الأخير . ومن يصل إلى رتبة التدريس هذه هم من مرَّ على جميع المقدمات ومراحل السطوح والخارج ويملكون الاستعداد الذاتي والذوق الفطري أيضاً وعندهم بالإضافة إلى ذلك قوة بيان وتقريب المطالب الدقيقة العالية لتلاميذهم ومثل هؤلاء الأشخاص قليلون في كل مرحلة من الحوزات المهمّة كالنجف وقم ومشهد (قبل أن يخربها البهلوي) بحيث لا يتجاوز عددهم العشرة وعلى عاتق هذه العدة يقوم الأساس المهم للحالة العلمائية وسبب قلتهم أن الوصول إلى هذا المقام غير ميسور لكل أحد وكل من يعلم شيئاً عن الفقه الذي هو وحده من علوم الاجتهاد يعلم أنه مثل بحر لا ينتهي لا يمكن الإحاطة بكلياته إلا بعد مضي أربعين سنة مع تعب ليل

نهار . أنتم ترون فقط كتاباً صغيراً اسمه العروة الوثقى أو الوسيلة لكن لا تعلمون بأي جهد جهيد وبأي قلب مجروح تم ذلك ووضع بين أيادي الناس . هذا حصيلة عمر ٦٠ أو ٧٠ سنة لفقيه والحال أن هذه الكتب لا إحاطة فيها بتمام الفقه بل بمعظمه . وهذا المسكين الذي لا خبر عنده عن ملكة الاجتهاد أي الاطلاع على تمام الشريعة الإلهية في شؤون الفرد والمجتمع قبل أن يوجد الإنسان في الدنيا حتى ما عبد وفاته والمرتبطة بجميع الأعمال . فإن مثل هذا العمل له قواعد وفروع لا يمكن إكماله بخمسين سنة حتى مع التفرع للتعليم والتعلم وكل من رأى كتاب جواهر الكلام يفهم حجم الجهود التي يبذلها المجتهدون الذين يريد اليوم حفنة من أشخاص من الدائرين في الشوارع أن يحدّدوا وظيفتهم .

الآن نحن نتكلم مع أهل الدين الذين يحسبون لله حساباً وللقرآن وللرسول وأحكامه (لا معكم فلعلكم تقولون أنه لا لزوم لهذه الأُمور أصلاً) هل أن الله والرسول قد جاءا بهذه الأحكام كي نعمل بها أم أنها ليست إلا مجرد كلمات مسوّدة فإن كانت للعمل فلا بد من التعرف عليها وهذا العمل يحتاج إلى وقت قد يستوعب العمر كله مع مثابرة بتعب وجدية فبعد هذه المقدمات الضرورية هل يمكن للمجتهدين والعلماء الذين تبين من هم ، أن يقوموا بعمل آخر ويشتغلوا بالتجارة أو أي سبيل آخر ليحصّلوا معاشهم وهو أمر يأخذ أيضاً وقت الإنسان كله . لا شبهة أبداً في أن الجمع بينهما غير ممكن وحينئذٍ فإما أن نعرض عن الحوزات العلمية والاجتهادية ونعتذر من القرآن والإسلام ونقول لدينا عمل والعمل لا يجتمع مع الدين وإما أن نريد القرآن وأحكامه والرسول وأحاديثه فاللازم حينئذٍ أن تعلموا أن هذه الفئة لا يمكنها أن تقول بعمل آخر .

هنا يجب ذكر نكتة أُخرى ليتضح حال جميع أصناف العلماء سواء علماء الدرجة الأُولى أم الذين في صدد الوصول إلى هذه المرتبة وسواء الدرجة الأخرى التي هي طبقة المبلغينّ وعلماء القرى والمدن وتلك النكتة هي أنه حتى يمكن تطبيق الدين وجعل الشريعة السماوية عملية ودعوة الناس إلى سبيل عبادة الله والتقوى ونبذ أساس الخيانة والتعدي وتجاوز الحدود والمئات من أمثال ذلك لا بد أن يكون هناك من يعمل لذلك وهم ـ كما أشرنا ـ يساعدون البلد على نظم المملكة بحيث أن واحداً بالمئة منها لا تستطيع المحاكم ومخافر الدرك أن تفعله ودليل ذلك أن الذين على علاقة مع العلماء

ليس لهم سوابق سيئة في جميع أجهزة الدرك وليس لهم ملفات سوداء وإن كان عندهم شيء من ذلك فإن نسبة ذلك إلى ملفات الآخرين غير المرتبطين بالعلماء لا تصل الواحد بالمئة ترون المئات من ملفات أهل « القهاوي » والشوارع ومن غير المعلوم أن تروا واحداً من أهل المساجد . فهذه الخدمة الكبرى التي لو توجّهت إليها الدولة حتى لو لم يكن لها شغل من الدين لكان عليها أن تقوّي العالم وأن توسع من دائرة نفوذه لكن ما العمل ومن بيده زمام الأمور لا يفكر إلا بنفسه لا بإصلاح البلد وإن كان فيهم شخص مهتم شيئاً ما فهو بين أقلية لا يستطيع فعل شيء .

تبين إذن أنه لأجل تحريك عجلة الدين لا بد من هؤلاء العاملين وجميعكم يعلم أنهم إن لم يكونوا مستقلين لم يكونوا في نظر الناس أمراً مهماً وعظيماً ويبقى كلامهم بلا أثر وكل من يلاحظ نفسه يجد أن قيمة الكلام في نظر الإنسان مرتبطة بقيمة صاحب الكلام وهذه جبلة وفطرة نوع البشر أن الكلام مهماً كان صحيحاً عندما يُسمع من شخص ليس له قيمة عند السامع فلن يتأثر به كما أنكم إذا سمعتم أنتم أمراً واحداً من شخصين فسيكون التأثير لكلام أحدهما المحترم والمعظم في أعينكم مقابل المتكلم الآخر . فليس من بقّال مستعد لأن يستمع إلى موعظة من بقّال آخر مثله لكن هذا البقّال عندما يسمع نفس الموعظة من أمام الصلاة الذي يصلّي خلفه مثلاً عشرة صفوف ويحترمه الناس فإنه سيتقبلها . ولو أن الدرك لم يكونوا جهازاً مستقلاً وكانوا يشاركون الناس في اللباس والتجارة لم يكونوا لِيُلاحظوا وعندما كان العسكري يرتدي زياً عادياً لم يكن يختلف في نظر الناس عن غيره إلى أن صار يلبس اللباس الرسمي لأن اللياقات لها أثرها الواضح جداً في روح الإنسان . فإذا أردنا ترويج التدين والقيام بكل هذه الخدمات الكثيرة المهمة للناس والبلد يجب أن يكون العلماء مستقلّين ويجب أن يكون لهم احترام كبير وعلى الدولة أن تساعد على احترامهم لا لأنهم محتاجون إلى مساعدة أو إلى احترام الدولة بل لأن الدولة إن كانت واعية ومستيقظة من نومها محتاجة إلى احترامهم لأن المملكة يدار ثلثاها بنفوذ العلماء من دون حاجة إلى أية ميزانية .

نظرة إلى مصاريف العلماء

يجب إلقاء نظرة على ميزانية العلماء وتحليل ذلك والنظر إلى مصدر هذه الميزانية وعلى أي شيء تعتمد الحالة العلمائية في حركتها .

أنتم أيها القرّاء المحترمون على الأقل ذهبتم كل سنة إلى قم أو مرة كل كذا سنة إلى النجف عاصمة علم الشيعة ألم تفكّروا في القيام بجولة على مدارسها ووضع الحياة فيها لطلاب القرآن والأحاديث لتروا في أي منازل يعيشون ومن أي طعام يمضون فترة شبابهم ونشاطهم وما هي الجهود المضنية التي يبذلونها خدمة لأرواحكم وبلدكم . فإن لم تذهبوا فاذهبوا وانظروا . لا نقول انظروا حتى تساعدوهم مساعدة مادية فالله معينهم والقوة العلمائية تحفظهم بل نقول ذلك حتى تفهموا من هم المضيّعون للحقوق ، وبعد هذه الجولة في المدارس زوروا بيوت العلماء الكبار هناك أي مراجع الشيعة وانظروا في حال دنياهم ثم ألقوا نظرة على مكاتب تسجيل الأملاك والمستندات وأمسكوا أملاك العلماء الذين أمضوا خمسين سنة في قيادة الناس وانظروا هل يبلغ قيمة ملكهم عدة آلاف من التوامين؟ والأغنياء منهم فقط هم الذين يملكون بيتاً أو ملكاً جزئياً ارثاً عن أبيهم . ثم زوروا منزل وزير أو نائب ناصح للملكة وأولئك الذين عندما دخلوا في سلك الدولة دخلوا لا يملكون شيئاً وقارنوا بين أملاكهم وبين كل حياة وأملاك جميع العلماء في هذين المركزين الشيعيين العظيمين كي تدركوا حجم الميزانية .

ولننظر الآن إلى مصدر هذه الميزانية الصغيرة ، إذا وضع قانون مجلسكم ضرائب أخذها من الناس ودفع منها معاش الموظفين في الدولة فإننا لا نسمع أحداً يقول هذا مجاني وأنّ موظف الدولة يأكل المال بالباطل ، وجميع ضرائب الدولة لا تدفعها الناس عن طيب خاطر ومع هذه الحال فإن المكان الذي تجمع فيه هذه الضرائب غصباً يسمّى بيت المال والذين يأخذون معاشهم من الدولة يقولون نأخذ حقنا المشروع ، لن ننشغل بهذا لكن ما هي الأعمال التي أدّوها للشعب والبلد مقابل هذه الحقوق ، هم يعلمون ونحن لا نريد أن نزيد من كشف الستر لكن إذا جعل الله الذي يملك جميع ما في الوجود من مخلوقات قانوناً بموجب الآية ٤٢ من سورة الأنفال ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول** ﴾ إلى آخر الآية والناس تدفع هذه الضرائب الإلهية عن طيب خاطر في مركز العلم لمن عيّنهم الله ثم يقسّمونها في قلة واقتصاد على الطلاب فهنا تشرئب الأعناق وتتعالى الأصوات إن مصاريف هؤلاء على عاتق الناس ويأكلون المال بلا مقابل ولا يعملون للبلد شيئاً . يا أيها المساكين الفارغين قد رأيتم عندما كان هناك عمل أنهم أكثر خدمة من الجميع حتى للبلد

ورأيتم مصاريفهم وميزانيتهم وأنها من بيت المال الحقيقي مع قانون إلهي . نحن الذين نعلم ما الذي يغيظكم أنتم لا تعترفون بالقوانين الإلهية أنتم في مواجهة مع صريح القرآن تحاربون الوجدان والعقل ، أنتم تخالفون الأساس إذ رأيتموه على خلاف رغباتكم .

أفٍ لهذه النظرة غير العقلانية إذ تعتبر قانون مجلس أفرزه دماغ مجموعة من الأشخاص المعلوم حالهم أو من القوانين الأوروبية ، قانوناً وبيت مال وتسمّونه حقاً مشروعاً وكل سنّة يصرف مئة مليون في تلك الأمور التي نعرفها وتعرفونها وفي المقابل يسلّمون البلد للآخرين ويقدمون لهم ثروات البلد بالمجانّ ثم تسمّون القانون الإلهي الذي يتقبله الناس بصدر مفتوح والذي قدّم الخدمات الجليلة التي لا ترونها حتى في المنام ولا يزال يفعل ، تسمونه بالكلام الفارغ وأمثال ذلك . « تفٍ على هذه الرقاب تفٍ » .

نتيجة الكلام في هذا الموضوع

يستنتج من كلامنا إلى الآن أن العالم لا يصح أن يشتغل بأمر آخر غير العمل العلمائي وهو بسط التوحيد والتقوى ونشر تعاليم السماء وتهذيب أخلاق الناس ، ووظيفة الناس وخصوصاً الدولة السعي بجدّية لبسط نفوذهم فإنه بهذه القوة يحفظ استقلال البلد وعظمته مقابل السياسات الخارجية ، ويحفظ الأمن والهدوء داخل البلد أفضل من أي جهاز آخر ونحن نثبت بعد ذلك أن الجيش أيضاً يجب أن يكون تحت تأثير العلماء حتى يمكن أن تنال منه نتيجة واضحة قيّمة . والدرك والقوات الحربية أحوج من الجميع إلى العالم إن لم تفقد الدولة قوة التمييز . إن فصل العالمية عن الدولة كفصل الرأس عن الجسد والدولة تفقد استقلالها وأمنها الخارجي والداخلي كما أن الحالة العلمائية تتبعثر خصوصاً إن من بيدهم زمام الأمور أما أنهم نائمون أو أن الآخرين أغفلوهم وسلبوهم القدرة على التمييز. وهناك قسم ثالث أيضاً وهم الخونة.

والنتيجة الأخرى أن العلماء يعيشون من بيت المال ولا يأخذون شيئاً من الناس مباشرة وبيت المال خزنة إلهية وضع قانونها منذ ما يزيد على الـ ١٣٠٠ سنة والناس مكلّفون بالعمل به ونحن نذكر فيما بعد بيت المال وميزانية الدولة الإسلامية ليعلم كم فيها من الضرائب بالقياس إلى ضرائب هذه الدولة الفعلية ومع هذا فإن العلماء أكثر

اقتصاداً من أكثر الأصناف مجتمعة إن لم يكن كلها ونحن نعرف في هذه الفئة أشخاصاً لم يستعملوا حتى خيطاً واحداً من المنسوجات الأجنبية ولا حبّة قند[1] من البلاد الأجنبية والحال إن المسؤولين يتبجحون ويضربون على صدورهم بثقل الوطن إلى حد أن لباسهم من الأقمشة الخارجية والتي يبلغ سعر مترها مئة أو مئات التوامين ومعاطف نسائهم لا تقل عن عدة آلاف تومان ومن غير المعلوم إنهم يستعلمون من القماش الوطني ولو متراً واحداً حتى لأطفالهم مع أنه اليوم من النوع الجيّد .

نظرة في الكتيب المهترىء

يقول : « ولأن العالم يأخذ مصروفه من الناس فالنتيجة أنه لا بد دائماً أن يتكلم وفق رغبات الناس أو على الأقل أن لا يتحدث بخلاف ذلك . وفي ذلك عيبان كبيران أولهما أن أفكار الناس الخاطئة عندما يقبلها العالم أو يسكت عنها فإنها تروج وهذا يوجب ظهور الخرافات وثانيهما أن العالم يصير مقلّداً للناس » .

ليته أتى بمثال قلّد فيه العلماء العامة وقبلوا كلامهم وكتب العلماء التي كتبت منذ أكثر من ألف سنة إلى اليوم هي بين الأيادي فاللازم عليكم أن تتفحصوها فإن عثرتم على مورد فيه كلمة قالها العالم رعاية لرغبة الناس فإنا نتراجع عن كل ما قلناه حتى الآن ونعود من حيث أتينا وإلا فمع كل هذه الأباطل وعدم الشرف ماذا يقال . إني أعرف ماذا يقصدون من الخرافات وكل أوجاعهم فيما ذكروه في المقالة الأُولى والثانية فهم يعتبرون احترام النبي والإمام والقول بأصل الأمامة خرافات لكن تبيّن للجميع ما في تلك المقالات من إجحاف وتضييع حقوق وقد فضحناهم بالاستناد إلى العقل والقرآن والتاريخ بالإضافة إلى أن مصاريف العلماء هي من بيت المال وقد وضع أمام العلماء سدٌ حديدي لا يتمكنون معه أن يقبلوا فكر العوام المخالف للشرع الإلهي ومن يقبل ذلك ساقط حتى في نظر العوام . على العلماء أن يعملوا بكلام الله شئتم ذلك أم رفضتم أنتم الذين لا اطلاع لديكم عن شرع الله . وعليهم أن يحاربوا ما فسد من آراء الناس وإلا فإن الناس أنفسهم يرتدّون عنهم ولا يعترفون بهم كمسؤولين عن الدين وكأهل علم . إن العلماء في طهران والمناطق الأُخرى كثيراً ما يخطبون فاذهبوا واستمعوا لهم وانظروا هل يتكلمون وفق رغبات الناس أم أن كل ما يقولونه هو على

(١) القند : مكعبات سكر كبيرة (المترجم) .

خلافها . هؤلاء الباحثون عن الفتن عن عمدٍ أو غباء يتهمونهم بذلك .

كذب وقول جزافي

هنا أيضاً قول جزافي واضح وكذب إذ يقول : « العالم أيضاً من عباد الله عندما يرى الجمل ينوخ على ركبتيه عند الأكثر تحفظاً وعندما يرى الليرات والثروات والاحترامات تذهب إلى الأكثر خرافة وعندما يرى التقدم في الخطابة والعزاء لمن يحيك الأكاذيب أكثر وعندما يرى العالم الآخر من صنفه إذا لم يتكلم بما يوافق ميل الناس بقي بلا خبز من هنا يتعلم درس كيفية العمل إلى آخر عمره » .

هؤلاء الجهّال . كأن هذا الكتيّب سينشر في صحراء أفريقيا أو بين أناس لا آذان لهم ولا أعين فليجأون إلى هذه الأكاذيب مطمئنين . إن العالم الأكثر احتراماً اليوم عند الشيعة ومن ناخت عنده رقبة التقليد هو زعيم العلماء السيد أبو الحسن الأصفهاني فأي تحفظ وجدتم في هذا الرجل العظيم وأي كلام خرافي سمعتم وهذه منه رسالته منتشرة بين الناس فهاتوا لنا بكلمة جزافية أو تحفظ في العمل كي نقبل منكم وإلا فإن كلامكم غير مقبول بمحض الإدعاء والتلفظ . ومع الغض عن ذلك فإن من كبار العلماء الذين يعلم الجميع مظاهر الاحتلام المقدّمة له هو السيد حسين القمي . والذي يعرف أخلاقه وأعماله يعرف إلى أي حدٍّ كان صريحاً وناطقاً بالحق محارباً لكل مخالف للشرع بلا توقف ولا يزال كذلك . ومع هذا نرى أن الجمل قد ناخ على ركبتيه في بيته وأن الناس تحترمه . كان من المفروض عليكم أن تأتوا بدليل على كلامكم ليعرف من هو مثير الفتن ذو الهوى . ومع الغض عن ذلك كله ففي كل بلد يعرف العلماء أهل الدرجة الأولى وأولئك الذين لهم عند الناس احترام أكثر فدلّونا على الخرافي والمتحفظ ليراه الناس .

أيها الجهال ، لو كان هؤلاء يأكلون الخبر بسعر اليوم وكانوا يتحفظون من أجل جلب منفعة كان الأفضل لهم في هذه الفترة الحالكة خلال عشرين سنة أن يمدوا أيديهم نحو النظام الديكتاتوري وأن يواكبوا أفكارهم وأعمالهم فإن هؤلاء يقبلون منهم ذلك بشكل أفضل من غيرهم لكنّهم ضحّوا بأغلى شيء في سبيل قول الحق ولم يكونوا على استعداد للنطق بكلمة واحدة خلاف معتقدهم أو أن يخطوا خطوة في خلافه مع ما تعرضوا له من ضغوط وتحمّلوا من إهانات ويمضون حياتهم بالجوع ومئات المصائب ولم يرضوا أن تنتهك حرمة هذا الأصل وأن يندثر . هؤلاء جازوا امتحانهم وكذا

الآخرون . وقيمتهم باتت معروفة عند الناس ﴿ **والعاقبة للمتقين** ﴾ ومع الغض عن هؤلاء . فإن أهل المنبر مع أن حسابهم غير حساب العلماء ، إلا أن كل واحد منهم يكون أشهر عند الناس وأكثر احتراماً كلما كانت معلوماته في التاريخ والتفسير والاجتماع والأمور العلمية أوسع وكلما كانوا أبعد عن قول الخراف . فلاحظوا المحاضرين ذوي المرتبة الأولى وزنوا كلامهم الفكري كي ينجلي كذب هؤلاء الباحثين عن الفتن .

من يتحمل جرم الخرافات

يقول : « ويوجد اليوم مثال واضح فالجميع يعلم أن التطبير مخالف للشرع وأن هذه القراءات للعزاء أكثرها كذب والكذب على الله والرسول أسوأ الكذب وحينئذٍ كيف لا يتجرأ الملاّ على منع الناس من هذا العمل ؟ لأنه يعلم أنه إن نطق بمثل ذلك فإنهم سيطعمونه الحجر » .

لو سلّمنا أن التطبير حرام وأن هذه المجالس أكثرها كذب ولكن لو لم يقل العالم أن التطبير حرام من أين علم الناس حرمته وإذا قال العالم أنه حرام وعرف الناس ذلك فكيف يمنع العالم من حصول ذلك وهل يملك إلا القول وقد قال ـ باعترافكم ـ بمقدار عرف الجميع الحكم . نحن نقول يجب أن يتعاون الجميع حتى يكون للعالم تأثيره وقوته ولا يجوز أن يقلّل من قيمة العالم وأن يُسقط في نظر الناس وذلك لأنّهم إذا عظموا في عين الناس فإن كلامهم يصبح مؤثراً فيهم ولو فرض حينئذٍ عدم الاعتناء بكلامهم كان يمكن استخدام القوة للمنع وإذا صار للعالم مثل هذا التأثير في المملكة لن تتمكنوا أنتم الشرذمة التي لا رأس لها ولا قدم من أن تقفوا في بلد الشيعة وتخالفوا القرآن والإسلام ، والعالم وتقولوا عنه ما لا يليق دون أن يحطمكم الناس والدولة لكن مع هذا العالم المحارب لا مجال للتوقف في وجه أي شيء .

صدرت من النجف عاصمة الشيعة فتوىً بأنّ الطربوش المخجل والصليب شعار المسيحية حرام وبالإضافة إلى حرمته نعلم أنه على خلاف مصالح البلد أيضاً وعلى كل حال من هو الذي اعتنى بهذا الحكم من أمثالكم المقطوع لجامهم ممن تلطمون من جهالتكم وأعماكم صدر الدين والبلد . يجب أن يكون للعالم التأثير والقدرة حتى يتمكن من تنفيذ كل ما يقوله وإلا فإن الكلام لوحده لا مضايقة فيه ولا

يضايق أحداً أما أنه يصير خبزه حجراً أو آجراً فإنه حسب اعترافكم الجميع يعرف الحكم ، وطبعاً ليس عن طريقكم بل عن طريق العلماء فقط .

القواعد الدينية كلها واضحة

سعى هذا الكاتب من جديد ليلقي بحجر في الظلام . يقول : « لو أن العالم تمكن من أن يقول ما يعرف لكان أمر الدين والحياة أفضل بكثير ولو أن الملا لم يخف من أن يقطع عنه الخبز لم تكن لتبقى هذه الأسرار مكتومة » .

بمجرد القول لا يحصل تقدم وإلا فإنه لا أسرار في الدين وكل ما يجب على المبلّغين قوله فقد قالوه ويقولونه والقوانين الإلهية والقواعد الدينية واضحة وضوح الشمس ولا شيء مستور لكن القوة المقنّنة لا بد لها من قوة إجرائية فلا القانون لوحده يدير البلد ولا القوة فقط تقدم العمل . فالقوّتان بمنزلة العين والقدم فمن يسير بلا بصر يقع في المنخفضات المهلكة ومن يفقد رجله لا يستطيع أن يسير ليصل إلى مقصده وإن كانت عنده عين يرى بها الطريق . فلا بد من ارتباط هاتين القوتين إحداهما هي العين والأخرى هي القدم فما داما منفصلين لا يمكن متابعة الطريق وبدون العين لا يرى الطريق وبدون القدم لا طاقة له على الحركة فإذا اتصلت هاتان القوتان وتوحدا في بنية واحدة فالعمل يتم . أنتم تقولون إن العلماء لا يستطيعون أن يقولوا أو أنهم لا يقولون فلتكن القوة الإجرائية التي هي الدولة . والناس مستعدة لتنفيذ ما يقوله العلماء . فإن ما يجب عليهم أن يقولوه قد قالوه ولا زالوا يقولونه لكن أنتم وأمثالكم غير مستعدين لقبول ذلك . أنتم تكذبون وتخادعون . العالم يقول هذا السفور حرام ، أو أن النهضة بالزور التي تلحق بالبلد أضراراً مادية ومعنوية حرام بقانون الله والرسول . العالم يقول إن هذه الطرابيش تلحق العار ببلد الإسلام وتصيّر استقلالنا معوجاً وهو شرع الله حرام . العالم يقول هذه المدارس المختلطة من الشابات والشباب بشهواتهم تزيل العفة وأصل الحياة وقوة الشباب وتضر البلد أضراراً مادية معنوية وهي حرام بحكم الله . العالم يقول هذه المحلات التي تبيع المسكرات والمؤسسات التي تصنعها قد شلّت عقول شباب البلد وأتلفت عقول وصحة ومزاج وعفة وشجاعة وشهامة الناس فيجب إقفالها بحكم الله وشربها وبيعها حرام . العالم يقول إن الموسيقى تقوي في الإنسان روح الشهوة وما يخالف العزة وتسلب الشهامة

والشجاعة والرجولة وهي في الشرع حرام ولا يجوز أن تكون جزء من برامج المدارس فيتصل العنصران اللطيفان سريعا لانفعال مع بعضهما . العالم عنده كلام كثير فاخطوا أنتم خطوة من أجل الدين وصلاح البلد ليكون العالم كالضوء ينير الدرب أمامكم . نحن نعلم أنكم وأمثالكم تواجهون حكم العقل وحكم الله والعالم . وبغباء تريدون أن تحمّلوا مسؤولية الخراب الذي تقومون به وأن تردوا الناس عنهم لتحققوا ما تريدون .

تجديد حنين

حيث كان هذا الغبيّ من قراء العزاء مدّة من الزمان يتعرض لكربلاء واستطراداً كل كذا صفحة وهنا أيضاً يحن عندما كانت فرقة موسيقية في الأهواز يوم عاشوراء وكان راديوا طهران ليلة الحادي عشر يبث قراءة العزاء . يقول : « بدل أن يعتمد راديو طهران على الأوامر التي أمرت الدولة بها يشرع في تلك المجالس والخرافيات التي نعلمها » .

هذا الغبيّ إلى هذا الحد لا علم له حتى بقانون البلد بحيث لا يعرف أن الدستور الذي تعطيه دولة الديكتاتور رضا خان الخارج عن القانون لا يساوي فلساً ويجب أن تحرق أوراق القوانين التي وضعها المجلس في زمانه وأن تمحى وأن لا حق لنواب الزور في تلك الأيام بالنيابة هذا اليوم وإن كان المجلس اليوم هو بحق مجلس يجب أن يلغي أوراق اعتبارهم . ومع الغض عن ذلك فإن راديوا طهران الذي أطلعنا على برنامجه من الصحف فإن أكثر ما يصرف عليه وقته الأعمال الصبيانية والموسيقى المتنوعة الشرقية والغربية والإيرانية وأمثال ذلك لينشر ما ينافي العفة في العوائل المحترمة بأفضل وسيلة نافذة . فماذا يضيرهم إذا صرفت عدة دقائق في الخطب المعقولة لمتكلم عالم يذكر تاريخ جهاد رجل إسلامي عظيم الذي نهض في شهامة في سبيل استقلال البلد الديني تلك النهضة ، حتى يشرق على روح شبابنا نور جمال ذلك العظيم نور الشجاعة والشهامة . وأين يضطرب العالم نحن ليس لنا إلا أن نشخّص أنكم تريدون أن تأكلوا من بقايا مائدة المجوس وعندكم مخالفة مع أصل الدين ﴿ **والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ .

طريق الإصلاح في رأي الكاتب

هذا الكاتب الغبي بعد أن يقول : « العـالم يجب أن يأخـذ الحقوق (المعـاش) من بيت المال » يقول : ولأجل هذا العمل فإن السبيل الوحيد الذي يخـطر على البـال والذي لا يخالف أي قانون أو عقيدة : إن في بلدنا اليوم وقفاً كثيراً للعزاء وأمثال ذلك فلو أن نتاجها صرف في هـذا السبيل تحت أشراف رئيس عـالم ومؤسسة صحيحـة غير منتسبة للدولة فيكون مال الـوقف قد صرف في مصرفـه وفي نفس الوقت تتحقق أكـبر خـدمة للدين والحيـاة أما إذا بقي النـاس على مـا هم عليه والعـالم على مـا هـو عليـه « فليس على الميت بل على الحي نبكي » .

أهلاً بهذا الفكر النيِّر والعقل الغزير . حقاً ! لماذا تمد الدولة لإصلاح البلد اليد إلى الأجـانب مع وجـود هؤلاء الأشخاص من المنـاسبين والمفكـرين أصحاب الضمـير الحيّ فليجعل في كل وزارة واحد من هؤلاء ليستفاد من أفكـارهم الاستفادات المـادية والمعنوية وتؤدّي الأعمال جميعها بما يطمئن القلب به .

اقرأوا من جديد كلام هذا الرجل ذي الدمـاغ الفارغ . وانـظروا ماذا يقـول . وكأنه لا معرفة له أصلاً بالدين وتشريعـاته والعقـل وأحكامـه . يقول ليصرف الـوقف على العزاء ، على العلماء فيصرف الوقف في مصرفـه . لو كـان مصرف الوقف العـزاء فكيف يكون صرفه على العالم صرفاً له في مورده . وكيف لا يكون هـذا الذي انقـدح من نظركم الرفيع مخالفاً لأية عقيدة وقانون بل هو مخالف للعقـل رسول الله البـاطني ، كما أنه مخالف للشريعة السماوية ومخالف لعقيدة جميـع العلماء وأهل الـدين . فإذا كـان عندك ملك فأنت حرّ في صرف عوائده في أي مصرف تريد . وبحسب أصـل الملكية الذي عليه بنـاء المدنيـة لكل شخص الحق في التصرف بمـاله كيف يشـاء ما لم يخـالف شرع الله الـذي يعلو على قـانـون الملكيـة . ولا حق لأحـد أن يتـدخـل ويتصرف في أتعابك فملكي أستطيع أن أعطيك إياه أو أعطيـك منافعـه المدة التي أشـاؤها دون أن يكون لأحد حق الاعتراض فإذا عينت لذلك المال أو لمنافعه مصرفاً كقهـوة المحلة مثلاً فلا اعتراض لكم . فـماذا جرى حتى إذا جيء بـاسم العزاء اشرأبت الأعنـاق وتعالت الأصوات لماذا ؟ مع أننا نعلم أن هذه المجالس المنـظّمة نصف تـنظيم تقدم الخـدمات الجيّـدة للبلد والنـاس إذ فيهـا يعلّم النـاس شرع الله والأخـلاق والمعـارف . فهــذه المجالس لو خطونا خطوات في توسعتها وإصلاحها لابتعـد نصـف المجتمع عن الخيانة

والجناية . لماذا لا كلام لأحد لو أردت أن أصرف مالي على عشاء أو غذاء في فندق أو قهوة لكن يظهر هذا الكلام هنا ويصوّر الأمر وكأن المصرف متعذر .

هذا الكلام الغبي صدر من دماغ جندي جاهل قد تعفن فليس إلا شرع الله الذي لا يبلى بطول الزمان أما هذه القوانين أو ما يفرض على الناس فإنها تموت بموت أصحابها . ومع غض النظر عن ذلك فإن العالم الذي يريد أن يداوي أرواح الناس وأن ينزع أساس الخيانة والسرقة من الدنيا كيف يمكن أن يخالف الشرع أو أن يعيش من مال مغصوب ويقول للناس الحلال والحرام . تصرّف العالم في الوقف على خلاف ما حدّده المالك مخالف لكلام الله وشرع الإسلام أم يخالف شرع الإسلام المسلّم ويقول للناس لا تخالفوا الإسلام .

أنتم سمعتم ببيت المال ولم تعرفوه فالصحيح أنكم لا تعتنون بكلام الله والقرآن وشريعة الإسلام ولا شغل لكم معهم وإن شاء الله سيقضي على معتقدكم من أساسه .

تدخل آخر في المعقولات

هذا الكاتب المسكين الذي يتوه في المطالب استعجل فكتب كل ما يجري عليه قلمه سواء كان مناسباً أم غير مناسب . يكتب ما لا يناسب قانون الكتابة . ويقول :

« قد تقولون لي أما أن تكون مجتهداً أو مقلّد فإن كنت مجتهداً فكلامك حجة عليك فقط وإن كنت مقلّداً فلا يحق لك التطفّل . نعم هذا الكلام صحيح لكن من حيث الطريق لا النتيجة . لا تقولوا للمشرّع كيف ومن أين أتيت بالحكم لكن الحكم الذي أعطاه لكم يجب أن يوافق حكم العقل وقانون الطبيعة الذي هو حكم الله المسلم وإلا فإنه يصير مثل اليوم بالنسبة لآية ﴿ **إن الله يحب المتطهرين** ﴾ التي هي دستور بسيط جداً ويدرك حدودها كل أحد بفطرته التي فطره الله عليها فقد كتب في هذه الآية أضعاف القرآن والنتيجة تصير أن ماء خزّان الحمام وماء حوض المسجد مع كل ما فيه من تلوّث ظاهر لكن أنظف ماء إذا كان أقل من كرٍّ ولو بمقدار رأس إبرة ينجس إذا لاقى إصبعاً متنجساً » .

هذا الغبي إلى هذا الحد فقد التمييز فينشر كتيّبه بين الناس وكثير منهم على إطلاع على الكتب الفقهية بنسبة ما . وإن كان الناس بحسب النوع لا خبر عندهم .

والمطّلعون لا يصدّقون ولهم الحق أن لا يصدقّوا شخصاً يذكر في كتيّبه هـذا المقدار من الأكاذيب وينشرها بـالأحياء . نغضّ النـظر عن كل ذلـك لكن قولـه إنه كتب في آيـة ﴿ **إن الله يحب المتـطهرين** ﴾ اضعـاف القرآن غـير صحيح فـراجعوا أيهـا القراء كتب الفقهـاء فإذا وجـدتم الفقهاء في كـل كتبهم كتبوا ثـلاثة أسـطر حول هـذه الآية فـإننا نتراجع عن كـل ما ذكـرنا ونـرجع من حيث أتينـا وإلا فإنكم من هنـا تستطيعـون أن تقدّروا مستوى وقيمة ووزن معلومات هؤلاء . ولا أعتقـد ولا يخطر عـلى بالي الآن أن هذه الآية وردت في كتب الفقهاء أو أنه استفيد منها مباشرة حكم من الأحكام بل هذه الآية قد وردت في ذيل ﴿ **إن الله يحبّ التوابين** ﴾ وهي من الآيات الأخلاقية لا آيـات الأحكام . وجملة الكلام أن هذا الجاهل لا يعرف شيئاً عن كتب الفقهاء واستدلالاتهم ومع أنه اعترف بأنه لا يجوز أن ننطق بكلام في طريق الحكم لكنه لم يرجع عن تـطفّله فقال هذه الكذبة الواضحة ووقع في المذلّة ، وأما قوله « فتصير النتيجة » فهـذا إشكال صـدر عن جهل . فـإن ماء خـزان الحمام وحـوض المسجد إذا تلوثـا فكما يقـول لكم العقل إن اللازم الاحـتراز عن ذلك المـاء وعن كل قذارة فكذلك اعتبر الله النظافـة من الإيمـان[1] ومن جنود العقـل[2] واعتبر المتـطهّرين أحبـابه كـما لاحظنـا في هـذه الآيـة بالذات . وكـل ذي شعور لا بـد أن يراعي ذلـك . لكن إذا لم يراع ذلـك شخص ما فـإنه لم يـرد في قانـون العقوبـات في أي مكان من العـالم إن هذا جـرم لا بد فيـه من الحبس بل يكتفون بالاعتراض عليه ويعبسون في وجهـه . والإسلام أيضـاً اكتفى بهذا المقدار بل أكثر من ذلك إذ اعتبر النظافة من الإيمان ومن جنود العقل ليعلم النـاس أنه من دون نظافة يخرجون من جمـاعة المؤمنـين وجماعـة العقلاء فـالإسلام في هـذا الحكم متقدم على الآخرين واهتم بالنظافة أكثر منهم . أما حكم الماء الأقل من الكر فهنا قـد راعى الإسلام النظافة أكثر من العالمين واعتـبر أن الماء الـذي لم يصل إلى حـد الكريّـة يجب الاحتراز منه إذا لاقى متنجساً فهنا تشديد على النظافـة وجعل للمخـالفين عقـاباً فإذا كان أشكالكم إن الأمر لا يحتاج إلى هذا التشديد على النظافة ولماذا راعى الله هذا المقدار من النظافة فنقول لكم إنـه ليس لكم أن تتدخلوا في حكم الله وأنتم عـلى هذا المستوى من الفكر . فـالإسلام إذن اهتم بـالنظافـة أكثر من جميـع البشر بل إذا لاحظ

---

(١) راجع « كلمة محمد » .

(٢) راجع الكافي حديث جنود العقل .

المرء باب الطهارات والنجاسات من الكتب الفقهية وبحث فيها بدقة فسيجد أنه لا قانون في العالم راعى ما راعاه الإسلام في حفظ الصحة والنظافة ولا تسع هذه الأوراق لذكر هذه الأمور .

ثم إن الكاتب يتحسَّر في آخر مقالته على عمره حيث « نمضي ثمانين عاماً كالحيوان المغمض العين المقيّد بالمدار نظن أننا طوينا عالماً لكن فتحنا عيوننا فوجدنا أنفسنا في المحل الذي كنّا فيه » .

ونحن نقبل هذا الكلام إلى حدٍ ما بحقه وحق رفاقه لكن هنا نكتة هي إن الحمار المقيّد بالجص تكون هذه وظيفته فهو وإن لم يتحرك من مكانه لكنه يقوم بوظيفته أما ابن آدم الذي خرج عن حكم القرآن وحكم الله والعقل والذي لم يقم بوظيفته فهو أسوأ بكثير من الحيوان . خلق الله ابن آدم ليكتسب في هذه الدنيا الفضائل والمعارف وليشارك في تحريك عجلات سعادة الدارين ولا تتم هذه الصورة إلا بالدخول تحت الشريعة الإلهية الكفيلة بالسعادة الأبدية ومن يخرج من هذه القوانين المبنية على أساس العقل المحكم فليس فقط هو مثل الحمار المربوط يبقى في محله بل يتراجع ويتراجع حتى يقع في مزلة العدم والهلاك والشقاء وهذه آية من آيات الله اقرأوها وتدبروها وردت في سورة الأعراف الآية ١٧٨ : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً أولئك هم الغافلون** ﴾ .

أيها القران ، أيها التحفة السماوية والهدية الرحمانية أنزلك الله كي تحيي قلوبنا وتفتح آذاننا وأعيننا . أنت نور الهداية والمرشد إلى سعادتنا تريد إخراجنا من مقام الحيوانيّة إلى أوج الإنسانية وجوار الرحمن وللأسف لم يعرف بنو آدم قدرك ولم يروا لزوم اتباعك فالأسف إذ لم تطبّق قوانينك في الدنيا لتصير هذه البيوت المظلمة ومحلات الفئة المتوحشة المفترسة التي تعتبر نفسها متمدني هذا العالم ، غبطة الجنّة الراقية ويحتضن الجميع عروس السعادة في هذه الدنيا . آه منك أيها الجاهل من بني آدم .

ثم يقول هذا الكاتب في نهاية كلامه : « لو أن العالم عمل حقاً بوظيفته لكان أفضل من الطبيب فإن الطبيب يحفظ الحياة وهذا يحفظ الروح التي تعطي للحياة قيمتها فإذا مدّ رجليه أكثر من بساطه أو عمل بعكس وظيفته فإنه يصح أن يقال عنه

أنه أحقر الناس » . بعبارة أُخرى أن ضرر مثل هذا الشخص على البلد أكثر من ضرر نـائب حسين الكـاشي على مـدينة لأنّ هـذا يسرق المال وذاك يحـرّك العقول في بيـوت الناس على خلاف الحق وهذا تزول آثاره بموته أما ذاك فإن البدع تبقى إلى قرون .

ونحن نتقبـل هـذا الكـلام بصـدر مفتـوح والله أيضـاً أنــزل في العلماء الـذين لا يعلمون آيات منها الآية رقم ٥ من سورة الجمعة ﴿ **مثـل الذين حمّلوا التـوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ فنحن أيضاً نعلم أن العـالم إن لم يعمل بـوظيفته كـان أحقر النـاس وأكثر النـاس خروجـاً عن القانـون . لكن يجب أن يقال أيضـاً أن وظيفة العالم لا تحـدّد من قبلكم . وأنت الذي أتيت في كتيب من عـدة صفحات كـل هذه الخيانـات والجنايـات والأكاذيب لا حق لـك في تعيين وظيفـة أي شخص . أنت نفسك خارج عن القانون معدود من المجرمين .

المقالة الرابعة
في الحكومة

السؤال السابع وجوابه

ما معنى ما يقال أن الدولة ظالمة هل المقصود أنها ظالمة لأنها لا تقوم بما هو المطلوب منها أم المقصود يجب أن تكون الدولة بيد المجتهد ؟

وجواب هذا الكلام تقدم في السؤال الخامس حيث تحدثنا عن طرز حكومات العالم وقوانين البلاد هنا أيضاً نقول : الدولة ظالمة لأنها تقوم بوظيفتها فلو قامت بذلك لم تكن ظالمة بل لكانت عند الله عزيزة محترمة لكن لا بدّ من توضيح وظيفة الدولة حتى نشخِّص أنها ظالمة أو غير ظالمة .

وقد وضحنا سابقاً ومن خلال الحس والعقل أن الحكومات اليوم تتشكل في العالم بالإجبار وما نعرفه من البلاد والدول اليوم في العالم لا نجد أيّاً منها بني على أساس العدالة وأساس صحيح يقبله العقل جميع أسسها طرية لكنها في نفس الوقت مع إجبار وقوة السلاح والعقل لم يكن أبداً موافقاً على أن من لا يملك أية ميزة عن غيره في الفضائل الصورية والمعنوية أو كان أحقر من غيره فبمجرد أن يشكل عصابة ويتسلط على بلد ويحكم ، تصير أحكامه حقة وعادلة وحكومته حكومة الحق . والعقل يقول إن تصرف صاحب المال في ماله بطريقة مشروعة حق والتعدي على مال وحدود الآخرين باطل وظلم مهما كانت صفة ذلك المعتدي ومهما كانت قوته وقدرته ومهما كان المظلوم صغيراً أو مجهولاً . هذه غاية هتلر الذي يقول يجب التسلط على بولندا بقوة السلاح وقيل إن مئات الآلاف من العوائل قد فنيت وأنتم تجلسون من بعيد تمدحونه في غباء وهو من أسوأ ما أنتجه الفكر البشري من سموم وضرب للعدالة وعلى كل

مفكر محب للعدالة مواجهة ذلك وعلى العقلاء المهتمين بالعالم أن يرموا بجذور أمثال هذه الأفكار ليعود العالم إلى هدوئه . وحكومة الحق في نظر العقل والتي يتقبلها بصدر منشرح ووجه مشرق هي حكومة الله الذي كل أعماله حقة وكل ما في العالم وتمام ذرات الوجود من حقه وإذا تصرّف في الأشياء فقد تصرّف في ماله وإذا أخذ فمن ماله وليس لأحد القدرة على إنكار هذا الكلام إلا إذا ابتلي باختلال الدماغ .

ومن هنا يتضح حال الحكومات كلها ومن هنا يُعلن الاعتراف بالحكومة الإسلامية . وظيفة دولتنا التي هي من الحكومات الصغيرة في هذا العالم أن تقتفي أثر هذه الحكومة وأن يكون قانون المجلس مبيّناً للشرع الإلهي ليظهر بعد ذلك أن الإسلام أكثر تمدّناً في العالم من جميع النظم . بتطبيقه تتحقق المدينة الفاضلة .

ونحن لا نقول ـ وقد تقدم ـ إن الحكومة يجب أن تكون بيد الفقيه بل نقول الحكومة تدار بشرع الله الذي منح صلاح البلد والناس وهذا لا يمكن أن يحصل بدون اشراف العالم كما صدّقت على ذلك دولة المشروطة أيضاً وهذا الأمر لا يصادم نظام البلد وتشكيل الحكومة ومصالح البلد . بل بهذا العمل يتحقق التعاون بين جميع أفراد البلد دون استثناء من العالم إلى التاجر إلى الجندي حتى الدلّال الذي يدور في الشوارع وبين الحكومة ، ويسعى الجميع بأرواحهم وقلوبهم من أجل استقلال وعظمة البلد . القوا نظرة على المؤسسات اليوم وزوروا أولاً البلاط وحالته المؤسفة ثم الوزارات وحالة كل واحد من الجالسين خلف المكاتب وانظروا في أهدافهم ثم زوروا الجيش ولاحظوا أوهام العسكر وقادة الفيالق ثم اذهبوا إلى أعضاء إدارات البلد والجيش في تمام المحافظات وتقدموا نحو دار الشورى وحققوا في القوة المقنّنة . وجملة الكلام أنه ابتداء من عامل البلدية حتى أعلى المراتب فاذهبوا حيثما شئتم وشاهدوا الأفكار المتشتتة والخيالات المختلطة والآراء والعقائد المتضاربة فيما بينهم وشاهدوا المنفعيين والمنساقين خلف شهواتهم وعديمي العفة والمجرمين والخونة والآلاف من أمثال ذلك شاهدوها بعين مفتوحة وحينئذٍ ستفهمون أين تصرف ميزانية البلد ومن أين تأتي . فبالتأكيد أن هذه الدولة مع هذه الأحوال التي يعرفها الجميع ولا حاجة إلى هتك الأسرار ، فلا يجب أن يتوقع اعتبار العالم هذه الدولة دولة حق . والشعب المسكين الذي يرى بعينه كل هذه المفاسد والخيانات ويرى الفرد منهم كل ساعة ما يرتكبه المأمورون من مظالم كيف يتعاون معها ولا يرى جواز خيانة الدولة الخائنة . طبّقوا مادة واحدة من قانون

المشروطة وهي التي تقول : لا قانونية لكل قانون مخالف للشرع » كي يصير جميع أفراد هذه المملكة في اتفاق وليتغير وضع البلد بسرعة البرق وبتنفيذ ذلك تتبّدل كل هذه التشكيلات المؤسفة إلى تشكيلات عقلائية جديدة ومع تظافر كل جهود الشعب من العارف والعامي تنطبع البلد بطابع لا نظير له في العالم .

نحن نعلم أن هذا الكلام مكلف للذين دخلوا في سلك الخونة وعبّاد الشهوة والغناء والعزف والرقص وألف نحو من مظاهر الفسوق واللا عفة ، ويكلفهم ذلك غالياً . طبعاً إن أولئك الذين يعتقدون أن تمدن البلد ورقيّها بتعرّي النساء في الشوارع وحسب قولهم الغبي « بكشف الحجاب يعمل نصف البلد » (لكن أي عمل جميعنا يعلم) . هؤلاء لا استعداد لهم كي تكون الدولة في الطريق المعقول في ظل قانون الله والعقل . هؤلاء الذين فقدوا القدرة على التمييز إلى هذا الحد يعتقدون أن ترقّي البلد في قبّعات مخجلة هي من فضلات أوروبا المتوحشة هؤلاء لا كلام لنا معهم ولا نتوقع منهم أن يقبلوا منّا الكلام العقلائي فإن الأجانب سلبوهم عقولهم وإحساسهم ووعيهم . وماذا نقول لهؤلاء الذين فقدوا إلى هذا الحد إحساسهم وشعورهم وأنفسهم في قبال الأجانب ويقلدونهم حتى في الوقت . الجميع يعلم أنه اعتبر ظُهر طهران تقليداً لأوروبا عشرين دقيقة قبل منتصف النهار وإلى الآن لم يتحدث أحد عن هذا الكابوس الذي ألمّ بأهل هذه المملكة . عندما كانوا يضعون على رؤوسهم القبعات البهلوية قال الجميع يجب أن يكون للملكة شعارها الوطني وأن الاستقلال في اللباس دليل استقلال البلد وحافظ هذا الاستقلال وبعد مضي عدة أيام وضعوا على رؤوسهم القبعات المخجلة وتغيّر الكلام فجأة فقالوا لنا علاقات مع الأجانب فيجب أن تكون على شكل واحد لتظهر في العالم في عظمة . إن مملكة تضع عظمتها بالقبعة أو يجعلون عظمتها في قبعة فإنه في أي وقت تنزع عنها هذه القبعة تزول منها عظمتها .

في كل هذه الحالات يريد الأجانب تنفيذ مخططاتهم ومع وضع القبعة على رؤوسهم إنما يريدون أن ينزعوا عن رؤوسكم قبعاتكم وينظرون إليكم من بعيد بعين الاستهزاء وينظرون إلى أعمالكم الصبيانية . كنتم تجوبون الشوارع بالقبعة المخجلة تنشغلون بالفتيات السافرات وتفتخرون بوضعكم غافلين عن أنهم سلبوكم فخركم التاريخي في كل البلد وفقدتم منابع ثروته كلها وأخرجوكم من بحر إلى بحر على

أقـدامكم ولا يزالـوا يجرونكم في خط مستقيم إلى هـذا اليـوم . جميعكم لعنتم اتفـاق « وثوق الدولـة » وكان لكم الحق في ذلـك لكن بعد مضي عـدة أيام أحيـطت رقابكم بعـين تلك الخطة وبـوضع أسـوأ يعلمه الجميـع واعتبرتم ذلـك من تقـدّميـات العصر البهلوي وتقدّميات البلد والحال أن فيكم أشخاصاً وصل بهم الأمر إلى تجرّع الـدم ولم يستطيعوا أن يتنفسـوا من الخوف والكـلام كثير وألم القلوب كبـير لكن من يسمع ومن يملك قـدرة التمييز . وجملة الكـلام أن المسؤولين الخـونة أو الجهـال ، هذه الجـزئيات الصغيرة من عباد الشهوة والخارجين عن القانون يجب تبديلهم حتى يتبـدل وضع البلد وإلّا فسترون من هؤلاء أياماً أسوأ ما نراه اليوم بالنسبة لما سيأتي جنّة .

اشتباه عجيب

هـذا الكاتب الجـاهل لا ينفـك ينسب في كتيّبه المتعفّن كـلاماً غـير مـوزون إلى الدين وأهله ويستخرج من ذلك نتيجة عجيبة . فيقول : « يقول الدين اليوم كل دولة تقوم قبل قيام القائم باطلة « كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله » ويقول عمل السلطان وأعانته كفر « سألته عن عمل السلطان فقال الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر » ويقـول : القتال دون إذن الإمام مثل أكل لحم الخنزير وأكل الدم بل جاء في الحديث الصحيح النهي عن محاربة الأعداء » .

هـذا الكاتب خلط المـطالب مع بعضهـا البعض وصبّهـا عـلى بعضهـا ثم وقف يعترض بجهالة إن هذه الأحاديث لا ربط لها أبداً بتشكيل الحكومة الإلهية العادلة التي يراها كل عاقل أمراً لازماً بل في الرواية الأُولى احتمالان :

أحدهما : أن تكون مرتبطة بأخبار ظهور ولي العصر وعلامات الظهور فتريد أن تقول أن الرايات التي ترفع بعنوان الإمامة قبل قيام القائم باطلة مثل ما ذكـر في ضمن هذه الروايات علامات للظهور أيضاً .

والاحتمال الآخر : أن تكون من قبيل الإخبـار المسبق عن هذه الحكـومات التي تتشكّل في العالم إلى عصر الظهور أن أيّاً منها لا يقوم بالمطلوب منها وكـذلك هـو الحال إلى الآن فهل لديكم حكومة بعد حكومة علي بن أبي طالب عادلـة وسلطاناً غـير جائـر مخالفاً للحق ؟

وإذا رفض أحد وضع حكومة من هذه الحكومات الجائرة وإذا لم يستطع أحد إصلاحها حتى زمان دولة الحق فما علاقة ذلك بعدم جواز تشكيل حكومة عادلة . بل لو اطّلع المرء على أخبارنا إطلاعاً جزئياً يرى أن أئمة الشيعة دائماً لم يغفلوا عن الارشاد لما فيه حفظ البلد الإسلامي وعن أية مساعدة فكرية أو عملية رغم أنهم يرون أن الحكومات في زمانهم حكومات جائرة ويتعاملون معهم بالنحو المعروف . كما أن الشيعة كانوا الأوائل في الحروب الإسلامية أيام خلفاء الجور والحروب المهمة والفتوحات اللائقة التي كانت من نصيب جيش الإسلام كانت ـ بقول أهل الاطلاع ويدل عليه التاريخ ـ إما بيد شيعة علي أو بمساعداتهم الكافية جميعكم يعلم أن حكومة بني أمية كانت في الإسلام اسوأ وأظلم حكومة وجميعكم يعلم عداواتهم وتعاملهم مع آل النبي وأبناء علي بن أبي طالب وكان اسوأ سلوك بين جميع بني هاشم وأشدّ الظلم ما وقع لعلي بن الحسين زين العابدين فانظروا إلى أي حدّ يظهر علي بن الحسين التعاطف مع هذه السلطة الوحشية الجائرة فقال في الصحيفة السجادية « اللهم صلّ على محمد وآله وحصّن ثغور المسلمين بعزّتك وأيّد حماتها بقوتك وأسبغ عطاياهم من جدتك وأكثر عدتهم وأشحذ أسلحتهم واحرس حوزتهم وامنع حومتهم وألّف جمعهم ودبّر أمرهم وواتر بين ميرهم وتوحّد بكفاية مؤنتهم واعضدهم بالنصر وألطف لهم في المكر » إلى آخر الدعاء الذي يقرب من ثمانية صفحات وفيه أوامر للجيش يحتاج شرحها إلى كتاب وتريدون أنتم أن تقولوا أن العالِم مخالف لنظم البلد والحكومة ولحفظ استقلالها . أفٍ لهذا التشخيص الجاهل ولتضييع الحق إنهم في كل وقت إن أمكن فبالسيف وإن لم يمكن فبالقلم واللسان بكلِّ جهد يؤيدون الحكومات الإسلامية دون طمع أو سعي لحكومة أو منصب ولا يزالون يفعلون في الوقت الذي يرون فيه التشكيلات اسوأ التشكيلات وتعلمون أن الأمر كذلك وليس عندهم اباء عن أية مساعدة لحفظ الحكومة الإسلامية وقد امتحنوا وقت الامتحان .

أما الرواية التي تقول أن الدخول في عمل السلطان . . . فهذا الباحث عن الفتن جاهل كما تبيّن لكم إلى الآن وعادته أن يخون في نقل الروايات وإلا فإن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى جواب . هذه الرواية وأمثالها من الروايات الكثيرة المانعة من الدخول في جهاز الحكم للإعانة على الظلم والمساعدة عليه فإن هذه الأمور ممنوعة في جميع قوانين العالم . أم تقولون أنه بمجرد أن يسمّى شخص باسم السلطان وكانت

الحكومة لشخص ما فإن له الحق المطلق في أن يصدر الأحكام فيما يتعلق بأرواح وأموال وأعراض الناس . إن كان الأمر كذلك فلماذا كانوا يلعنون عمال النظام الديكتاتوري ولاحقوهم كل هذه الملاحقة لماذا لا يمدحون المختاري والأحمدي بدل أن يحبسا ويعاقبا فقد كانوا من أعوان السلطان والآن إذا أنكرت صحيفة من أعوان النظام الديكتاتوري أو سئل شخص عن الدخول في أعمال الحكومة الديكتاتورية لقال أن الدخول فيها والمساعدة لهم من أكبر الجنايات وعدم الشرف فهل يجب القول أن هذا مخالف للتشكيلات وأنه ضد تشكيل حكومة عادلة .

نحن نقول إذا دخل أحد في ذلك الجهاز الديكتاتوري الذي فتّت الأُسَر ، من أجل المنع من الفساد والإصلاح البلد والناس لكان الدخول جيّداً بل قد يكون واجباً فاللازم على السادة الرجوع إلى كتب الفقهاء في باب الولاية من قبل الظالم ليروا ماذا يقولون ونحن ننقل جملة من كلام المكاسب لأستاذ الفقهاء الشيخ مرتضى الأنصاري كي تتضح خدع وتلاعب وفكر هؤلاء الجهّال وإن كان القراء إلى الآن قد فهموا ما يجب فهمه . يقول الشيخ الأعظم : يسوِّغ الولاية المذكورة (أي من قبل الجائر) أمران :

أحدهما : القيام بمصالح العباد بلا خلاف على الظاهر المصرّح به في المحكيّ عن بعض حيث قال إن تقلّد الأمر من قبل الجائر جائز إذا تمكن معه من إيصال الحق لمستحقه بالإجماع والسنة الصحيحة وقوله تعالى : (عن يوسف) ﴿ **اجعلني على خزائن الأرض** ﴾ ثم ينقل الشيخ الأعظم روايات في هذا الباب منها أنه سئل أبو عبد الله من رجل يحب آل محمد وهو في ديوان هؤلاء يقتل تحت رايتهم قال يحشره الله على نيّته . وعن رجال الكشي في ترجمة محمد بن إسماعيل بن بزيغ (وهو من كبار أصحاب الأئمة وقد دخل في دولة المنصور) عن أبي الحسن الرضا (ع) قال إن لله تعالى في أبواب الظلمة من نوّر الله به البرهان ومكّن له في البلاد ليدفع بهم عن أوليائه يصلح الله بهم أمور المسلمين إليهم ملجأ المؤمنين من الضرّ وإليهم مرجع ذوي الحاجة من شيعتنا بهم يؤمن الله روعة المؤمنين في دار الظلمة أولئك المؤمنين حقاً أولئك أمناء الله في أرضه أولئك نور الله في رعيته يوم القيامة ويزهر نورهم لأهل السموات كما يزهر نور الكواكب الدرّية لأهل الأرض ، نورهم يوم القيامة تضيء منه القيامة خُلقوا والله للجنة وخلقت الجنّة لهم » . ثم بعد نقل الشيخ الأعظم لهذه الروايات يقول : ومنها

ما تكون واجبة وهي ما لو توقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجبان عليه .

هؤلاء الجهال حتى يسيئوا نظرة الدولة والشعب إلى أهل الدين وخصوصاً العلماء يبحثون بين الكتب فيعثرون على حديث ويبرزونه دون أن يتساءلوا في أي موضوع ورد هذا الحديث غافلين عن أن قراء تلك الأوراق هم في أكثرهم على إطلاع على تاريخ الإسلام . يعلمون أن أصحاب الأئمة الخواص كانوا مشتغلين في جهاز الدولة وأيّدهم الأئمة ومدحوهم مثل علي بن يقطين ومحمد بن إسماعيل بن بزيغ وعبد الله النجاشي وإلي الأهواز وغيرهم كما أن من كبار علمائنا من كان في بلاط السلاطين كما تقدّم ذكر أسمائهم .

وأما الرواية الثالثة التي تقول أن القتال مع غير الإمام كأكل لحم الخنزير وشرب الدم . هذا الجاهل الغبيّ غير الموزون لم يـر كتب الفقهاء فقال هذه التفاهات ففي الإسلام نوعان من الحرب .

أحدهما الذي يقال له الجهاد وهو السيطرة على البلاد بالشروط التي ذكرت له .
الآخر . الحرب لاستقلال البلد ودفع الأجانب عنه .

والجهاد الذي يعني احتلال البلاد وفتحها هو بعد أن تشكل الحكومة الإسلامية بوجود الإمام أو بإذنه وفي هذه الحال يجب على كل الرجال البالغين غير العاجزين . وغير المملوكين من الأجانب أن يكونوا على استعداد لفتح البلاد ونشر شرع الإسلام في كل بلاد العالم وعلى جميع الناس أن يعلموا أن احتلال الإسلام لبلد يختلف عن احتلال غيره . الآخرون يريدون الوصول إلى منافعهم الشخصية والإسلام يريد إيصال العالم إلى منافعه العالم من خلال احتلاله . أولئك يريدون من السيطرة على العالم نشر الظلم وضرب العفة أما الإسلام فيريد نشر العدالة والأحكام الإلهية العقلائية . أولئك يريدون العالم لأجل حياتهم المادية المذلّة والإسلام يأخذ العالم من أجل حياة معنوية ولتهيئة الناس إلى حياة كلها سعادة وافتخار . أولئك يجعلون أرواح وأموال الناس فداءً لنفوذهم وراحتهم أما الإسلام فيسلب الراحة عن زعمائه . ومسؤوليه لحفظ أرواح وأموال الناس ولإسقاط أصول الظلم والديكتاتورية في العالم . جهاد الإسلام جهاد مع الشرك واللاعفة والظالمين حرب مع العالمين لإسقاط الشهوة واللذات الحيوانية التي داست على البلاد وسلبت من العوائل شرفها وكل من يرى

كتاب الجهاد وآدابه وطريقة جهاد الإسلام يفهم النظرية الإسلامية في السيطرة على العالم وكل بلد يفتحه الإسلام أو فتحه أسس فيه القانون السماوي النوراني بحيث لو عملوا به لعانقوا السعادة الأبدية . فليأتوا بهذه القوانين الإسلامية وليروها وليقارنوا بين القرآن وبين سائر كتب العالمين وليقارنوا بين احتلال المسلمين للبلاد واحتلال الآخرين لها . وإيراننا لم تخرج من عار عبادة النار والمجوسية القبيحة إلا بالفتح الإسلامي . فاتضح أن الجهاد الإسلامي للسيطرة على البلاد مغاير لسيطرة الآخرين . وبالتأكيد يجب أن تتشكل تلك الحكومة الإسلامية تحت إشراف الإمام العادل أو بإذنه حتى يقدم على ذلك الأمر (فتح البلاد) وإلا تصير مثل احتلالات الآخرين التي لا يرضى بها العقل والداخلة في الظلم ، والإسلام والعدالة الإسلامية والتمدن الإسلامي براؤون من ذلك .

وأما القسم الثاني من الحرب في الإسلام الذي يسمّى بالدفاع وهو الحرب لحفظ استقلال البلد ودفع الأجانب فهو غير مشروط أبداً بوجود الإمام أو نائبه ولم يشترط ذلك أحد من الفقهاء بل على الجميع في الإسلام المحافظة على البلد الإسلامي واستقلاله وهذه عبارة الفقهاء في هذا الموضوع . « وقد يجب المحاربة على وجه الدفع من دون وجود الإمام ولا منصوبه كأن يكون بين قوم يغشاهم عدو يخشى منه على بيضة الإسلام أو يريد الاستيلاء على بلادهم وأسرهم وأخذ مالهم » ففي هذه الصور على الناس الدفاع عن أرواحهم وأموالهم ومحاربة الأجانب .

أيها الجهال . الإسلام الذي يقول : « قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » هل يقول اجلسوا وكونوا لقمة سائغة للآخرين ؟ والإسلام الذي يقول : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجكم » يقول : قيّدوا أياديكم ببعضها البعض ليظفر عليكم الآخرون ؟ الإسلام الذي يقول : وقاتلوا في في سبيل الله الذين يقاتلونكم » هل يقول سلّموا أنفسكم للآخرين ، والإسلام الذي يقول : « الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاليد الجنّة والنار وللجنّة باب يقال له باب المجاهدين » ومئات الآيات والأحاديث الأُخرى الداعية إلى محاربة الأجانب وإلى الحرب لحفظ الاستقلال ، هل يمنع الناس من الحرب ؟ تفٍ عليك أيها البشري الجاهل .

تعجب يوجب العجب

هذا الكاتب بعد أن اتضحت خيالاته « الملنخولية » يقول : « والعجب أن وحوش أفريقيا يعلمون أنه لا بد لهم من مدير يجمع الأفراد المتشتتة ويهيء أضعف الحيوانات للوقوف ضد الأعداء أما نحن الفرقة الناجية فلنا كلام آخر يختلف عن جميع البشر والحيوانات باسم الدين وبضاعة لا توجد في أي محل بيع » .

والعجب أن الشيء الذي فهمتموه ـ مع ما لكم من مستوى في العقل والمعرفة ـ تدّعون أن ملايين العلماء من أهل الدين وفيهم من قلب الحكومات في العالم إلى حكومات أخرى لم يفهموه . إن هذا الهراء الذي ينسبونه إلى المؤمنين وأنه بضاعة لا توجد في أي محل بيع ، هو غير موجود في كتاب أي فقيه وإنما تنسبون إليهم ذلك عباءً أو كذباً . نعم نحن وجميع علماء العالم نقول يجب إسقاط الحكومات الظالمة الديكتاتوريات وإضافة الحكومة العادلة العاقلة مكانها فإن كنتم لا توافقون فقولوا . نحن أيضاً نعلم أنكم تريدون الاصطياد في الماء العكر .

أحكام الإسلام لا تداوي أوجاعكم الناشئة من عبادة الشهوة ، واللاعفة والكذب والدسائس . شرع الإسلام يهدر دماءكم ويقطع أيديكم المتطاولة ولذا تحاربون شرعه . يريد العلماء أن يسدّوا الدرب أمام شهواتكم يريدون للنساء الجميلات أن تتستر عن الجلوس خلف الطاولات التي تعلمون كما نعلم أنها مركز المصائب يريد العلماء أن يعيدوا الشباب والشابات إلى هدوئهم الأوّلي بدل أن يكونوا في فتنة تشكّل سدّاً منيعاً أمام الشهامة والشجاعة ، فيحصل من ذلك فوائد عقلائية للبلد . يريد العلماء أن يسقطوا هذه المفاهيم المسقطة للشرف وتبديلها بثقافة دينية عالية كي تتربى عليها أفكار الناس وأنتم تحاربون ذلك كله .

أكاذيب الجهال :

يقول : « لما رأوا أن هذا الكلام الذي لا يستند إلى أساس غير مقبول صوروا الأمر بصور أخرى سنناقشها ثم نبيّن أضرارها . يقولون : يجب أن تكون الحكومة بيد الفقيه . والحال أننا رأينا أن هذا الكلام لا دليل عليه إضافة إلى أنه إذا اشترط شيء بشيء لا بد من مناسبة بينهما فإذا قيل المهندس يجب أن يكون عارفاً بالرياضيات كان كلاماً صحيحاً لكن إذا قيل يجب أن يكون المهندس فقيهاً فأنتم أنفسكم تضحكون من هذا الشرط . فإذا أراد سلطان أن يعمل لأجل البلد فما هي فائدة أن يصرف وقته

كي يرى هل مقدمة الواجب واجبة أم لا » ؟

وقد ذكرنا في الجواب عن السؤال الخامس جواب هذا الهراء بالتفصيل ووضّحنا أنه عندما يقال يجب أن تكون الحكومة بيد الفقيه فهذا لا يعني أن الفقيه هو الملك والوزير وقائد الجيش وعامل البلدية بل نعني أنه يجب أن يكون للفقيه اشراف على القوة المقنّنة والقوة الإجرائية في البلد الإسلامي لأن القانون الذي يقبله العقل والعلم ويراه حقاً ليس إلا شرع الله وقد بيّنا أن سائر القوانين بعيدة عن حكم العقل .

نحن نقول أن مجلس المؤسسين الذي يُشكل لأجل تأليف حكومة أو تغيير نظام يجب أن يكون من الفقهاء والعلماء العقّال ذوي الشأن المعروفين بالعدالة والتوحيد والتقوى والخلو عن الغرض والإعراض عن الهوى والشهوة حتى تلاحظ مصالح البلد والناس في انتخاب السلطان ، فينتخب السلطان المحب للعدالة والمطيع لقوانين البلد وهي القوانين الإلهية بعينها . نحن لا نقول ولم نقل أن السلطان يجب أن يكون فقيهاً أو أن يعرف مقدمة الواجب ، السلطان يجب أن يكون عسكرياً لكن لا يتخلف عن الفقه القانون الرسمي للبلد ولا يكفي للملك أن يكون عنده إطلاعات تاريخية وعسكرية فإنه لا يصلح كل عسكري خبير لانتخابه ، فرضا خان كان عسكرياً لكنه لا ينفع للسلطة وأول شرط للملك أن لا يرى له حقاً في التخلّف عن القانون وأن يرى لزوم إطاعة القانون حتى يطيعه الآخرون ، على الملك أن يرى البلد منه وهو من البلد ويتحمل مسؤولية حفظ أرواح وأموال وأعراض الناس لا أن يجعل السلطنة وسيلة لشهواته وغاراته ويشتت أرواح وأموال وأعراض البلد . إشراف العلماء الأحرار وحده يمكّن القانون من التنفيذ وقطع يد الغزاة وإلا فقد جربتم جميعكم ورأيتم أن غالب النوّاب والوزراء محتالون ليس عندهم إلا ملأ جيوبهم والبنوك الخارجية وإذا اعتزلوا جانباً لا يفعلون شيئاً للبلدان إن لم يضعوا العوائق أمامه . الشيء الوحيد الذي يمنع الإنسان من الخيانة والإجرام والدين . وهو ما لا يتوفر في المسؤولين وإن وجد فليس بمعناه الحقيقي بل مجرد كلام مزخرف يجري على لسانهم ليخدعوا الناس ويلطمون على الصدور لأجل الوطن لمجرد اغفالهم وملء جيوبهم وإلا فامتحنوا كل واحد منهم يظهر لكم الأمر . والجميع يعلم أنه لا يتأمل أن يستفاد من كرسي النيابة إلا كذا مليون ولا يصرف عليها أكثر من مئات الآلاف ويشتري الصوت بما لا يزيد عن مئة تومان أو مئتي تومان . هؤلاء الذين دخلوا الوزارة لأجل البلد وخدمة للوطن

العزيز قارنوا بينهم قبل الوزارة وحالهم بعد سنتين من الوزارة وانظروا إلى أسانيد أملاكهم فتدركون الأمر بوضوح وحتى يحتل من يرجو النيابة كرسيّها يبني حديقة لفلان الوزير يبلغ تكاليفها مئات الآلاف فهل هذا لأجل خدمة الوطن ؟ أنتم تعلمون كما نعلم أن « السيد مدرساً » كان عالماً متديناً تسلم زمام الأمور في المجلس النيابي عدة دورات وكانت الفرصة مهيأة له أكثر من أي شخص آخر فماذا ترك بعد موته إلا الشرف والاحترام ؟ نحن نقول يجب أن يترأس أمثال مدرس الهيئة المقننة والقوة الإجرائية والقوة القضائية ليخرج البلد من هذه الحال التعيسة . نحن لا نقول أن الملك يجب أن يكون فقيهاً أو يدرس مقدمة الواجب .

اشتباه وكذب آخرين

يقول هذا الكاتب : ٢ ـ يقولون « يجب أن تكون هذه الحكومة دينية فإن كان المقصود من الدينية الدين الذي يتلاءم مع الحياة فلا أفضل من ذلك وإذا أردتم من الدولة مثل هذا الدين فسنقبل منكم ذلك لأن ذلك يشكل أفضل دعم للدولة وإن كان المقصود الدين الموجود بين أيدينا فيجب القول إنه مثل شخص ورقي يمكن وضعه خلف الزجاج وإذا أريد يوماً أن يُخرج من طيّات الكتب وأن ينفّذ بشكل كامل فلتقرأ الفاتحة في ذلك اليوم على البلد والحياة » .

ما هو مقصودكم من الحياة التي يتلاءم معها الدين فإن كان المقصود هذه الحياة التي حيثما نضع أيدينا نجد ما يخالف مصالح البلد والناس ، هذه الحياة التي عاد إليها جماعة من النظام الديكتاتوري لكن بلون آخر وكلام آخر انقضوا على أرواح الناس ، هذه الحياة التي ترونها في الوزارات والنيابات وأمثالها وتعرفونها هذه الحياة المليئة بمجالس المسرح والسينما ومجالس الرقص وأمثالها . هذه الحياة التي من أصولها ظهور النساء عاريات الصدور والأيادي والأرجل في الشوارع واختلاطهنّ بالشباب طلاب الشهوة والتي يمدحها كثير من كتاب الصحف عن جهل فيحاربون الوجدان والشرف . هذه الحياة التي ترتكز في شرفها وفخرها على القبعة الأجنبية وعاداتهم وأخلاقهم الذميمة . هذه الحياة التي أساسها الكبير شرب المسكرات . هذه الحياة التي تهيؤها أموال النساء الفاحشات ومجالس المسكرات . هذه الحياة التي من أعظم أسسها الرشوة والسرقة . إن كان المقصود مثل هذه الحياة فأقول لكم إنه لا يوجد دين ولا مذهب ولا عقل على الإطلاق يتلاءم معها . الدين يبطل هذه الأمور ويبدّل الحياة

الحقيرة المنافية للشرف إلى حياة تفخر بها الإنسانية ، الدين يبدّل المنزل الحيواني إلى منزل إنساني وهذا ما لا يتلاءم مع حياة الحيوانات . الدين يلجم الحيوانات التي قطع لجامها وهذا ما لا يناسب حياتكم اليومية . الدين يقضي على اللاعفة والمظالم وهذا ما لا يتلاءم مع حياتكم .

وإن كان المقصود من الحياة الحياة التي تزخر بالشرف الإنساني البعيدة عن الظلم والعصيان والخروج عن القانون والبعيدة عن ضرب العفة فإن الدين قد جاء لتركيز ذلك ويتلاءم معه أنتم أصلاً لا تعرفون ما الدين . وعلى أي أساس تقولون أن الدين اليوم يختلف عن دين الأمس ؟ كان كان اللازم أن تذكروا ولو فرقاً واحداً . لا يفترق دين اليوم عن دين الأمس بأي شيء فديننا كان دائماً عبارة عن أوامر القرآن ورسول الإسلام ولا زال كذلك أنتم الذين اختلفتم وصارت حياتكم لا تتلاءم لا مع العقل ولا مع الدين فأردتم أن يصير الدين كما صرتم وهذا ما لن يحصل . أحكام الدين هي أحكام العقل لا تختلف باختلاف الزمان فإن ٢ + ٢ = ٤ دائماً والظلم قبيح دائماً واللاعفة لم تكن في يوم من الأيام حسنة ولن تصير كذلك سواء وصلت الدنيا إلى الحضيض أم بلغت أوج التمدن والتعالي لا فرق .

وأما ما تقوله أن الدين لو خرج من طيّات الأوراق وأريد تنفيذه فالفاتحة على البلد والحياة . فإن كان المقصود أن الدين ضد البلد والحياة فهو كلام ساقط جداً تنسبونه إلى الدين وأهله فتنةً ، والدين جاء ليؤسّس الحكومة والبلد والحياة وأي قانون من قوانينه يخالف وجود بلد وحياة قولوا لنا ليُعرف ما تخبئه أيديكم . وإن كان المقصود الفاتحة على هذه الحياة الملوّثة بألاف الأشكال من اللاشرف والشهوة والخيانة والجناية وعلى هذا البلد الخالي من النظم والمليء بالسرقات ، وأن يبدل هذه الحياة إلى حياة كلها فخر ومعارف وعدالة وعقل وعلم والبلد إلى بلد حيّ مستقل منظم لا سرقة فيه والمعارف فيه منتشرة فما أحسن من ذلك وهل أن حال حياتنا القبيحة جيد وهل أن بلدنا اليوم بلد . إن كنا نرى هذه الحياة وهذا البلد بوضع جيد فلا بد من محو كلمة « سيء » من قاموس الوجود .

عندما نقول لكم سلبوكم قدرة التمييز وأعطوكم محلها عدداً من الراديوات ، أخذوا منكم العقل الذي وهبكم الله إياه وألبسوكم طرابيش وجملة الكلام أخذوا منكم حياتكم وبلدكم وأسعدوا قلوبكم بالنساء العاريات في الشوارع وأحواض

السباحة فصدّقونـا . نعم فلتقرأ الفـاتحة عـلى مثل هـذه الحياة القبيحـة والبلد اليابس بأسرع ما يمكن لعله بعـد هذه الفـاتحة تنتـظم الحياة من جـديد « إن في قتـلي حياة في حياة » .

قول جزافي آخر وبحث آخر عن الفتن

هنا يعود الجاهل ويكرر الجزاف ويقول : « ٣ ـ يقولون يجب أن تكون الحكومة عادلة طبعاً هذا شرط لا ينكره أحد ، لكن جميعنـا يعلم أن هذا تعلّل والمقصـود شيء آخر فهم حددّوا المطلوب في صورة أرث ذي الرأسين وأحكام الزواج من الجنيّة وكتبوا في أحكام الأموات من حين الموت حتى صور إسرافيل لكنهم لم يـذكروا شيئـاً بالنسبـة إلى عمل الحكومة والحكومـة أساس الحيـاة الأول وكل النـاس في كل زمـان يرتبـطون بها » .

والعجب من هذا الكاتب ضعيف الذاكرة إذ في أسطر معدودة يأتي بهذا الكلام المتنافي فهو مرة يقول عيّنوا التكاليف بالنسبة إلى كل الأشياء إلا الحكومة وأخرى يقول (في أول كلامه : « الجميع يعلم أنه تعتل والمقصود شيء آخر » أي المقصود أن تكون الحكومة لهم ثم بلا فصل يقول لم يحددّوا أي تكليف بالنسبة للحكومة . وهذا التخبط لأن هؤلاء ليس عندهم أي غرض عقلائي حتى أنهم في كتاباتهم وأقوالهم يستعجلون ولا يتنبهون .

ومن أين تقولون أن الـدين لم يعيّن تكليفـاً بالنسبـة إلى الحكومـة وكيف شكّل رسـول الإسلام الحكـومة وحسب قـولكم كيف استطاع أن يحتـل نصف العالم خـلال نصف قرن . وذلك التشكيل هل كان على خلاف الدين أم بأمر الدين . إن كان على خلافه فكيف يخالف رسول الله وعـلي بن أبي طالب . ومـع الغض عن ذلك كله أو لم تروا القرآن أبداً إن رأيتموه فاقرأوا على الأقل عدة صفحات واسألوا أحداً عن ترجمتها فهـل كـل هـذه الآيـات التي وردت في قتـال الكفـار والحـرب لأجـل استقـلال البلد الإسلامي والسيطرة على البلاد الأخـرى تتحقق بدون حكـومة . وكـل هذه الحـروب والفتوحات الإسلامية كـانت بلا حكـومة . الـلازم على الأقـل أن تسألـوا عن أحكام الجهاد والدفاع والسبق والرماية والأمر بالمعروف والولاية ولا توقعوا أنفسكم في الذل . أساس الحكومة القوى المقنّنـة والإجرائيـة والقضائيـة وميزانيـة بيت المال ولأجـل بسط

السلطة على البلاد الأُخرى تحتاج في حفظ استقلال البلد وصدّ المهاجمين الأجانب إلى الدفاع . كل هذا في القرآن والحديث . فالقرآن في الوقت الذي هو قانون سُعي في تطبيقه وفي حين أنه حدّد للبلد ميزانية وطريقاً مالياً بأحسن طريق كما سنبين ذلك فيما بعد حدّد أيضاً التكليف بالنسبة إلى السيطرة على البلاد وحفظ استقلال البلد . وماذا تعرفون أنتم عن الاسلام وأين هي قوانين الإسلام ولو أن شرع الإسلام قد طبّق في هذا البلد الصغير لأتى عليه يوم كان هو المتقدم في التمدن على العالم . لكن للأسف لم يدع أهل الهوى والخيانة من المسؤولين واغفال الأجانب وخدعهم أحكام الإسلام تخرج من طيّات الأوراق كي يرى الجميع كيف أسّس النبي محمد (ص) حكومته .

أيها الجاهل الذي ترى أن عيب قانون الإسلام أنه شرّع أحكاماً حتى بالنسبة للأموات وذوي الرأسين هذا الشرع الذي لم ينس أية حالة جزئية من الجزئيات الاجتماعية والفردية ابتداء مما قبل الولادة حتى ما بعد الموت ومن كرسي السلطنة حتى كرسي الموت والتابوت . إن المشرع هو الله العالم الذي لا يغفل عن أي شيء من أمور البشر وهو في حين أنه يدير الحياة المادية فأفضل الطرق وأعظم أسس التمدن والرقيّ ، لا يؤمن حياة معنوية بأفضل أوجهها وأسعد طرقها وفي حين أنه حدّد الحكم لذي الرأسين : أيضاً حدّد حكم أمثالكم من مقطوعي اللجام وإن شاء الله سيطبّق هذا الحكم يوماً ما .

اشتباه آخر وإثارة فتن

هذا الجاهل لا يتراجع عن فتنه وحيله وأصرّ على أن يسيء نظره موظفي الدولة إلى العلماء ويستنتج من ذلك استنتاجات غير عقلائية . فيقول : « أما إذا قلنا حيث أن الدولة لا تقوم بما عليها فهي ظالمة أو حيث أنها تصرف الضرائب والأموال في غير محلها فهي محرمة . كان من الممكن أن لا يوجد هذا الهدر في صرف الأموال والتجاهل لما هو المطلوب منها . ونقول أنه لو أن أنو شيروان العادل يجلس على العرش لكان ظالماً ونقول كل من يعمل في الدولة سواء تجاهل وظيفته أم لم يتجاهلها فهذا أعانة على الظلم أو عديل الكفر . نحن نقول الأموال حرام على كل من يأخذها قل أو كثر ويجب أن يحلّل صاحبه ذلك ونحن نقول ما دام بالمستطاع لا يجوز دفع الضرائب وحيث أننا لا نستطيع فنكون كالديك يذبح في الهواء .

نظرة أيضاً في وظيفة الدولة

قد أجبنا سابقاً عن هذه الترهات وبيّنـا أن الدولة إن كانت غير متجاهلة لما هو المطلوب منها وبنت تشكيلاتها وفق أحكام العقل وأساس الحكومة الإسلاميـة وإذا كان موظفوها ملتفتين إلى ما هو المطلوب منهم ولم يكونوا سارقـين أو خارجـين من القانـون ويتعاملون وفق القانون الرسمي في البلد الذي هو شرع الإسلام فلا تلك الدولة ظالمة ولا الموظفون فيها أعوان الظلمة نحن نقول الدولة التي لكي تزدهر الطرابيش التي هي فضـلات الأجانب تقتـل آلاف المظلومـين في معبد المسلمـين العظيم وفي جـوار إمـام المسلمين العادل وتخـرق الرصـاصات أجسـادهم هذه الـدولة هي دولـة الكفر وظـالمة وأعانتها عديل الكفر وأسوأ من الكفـر . نحن نقول الـدولة التي شكلّت عـلى خلاف قانون البلد وقانون العدل فئة من المجانين المتوحشين باسم « جهاز المحـافظة » في كـل مدينة وقـرية ليهجمـوا على النسـاء المسلمات والعفيفات بـلا ذنب ويخلعونهنّ حجـابهنّ بقوة السلاح ويغيرون ويرفسون ويدوسون المحترمات التي لا معيل لهـا ويسقطون منهن أطفالهن المظلومين هذه الدولة ظالمة وإعـانتها عـديل الكفـر ونحن نعتقد أن الحكـومة الـديكتاتـورية ظـالمة وأفـرادها ظـالمين هـل لكم في هذا كـلام إن كان فقـولوه ليـزداد خزيكم .

ليس هناك من يراقب شعب إيران المظلوم فلينـظر إلى عمال الـديكتاتـورية تلك الأيام كيف سلكوا مع النساء وأطفالهنّ المظلومين وكم ارتكبوا من مظالم بلا حياء . إن كـل من يعتـبرهم محـترمـين لم يشمّـوا رائحـة الشرف والإنصـاف وتلك الصحف التي أعانت الديكتاتور الخارج عن القانون والتي أيّدت تفتيت الأسر والذي يشكل السفـور أقوى ضربة للعوائل ، تلك الصحف سـاعدت الـديكتاتـورية عـلى العمل بـالأصول الوحشية فيجب أن تحرق تلك الأوراق في الساحات .

أين قلنا لو عملت الحكومة بوظيفتها لكانت ظالمة . أي عثرتم على هذا الكـلام الأمّي حتى واجهتم به المؤمنين . ونحن نغض النظر عن أنو شـيروان لكن تعالـوا أنتم وشكّلوا حكومة تعمل بقانون البلد الرسمي حتى نعتبرها أعدل من أنو شيروان .

وقد أثبتنا سابقاً أن موظفي الدولة ممدوحين عندنـا وعملهم عدل وهم المؤمنـون حقـاً إذا قـامـوا بـوظيفتهم أي خـدمـة النـاس والبلد ورفـع الـظلم عن المـظلومـين

المستضعفين . وفي زمان الـديكتاتـورية أيضـاً كان هنـاك أشخاص يعملون في الـدولة وكـان وجودهم ضرورياً وخروجهم منهـا حرام فـأتوا لنـا بمثلهم حتى نتقبلهم بصـدر مفتوح ووجه منشرح وبأخوة وسرور .

أيها الجهال . فقـدت حنّتكم لونها ولم يبق لأكـاذيبكم قيمة فقـد عرفـوكم جيّداً أنتم الـذين كنتم داخلين في نظام العصر الـديكتاتـوري المظلم فلن يتـأثروا بعـد بهذه التفاهات . وقد عاشوا القمع الذي قضى على الشرف أيام بهلوي ولا زالت مرارتـه في أفـواههم فأنتم خـونة ذلـك العصر أنتم الذين كنتم تـرتكبون مـا تستطيعـون في تلك الأيام من تعسفات وظلم واليوم تلطمون على الصدور بثقل معرفة الوظيفة والعدالـة . أنتم الـذين رأى النـاس منكم أذل الإهـانـات والإذلالات وتــريـدون الآن إغفــالهم والظهور بمظهر آخر . وأنتم على علم أن العلماء لـو كان لهم نفـوذ معنوي بـين الناس لأخذوكم من خلف مكاتب السرقة ووضعوا مكـانكم أفراداً صـالحين . وإن شـاء الله يستيقظ شعب إيران النائم حتى يتضح ما يجب أن تكونوا عليه دائماً .

وأما بالنسبة للضرائب وكيفيتها فإن شاء الله سنفصل فيه في الجواب عن السؤال الثامن .

أضرار تخيلوها

هـذا الكاتب المتـلاعب ينسب إلى الدين والعلماء ـ كـما رأيتم ـ أشياء من نفسـه ويفرّع على ذلك نتائج واهية من عنده ولذا سنتعرض لما استنتجه من المقدمات الكاذبة واحدة واحدة .

يقول : « أما مضرّات هذه العقيدة : ١ ـ إن الناس تتحيّر في أمر الحكومة » وفي تفصيل ذلك يقول : « إن عمل الدولة في إيران سيظهـر بشكل مبهم ومعقـد فهم من جهة يقولون مال الدولة والعمل في الدولة حرام وسنّوا لذلك قوانين ومن جهة أخـرى يقولون مال الدولة مجهول المالك لا صاحب له وهذه المقررات تافهة ومزعجة . ثم من جهة يقولون خدمة النظام عسكرياً واجبة لأن الإسلام أوجب الجهاد ومن جهة أخـرى يقولون جهاد الإسلام شيء وهذه شيء آخر » .

لن نتعرض هنا للحديث عن مال الدولة وأحوال الأموال لأننا سنتعرض لـذلك في الجواب عن السؤال الثامن . أما بالنسبة إلى العمل في الدولة فقد ذكرنـا سابقـاً أن

الدخول في أعمالها له صورتـان : إحداهمـا أن يكون لأجـل الإعانـة على الـظلم وملء الجيوب وإضرار البلد والناس كـما هو عليـه حال أكـثر الذين يعملون في الـدولة وهم أنفسهم يعلمون ذلك كـما نعلم نحن وأنتم . ومثل هـذه الدخـالة حـرام ، والقانـون أيضاً يوجب فصل هؤلاء عن العمل مؤبداً لكن لا بهذا القانون عمـل أحد ولا عُمـل بكلام العالم الذي يقول هذا العمل حرام وعديل الكفر .

ثانيهما : أن يكون لمساعدة المظلومين ورفع الـظلم وخدمـة الناس والبلد وهٰـذا لا نراه حرامـاً بأي وجـه بل نعتقـد إنه عبـادة والله سيجزيهم إضـافة إلى العـزة والمقام الرفيع في المجتمع ، الجزاء الحسن ويعـطيهم العطاء الـوافر في العـالم الآخر كـما تقدم ذكـر كلام الإمـام في هؤلاء وفي رواية عن الإمـام الصادق (ع) : من تـولّى أمـراً من أمور الناس فعدل وفتح بابه ورفع ستره (أي لم يجعل بينه وبين الناس حجـاباً) ونـظر في أمور الناس كان حقاً على الله عزَّ وجـلّ أن يؤمّن روعته يـوم القيامـة ويدخله الجنـة فالعالم لم يعقِد الناس من أعمال الدولـة وكل إنسـان يعلم بنيته فـإن كان يقصـد النحو الأول فأي عمل أسوأ منه وأشدّ حرمة وإن كان يقصد النحو الثاني فما أحسن من هـذا العمـل . أنتم المنقّبون عن الفتن تعقّـدون الناس بـالنسبة إلى تكليفهم فتفـترون هـذه الإفراءات على العلماء .

نظرة في التجنيد الإجباري

التجنيد الإجباري بـالنحو الـذي يتم في بلدنا مـليء بالأخـطاء والتخبط والظلم سواء من جهة القانون أم من جهة التطبيق وتسليط الضوء عليها يحتاج إلى كتاب ومـع الغض عن ذلـك فـابحثـوا أنتم أنفسكم عن النتيجـة التي حصلت إلى الآن من هـذا التجنيد الإجباري إلا عصابات خارجة عن القانون تغير على النـاس في البلاد والقـرى تشتغـل بمـلء جيـوبهـا . فبـدل أن يؤمّن نـظام البلد أمّنــوا لأنفسهم حياة من مــال المكافحين وبنوا البنايات والحدائق الثمينة في شوارع طهران وباقي المحافظات والجميع يعلم أن كل حجرة من هذه الأبنية المخزية بنيت من دموع العجزة المسكينـات اللواتي قدّمن ما يدخرونه للتخلص من مخالب هؤلاء العسكر الظالمـين وأمضين بقيـة أعمارهنّ في تعب وفقر وأزيل عنها الطين والجص ودهنت بالألوان الجميلة وكـل لون منهـا أدمى قلب أطفـال عميـان . إن هـذا التجنيـد الإجبـاري شـلّ نصف الأعـمال الـزراعيـة

والصناعية في البلد ومع ذلك لم نحصل على أي نتيجة إلا تبدل حال الشباب العمال العفيفين بعد أن أمضوا سنتين من عمرهم في مراكز الفحشاء ومظاهر الفساد والظلم وعاشروا الأفراد الخونة الأفظاظ عديمي الشرف وتبدّلت جميع فضائلهم إلى رذائل . جميع محاسنهم الأخلاقية والعملية إلى المساوىء واللاعفة ، حتى إذا ما عاد جمع منهم إلى قرية يسلبونها أمنها وهدوءها وتشيع السرقة والخيانة والتشرد هذا بالإضافة إلى انتشار الأمراض التناسلية كالسفلس والسيلان بين شبابنا الذين يرسلونهم بالمجان إلى عاصمة تمدن اليوم ويقرأون الفاتحة على حياتهم المادية والمعنوية .

نحن لا نتوقع الشيء الكثير من رضا خان فقد كبر في الحياة العسكرية ونمى عظمه ولحمه على هذه الفجائع فهو لا يستطيع أن يفهم أن العفة وطهارة الذيل والأمانة والصدق أهم للعسكري من غيره من أفراد الشعب والعسكري أحوج من غيره إلى التدين لكن لنا كلام مع المشرّعين الذين يعتبرون من العلماء المفكرين مع أنهم يعلمون أن هذا النظام الكاذب المخالف للقانون قد نال منه البلد أضراراً كثيرة ولم نجد أي إيجابية في هذه السنوات فقد سكتوا عن الخسارات الكثيرة التي لحقت بالبلد والعاملين فيه بحيث صار الأساس لحياة وبلد مثل بلدنا على ذلك وبقوا مشغولين بأعمالهم الشخصية وشهواتهم وتعبئة جيوبهم . كان لهم العذر في زمان حكومة رضا خان وهو أن كل ما يقوله هو لا نستطيع أن نخالفه ، الآن لا شغل لنا مع أهل الرقص ، لكن ما هو العذر اليوم حتى يجب حتى يوم القيامة أن تتسلط جماعة من المنتفعين عديمي الرأفة على أرواح الشعب العامل وتشرب دماءهم وتهد أساس حياتهم المعنوية والمادية وأن يسقط البلد الزراعي عن خاصيّته .

إن انكلترا التي تعتبرونها الأكثر تقدماً في العالم في التمدن يقولون أنها في أوقات الهدوء لا نظام عسكري إجباري لديها وتهيء الجيش بترغيب وأجرة وافرة وتوفير المؤسسات الصحيحة العقلائية وأفضل نظام قانوني نظام عسكري الإسلام ، وللإسلام نحوان من النظام أحدهما النظام الاختياري الذي يطبق أيام الهدوء في البلد وذلك عندما تكون الدولة حسب ما تقتضيه الظروف لا هي في موقع المهاجم ولا هي في موقع المدافع وفي هذه الحال رغّب الله جميع الأفراد الصالحين على تعلّم فنون الحرب بالنحو الذي تقتضيه الحالة كما ورد في الآية ٦٢ من سورة الأنفال : ﴿ **وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون مع عدو الله وعدوّكم وآخرين من**

دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ وقد بيّنت هذه الآية عدة أحكام أساسية بأوجز وألطف بيان كلها موافقة لصلاح البلد ولا تؤثر على حال العمال بل تطلب من الكل حسب ما يستطيعون أن يسعوا ويبذلوا جهدهم في هذا السبيل فالعامل يمكنه في أوقات فراغه أن يتلقى التعليمات العسكرية في مدينته في التشكيلات المناسبة وهذا العمل يؤتى به في مرح لشدة ما فيه من النشاط المعنوي والرياضية والقوة البدنية . والإسلام مع أنّه حرّم بشدة جميع أقسام الربح والخسارة في الرهانات مهما كان لكنه فيما يتعلق بالوصول إلى ذلك الهدف (الإعداد) جوّز الربح والخسارة في السبق (بالخيل) والرماية اللذين يشكّلان الأصلين المهمّين في القوة العسكرية وجعل لهم حق الربح والخسارة المشروعة وقد كان رسول الله[1] بنفسه يحضر ميدان السباق وكان يسابق ويشارط أصحابه في السباق وقد تسابق مع أبي قتادة وأسامة بن زيد وكان يقول ما مضمونه إن الملائكة تنفر من كل رهان إلا الرهان على السبق والرماية « وكل لهو المؤمن باطل إلا في ثلاث في تأديبه الفرس ورميه عن قوسه و . . . » . ومن الأحكام التي نفهمها من الآية أن على الدولة الإسلامية بما تستطيع وبما تتحمله الميزانية إعداد العساكر على الحدود وغيره والعتاد الحربي والقوة المناسبة مع النظم لأجل حفظ البلد وترهيب الأجانب ، وفي أوقات الأمن لا بد أن يتم هذا الأمر بالتطوّع والإرشاد الديني وهو أحسن التبليغات ولا بد أن تهيء العتاد الحربي بالنحو العقلائي . وبالإضافة إلى الضرائب الإسلامية التي يُلزم الناس يدفعها إلى الدولة ـ كما سنبين فيما بعد ـ فكل ما يبذل إعانة وإنفاقاً في سبيل الله وتحقيق أهداف الدولة الإسلامية فالله يجزي عليه الجزاء الوافي وبذلك تتوفر وسائل شموخ وعظمة البلد فلا يكون مورداً لظلم الآخرين وتعدّي الأجانب .

القسم الآخر من نظام الإسلام النظام الإجباري وذلك عندما تريد دولة الإسلام الهجوم على البلاد الأخرى لنشر الإسلام وإخضاع بلاد العالم للقانون الإلهي العادل أو عندما تتعرض للهجوم يريد الأجانب التسلّط عنها ففي هذه الحال تدعو الدولة الإسلامية إلى تعبئة عامة ، ولو نفّذ في هذه الحال الإرشاد بالنحو المطلوب الذي تعتبر إدارته من أهم الإدارات في الإسلام والتي تتحمل وظائف مهمة فلا حاجة

---

(١) راجع الوسائل كتاب السبق والرماية .

حينئذٍ إلى الإجبار بل الناس بأنفسهم يتطوعون يطيعون أمر الله ويرون ذلك أمراً لازماً ويكونون مستعدين للجهاد والدفاع وحفظ استقلال البلد لإيمانهم بالله والإسلام وإذا تساهل أحد فإن الدولة تجبره وتطبق حينئذٍ النظام الإجباري الإسلامي .

إدارة الإرشاد الإسلامي

وهي من أعظم الإدارات تشمل في الإسلام جميع أفراد الناس من رجال ونساء ووظائفهم تحدّد في نشرة عامة تنشر بينهم والكل يعمل بوظيفته ، تلك الإدارة ليست كالإدارة المخزية التي لدينا الآن والتي سقط فيها الكلام الديني والقرآن الذي هو دستور الإسلام وحلّت محلها تلك الأمور التي يعرفها الجميع . يجب اعتبار إدارة الإرشاد اليوم مصنعاً لإتلاف العفة والشهامة والشجاعة والمعارف الحقة كما ترون جميعكم . إدارة الإرشاد في الإسلام : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ مع نشرها بين الناس وتفسيرها وإذاعتها في الراديو ليسمعوا هذه المعاهدة بين الله والأمة إدارة التبليغات اليوم تنشر بين الناس ما يرونه في الليل والنهار . والعسكري إذا تربّى على أساس الدعوة الإسلامية لا يعتبر أن روحه وماله له بل طبق هذه القاعدة يراها للإسلام والله ويرى لنفسه في قبالها الجنّة والسعادة الأبدية ، هذه الروح تبعث في العسكري روح الإندفاع . العسكر الإسلامي يذهب إلى ساحة الحرب وحال الصفوف العسكرية حال صفوف الجماعة فهم في عبادة وهؤلاء لن يخونوا الإسلام والبلد الإسلامي وأما العسكر الذين تربونهم أنتم يعرفهم الجميع ولا يحتاجون إلى تعريف فهذه التربية وهذا النظام لا يعطي العظمة للبلد بل يساعد على خرابه .

ضرر آخر من خيالهم وجوابه

يستنتج هذا الكاتب نتيجة أُخرى من تلك المقدمات الكاذبة ويقول : « ٢ - هذا يجعل استقلال وأمن البلد ضعيفين » وفي بيان ذلك يقول : « العسكري الذي يقع على عاتقه استقلال البلد أو الحارس الذي يتولى الأمن في الدين فمع التزامه العقيدة كيف يمكن أن يضحّي ويفدي نعم قد سمع في المعسكر والصحف الكثير من

الكلام عن حب الوطن وتعلم الكثير من الأناشيد الوطنية لكن جميع ذلك لا يساوي شيئاً مقابل كلمة يسمعها باسم الدين » .

ذكرنا فيما سبق أن كل شخص يعرف المطلوب منه ويقوم به ، أي دخل في أعمال الدولة لخدمة الناس والبلد ورفع الظلم عن المظلومين كان ذلك العمل جائزاً وإن كانت الدولة دولة كفر وقد يجب أحياناً وذكرنا هناك أيضاً أدلة من الأحاديث وأقوال الفقهاء . وهنا أيضاً يجب القول أن روح التضحية والخدمة للوطن في العسكر لا تتوفر بكلام الصحف الفارغ والأناشيد الوطنية المخزية . والجندي عندما يدخل المعسكرات يرى كل من يجده هناك من الصغير إلى أعلى منصب مشغولاً بملء الجيوب وبناء البنايات التي تكلّف الآلاف من التوامين وأهل شهوة لا عفة لديهم ولا عمل آخر لهم . هذا الجندي مع هذه التعليمات العملية (التي يتلقاها) الموافقة للشهوة والرغبة الإنسانية هل سيصير خادماً للبلد ومحبّاً للوطن يضحّي من أجله بمجرد أسطر في صحيفة وعدة أشعار لا معنى لها يصاحبها الرقص والموسيقى ؟ جربوا هؤلاء الجنود الإجباريين وغير الإجباريين وانظروا أيضاً إلى ذلك الجندي المرتبط بالدين والعلماء تجدون أنه يقوم بعمله بشكل أفضل سواء في الوظيفة الإدارية أو في خدمة البلد وأكثر احترازاً أيضاً من السرقة والخيانة للمواطنين . لو أراد المسؤولون أن يبثوا في الجندي روح حب الوطن والتضحية عليهم أن يضعوا دائرة التبليغات بيد الخطباء والمحاضرين من العلماء وليجعلوا الجنود على اتصال مباشر مع العلماء . حب الوطن ورح التضحية يأتي من روح حب الله والإيمان الغيب فالإيمان هو الذي يحافظ إلى آخر لحظة على الاطمئنان والانشغال بالعمل وخدمة الوطن . هو الإيمان الذي يجعل الجندي وغيره ممتنعاً عن خيانة للبلد والمواطنين حتى في الخلوة والسر . هو الإيمان بالله الذي يهب البشر روح الجماعة والشهامة بلا كلل وحيوية لخدمة إخوانه في الدين . أما تبليغاتكم فليست إلا ذات دور فخزي كلها أكاذيب وتلاعب كما يعلم الجميع وتريدون أن يكون لها أثر في الجندي . ماذا يفعل الجندي المسكين حين يجد نفسه بين خونة وجناة من أشخاص يكثرون الكلام عن حب الوطن ليلاً ونهاراً . وأنا نفسي الحرف كولونيلا محترماً لم يكن منسجماً مع المسؤولين لما كان عنده من حسّ التدين والأمانة فعزلوه من العمل ولم يدعوه يعمل والجندي الذي يرى ذلك جزاء الأمانة ويرى في المقابل الحدائق للخونة المغرورين فمن هنا يتعلم درسه إلى الأبد .

قولوا خرافاتكم لشخص لا يعرف ماءكم وترابكم ولا خبر عنده عن الفظائع التي ترتكبونها في السرّ واليوم لا يمكن إغفال أحد بهذا الكلام الفارغ ولا يمكن جعل كل فساد باسم العالم والمتديّن كل أفراد هذا البلد لهم تماسٌ ما مع موظفي الدولة ويعرفونهم معرفة كاملة فالأفضل أن تنسجموا مع عيوبكم ولا تخدعوا فيزيد خزيكم ويزداد ظهوراً ولا تتحدثوا أكثر من ذلك واتركوا ما لم يُقل مكتوماً ولا تظهروا فضائح البلد وأفراده أكثر من هذا .

ما الذي يضر بخزينة الدولة

نتيجة أُخرى رتبها الكاتب من مقدماتها الفارغة ويقول : « ٣ - تلحق خزينة الدولة أضرار كبرى » وفي بيان ذلك يقول : « عندما يريد التاجر أن يدفع الضرائب ويرى أن الأمر أمر مال لا النفس فيرى أنّ دَفعها سهل حتى إذا سمع أن الضرائب إعانة على الظلم فإنه حتى لو لم يكن عنده عقيدة أصلاً لكن ترد على ذهنه فكرة الدين فيفكر في خدعة مأمور الجباية أو رشوته حتى لا يدفع الضرائب » .

من اللازم أن تلقوا نظرة على بيت المال في البلد وخزينة الدولة وفي أي أمور تصرف وما هي النتائج التي تحصل للبلد والناس من تلك المصارف ليتجلى بوضوح مصدر الأضرار التي تلحق خزينة الدولة ومن هو الذي جعل الناس تنفر من دفع الضرائب . لو رأى الناس موظفي الدولة ومأموري الدرك وجيش البلد كل منهم يقوم بوظيفته الأخلاقية فأولئك يرفعون حاجات الناس الإدارية إلى حد معقول وهؤلاء يحفظون أرواح وأموال الناس من السرقة والسلب ويحفظون النظم الداخلي ويؤمّن الآخرون عظمة البلد ويحفظونه من تعدي الأجانب فلو عزم البشر حينئذٍ على أن يضروا بخزينة البلد فلن يتمكنوا من هذا الطريق أن يلحقوا ضرراً إذ كيف يمكن لتاجران لا يدفع عدة مئات من التوامين سنوياً مقابل حفظ الملايين من ثروته أو المزارع لا يدفع كل سنة كذا كيلو من القمح أو مقداراً من التوامين مقابل حفظ ماله وروحه وشرفه فدلّونا على مثل هذه الدولة التي يعمل العاملون فيها بوظائفهم حتى يدفع الناس الضرائب برضا وسرور ولا يستطيع أحد أن يقول كلمة ضدها . وإذا قال كان كلامه بلا قيمة . لكن عندما يرى الناس أن حاصل أتعابهم يجمع في بنوك أوروبا وأميركا لعدة من السارقين خونة البلد خلال أيام من الوصول إلى كرسي الوزارة

يحتلونها بالمكر كيف تريدونهم أن يدفعوا الضرائب بيدين مبسوطتين . عندما يرى الشعب الضرائب تذهب إلى جيوب عدد من الضباط وقادة الجيش ولا يصل مرتب العسكري إلى سبعة توامين وعشرة شاهيات ، بدل أن تصرف في عتاد الجيش . وبدل أن تعطى الحقوق يعطى الجلد والفحش وأخذ إمضاء الشيك ومع ذلك تريدون من الناس أن لا يضروا بخزينة الدولة . وعندما يرى الناس شرطة الحراسة التي يجب أن تحافظ على أمن المدينة قد هجموا في كل زقاق وشارع على الناس وبعناوين مختلفة ليملؤا جيوبهم وصار مركز الدرك مركز عصابة سرقة ومع ذلك تريدون أن تمتلىء خزينة الدولة أي جيوب السارقين والخائنين . وعندما يرى الناس الحراس بدل أن يحفظوا هدوء الناس يرفسونهم ويجرون النساء المظلومات ليكشفوا الحجاب ولتعميم الفاحشة بين الناس ويرونهم يتعاملون بهذه الطريقة من أجل وضع الطرابيش المخجلة ومع ذلك تتوقّعون منهم أن يعتبروا الضرائب من الحقوق الحقّة للدولة .

الشعب له علاقة بكل الإدارات الحلية وموظفيها وقد رأوا ما يجب أن يروه ولا زالوا يرونه ومصائب هذه التشكيلات غير مستورة وفي هذه الحالة التي لا يعرف منها الواحد من الألف وما نعرفه لم نقله أيضاً تنتظرون من الناس أن تحسن النظرة بالدولة وموظفيها وأن يقدموا حاصل أتعابهم مجاناً لحفنة من السارقين الخارجين عن القانون ، يقدمونها عن رغبة وطيب نفس وأن لا يضروا بالخزينة الكاذبة للدولة . إن الأمر واضح وهذه المصائب والألاف من أمثالها معروفة في كل إدارة من إدارات البلد المدنية والعسكرية فلماذا تريدون التستير عليها وتحمّلون العلماء المسؤولية فلتصلح الدولة وضعها ولتطرد المضيّعين للحقوق والسارقين والخونة والمنتفعين من وظائف الدولة . وجملة الكلام أن تبدّل كل شيء حتى يسعى العلماء والمؤمنون في أداء الضرائب المعقولة والناس أيضاً تدفع الضرائب بصدرٍ مفتوح ووجه منشرح إلى الدولة وإلا فما دام هذا الخليط فالبلد على حاله والناس على حالهم ومعهم الحق في ذلك .

من الذي ضعّف الموظفين عن العمل

نتيجة أُخرى يذكرها من مقدماته التافهة . فيقول : « ٤ ـ ويضعف موظفوا الدولة عن العمل وتسوء نظرتهم » وفي بيان ذلك يقول : « فإن الموظف في الدولة إما أنه يحب الدين أو لا يحبّه فإن لم يحبّه فلا شغل لنا معه وإن كان يحبّه فقد تطعّم

الموظف مع دينه أن العمل في الدولة حرام ومالها حرام وفي هذه الحال يعتبر نفسه أنه من أول الأمر من أهل جهنم قام بعمل سيء ودخل العمل في الدولة وحينئذٍ ماذا تنتظرون من مثل هذا الشخص إلا أن يقول أنا الغريق فما خوفي من البلل » .

وقد ذكرنا سابقاً أن موظفي الدولة على قسمين : قسم هم الذين يعملون بوظيفتهم الأخلاقية ووجدانهم من أجل خدمة للشعب والبلد ورفع الظلم عن المواطنين . والعالم لا يرى أعمال هؤلاء قبيحة بل يراها من أحسن الأعمال وأنهم المؤمنون حقاً والجنة لهم وهم لها كما تقدم ذكر كلام الإمام (ع) في حقهم . وقسم آخر هم الذين يتجاهلون وظيفتهم وإنما دخلوا في الدولة لملء جيوبهم وللظلم والخيانة وهؤلاء نعتبر أعمالهم ويعتبرها جميع العقلاء قبيحة وهم من أهل جهنّم . أنتم تقولون عنا أننا نقول دخول هؤلاء في أعمال الدولة حرام . فماذا تقولون أنتم هل تعتبرون كل موظف في الدولة سواء كان محسناً أم مسيئاً فهو حسن لمجرد أنه موظف في الدولة وهل تطعيم الموظف العقيدة أفضل في إصلاح موظفي الدولة وأكثر مساعداً للدولة والبلد أم ما تطعمّونه أنتم من سموم إذ تقولون له إن أهل الدين يعتبرون العمل في الدولة كله حرام حتى تضعّفوا الذين يقومون بوظيفتهم عن العمل وتصرفوهم عن الالتفات إلى وظيفتهم . من أين لكم خبر عن الدين وعقيدة المؤمنين أساسكم الفساد والفتنة وكأنه لا شغل لكم إلا ذلك . ولهذا ورد هذا المقدار من الأكاذيب في كتيّب مؤلّف من عدة صفحات قليلة تريدون أن تسيئوا نظرة الناس والعالم وموظفي الدولة إلى بعضهم البعض ويفقدون ثقتهم ببعضهم وهذا من أشد الجرائم بحق البلد والدولة لا يجبرها شيء . العالم يفرّق موظفي الدولة عن سائر الناس ويرى محاسنهم أفضل من محاسن غيرهم لأنهم يخدمون البلد والناس في صدق واستقامة وهذا مما يشرّف الإنسان وفي ذلك سعادة الدارين ويرى مساوئهم أسوأ المساوىء لأنهم يخونون البلد والناس وهذا من أفظع الجرائم وأبعد شيء عن الشرف وفيه شقاء الدارين . ولو طبقت التبليغات الدينية في بلدنا لرأيتم منها نتائج لم تروها حتى في منامكم . وأنت قد أتيت في هذه الأسطر القليلة بجناية لا تنجبر بحق البلد والدولة لأنها تضعف همة العاملين بوظيفتهم في الدولة واعتبرتهم كذباً من أهل جهنّم وألصقتم هذا الكذب بالعلماء لتتأذى قلوبهم وليقولوا أنا الغريق فما خوفي من البلل .

لماذا نظرة الناس إلى القانون سيئة وإلى الدين حسنة

يقول هذا الجاهل : « نحن نعرف أشخاصاً يعطون الرشوة التي هي حرام قطعاً من أجل أخذ تذكرة السفر للذهاب إلى الزيارة التي هي مستحبة حسب قولهم . ونرى أن أفضح الأكاذيب تلك التي باسم الدين ويتقبلونها بلا سؤال وبالعكس نراهم يستعملون كل ذكائهم ليروا كيف يمكن التخلص من القانون ومقررات الدولة أو يستهزؤن بها ونعرف الكثير ممّن يسرقون مال الدولة أو يخونون ومن هذا المال يصرفون للزيارة والنذر والعزاء » .

لو فرضنا أن كل ما ذكرته في هذه الأسطر صحيح فإن نتيجته أن الناس مرتبطة بالدين والمراسم الدينية ولا تحب الدولة وقوانينها فيجب البحث عن منشأ ذلك ، ولو بحث بشكل صحيح نرى أن الناس رأت من الدين كل جيّد مع أنها لا تعرف الأحكام الدينية بشكل جيد ورأت أن التدين يوجب سعادة الدارين ولذا يظهرون علاقتهم به وإن كان إظهار هذه العلاقة يتم بطريقة تخالف الدين أيضاً للجهل بتشريعات الدين كسرقة الدولة وخيانتها . لكن كل ما رأوه من قوانين ومقررات صدرت من الدولة كان شيئاً ظالماً وخيانة وجناية فنفروا منه واشمأزوا إلى حد رأوا خيانتها جائزة مع أن الخيانة ليست حسنة في أي حال . وأما قولك إن الناس ترتكب الحرام كي تفعل المستحب أو تخون لأجل العزاء فلو فرضنا صحة ذلك فذلك بسبب فقدان الإرشاد الديني فيجب أن يكون في الدولة دائرة تبليغات دينية تحت إشراف الخطباء والكتاب في الدين والعلماء وينشر كلامهم في الراديو والمجلات الرسمية باسم الدولة وأن تُهيأ مجالس المحاضرات فتنال من ذلك فوائد معقولة للبلد والناس وإلا فإن تبليغات الدولة المتعفنة خالية عن أية نتيجة إيجابية حتى لو كان فيها مورد معقول والناس غير مستعدين لتقبل حتى الكلام الحق من لسان الخونة وهذا الذي نقوله من تشكيل الدولة لجهاز تبليغات ليس مع بقاء الوضع على حاله لأن هذا يعطي نتيجة معكوسة بل يجب أن تصير الدولة دينية حتى تعطي تبليغاتها النتائج المرجوة لا أن يصير العالم دولة لأن دخول العالم في التشكيلات الحالية يسقط عن علمائيته ويصير كلامه بين الناس بلا قيمة فلن نحصل على النتيجة التي نريدها وهي إصلاح الناس والبلد وهذه خسارة كبرى أيضاً للبلد والناس . لكن يبقى أن نقول أن دفع المال

لأجل أخذ التذكرة ليست من الرشوة وإن كان ذلك حراماً على الآخذ لكن الكاتب أجهل من أن يشخّص هذه الأمور .

آخر نتيجة من مقدماته الكاذبة

يقول : « ٥ ـ وضغط جميع هذه المفاسد يقع على أكتاف الشعب العاجز » وفي بيان ذلك يقول : « لأن الغرض من إقامة الحكومة والدولة راحة الناس ، وحفظ كل حكومة بيد الناس ولذا فإن كل خراب في هذه الدولة سيكون ضغطه على عاتق الناس كما أنه يلحق بالعلماء الضرر الكبير من هذه العقيدة لأن الذين يؤمنون بهم حيث يعتقدون أن العمل في الدولة حرام فيقل توجه هؤلاء إليه بعكس أكثر الذين لهم عمل إداري في البلد الذي يعتبر عند هؤلاء لا قيمة له أو أنهم مخالفون والنتيجة هي ما رأينا » .

وهذا الكلام واضح جداً فإن كل خراب في الدولة وتشكيلاتها ستترتب أضراره على الناس كلهم سواء كانوا علماء أم علماء . وجميع الأضرار ناشئة من عدم قيام موظفي الدولة بوظيفتهم ومن خيانتهم وقلة وجود المؤمنين وأهل الأمانة في تشكيلات اليوم . إلى هنا لا كلام لكن الكلام في أنه لماذا لا يدخل العفيف والأمين في عمل الدولة ما دام يقدر على ذلك . هل لأن العلماء قالوا لهم إنّ الدخول في عمل الدولة حرام وقد بيّنا أن هذا كذب وبيّنا ماذا يقول العلماء وماذا يقول الإمام (ع) وكشفنا ما في يد هذا الكاذب والذي نعرفه أن الأمناء وغير المتجاهلين لوظيفتهم لا يستطيعون القيام بوظيفتهم في هذه التشكيلات التي تأسست على الظلم والخيانة وهذا الكلام لم يكن محتاجاً إلى دليل في العصر الديكتاتوري والكل كان يلاحظ أن الوظيفة لا تعني إلا الإطاعة لأمر الملك . وفي هذا الزمان قد يمكن القيام بالوظيفة لكن هؤلاء سيكونون أقلية وسيتعرضون لهجوم بحيث تكون المقاومة مقابل هذه الفئة الهائجة الوقحة تحتاج إلى فيلٍ وعلى كل حال فالعلماء يرون في دخول هذه الطبقة المؤمنة في هذه التشكيلات غير العقلائية أمراً مرغوباً وقد أوجبوه على بعضهم وأنتم بلا دليل تنسبون الأكاذيب إلى أهل الدين لا تريدون إلا الفتنة .

السؤال الثامن وجوابه

« وما يقولونه من أن الضرائب حرام هل المقصود أنه لا يجوز أخذ الضرائب

مطلقاً أم أنه يجب أخذ الزكاة عوض الضرائب فإن أريد الثاني فمن أي شيء تؤخذ الزكاة من مثل مدينة طهران أو مدن مازندران أو البلاد الصناعية .

نظرة عامة على ميزانية البلد الإسلامي

إذا أردنا أن نذكر كل أقسام الضرائب الإسلامية وحساب عوائدها وميزانيتها وبيان مصارفها فإنا نحتاج إلى كتاب كي يتفهم القراء أكاذيب هؤلاء الجهال وهدفهم . لكن نشير هنا إشارة عامة قدر الحاجة ليتضح المطلب إلى حدٍ ما .

ففي شرع الإسلام أنحاء من أخذ الأموال بعضها يؤخذ بالإجبار وبعضها بالاختيار ولا بد من شرح مختصر عنها أما التي تؤخذ بالإجبار فعلى نوعين :

أحدهما : ضرائب سنوية وأبدية وذلك عندما تكون البلد في حال هدوء ولا تكون مورد هجوم الأحاديث أو حيث لا إضرابات داخلية .

ثانيهما : ضرائب استثنائية وذلك عند حدوث إضطرابات من الداخل أو من الخارج . والضرائب في هذه الحال غير محدودة بحد ويجب تسميتها بالضرائب غير المحدودة لأنها خاضعة لتشخيص الدولة الإسلامية وهذه ضرائب غير ثابتة تؤخذ عندما لا تكفي الضرائب الثابتة في مواجهة زعزعة البلد . وفي هذه الحال تأخذ الدولة كل ما تحتاجه من الناس إن رأت فيه صلاحاً على أساس القرض وإلا تأخذها بعنوان ضرائب استثنائية حسب حاجة البلد وبالتأكيد تؤخذ الضرائب من الناس وفق أسس عادلة حتى إنها لو احتاجت إلى جميع أموال الناس تأخذها وتبقي في يدهم ما يحتاجون إليها في ضرورياتهم الحياتية ويصرف المال من أجل استقلال البلد كما أنه في هذه الحال على كل الأفراد الحضور في جهات القتال بنحو إلزامي وأن يضحوا في سبيل استقلال البلد .

أما الضرائب الثابتة التي تؤخذ من أجل إدارة البلد داخلياً وخزينة الاحتياط ومصالح البلد والجيش والتي يلزم الناس بدفعها فهي على أنحاء .

١ ـ الضرائب التي تؤخذ من الأراضي الخراجية وهي أراضي البلاد التي كانت معمورة قبل الفتح أي لم تكن مواتاً . وجميع هذه الأراضي هي للمسلمين يجب أن تصرف في مصلحة البلد والناس والدولة تضع هذه الأراضي في تصرّف الناس طبق عقدٍ معين حسب ما تراه مناسباً وتصرف ما يؤخذ منها في مصالح البلد والناس وفي

الحقيقة هذه الأراضي تعتبر من أملاك الدولة لأن أعيان هذه الأملاك يجب أن تبقى تحت إشراف الدولة ولا حق لأحد في بيعها وشرائها ونقلها وانتقالها إلى آخر . وهذه الأملاك الخاصة مصدر مهم يكفي لإدارة البلاد بل يزيد عنها : وكلما كثرت فتوحات المسلمين واحتيج إلى ميزانية أكثر فإن الأموال التي تتعقبها تزداد وكل من أراد أن يطلع على تحصيل منافع الأراضي الخراجية وكيفية ذلك فليراجع تاريخ الإسلام .

٢ ـ الخمس ضريبة من المئة عشرون تأخذها الدولة بالإجبار ويقل جداً أن يوجد في البلد الإسلامي من لا تشمله هذه الضرائب وهي تتعلق بالأرباح التي يكتسبها الناس مهما كان مقدارها وجنسها سواء في ذلك معادن الذهب أو الفضة أو النفط أو الزفت أو الفحم الحجري أو الألماس أو الفيروز أو الياقوت وكل ما كان من هذا القبيل وسواء في ذلك الكنوز التي تكتشف في بطون الأرض من الحفارين وغيرهم وسواء ما يستخرج من البحار وجميع المنافع التي تحصل من أنواع التجارات والصناعات والتكسيات والزراعات واستخراج القنوات وإحياء الأراضي الميتة وحاصل الكلام أن الضرائب تشمل كل تتصورونه من المنافع . وقد لوحظ في القانون بعض الاستثناءات ضمن شروط معينة . وهذه الضرائب تشمل حتى النساء العجزة اللواتي يشتغلن بالخياطة وكل من يحصل له نفع ما مع ملاحظة الشروط المدوّنة في التشريع وهذه الضرائب التي تسمّى بالخمس تتعلق أيضاً بالأراضي التي يشتريها أهل الذمة (يهود نصارى) من المسلمين سواء كانت أرضاً زراعية أم مبنية وعليها أشجار وكذلك الأموال التي اختلط الحلال فيها بالحرام . وهذه الضرائب من أهم الضرائب بحيث لو قام المرء بحساب دقيق لضرائب مدينة تهران مثلاً أو أي مدينة صناعية لكانت تكفي نصف مصالح بلدٍ مثل إيران . وطبعاً على الدولة في جميع هذه الضرائب العامة التي يمكن اعتبارها كالضرائب على النفوس أن تحصي بدقة وأن تثبت عندها في السجلات جميع الأشغال والمكاسب في دقة كاملة والبلد الإسلامي أحوج من غيره إلى دائرة إحصاء وتسجيل بل هي أحوج إلى تسجيل الأموال في بحث دقيق من أجل تعديل الضرائب غير الثابتة . وهذه الضرائب مع أنها تشمل جميع أنواع المنافع . وكل الأصناف من الناس إلا أنها وضعت في عدالة كاملة بحيث لا تثقل كاهل الناس ويقع عمدتها على الأشخاص المتمولين كما ورد في التشريع وسنذكر فيما بعد مصرف هذه الضريبة ليفتضح أمر هؤلاء الخونة .

٣ ـ الضرائب على الأجناس التي تسمّى بالزكاة وهي ضرائب ليست ثقيلة والقانون هنا راعى حال الطبقة الزراعية التي تتعلق بها هذه الضرائب أكثر فروعيت أتعاب المزارع . وفي موارد يدفع ١٠ بالمئة وفي موارد أخرى خمسة بالمئة ولم توضع الزكاة على الزراعات المحتاجة إلى جهد كبير كالرز والقطن كما إن الزكاة على المالكين العشر أو نصف العشر باعتبار أنهم متحملون أيضاً ضريبة الخمس فهم في الحقيقة يدفعون من هذه الزراعة التي يدفع المزارع العشر أو نصف العشر ٣٠ أو ٢٥ بالمئة بالنحو المذكور في التشريع . وعلى كل حال فهذه الضرائب مهمة مهمة جداً وعلى الدولة الإسلامية أن تسجل الأملاك بدقة وعند جمع الضرائب تكون الوزارة المالية موظفة أن توزع موظفين في المناطق المنطبقة عليهم الشروط المذكورة في التشريع من أجل ضبط هذه الضرائب . ويحق لمن عليه دفعها أن يدفع من الأجناس كما يحق له أن يدفع قيمتها .

٤ ـ الجزية وهي من الضرائب على النفوس والأراضي تؤخذ من أهل الجزية بالمقدار والنحو الذي تراه الدولة مناسباً وهذه أيضاً من الضرائب الإسلامية .

٥ ـ ومن المصادر المالية للدولة التي تأخذها بالإجبار إرث من وارث له مسلماً كان أم كافراً حربياً كان أم ذمياً فمن مات ولا وارث له تنتقل كل أملاكه إلى الدولة وتصرفها في مصالح البلد والناس .

هذه الضرائب الإجبارية لو أنشئت إدارة التبليغات الإسلامية بالنحو المنصوص عليه في قانونها لأقدم الناس على دفعها بوجه مشرق ولم تحتج الدولة إلى إجبار ولن يتحقق حينئذٍ خيانة من كل هذه الخيانات في تأدية الضرائب التي تحصل في البلد الآن وقد قرّرت الدولة الإسلامية شروطاً لجباة الأموال وموظفي وزارة المالية حتى لا تقع هذه الجنايات .

مصارف ميزانية الدولة الإسلامية

ويجب أن نذكر هنا بشكل مجمل مصارف هذه الميزانية الضخمة بالنحو الذي نص عليه في الشريعة الإسلامية حتى يرى القراء سخافة وخيانة هؤلاء الخونة :

١ ـ الأشخاص الذين لا يتمكنون من إدارة حياتهم فلا يملكون مؤنة سنتهم ولا

قوة عندهم على العمل . وهم الفقراء والمساكين الذين عجزوا عن العمل للكبر أو نقص عضو فعلى الدولة أن تدير حياة هؤلاء بالنحو الذي تراه مناسباً بأن توجد دار عجزة أو توزع عليهم قسائم (بونات) ووزارة الاقتصاد توجد الأفران وتؤمن لهم بالنحو المناسب الشريف طعامهم ولباسهم أو تدفع لهم مصاريف سنوية يديرون منها حياتهم ولا فرق في هذا بين السادة وغيرهم نعم هناك فرق من جهة أخرى عمدتها أمران .

أحدهما أنه لا يجوز أن يعطي السادة أكثر من مقدار مؤنة سنتهم ولو أعطوا أكثر عليهم رده إلى الدولة . أما الفقراء من غير السادة فيمكن إعطاؤهم أكثر من مؤنة سنتهم بل يمكن إغناؤهم ولعل هذا التضييق على السادة حتى لا يظن المعترضون أن شرع الإسلام إلى جانب السادة . فأولئك الذين لا علم لهم بالشرع ويقولون عن عمى أن رسول الإسلام فتح لأولاده باب الاستعطاء من هو المقصّر في ذلك . وإذا كانوا السادة أم غير السادة يتمكنون من إعالة أنفسهم فعلى الدولة أن تحركهم نحو العمل وتلزمهم بذلك ولا تعطيهم من صندوق الدولة ولو طبّق هذا الشرع المقدّس لزال الاستعطاء لا إنه يستمر .

والفرق الآخر أن السادة عليهم أن يأخذوا من الخمس والفقراء الآخرون من الزكاة هذا أحد مصارف الميزانية وللأخذ شرائط منها أن لا يصرف المال في خلاف الشرع وإلا لا يعطى من مال الدولة بل المتجاهر في الفسق يشكل إعطاؤه وإن لم يصرفه في الفسق .

٢ ـ المديونون الذين لا يتمكنون من قضاء ديونهم كالتجار الذين أفلسوا والكسبة الذين ذهبت رؤوس أموالهم وأمثالهم . فإن الدولة يمكنها أن تعطيهم من صندوق الزكاة وتجبر دينهم بل يمكنها أن تعطيهم رأسمالاً أيضاً للتكسب به والشرط أن لا يكون قرضهم في مخالف للشرع مثل القمار وأمثاله . وفي هذا المورد أيضاً روعي غير السادة أكثر من السادة لأنه لم يعين للسادة سهماً لأداء الدين نعم لو أفلس سيّد ولم يبق عنده قوة على العمل يمكن للدولة أن تقضي دينه وأن تعطيه رأسمالاً مختصراً كي يعيش والإعطاء يكون حسب ما تراه الدولة من صلاح .

٣ ـ وهو عمدة المصاريف . فبعد إعطاء السادات والفقراء تصرف الأموال في

مصالح البلد من تأسيس إدارات البلد والجيش وبناء الوزارات والمراكز الثقافية ودائرة الإرشاد وفي تسوية الطرق والجسور والمستشفيات والمدارس ومد خطوط السكة الحديدية إذا احتاج الأمر إلى ذلك وكل ما يساهم في عمران البلد وتعظيمه ومن هذا القبيل توفير العتاد للجيش بأي نحو تراه الدولة صلاحاً . وحاصل الكلام أن كل ماله الدخل في إدارة البلد داخلياً وحفظ عظمة واستقلال البلد من الخارج ، يجب توفيره من ميزانية الدولة . وإذا أجرى المحاسبون بدقة حساب الميزانية وقارنوها مع ما يصرف فسيرون أن هذه الميزانية تكفي جميع المصارف اللازمة . وبالإضافة إلى هذه الضرائب التي تأخذها الدولة من الناس بالإجبار إن لم يدفعوها هناك مصادر مالية كثيرة في الإسلام تدفع بالاختيار بحيث لو قامت إدارة الإرشاد بعملها بالنحو الصحيح يمكن أن تتضاعف ميزانية الدولة .

نظرة إلى ما يشتمل عليه هذا الكتيّب القبيح

كل من عنده خبر ما عن شرع الإسلام يدرك أكاذيب هذا الجاهل غير المعقولة لكن يجب أن نأتي بكلمات هذا الجاهل واحدة واحدة . والتي كتبها عن عناد وعداوة للإسلام ، ونوضح أخطاءه وأكاذيبه .

يقول : « يقول الدين اليوم حال الضرائب حرام وأخذها ظلم وإعطاؤها إعانة على الظلم ويجب أن يؤخذ مكانها الخمس والزكاة . أما الزكاة فهي في سبعة أشياء الذهب والفضة إلى آخره . أما الخمس فتؤخذ من أرباح التجارات والصناعات نصف سهم الإمام يعطي للمجتهد وهو يعطي للسادات أو العلماء الآخرين أو يستودعه عند شخص أمين أو يدفنه في التراب حتى يظهر الإمام ويأخذه ونصف الآخر للسادات كله » .

صدّقونا عندما نقول أن هذا الجاهل أما أنه لا يعرف شيئاً عن شرع الإسلام أو يعرف لكنه بكل سهولة يريد إلقاء التهم ويهدف إلى التخريب . فهنا أولاً حصر ضرائب الإسلام بالخمس والزكاة مع أنه في الإسلام ضرائب أخرى تكفي البلد وأهمها الخالص للدولة بحيث يندر وجود الدولة عندها هذا المقدار الخالص لها . وثانياً : حصر الخمس بأرباح التجارات والصناعة والحال أن الخمس يؤخذ من كل الأرباح مهما كان عنوانها وأرباح المكاسب من ضمنها ولعل أهمية المعادن في هذه

الضرائب مثل النفط هذا الذهب الأسود أكثر من غيره . وقد أسقطها هذا الجاهل . ويعلم أنه إذا أخرجت الدولة الإسلامية المعدن كان كله لها والخمس إنما هو عندما يتولّى الإخراج شخص آخر غير الدولة .

ثالثاً : إنه حصر المصارف بالسادة والعلماء مع أن المصرف المهم لهذه الأموال الضخمة مصالح البلد وأما السادة الذين يملكون القدرة على التكسب أو المال فلا يجوز لهم الأخذ منه حتى ديناراً واحداً فقط الفقراء من السادة غير القادرين على التكسب ولا على العمل بالمقدار الذين يؤمِّن لهم معيشتهم يتمكنون من الأخذ منه . والعلماء يأخذون منه باعتبار أنهم يشتغلون في إرشاد الناس ويأخذون بمقدار مصاريفهم مما يحتاجون إليه . وأنتم جميعاً تعلمون أن القانون المالي الإسلامي لا يعمل به في هذا البلد والدولة بالوضع التي هي عليه لا يمكنها أن تأخذ هذه الأموال بالنحو الذي شرَّع في الإسلام وإن تصرفها في الموارد التي حدّدها القانون . وحاصل الكلام أن تشكيلات اليوم بعيدة عن التشكيلات الإسلامية فإذا استيقظ المسؤولون يوماً وأدركوا حسنات التشكيلات الإسلامية حينذاك يفهمون حجم ميزانية البلد الإسلامي وعلى أي أساس ترتكز تشكيلاته .

أكاذيب ووقاحات

يدّعي هذا الجاهل مع ذكائه الوقاد ، الإطلاع على شرع الإسلام ويقول : « ما ذكرناه من أنه إذا خرجت أوامر الدين من بين الأوراق وطبّقت يجب أن تقرأ في ذلك اليوم الفاتحة على الحياة والبلد نقوله عن دقة . والشرط الأول لحفظ كل شعب أن يكون للدين قانون مالي صحيح وأولئك الذين يقولون على جميع من في الأرض أن يطيعونا هل كيف يمكنهم أن يديروا شعباً صغيراً بهذا الدستور الضيق » .

بالتأكيد لو كان الدين مثل ما تخيلته ونسبته إلى الدين لن يتمكن من إدارة مدينة فضلاً عن بلد صغير لكن يمكننا الإدعاء إن القانون المالي الإنكليزي عبارة عن أخذ خمسة من كل مئة غنمة ويعطونها لرهبانهم يصرفونها وبمثل هذا القانون المالي لا يمكن إدارة المملكة ولكنّهم لا يقبلون منا ذلك . ونحن بمجرد القول « وبالدقة نقول » لا يصح هذا القول أنتم لا تعرفون شيئاً عن القانون المالي في الإسلام كما يظهر لنا ، وفي هذا اليومط حيث نرى الدولة تمد يدها للآخرين من أجل وضع قانون مالي

فيشرّعـون لها ثم يخـربونـه مثل الأطفـال يبنون بيـوتا من طـين ثم يهدمـونه . فليـأتوا بخبرائهم وليجلسوا وليقارنوا بين القانـون المالي في الإسـلام بين الخمس مـع الشروط المقررة في الشرع وبين قوانينهم حتى يتضح لهم الأمـر جيداً وحينئـذٍ يجلسون متـأسفين لحال هذا البلد التي اعرضت عن القانون الإلهي المعقول وراحت تبحث في دمـاغ فرد أجنبي . ولا يشك عاقل أن القوانـين التي يسنونها إن لم تكن في نفعهم فهي ليست في مصلحتنا . ومن يحتمل أنهم يعتبرون مصلحتنا أهم ومقدَّمه عـلى مصالحهم فقـد نطق بمـا يخالف العقـل . وما نقـوله من أنـه لو خـرج هذا التشريـع من بين الأوراق وطبّق فيجب قراءة الفاتحة على البلد والحياة فهو كلام قلته عن جهـلٍ بالشرع الـديني . ومن تبيينك للقانـون المالي في الإسـلام يتضح مقـدار معلوماتـك الأخرى لمن لا يعـرف هو بينكم كما أنه من بياننا للقانون الإسلامي المالي الـذي ترتكـز عليه الحيـاة المادية للبلد يظهر حال سائر القوانين الإسلامية مع أن التفصيل في القانون المالي في الإسـلام وذكر موارده المهمة يحتاج إلى كتاب ضخم . وقد ذكرنـا أن الحياة مـا دامت هي هذه الحيـاة القبيحة المليئة بالكدورة وما دام البلد هو هذا البلد المضطرب تحت سلطة جميع العالمين فلتقرأ الفاتحة عليهما لعله بعد هذا الموت تكون الحياة . ولعلها تكون هذه الفاتحة فتحاً نحن نقول إذا خرجت الأوامر الدينية إلى ساحة العمل سوف تقرأ الفـاتحة عـلى الحياة التي نعيشها والبلد الذي نحن فيـه الآن لكن سنُظهـر للعالم حيـاة وبلداً يكون نمـوذجاً كاملاً يقتفي الجميع أثره . فأنتم لا تدركون بأي دستور جامع لا يقبل الخلل ختم الله النبوّة .

من جديد كلام فارغ وثرثرة

هذا الكاتب ولغزارة معلوماته يكرر كـلامه مـرة بعد أُخـرى حتى تبدو كتـاباتـه القبيحة ككتاب . فأجبرنا على الخروج عن قانون الكتابة بالمرة . وهنا يقول :

« أما الزكاة فكما رأينا تؤخذ من جملة أشياء بعضها لا وجـود له اليـوم كالـذهب والفضة المسكوكتـين وبعضها قليـل الوجـود مثل الإبـل والتمر والـزبيب وبعضها غـير موجود في كـل الأمكنة كـالبقر والغنم والقمـح والشعير وعليـه فأهـل مازنـدران الذين يزرعون الأرز أو أهل طهران والمدن الأخرى والبـلاد الصناعيـة من أي شيء يدفعـون الأموال » .

كأن هذا الجاهل أتى من صحراء أفريقيا لا يعرف شيئاً عن الإسلام ويقول أن الذهب والفضة المسكوكتين لا وجود لهما فلا زكاة منهما . فإن كان المقصود من عدم وجودهما اليوم أنها بدّلت إلى سبائك فهذا كلام يضحك الأطفال وإن كان المقصود أنها غير رائجة اليوم والناس يكثرونها فالإسلام أيضاً جعل الزكاة على الذهب والفضة المكنوزين لا السكة الرائحة التي يتعامل بها . فالذهب والفضة تتعلق بهما الزكاة اليوم أكثر من غيره حسب قانون الإسلام . . من هنا تدركون الأساس العظيم لهذا القانون بحيث لو أن الذهب والفضة إذا كان يتعامل بهما يشملهما قانون الخمس وأن كُنزا يشملهما الزكاة في كل سنة إذا زاد عن النصاب ، وإن كان المقصود أن الذهب والفضة غير موجودين في بلدنا فلو فرضنا أنه صحيح لكن الإسلام لم يأت فقط لبلدنا بل هو قانون لجميع البلاد ولذا لاحظ حال جميع البلاد . من هنا تظهر سخافة القول بأن وجود الإبل والتمر والزبيب قليل وإن البقرة والغنم والقمح والشعير ليست موجودة في جميع الأمكنة . وهل الإسلام جاء ليدير ناحية في بلد ما . يجب أن تتجمع الأموال من جميع أنحاء البلد الإسلامي أينما كان ومهما كان في خزينة البلد العامة فترفع الدولة بها حاجات البلد والناس . فذلك الكلام مثل أن نقول أن الدولة وضعت ضريبة على نوع من الصمغ غير موجود في كل الأمكنة وهل يجب في وضع ضريبة على شيء أن يكون موجوداً في جميع أنحاء المملكة . إن الحجاز واليمن أجزاء من الوطن الإسلامي فتجمع زكاة الإبل والغنم والتمر من هناك . وأما قولك فمن ماذا يدفع أهل مازندران الذين يزرعون الأرز فقط ؟ فنقول أما المالكون فيشملهم الخمس وسائر أقسام الضرائب فإن الأرز أيضاً يشمله الخمس بالنسبة إلى أكثر الملاكين والملاكون هم العمدة ومورد استفادة الدولة . أما المزارعون فلو أن أحداً له إطلاع جزئي على زراعة الأرز والتعب الذي يلاقيه هؤلاء المساكين المكافحون من حين البذر إلى حين أخذ المحصول يصدّق بأن وضع الضرائب على هذه الفئة المكافحة خارج عن العدل والأنصاف فأحضر زراعة الأرز لترى أنك لا تدري . فالأرز يزرع في الأراضي دفعة واحدة ثم تهيء الأراضي وتوضع زهرة الأرز باليد واحدة واحدة وفي أرض غرقت بالماء حديثاً وصارت طيناً وتقوم بهذا العمل النساء المكافحات من مازندران وكيلان بعد ذلك يجب على الأقل أن تزال الأعشاب الزائدة مرتين وذلك أيضاً في مثل هذه الأرض المطيّنة ثم بعد قطفه تربط مجموعات مجموعات وبطرق متعبة جداً ثم

توضع في غرف مسقّفة وتعلق على خشب وتجفف بالنار وحينئذٍ يكون قد تم تحضير الأرز قبل تقشيره ثم يقشر بواسطة مدّق الأرز ، ثم يتحملون المتاعب من أجل تبييض الأرز . ومن هنا يمكن القول أن الأرز مشتق من التعب[1] أي يجب تحمل المتاعب في تحضيره فهل توضع الضرائب على مثل هؤلاء الناس .

أشكال مضطرب :

قال هذا الجاهل هنا كلاماً غير مفهوم أوله ولا آخره فقال : « أما الخمس فهو كما تقدم لا يتلاءم مع حياة اليوم لأن من جملة العوائد المهمة اليوم الجمرك وهو أمر لا بد منه ولكنه لا ينسجم مع هذا التشريع » .

ولا أعتقد أن الكاتب نفسه بمقدوره أن يفسر هذه العبارة إذ ما معنى أن الخمس لا يتلاءم مع الحياة وما معنى أن الجمرك لا يتلاءم مع الخمس وما هو الربط بين الخمس والجمرك حتى لا يتلاءمان . ويمكن أن نفسر هذا الكلام التافه وإن كان ذلك خارجاً عن قانون الكتابة فنقول :

قد يريد أن الخمس على ما بيّنه الكاتب لا يمكنه أن يدير البلد . وهذا قد ذكرنا جوابه سابقاً وأوضحنا أنه لا يعرف شيئاً عن الخمس . ثم نقول إن أراد من أن الجمرك لا يتلاءم مع تشريع الخمس ان انحصار الضريبة بالخمس لا يتلاءم مع الجمرك مع أنه أمر لا بد منه . فقد أثبتنا أن الضرائب المشرّعة في القانون قد شرّعت بأحسن وجه وروعي في ذلك جميع جهات مصالح البلد والناس بمقدار يكفي لكل أجهزة البلد مهما كانت كثيرة وعظيمة وبمقدار ما يتقدم البلد الإسلامي بمقدار ما تزيد الضرائب ويزيد ما يخلص للدولة ولا حاجة إلى قانون الجمرك الذي يُشل تطوّر التجارة في البلد . فالقانون الإسلامي وضع في الإسلام بحيث لا يلحق أي ضررٍ بتجارة وصناعة البلد . أما قانون الجمرك الذي يعني أخذ الضريبة قبل التجارة والانتفاع فتلحق أضراراً كثيرة بالصادرات والواردات ويضعف سوق التجارة . إذن ليس من الضروري أن يكون في البلد قانوناً في الجمرك بل له مضرات كثيرة ويجب أن يلغى هذا القانون بأسرع ما يمكن ورفع كل موانع الحدود ومشكلات التجارة من

---

(١) الأرز بالفارسية معناه « برنج » يقول الإمام (قده) يمكن أن يكون أصل الكلمة في اللغة « به رنج » ومعنى « رنج » التعب ومعنى « به » إلى أو ب (المترجم) .

أساسها حتى يترقّى الوضع المالي والتجاري في البلد . ثم مع غض النظر عما في أصل القانون من أضرار وفي تنفيذه من مفاسد ومصائب يعلمها الجميع ، فإن شرع الإسلام يختلف عن قوانين البلاد التي وضعت بلحاظ بلد واحد حتى يكون فيه ضرائب جمركية وحدودية . الإسلام يريد أن يرفع الحدود في العالم وأن يشكل بلداً واحداً يكون البشر جميعهم تحت لواء واحد وقانون واحد وأن يزيل هؤلاء المتوحشين والمجرمين من بين البشر ومثل هذه الحكومة لا يوجد فيها ضرائب حدودية وجمركية . جاءت حكومة الإسلام كي تربي البشر تربية أخلاقية ومن أجل الرياضة الروحية والحياة المادية والمعنوية . فهي ضدّ القومية التي هي من أفكار البشر الجاهلية فليس في الإسلام عربي وفارسي وانكليزي وفرنسي الإسلام يريد التوحيد والتقوى فمن كان أكثر تحلياً بهما كان أقرب إلى الإسلام وإن كان من أفريقيا ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ المشرِّع هو الله والله لا قومية له مع أحد وليس هو إلى جانب فئة بخصوصها وينظر إلى جميع البشر نظرة إلهية عظمى وأنزل القرآن والإسلام من أجل سعادة أفراد البشر . إن هذه الجدار التي سوّروا بها الدنيا وسمّوها أوطاناً وبلداناً هي من أفكار البشر المحدودة وعلم الله المحيط بكل شيء فوق هذه البلاد والدنيا هي وطن البشر وعلى جميع الأفراد أن يصلوا فيها إلى سعادة الدارين وهذه السعادة تكون باتباع قانون يفي بجميع احتياجات البشر في جميع العصور وبالنسبة إلى كلا الدارين وهو رحيم ودود بكل العالمين لكن ليعلم أيضاً أن الدولة يمكنها أن تأخذ الجمرك من البضاعة الخارجية لتجيز دخولها لكن هذه الضرائب لا يجوز أخذها من أهل الدولة ومن المسلمين .

تدخل غبي في المعقولات :

هذا الجاهل مدّ رجليه خارج بساطه وتدخّل في علم يرتكز على علوم كثيرة لا يعرف شيئاً عنها وهو لا يدري أن علم الحقوق الإسلامية ليست علماً يمكن لهؤلاء الأطفال مدّعي المعرفة والعقل الدخول فيه ويتخصّصوا فيه . هذا أمر يحتاج إلى تعب كبير في الليل والنهار . يريد مع دماغه الفارغ التدخل في هذه العلوم . والحوم حول الحقوق الإسلامية يجر إلى أخطاء كبرى وأغلاط كثيرة كما رأيتم ورأينا . يقول : « الخمس أكثر عملياً من الزكاة لكن مع ذلك فيه إشكالان كبيران : الأول : أنه

وردت أحاديث كثيرة صحيحة وغير صحيحة أنّ الإمام أباحه والذي أباحه الملك لماذا لا يبيحه الشيخ علي خان وقد أحصيت في كتاب الوافي ١٦ حديثاً في هذا المجال فلماذا اهتممتم كل هذا الاهتمام بحديث يقول : « من زار فاطمة بقم فله الجنة » وبنيتم ذلك البيت الوثني مع كل مظاهر الاحترام لكن لم تعتنوا بـ ١٦ حديثاً فيها الصحيح وغيره . عفارم على هذا التدّين » .

هنا لا نستطيع أن نعالج هذه المسألة على ضوء علم الفقه لأن هذا يحتاج إلى بحث علمي لا تسعه هذه الأوراق من جهة ولا يليق به هؤلاء من جهة أخرى . لكن لا بد أن نوضّح هنا معنى الإباحة حتى يتضح مستوى معلومات هؤلاء . لو فرضنا أن قانون البلد نص على ضرائب لأجل مصالح البلد وأجهزة البلد ومن هذه الضرائب حدّد للملك المملكة عشرة آلاف تومان شهرياً ثم قال الملك وهبت حقّي إلى الناس أو للدولة فما هو الذي يُفهم من هذه الهبة غير أنه تنازل عن حقّه ما دام هو الملك أو إلى الزمان الذي يحدده . وهذا لا يعني ثبوت حق للسلطان أكثر من أنه وهب حقه . وهل يمكن للملك بكلمة « وهبت » أن يخرب قانون البلد وهل له مثل هذا الحق . لا محيص عن الالتزام أن الهبة لا تبطل القانون ولا يمكنها أن تكون كذلك . ثم نغض النظر عن كل الكلام ونقول : إن قانون الخمس الذي هو ضريبة على كل المنافع قد وضع من أجل جميع مصالح بلد الإسلام بمقتضى الآية ٤٢ من سورة الأنفال ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل** ﴾ . نحن نسأل جميع المسلمين والعلماء هل للإمام الحق في أن يبطل قانون الله ويخرّبه أم لا . لا بد أن يقول الجميع إن الإمام ليس له هذا الحق . الإمام إنما هو مفسر التشريع لا ناسخ له وبناء عليه فإن هذه الإباحة مرتبطة بقسمه في زمانه مثل هبة الملك حقوقه أو أنها متعلقة بأمور مخصوصة والدليل الواضح على هذا الأمر أن أمير المؤمنين[1] (ع) بحسب هذه الروايات قد أباح الخمس لشيعته وبحسب هذه الروايات كان الأئمة بعد أمير المؤمنين (ع) كالباقر والصادق (ع) وسائر الأئمة يأخذون الخمس من هؤلاء الشيعة وكانوا يقولون من أكل درهماً من الخمس ففي جهنم ومن يتعامل بمال الخمس فمعاملته باطلة فإن كان معنى الإباحة كما يفهمها

(١) يراجع الوسائل .

هؤلاء الجهّال فكيف يأخذ الأئمة الباقون ما أباحه علي بن أبي طالب . إضافة إلى أن هذه الروايات التي ذكرها الكاتب يستفاد منها إن ما هو مورد الإباحة ليس الخمس لأن الإمام نفسه الذي أباح للشيعة كان يأخذ الخمس وهذا يدل على أن الاباحة ليست متعلقة بأرباحهم بل وهو الذي تدل عليه الروايات ، الإباحة راجعة إلى ما يصل إلى الشيعة من مال لم يخمّسه الآخرون كالنفط الذي هو تحت يد الأجانب . فهم يجب عليهم الخمس ولم يفعلوا فكل من يصل إليه هذا المال يجب أن يخمسه أي يجب دفع الضريبة التي وجبت على الآخرين من المال الذي انتقل إليك وفي هذه الحال أباحوا التصرف في المال حتى لا يقع المؤمنون بهذا القانون في ضيق . وحاصل الكلام أن الجميع يعلم أن الإمام أو أي شخص آخر لا يمكنه إبطال القانون الإلهي والهبة ليست إبطالاً للقانون . وطبعاً هذه المسائل تعطى حقها في الفقه وقد بحث فيها العلماء هناك بتحليل علمي . لكن الباحثين عن الفتن لا يتراجعون ولسنا ندري ما هذا الحقد الذي يكنّه هذا الجاهل للرسول وأولاده الأطهار حتى نراه يعود من كل ناحية ليلدغ هذا المقام . فهنا يعتبر حرم فاطمة المعصومة المحترم بيت صنم مع أن الجميع يعلم أنه محل عبادة عظيم للشيعة يذكر فيه الله في اليوم والليلة من قبل الآلاف الزوار . واعتبار مثل هذا المسجد العظيم بيت صنم ليس له اسم إلا الضغينة لآل علي .

تكرار الهراء ومقالة جاهلة :

يكرر هذا الجاهل الكلام السابق ويذكر الإشكال الثاني على الخمس ويقول :

« الثاني : ليس المقصود من أخذ المال مجرد الأخذ بل المراد الأصلي تأمين مصاريف البلد الضرورية . والمال بناء على هذا التشريع - كما رأينا - ليس فقط أن مصرفه غير مفيد للبلد بل هو مصنع كبير يخرّج المستعطين وأنتم أنفسكم إذا كان لديكم ولد سالم عاطل عن العمل ، أنتم غير مستعدين لإعطائه مصروفه فكيف غيركم . فكيف يرضى محمد وعلي وهما نبع الغيرة أن يعطى لأولادهما أو لأشخاص آخرين باسمهما بلا عوض ويفسحون المجال لتكون جماعة كثيرة عاطلة عن العمل باسم الدين » .

وقد ذكرنا في بيان مصرف الضرائب أن أخذ الضرائب وخصوصاً الخمس هو من أجل مصالح البلد والناس وهذا الجاهل من جهله يتفوه بهذا الكذب ، وإدارة

البلد الإسلامي في زمان رسول الإسلام والخلفاء كانت ترتكز على هذه الميزانية مع أن قانون الأموال لم يعمل به بالكامل في زمان الخلفاء . وأما قوله إنه مصنع استعطاء فهذا من جهله وقد تقدم عدم جواز صرف الخمس للسادة الذين يقوون على العمل أو عندهم مال بل إنما يعطى الفقراء العاجزين عن العمل وتعطيهم الدولة مصاريفهم المتعارف عليها حسب ما تراه مناسباً . وهذا يقضي على الاستعطاء من جذوره ، وقد لاحظ الإسلام ذلك . ولو طبّق تشريع الإسلام في الخمس أو الزكاة لزال الاستعطار من جذوره من العالم والدولة الإسلامية مسؤولة عن تحريك الذين عندهم القدرة على العمل كي يعملوا وتلزمهم بذلك وأما العاجزون ولا مصدر مالي لهم فهي تدبّر أحوالهم بالنحو الذي تراه صلاحاً . فهل يزيد الاستعطاء في هذه الحال أم أنه يقضى عليه . أنتم إما أنكم لا تعرفون شيئاً عن القانون الإسلامي أو أنكم عن عمد تنسبون الأكاذيب إلى المؤمنين دون حياء . وماذاغ علينا أن نفعل ؟ . وأما قولك يعطون الآخرين باسم الدين فإن كان مقصودكم العلماء وطلاب العلوم الدينية فهؤلاء موظفون في الدولة الإسلامية وبهم يتم الإرشاد وتفسير التشريع وإذا كان عند أحدهم ما يغنيه عن الأموال الإسلامية فليس له أن يأخذ بل هذا الصنف يخدم بالمجان وبلا عوض وإذا انكسر أحدهم في معيشته يجب جبره من بيت المال ومن لا يملك شيئاً يعطى قدر معيشته وفي المقابل يبذلون تلك الخدمات الظاهرة للدين والبلد . ولا يزال هذا الصنف يخدم أكثر من أي صنف آخر مع أنه لا دولة إسلامية ومع أنّ العمل في هذه الدولة على القانون الأوروبي الوحشي السيء . فهم في عين الوقت الذي يحفظون فيه القانون هم أيضاً القوة الإجرائية وبواسطة التبليغات الناقصة التي لديهم يديرون ثلثي البلد أو أكثر بهدوء ودون تطفّل على الدولة والبلد ودون أن يكون لكم خبر بذلك . أنتم تظنون أن الهدوء في البلد تحقق ببركة جهاز الدرك بالتشكيلات التي هو عليها والتي نعلمها . نعم يكون مساعداً لو أدير بشكل صحيح فالحارس ـ أي العالم ـ مفّوض من قلب الشعب ليحفظ أموالهم وأرواحهم ولو تقوّت الارشادات الدينة وفهمت الدولة وظيفتها وساعدت هذه الفئة في عملها التبليغي لا المادي لقلّت الحاجة إلى الدرك إن لم تنعدم .

نظرة في الحياة الأوروبية المضطربة :

يقول هذا الكاتب « من المضحك أن أشخاصاً يجلسون ويتحدثون قائلين قد

أخـذ الأوروبيون منـا قانـوننا وعملوا بـه حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليـه أو يقولـون لو عملت الدنيا بالشريعة لحصل كذا وكحذا . نعم يمكنني أن أجلس في غرفتي وأبدع في عالم الخيال بلداً واسعاً فوق المحيط الأطلسي وأتصور فيه البنايات من ألف طـابق لكن هذا البلد الخيالي كلمتان مكتوبتان على الماء » .

نعم وأنـا أقـول إنـه ليس فقط مضحـك بـل من العـار أن يقـول شخص أن الأوروبيـين عملوا بقـوانـين الإسـلام ووصلوا إلى مـا وصلوا إليـه إلى أين وصـل الأوروبيـون هـل أوروبـا اليـوم التي يحلم بهـا حفنـة من الجهلة تعـدّ من الشعـوب المتمـدنة ؟ أوروبـا التي لا تبغي إلا التوحش وشرب دمـاء الناس واحتـلال البلاد ولا تريد إلا حياة قبيحة مليئـة بالفسـاد وتهوى التشريـد هذه الـ « أوروبـا » ماذا يـربطهـا بالإسلام وهو قانون العدل والعدالة ؟ أوروبـا التي تدوس بـدبابـاتها عـلى الملايـين من أبناء جنسها وتفنيهم بمدافعها ومـع ذلك تعتـبرونها من البشر وتتحسرون لأجلها ؟ أفٍ من هذا البشري الجاهل . إلى أين وصلت أوروبا حتى تمـدحوهـا . أوروبا التي قتلت الآلاف من سكان المدن من أهل دينها وقضت عـلى حياة النسـاء المظلومـات والأطفال الصغار من أساسها ومع ذلك تضعون اسمها في لائحة بني الإنسان ؟ أين هو الإسلام في أوروبا . ليس في أوروبا من أولها إلى آخرها إلا الظلم وتفتيت البشر والإسـلام من ذلك براء . في أوروبا ديكتاتوريات ومتمردون وبعدٌ عن العدالة . هذه البلاد الهتلرية الواسعة منحرفة عن حكم العقل وعلى البشر ـ بقلب واحد وجهة واحدة ـ ضرب هذه الأدمغة المليئة بالفتن والفساد بقبضة حديـدية ليعـود إلى العالم أمنـه . لو كـان التمدن الإسلامي في أوروبا موجوداً لم تكن لتحصل هذه الفتن والمفاسد وهـذه الوحشيـة التي يبرأ منها حتى الحيوانات المفترسة . وإلى أين وصلت أوروبا حتى نجعل قـانونها مـوافقاً لقانون العقل . حياة أوروبا اليوم أقبـح حياة لا يمكن أن تتفق مـع أي قانـون . لكن أنتم الضعاف العقول المساكين قد قُهرتم لهم بالكلية حتى نسيتم حكم العقل واعتبرتم أن ما تقوم بـه أوروبا هـو الجيد وهـو ميزان التمـدن وهذا من أكـبر أخطائكم . وأمـا قولهم لو أن الدنيا عملت بهذه التشريعات لصار كذا وكذا . . والذي اعتبرته خيالات منقـوشة عـلى الماء فهـذا من جهلك ولذا انتقـدته لأنـك لم تره ولم تتعقله نعم لـو كان الإسلام هو ما تعتقده أنت والذي ذكرت شيئاً عن قانـونه المـالي لكان نقشـاً على المـاء لكن تلك خيـالاتك الـواهية كتلك المـدن الخياليـة عـلى المحيط الأطلسي . والإسـلام

يختلف كثيراً عن خيالاتك وقد رأيتم إلى حدّ ما التشريع المالي في الإسلام وإلى حدٍ ما اطلعتم على قانونه العسكري ولو اطلعتم على قوانينه الحقوقية والجزائية لأدركتم الأمر جيداً ونحن في مقالة القانون سنذكر شيئاً من ذلك حتى لا يحسبه هؤلاء الجهال خيالات منقوشة على الماء . وقد تمكنت البلاد الإسلامية ، خلال عدة قرون ، من تطبيق نصف الإسلام فأبرزت أفضل البلاد وأرقى التمدن فاللازم على الأقل أن تطّلعوا على كتاب « غوستاف لوبون » وكتاب تاريخ التمدن الإسلامي مع أن تلك الكتب لا تحوي على تمدن الإسلامي إلا بمقدار فهم مصنّفيها وهو فهم ناقص جداً لا يتمكنون معه من فهم تمدن الإسلام فهم يفهمون تمدن الإسلام في القبب المنقوشة والأطباق الصينية والأبنية المرتفعة والبرادي الثمينة مع أنها أمور بالإضافة إلى المئات من أمثالها لا دخل لها في تمدّن الإسلام .

وأيضاً كلمات غير موزونة ومضطربة :

يقول : « لو كانت هذه التشريعات عملية لوجب أولاً أن تطبّق في دائرتكم فقد كان في إيران الكثير من السلاطين الذين كانوا يعملون بإجازة العلماء فلماذا لم يستفيدوا من هذه الجواهر النفيسة حتى تشبثوا بالآخرين واليوم أيضاً فإن مسؤولينا وأئمتنا وكتابنا هم من أهل الدين فقولوا لهم طبّقوا هذا الأصل الديني المهم حتى يكون وصوله أسهل من جهة ولينتفع الناس من مال الدولة الحرام من جهة أخرى » .

هذا الجاهل لا يتراجع عن النطق بكلام غير موزون مضطرب مليء بالاغلاط وهو لا يدري أن عدم تطبيق قانونٍ ما يستند إلى أحد سببين : أحدهما : أن يكون القانون غير ممكن التطبيق وبالتأكيد مثل هذا القانون ليس إلا من نسج الخيال . والثاني : أن يكون القانون ممكن التطبيق لكن الناس لا تعمل به لأسباب ما . فعدم تطبيق القانون حينئذ لا يشكل محذوراً بالنسبة إلى القانون . مثلاً كل الناس تقول الخيانة واللاعفة والظلم أمور قبيحة بحكم العقل ، والأمانة والعفة والعدالة أمور حسنة لكن في مقام العمل لا يعملون بكلام عقلهم أفيقال هنا إن حكم العقل غير صحيح بل الخيانة واللاعفة والظلم أمور حسنة لأن الناس تعمل بها . أم يجب القول إنه حتى لو خان جميع البشر وارتكبوا الظلم فالخيانة ستبقى قبيحة وكذا الظلم وستبقى العدالة والأمانة من الأمور الحسنة . فمقام القانون مقام الدلالة على الحسن والقبح أما

العمل فهذه مرحلة أخرى . ونحن عندما ننظر إلى أحكام الإسلام الحقوقية والجزائية والجنائية وطريقة تشكيل الحكومة والأحكام المالية والاقتصادية وكل ما له علاقة بقيام الدولة لا نجد في أي منها ما يمنع أن تكون ممكنة التطبيق ونرى أن جميعها موافقة لحكم العقل فلو عُمل بأحكام القصاص والديّات والحدود في الإسلام مدة سنة فقط فإنه يقضي على أساس الظلم والسرقة واللاعفة المفتتة للأسر . ومن يريد أن يقضي على السرقة في العالم يجب أن يقطع يد السارق وإلا فإن مجرد الحبس قد يساعد على السرقة . حياة البشر تحفظ بالقصاص وفي القتل عن قصاص حياة « **ولكم في القصاص حياة** » وإلا فإن حبس سنين لا يكفي . وإذا زنت المرأة والرجل يجلدان مئة جلدة ولو نفّذ هذا الحكم لم تكن لتبرز الأمراض التناسلية التي تقضي على الأسر . والعواطف الصبيانية التي تبرز في مقابل هذه الأحكام لم تكن أبداً على وفق أحكام العقل ولذا فإن قطع يد خائن تساهم في إصلاح روحه وفي إصلاح البلد أيضاً . تقولون : ذلك خلاف الرأفة . لكن قتل مئات الآلاف بالأسلحة وإحراق المدن الكبيرة ليس خلاف الرأفة . لقد ضاع منكم مقياس العقل . بقتل قاتل يقضي على بذور القتل في العالم . تقولون : هذا يضر المجتمع البشري . لكن القضاء على بلد بالقذائف غير مضر . أفٍ من هذا الإنسان الجاهل .

وأما ما ذكرت من أن السلاطين كانوا الكثر ممن عملوا بإجازة العلماء فهذا قول ناشيء من عدم الاطلاع على التاريخ لأن تلك الإجازات كانت شكلية وإلا فهم لم يعملوا لا بالإسلام ولا بكلام العلماء . لكن مع ذلك عملوا ببعض أحكامه مثل أحكام القضاء فكان حالها أفضل بمئة مرة من هذه المحاكم الظالمة التي نراها اليوم في بلدنا وهي حالة مؤسفة تشّل أفراد الشعب بأفضل طريقة . ونحن بعد ذلك سنتحدث في هذا الموضوع ليتضح الأمر . أما مسؤولينا وكتّابنا فإن كثيراً منهم ضد الدين وقلة منهم يؤيدون الدين ولكن يفسرونه كما يحلو لهم ومضار هذه المجموعة ليست أقل من الأولى إن لم تكن أكثر .

ظلم واضح :

يقول هذا الكاتب : « يقولون : لو رأى الناس بحق حكومة وطنية تهتم بهم لساندوها ولصرفوا في هذا المجال أموال النذر والوقف والوصية وغيرها ممّا يصرف في

طريق آخر ولهذا نظير في التاريخ . أقول لو أن الناس تربّوا تربية صحيحة بل حتى لو لم يتربوا لكن كانت لديهم الأخلاق الفطرية الحسنة كان يمكن أن يفعلوا ذلك أما هؤلاء الناس الذين يأمرهم دينهم بأشياء ترون نموذجاً منها في هذا الكتاب فلا يمكن أن يتوقع ذلك منهم . وهل تتوقعون ممن يبيتون وجارهم جائع ويذهبون إلى الزيارة جماعات جماعات في هذه الفترة العصبية أن يضحّوا من أجل البلد العجب من هذا الخيال الساذج » .

صحيح أن الناس بالرتبة الصحيحة أو بالاحتفاظ بالأخلاق الفطرية تقوم بالأعمال المفيدة للبلد والناس . لكن الكلام في أن التربية الصحيحة هل هي التربية الدينية أم هذه التربيات التي نراها اليوم في بلاد العالم . والجميع يعلم أن أساس التربية الدينية هو توجيه الناس نحو الفضائل الروحية والمعنويات وتوسعة آفاقهم المحدودة وإخراجها من هذه الجدر الأربعة الصغيرة لعالم مادي إلى فضاء غير متناهي وعالم نوراني غيبي . وأساس التربية المادّية اليوم تزيين هذه الحياة المادية الطبيعية وحصر الحياة بهذا العالم الظاهري . ومن ينمو على هذه التربية لا يرى إلا هذا العالم ويريده لنفسه ويضحّي بحياة جميع البشر من أجل نفسه وإذا زعم أنه يخدم البلد والناس فهو اما مخادع يريد أن يحفظ حياته أو أنه إذا قدّم خدمة ما فلأجل الوصول إلى منافعه الشخصية لأن بناء هذه التربية لا يناسب إلّا طلب المنفعة الشخصية ولا يمكن أن يضحّي الإنسان بمنافعه في سبيل الآخرين بلا مبرر . أما إذا تربّى المرء على التربية الدينية فالعالم عنده غير منحصر بهذا العالم بل ينظر إلى حياة أرفع وعالم أوسع وبالتالي فهو مستعد للتضحية بمنافعه المادية من أجل الحصول على منافع أعظم وهذا الشخص عندما يسمع ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾[1] تتوفر فيه حينئذ روح خدمة الناس . نعم ذلك الدين الذي ابتدعتموه واظهرتم للناس تشريعاته هو كما تقولون لكن ليس الدين هو ذلك ولا تشريعاته هي تلك . فاللازم على القرّاء المحترمين مراجعة كتاب الوسائل وهو من الكتب الدينية ولينظروا في أبواب

(١) البقرة - ٢٦١ . والإمام (قده) لم يذكر الآية بل ذكر ترجمتها وقال إن الله وعد الذين يخدمون الناس (المترجم) .

الزكاة والصدقات والأمر بالمعروف والجهاد والعشرة وسائر الأبواب التي تتحدث في هذه الموضوعات فهل يجدون تشريعاً أفضل من ذلك من أجل التربية الأخلاقية والعملية وهل الذي يتعامل مع هذه التربية يرى لنفسه وظيفة غير خدمة البلد والناس ؟ وحينئذٍ يتضح غرض هذا الكاتب الغبي . ومع الغض عن جميع ذلك . فقد مرّت في السنّة الماضية أيام صعبة على البلد المظلوم والشعب الضعيف وكان يمضي فقراء هذا البلد حياتهم في تعب ونكد فمن هم الذين أوصلوا البلد إلى هذه الحال وسلّموا حياتهم وطعامهم إلى الآخرين مجاناً وتركوا الناس في شقاء وعناء . راجعوا مكاتب الاعانة لتعرفوا من هم الذين انقذوا الناس من الموت هل هم الذين كانوا يذهبون جماعات جماعات إلى كربلاء أم أولئك الذين كانوا يذهبون جماعات جماعات إلى السينما والمسرح . نعم قد يوجد فيهم شخص أو شخصان أرادا كرسيّ النيابة كل نظرهما نحوها فدفعوا ثم يعوّضون عن ذلك بطرق غير مشروعة تعرفونها . وعندما خرّب السيل قم سنة ١٣٥٣ واضطربت أحوال آلاف الأشخاص من هم الذين وقفوا بهمة عالية وحسّ ديني وبنوا لهم ما ينقذهم من الضياع إلا الهمة العالية للشيخ المعظّم المرحوم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري ومعه ثلة من المؤمنين . نعم ذلك اليوم قدم بعض المحتالين شيئاً لكن من جيوب الآخرين حتى يكتب ذلك في الصحف .

سخافات أخرى وجزافيات :

يقول : « نعم الله أوجد في الإنسان حسّ طلب الحسن فإن اعملها الإنسان في طريق غير مفيد فيستمر عليه مثل ما إذا أعمل الإنسان شهوته الجنسية في طريق غير مشروع فإنه ينصرف عن الطريق المشروع وهذا هو الذي ترونه في إيران من بذل كل هذه الأموال الكثيرة باسم النذر والوقف والوصية . لكن قلّما يوجد بينهم من يقدّم شيئاً يداوي بحق ألم الناس » .

ونحن عندما نقول يجب أن يوجد الإرشاد الديني بالنحو الذي أمر به الدين فلأجل أن لا يُصرف حس طلب الخير في طريق غير مفيد . لكن يجب معرفة ما هو غير المفيد . هل من غير المفيد العمل بآداب الدين فإذا كان النذر والوقف والوصية أموراً غير مفيدة فلماذا أوجب الله في القرآن ورسول الإسلام في الأحاديث المسلّمة من طرق الشيعة والسنّة العمل بها فقال في سورة الحج الآية ٣٠ : ﴿ **ثم ليقضوا نفثهم**

وليوفوا نذورهم ﴾ وقال في مدح من يفي بنذره في سورة الدهر الآية ١٧ : ﴿ **ويوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً** ﴾ وكذلك الحال بالنسبة للوصية والإسلام ألزم العمل بالعهود . وهذا الطريق مع ما فيه من نواقص قد أعطى للبلد والناس الخدمات العظيمة فكل هذه المدارس والكليّات الدينية التي لا تحسبون لها حساباً والتي ذكرنا بعض خدماتها سابقاً ، كلها من هذه النذور والأوقاف والوصايا . ومجالس العزاء التي تعتبرونها غير مفيدة ونعتبرها نحن ناقصة فهي مع نقصانها قدّمت الخدمات الجليلة ففي هذه المجالس المحاضرات المفيدة والأحاديث الأخلاقية التي لها أعظم الأثر في فعل الخيرات والتي على أثرها يتوجه الناس إلى المعنويات والتي بواسطتها يقضى على الكثير من المفاسد الأخلاقية . من اللازم إجراء مقارنة بين هذه المجالس مع كل ما فيها من نواقص والتي تعتبرونها غير مفيدة مع المجالس التي تقام في هذا البلد باسم السينما الأخلاقية حتى يتضح من هو الذي يهذي في كلامه وليعلم ماذا يكره هؤلاء الجهال وماذا يحبون أو على الأقل ليذكر اسمهم في جماعة الثرثارين . لو طبّقت إدارة الإرشاد الإسلامي فسترون هذا النذر وهذه الوصيّة والوقف وهذه المجالس التي أطلقتم عليها اسم « غير المفيدة » كم ستقدم الخدمات للبلد والناس حينئذٍ . لا شك أن نصف إدارة البلد ستنشط بهذه الأشياء لو اهتم المسؤولون في ترتيب هذه الأسس مقدار اهتمامهم في إزالتها . لكن ينال البلد والناس بيد العالم الذي عنده نصف هذه الجدّية منافع لا تتصورونها . لكن ما العمل والكل يفكر في نفسه وهم يعلمون أن هذه الأمور تخالف أغراضهم وشهواتهم ولذا يسعون لإزالتها أو على الأقل لا يساعدونها .

وأما قوله : « فكل هذه المراكز للعزاء ومدارس الطلاب والقبب والمقامات يصرف عليها من الأوقاف لكن لم نسمع عن إنشاء مستشفى أو دار للعجزة أو دار أيتام أو مركز تعليم أو أمثال ذلك » .

فنقول إن الناس ترى أن ذلك من مسؤوليات الدولة وأن الدولة عليها أن تقوم بكل ذلك وأنها تتدخل في مشاريع الناس من هذه الأمور تدخلات في غير محلها فيتراجع الناس عن أمثال ذلك . لكن مع ذلك لو نظرتم بدقة في المحافظات فسترون أن أمثال هذه المؤسسات قد بناها المؤمنون وبنيت باسم الدين وليس لمقطوعي اللجام

أي علاقة بهذه الأعمال بل خيرات هذه الفئة تذهب إلى مجالس السينما والمسرح والرقص التي تتلف وقت ومال وأخلاق الناس وتبدّل فضائلهم إلى رذائل .

طب اليونان :

هذا الكاتب وعلى عادته وبدون مناسبة يقول : « في بلدٍ كانت فيه جامعة مثل جامعة طط« جندي شاپور » الذي كان يحضر درسها في الطب السلاطين فوصل الأمر إلى أن صار أطباؤها يهوداً أو من الذين قرأوا على أنفسهم تحفة الحكيم المؤمني » .

كان أساتذة جامعة « جندي شاپور » من الأطباء الروميين واليونانيين الذين كانوا يعلمون الطب العالي للطلاب الإيرانيين وروجّوا الطب اليوناني في البلد . والآن يجب أن نرى من هم الذين الغوا الطب اليوناني الذي كان أفضل وسيلة لعلاج كل الأمراض والأمزجة وأسهل طريق اقتصادي كما كان يتم بشكل أفضل من الطب الأوروبي اليوم ومن هم الذين قضوا على أساسه في العالم وأتوا بهذه الخيانة الكبرى لإيران . والجميع يعلم أنه في هذا القرن الأخير عندما جاء الطب الأوروبي إلى إيران وظهر منه في قسم الجراحة ما ظهر إذ كان قد خطا خطوات مهمة في هذا المجال وإن لم يصل إلينا الكثير من فوائده ومن غير المعلوم أن يصل ولكن مع ذلك قدّم خدّمات ما للناس . حينها انهزم الإيرانيون وخصوصاً المسؤولون دفعة واحدة واستسلموا لأوروبا في كل الأمور وواجهوا الطب اليوناني بكل قواهم وضيّقوا وشدّدوا على البقية الباقية من أطباء اليونان الموجودين هنا وهناك لأنهم لم يبرزوا معلوماتهم للآخرين ودفنوها معهم وفضلّت الدولة حفنة من الشباب عديمي التجربة مع تحصيلات علمية ناقصة جداً وبمجرد الديبلوم لكن مع وسائط وتلاعبات وأمثال ذلك من الأمور التي تعرفونها أفضل منا ، فضلّتهم على تلك البقية من الطب اليوناني وقضت على أساس ذلك الطب في العالم واليوم حيث وقف كبار أطبّاء البلد على خطئهم وثبت لديهم أن علاج الفساد الذي يطرأ على المزاج من قبيل التيفوس والتيفوئيد وأمثالها لا سبيل له إلا بالعمل وفق القوانين اليونانية والعلاج الأوروبي لا يمكنه أن يقدم ما يلائم هذه الأمراض وليس إلا الحسرة والندامة ، واليوم من غير المعلوم أن نجد في جميع أنحاء إيران ـ التي حسب قولكم فيها جامعة « جندي شاپور » ـ من يفهم قانون أبي علي وهذه ضربة وجهّها للبلد الأجانب عبر مسؤولينا الجهّال . قال أحد أطباء اليوم إنه

ثبت لنا ولكبار أطباء البلد أن لا فائدة من طب أوروبا إلا بالجراحة أما الأدوية الأوروبية فلا تداوي بل هي مسكّنات والمريض يترك لحاله اما أن ينجو أو يموت . قلنا لماذا لا يقول الأطباء هذا الكلام للناس قال لا يستطيع أحد قول ذلك ، وقد صدق في ذلك . وجميع أمور البلد اليوم هي على وتيرة واحدة ولن يصلح الوضع إذا لم يوجد في كتابنا من يملك الشجاعة الأدبية . تقوم القيامة اليوم إذا انتقد أحد الطب الأوروبي أو الحياة الأوروبية ويسقط من أعين الشباب الطلاب لكن قد يخطر على بال أحدٍ منهم أن يقارن ويكشف الاخطاء وقد يظهر في الأزمنة اللاحقة من يؤيد هذا المسلك وتخطى خطوات في سبيل سعادة الأجيال الآتية . فيا أيها الكتّاب عودوا إلى أنفسكم قليلاً ولا تخافوا من الجهّال وقولوا كلمتكم ولا تعميكم الحياة الأوروبية عن الحقائق فالجميع سمع أنه أيام رضا خان مرض ولده ، الذي هو ملك الآن ، بالتيفوئيد وعندما يئس جميع الأطباء من علاجه عالجه الطبيب الطالقاني على طريقة الطب القديم فكان اللازم أن يخطر على باب رضا خان والمسؤولين من هذا الامتحان أن يحسبوا حساباً لطب بلدهم لكن هؤلاء انتهى أمرهم وفقدوا الموازين إلى حدّ أنهم غير مستعدين للإقرار بفضيلة جزئية لهم ويجهدون بكل أحاسيسهم ووعيهم أن لا يقولوا ما يخالف أوروبا والجميع يعلم أن الأوروبيين ليس عندهم تخصص في جبر الكسر فهم بدل أن يجبروه كثيراً ما يقطعون العضو وكان في إيران اخصائيون إذا جبّروا عضواً يعود إلى حالته الأولى والآن يوجد أشخاص هم في هذا الفن أفضل من أطباء الدرجة الأولى لكن هؤلاء ينقرضون والدولة لا تسأل وهذه خسارة كبرى .

أقوال مختلة وكتابات مضطربة :

لما لم يكن لهذا الكاتب هدف صحيح تصدر منه كلمات مختلفة ويقول : « من حسنات رضا خان أنه سنّ قانون بيع الأوقاف لصرفها في الصحة والثقافة » . وكان قد ذكر قبل عدة صفحات أن الطريق الوحيد الذي يخطر على البال . . . » فهو تارة يحدد مصرف الوقف للعلماء ويراه غير مخالف لأي قانون أو عقيدة وتارة أخرى يعتبر أن من حسنات رضا خان بيع الأوقاف وصرفها في الثقافة والصحة وقد أثبتنا أنه بناء على أصل الملكية المبني على العقل والدين لا يحق لأحد التصرف في خلاف ما يريده المالك . ومن أسوأ ما قام به رضا خان أن ملكاً قد تعب الشخص في تحصيله وجعل مصرفه الأعمال الدينية أو الدنيوية فيأتي شخص آخر وبلا مبرر ليصرفه في مورد آخر

يخالف مراد المالك أو يبيعه ومع غض النظر عن حال الثقافة في بلدنـا هذه الأيـام وعما يصرف فيها من مصارف والنتائج المعكوسة التي تترتب عليها ومـع غض النظر عن أن مركز الثقافة هو مركز لفساد الأخلاق ومركز المصائب وعن أن إدارة الصحـة لا تداوي ألم المحتاجين وكل سعي فهو من جهة الشكل من قبيـل الأبنية والحـدائق الفخمة لكن المرضى المساكين البائسين يموتون في أطراف المساجد والأزقـة بسبب عدم تلقي العـلاج وعدم تمريضهم وليس من يسـأل عنهم مع مـا يصرف من مصارف عـلى وزارة الصحة كل سنة في مـوارد لا حاجـة إليها والتي تبلغ مئـات الآلاف وكل الصحفيـين والكتّاب يعرفون ذلك ولا يقولـون شيئاً لأن أكـثرهم أيضاً معقّـد من ذلك وأن ظهـر فيهم أحد فلا يملك الشجاعة الكافية ويخاف من تهويل هـذه الحفنة التـافهة . ومن الأشيـاء التي تحتاج إلى إصلاح هي هذه الصحف والمجلات المؤسف وضعها . وبعضهم في الحقيقة يتحدث بطريقة تنشر الفساد الأخلاقي والفحشاء لأن هذه الأوراق المخزية هي أفضل طريق في هذه الأيام لنشر اللاعفـة ولفك اللجـام . هؤلاء الحيوانـات أتباع الشهـوات الـذين يريـدون باسم تـرقي البلد أن يعيش ويحيا ويـرقص الشبـاب مـع البنـات إنما يريدون بهذا السفور القضاء على عفة واستقامة شبابنا هذا العضو الحساس في المجتمع وأن لا يتراجعوا عن خيـانات رضـا خان الكـبرى لهذا البلد غـافلين عن أنه بـإذن الله سيتلقون عن قريب من المؤمنين ضربة حـديديـة تخلخل أدمغتهم وتهـدم أساس طلب الشهـوة على رؤوسهم . وبشكـل عـام عـلى الشعب اليـوم أن لا يعتـبر الصحف التي عملت زمان الديكتاتور والتي كانت من مساعديه الكبار أكثر من شتات أوراق ممزقة . هذه الأوراق المخزية كان ينشر فيهـا ما يقـوله رضـا خان من أفكـار غبية وضرر هـذه الصحف أكثر بمئة مـرة من الأحمدي والمختـاري على النـاس والبلد . وإن كان أولئـك يزهقون روح مسكين في حبس ضيّق أو يضربونه إبرة ماء حار لكن هؤلاء يقضون على شرف الشعب ويلقحونه اللاعفة والخيانة . ورؤوس أقلامهم أسمّ بمئات المرات وأشد سـوءً من أبـر الأحمـديـين . والـذي يـوقـع الإنسـان في اليـأس من الشعب ويفهم أن إحسـاسات الشعب خـلال العشرين سنـة قـد اختفت أن الصحف المـوجـودة في كـل منزل ، وهي أكبر معين للديكتاتـورية ونـراهم يشتركـون فيها ويشـترونها . فلو لم يمت إحساس هؤلاء بحب الوطن والشرف لكان اللازم أن يحرقوا هـذه الصحف والمجلات في ساحات المحافظات ليفهم الكتّاب حدودهم إلى الأبد لكن الحسرة أنهم سلبونـا كل

من هم أولو الأمر :

يكتب الكاتب هنا نتيجة كلامه بقوله : « والنتيجة أنه لا بد للمسلم من مدير . وهذا العمل ليس من حق فرد بخصوصه أو فئة بخصوصها بل الحكومة وحدها تدير الناس فالشخص الذي يمكن أن يكون حاكماً هو الذي يتمكن من تحمل هذه المسؤولية بشكل أفضل فإذا استطاع القيام بوظيفته فهو من أولي الأمر واجب الطاعة وإلا يعزل ويوضع مكانه الشخص اللائق كما حصل في صدر الإسلام فإن أولئك الذين قدّموا الطاعة المطلقة للخليفة قتلوا عثمان » .

بيّنا في مقاله الإمامة معنى أولي الأمر ومن هم بحكم العقل فليراجع القراء البحث هناك لتظهر لهم مذلة هؤلاء . وهنا نقول : قلت إن ولي الأمر هو الذي يعمل بوظيفته فيكون واجب الطاعة . هذا الوجوب أما انه مستند إلى الآية الكريمة ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ أو إلى حكم العقل . فإن كان المقصود أن الله أوجب إطاعة أمثال رضا خان ومصطفى كمال وسائر السلاطين فإذا نفعل إذا قالوا ما يخالف قول الله والرسول هل يجب إطاعتهم أم إطاعة الله والرسول . والحال أن التخلف عن إطاعة أي منهم يكون مخالفاً لحكم الله (بناء على تفسيركم) فقولوا إذن لمن يريد العمل بهذه الآية ماذا يفعل فإذا قلتم إن ما يخالف قوله قول الله ليس من أولي الأمر فلازم ذلك أن تعترفوا أن كل السلاطين والخلفاء الذين خالفوا قول الله غير لائقين بمنصب ولاية الأمر بحكم العقل والذي يستطيع أن يكون من أولي الأمر هم الذين لم يخالفوا الله في فترة خلافتهم كلها ولم يخالفوا الرسول بأي حكم من الأحكام . فولي الأمر هو من أخذ الرسول بإبطه ودل عليه بحضور سبعين ألفاً وولي الأمر الغائب المستور هو الذي حدّد التكليف في زمن الغيبة وقد بيّنا ذلك في الجواب عن السؤال الخامس فليراجع هناك . وإن كان المقصود أن إطاعة السلطان واجبة بحكم العقل فقد ذكرنا جوابه أيضاً في السؤال الخامس فلا حاجة إلى التكرار . نعم هنا كلام آخر وهو أن هؤلاء المقطوع لجامهم يعتبرون القيام بالوظيفة المطلوبة من ولي الأمر أن يبيع الأوقاف وينشر كل هذه المصائب واللاعفة . كما ذكر

القائل بنفسه حيث اعتبر من أفضل أعمال رضا خان أنه باع الأوقاف . فأمثال هؤلاء السلاطين جيدون لأمثال هذا الكاتب والجميع على شاكلة واحدة .

كلام فارغ حول الزكاة :

فسر الكاتب آية الزكاة كما يحلو له فقال : « كان الناس في السابق أكثر ما يملكون التمر والإبل فجعلت الضرائب منها واليوم يجب أن تؤخذ الزكاة من المصانع والمعامل . والقرآن مع أنه أمر بالزكاة في مواضع عديدة لكنه لم يحدّد متعلقها » .

وقع هذه المساكين في عدة أخطاء واضحة في سطرين . منها أنه تخيّل أن الإسلام لم يضع ضريبة على المصانع مع أن ضريبة الخمس تشملها والحال أن الزكاة لا تتجاوز العشر فالإسلام وضع ضريبة على كل شيء وجد في العالم ويوجد وسيوجد لكن هؤلاء لا يعرفون أحكام الإسلام .

ومنها أنه نسب إلى الله عملاً لا يصح أن ينسب إلى الأطفال الصغار وهو أن الله أمر بالزكاة لكن لم يذكر من أي شيء تدفع الزكاة والآن نحن نسأل الله أي تشريع هو هذا الذي جعلت له عقوبات صعبة ولم تبيّن حدوده ولم تبيّن ما هي الزكاة ومن أي شيء تدفع وكم يدفع . أنعم بهؤلاء الجهال الذين يصفون الله العادل بمثل ذلك ويقولون عنه أنه يدخل المرء جهنم ويعذبه لأجل شيء غير محدد . من هنا يجب أن يعلم أن شرع الله لا يفسّر بالرأي وقد جعل الله عقاباً لمن يفسر القرآن برأيه . يجب في التفسير الرجوع إلى رسول الإسلام وأولي الأمر الذين أمرنا الله بإطاعتهم فما يصلنا منهم في توضيح الشريعة أخذنا ونطيع وقد جعل رسول الله بأمر الله الزكاة في الأمور التسعة وحدّدها وجعل للمصانع ضرائب أخرى .

يقول الكاتب في نهاية كلامه : « ذلك التاجر الذي لا يدفع ضرائبه وذلك الموظف في الدولة الذي يخالف وذلك العسكري الذي يتهرب كلهم مسؤولون بحكم العقل » .

يجب أن يلاحظ هل الضرائب تصرف في مصالح البلد أم في أشياء أخرى غير مفيدة وهو ما يعرفه الجميع فإن كانت تصرف في مصالح البلد فاللازم على التاجر أن يدفع بصدر مفتوح وإذا اتضح للأمة أن الأمر كذلك فلا أفضل من أن تعطي كل

سنة مقداراً من المال لحفظ أموالها وأرواحها وبلدها . لكن الكلام في أنه مع تفاهات المتلاعبين وخيانات موظفي الدولة على الناس دفع الضرائب . نعم هم مسؤولون عند أولئك الذين يريدون أن يشربوا دم التجار ويملئوا بنوك أمريكا وأوروبا . ثم بعد أن يتنحوا يمضون حياتهم بها . طبعاً لا يجوز للموظف أن يخون والخيانة في الإسلام حرام حتى خيانة من خان لكن في محيط ينظر فيه إلى الأمانة بعين الاستهزاء وتعد فيه الخيانة فخراً فالموظف المسكين الذي يرى نفسه غارقاً بين الخونة يرى أنه مهما كان أميناً فإنه يفقد فطرته والجندي في هذا الوضع المؤسف المعمول به في المراكز العسكرية التي لم تؤسس إلا من أجل الاستفادة منها ولمصالح أخرى ، لا يرى لنفسه إلا الهرب . يجب أن يتبدل كل شيء في البلد حتى يروها قائمة على الإصلاح وإلا فالفاتحة .

مواعظ غبية :

يقول في خاتمة هذه المقالة : « اعلم أيها الجندي أن إراقة نقطة من دم العدو أفضل عند العقل من ملء الحياض من دموع العين . واعلم أيها الحارس أن سهرك الليلي للحفاظ على الناس أفضل من أن تحيي الليالي بقلب مضطرب » .

إن أفضل من دعا إلى التضحية في سبيل استقلال البلد والحفاظ على الناس هما القرآن والإسلام . الإسلام هو الذي أعطى لمن يقتل في سبيل الله في ساح الحروب قيمتهم وقال : ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ . الإسلام لا ينسى شهداءه أبداً وهو يفتخر ويعظّم أسماء الشهداء الذين استشهدوا في طريق الحرية ، ما دامت الدنيا . الإسلام هو الذي يعطي الثواب لقطرة دمع تسقط على شهدائه حتى يخلد اسم الفضيلة والشهامة . الإسلام يبقى دماء الشهداء في الإسلام تفور فيوقظ في الجنود حسّ التضحية .

أنتم أيها الكتاب في خطأ إذ تظنون أنه بهذه الموعظة السخيفة توجدون في الجندي والحارس روح التضحية والأمانة . إن الذي يهيء الجندي للتضحية في الساحات الإيمان . التدين يأتي بمن يعرف المطلوب منه . أنتم إذا دعوتم الجنود إلى تذكر التضحية فهل تزيدون إحساساتهم أم انكم تدعونهم إلى نسيانها ؟ الحارس إذا رأى الله في قلب الليل وذكر الله البصير الحاضر في الليل والنهار هل يتهيأ إلى الحراسة والأمانة بشكل أفضل أما إذا قلّلتم من عظمة الله في عينه واعتبرتم أن ذاكر الله قلبه

مضطرب ؟ من هو الـذي في الميادين الصعبـة وإذا حمي الوطيس وفي المـواقع الحـالكة حيث يرى الجندي روحه في خطر الموت من هو الذي يدعمه ويزيد من قوة قلبـه ويثير فيـه حس الشجاعـة والشهامـة والتضحية والأمـانة إلا الإيمـان بحياة أبـديـة ونعيم لا يموت ؟ ماالذي يحرس قلوب الحارس في ظلمة الليل ولا يدعه يشترك مـع السارق إلا ذكر الله والإيمان بحب البلد .

لو كانت الإرشادات الدينية وتحريك الجنود والحراس للارتباط بالمتدينين والعلماء بدل هذه الأناشيد الفارغة التي تحرّك في الجندي شهوته . ولو كانت بدل هذه الموجات القبيحـة في راديو اليـوم التي تبث الفساد الأخـلاقي كـانت مـوجـات تبث الفضـائـل والمواعظ الدينية لتنشر بين النـاس لم يكن ليصل البلد إلى هـذه الحال ولم يكن الجنـود والحراس بالوضع الذي هم عليه اليوم . الجنود الـذي يتحملون مسؤولية الاستقـلال والحراس الذين يتحملون مسؤولية هدوء البلد وأمنه هم أحوج من غـيرهم إلى العلماء والرياضات الروحية . وللأسف فإن كتابنا غافلون والمسؤولين أشد غفلة .

وفي نهاية هذه المقالة نسأل الله أن يوقظهم وأن يوقظ فيهم حب البلد .

المقالة الخامسة
القانون

السؤال التاسع وجوابه :

هل للبشر حق وضع القانون لأنفسهم أم لا ؟ فإن كان لهم هذا الحق فهل تجب طاعتهم أم لا ؟ ولو كان واجباً فما هو جزاء المتخلف ؟ .

وقد ذكرنا الجواب عن هذا السؤال في السؤال الخامس أيضاً فليراجع وهنا نقول : إن كان المقصود من وضع البشر للقانون أن يضع فرد أو أفراد قانوناً من أنفسهم يوجبون على الناس العمل به بحيث يستحقون في نظر العقل العقاب على التخلف عنه كما هو المدّعى في قوانين بلاد العالم . فهذا مخالف لحكم العقل الواضح ولا أحد يستطيع أن يقول إن تشريع فرد أو أفراد لازم الإطاعة ، يرى العقل التخلف عنه حراماً . اخرجوا أنفسكم من عادات العالم الجاهلية القائمة على الديكتاتورية مهما كان اسمها سواء سمّيت بالمشروطة أو الديمقراطية أو الاشتراكية أو الشيوعية وارجعوا إلى حكم العقل الخالي عن العادات وانظروا حدود صلاحيات الإنسان هل هي إلا فيما يملكه بالطريقة الصحيحة ؟ هل يمكن لهذا الإنسان أن يكون به في نظر العقل حق التدخل في أرواح وأموال الناس وأن يتصرف فيها على خلاف ما يريدون وهل تلزم الدولة نفسها بحكم أفراد وصلوا في رتبة علمهم إلى المرتبة العليا وجلسوا وقالوا شرّعنا من أنفسنا أن يكون النظام في إيران جمهورياً أو أن يدفع أفراد هذا البلد مقداراً معيناً من المال من أجل تأسيس مؤسسة الكهرباء هل تلزم نفسها بهذا الحكم مهما كانت مرتبة علمهم أم أنها تعتبره لاغياً وإذا أرادوا المتابعة ووضع قانون عملي فإنها تعتبرهم مجرمين وتحاكمهم في المحاكم الصالحة فإذا كان للبشر مثل هذا الحق بحكم العقل

فلماذا يعتبر هؤلاء مجرمين ؟ وحاصل الكلام أن البشر ليس لهم مثل هذا الحق وكل من يضع قانوناً فليس إلا حبراً على ورق . والعقل يقضي بأنه لا ينفذ حكم أحد على أحد إلا حكم الله لأن جميع العالم له فالعقل يرى نفوذ حكمه على الجميع . هذا كله مع فرض كون أحكام البشر عقلائية وضعت من أجل مصالح الناس فإنه حتى مع ذلك ليس لأحد الحق في أن يتصرف في أموال ونفوس الآخرين خلافاً لما يريدون وإن كان لإصلاحهم إلا في بعض الموارد النادرة لكن مثل هذا الشيء لا وجود له في ما تسنّه الحكومات البشرية من أحكام ولم تكن أبداً على أساس مصالح الآخرين . ألقوا نظرة على جميع بلاد العالم من أول يوم يدلنا التاريخ على تشكيل حكومة فيه من قبل البشر أنفسهم إلى اليوم حيث تقوم حكومات عظمى بأسماء مختلفة فهل تجدون غير جماعة متسلّطة تفدي أتعاب من هم تحت سلطتهم من أجل منافعهم وشهواتهم لكن بأسماء متعددة يغفلون الناس ويشغلونهم بها فباسم الوطن وحفظ استقلال البلد واحترام قانونه وأمثال هذه الألفاظ يجلبون قلوب الآخرين وهم أنفسهم أبعد الناس عن هذه المعاني وهم أكثر من يخالف القانون . فامتحنوا كل واحد من هؤلاء الذين يهتفون بعظمة البلد وحب الوطن والذين اعتبرتموهم أصلح الناس وأرشدوهم إلى رجل أكثر خدمة للوطن منهم في عمل ما . فإنهم حين يجدون أنفسهم غير قادرين على خدمة الوطن مثله يقيلونه من العمل ويعفونه وحينئذٍ ستدركون لماذا يعلنون عن حب الوطن والبلد . يريدون الوطن وما فيه لأنفسهم ولا يمكنهم أن يضحوا بأنفسهم من أجل الوطن نعم قد تثور فيهم أحياناً غريزة حب الشهرة بالإضافة إلى تشجيع الآخرين لهم فيضحون لكن ذلك في الأشخاص السذّج أما المحتالون الذين وصلوا إلى الزعامة فقلّما يُقدمون على مثل هذه الأعمال . انظروا إلى هذا البلد والقبائح التي يرتكبونها في الوزارات والنيابات وماذا يرتكبون من دسائس وتضييع للقانون فهل هذا كله من أجل خدمة البلد والقانون ؟ كل التشريعات في العالم أبقت الطريق مفتوحاً أمام بعض الحيل ليستفاد منها ويطبقون القانون بحق الآخرين بأسماء مختلفة غايته أن احتيال كل جماعة كلما كانت « نَعمهم » أكثر مخادعة وأكثر زخرفة . فلا فرق جوهري بين المشروطة والمستبدة والديكتاتورية والديمقراطية إلا في الألفاظ المخادعة وحيل المشرّعين . نعم أهل الشهوة والمنافع يفترقون . فالشيوعي هو الديكتاتوري باسم مختلف وإلا فإن من يحكم الكادحين والعمال وغيرهم يشرب دماءهم ويحيى في القصور

العظيمة والسيارات الجديدة فهل يجوز القول إن البشر ـ وهذا هو حالهم ـ لهم حق التشريع وإطاعتهم واجبة . من هنا يجب أن نعي أن المشرع يجب أن يكون بعيداً عن المنفعة والشهوة وهوى النفس والظلم ولا يحتمل في حقه مثل هذه الأشياء وليس إلا الله العادل فالمشرع لا يجوز أن يكون غير الله . وحيث حكم العقل بأن التشريع من الله وليس لأحد أن يتصدى لهذا الأمر وليس له حق ذلك يجب الحكم بأن الله قد شرّع وإلا فإن لازم ذلك (والعياذ بالله) أن يكون الله العادل غير مهتم بما هو المطلوب منه وخائناً وأي خيانة أعظم من أن يترك الناس لأنفسهم ولا يشرع لهم قانوناً عقلائياً ويجيز لهم بالسكوت التمرد والتوحش والظلم فإذا كنا نعتقد أن الله عادل وجب تنزيهه عن الظلم والجهل ومن هنا يقول العلماء من أهل الدين أن الدين وهو القانون الإلهي قد جاء لإدارة بلاد العالم وتحريك الحياة ومن يعمل به ينال سعادة الدارين .

نظرة في الكتيب المهترىء :

يقول : « يقول الدين اليوم إن القانون الوحيد الذي تجب إطاعته هو ما يصل من الشرع ما سواه من القوانين كلها خارجة بل بدعة وأنتم إذا وقفتم قليلاً هنا ستدركون إحدى المنابع الرئيسية لتعاسة هذا البلد » .

وقد أثبتنا في جواب السؤال الخامس والتاسع أنه بحكم العقل لا يمكن أن يكون هناك قانوناً آخر رسمي إلا القانون الإلهي وأتينا في جواب السؤال الخامس بآيات تدل على هذا . ثم إن الكاتب عندما يقول : « يقول الدين اليوم . . . » ولا يشير أنه دين الإسلام فذلك لجهله بالقرآن والإسلام أو لغرض آخر . وإلا فإن الأمر أوضح من أن يخفى أن دين الإسلام أبطل كل التشريعات في العالم الآتية من أدمغة حفنة من الجهال المريضة بالسفلس . والإسلام لا يعترف بأي تشريع في العالم والله أنزل تشريع الإسلام إلى الأبد لجميع البشر وسنذكر الأدلة لإثبات ذلك من العقل والقرآن حسب الحاجة في الجواب عن السؤال العاشر . وأما قوله « ستدركون احدى المنابع . . . » فهذا من كمال جهله . ولماذا يكون العمل بالتشريع الإلهي المبني على العدل والاستقامة موجباً لتعاسة البلد لكن العمل بالقانون المتعفن في هذا البلد الآتي من الأجانب ذوات الأدمغة المسمومة الذين يريدون أن يقدّموا مصالح بلدكم ومنابع

ثروته فداء لبلدهم . هذا العمل يوجب سعادة البلد . كيف ؟ . العمل بكلام الله ورسوله منبع تعاسة لكن العمل بقول عدد من النواب المنتفعين من كرسي النيابة انتفاعات غير مشروعة منبع للسعادة . ثم إن الدولة لا تعمل بقانون الإسلام بل تعمل بالقانون الذي تمخض من تلك الأدمغة فأين هو حسن الحظ الذي وصل إليه البلد حتى الآن . نعم قد كان للبلد نصيب من حسن الحظ بقبعة الطربوش والسفور الذي يقضي على الشرف والشوارع العريضة الطويلة وفقدنا منابع الثروة وفضائل الأخلاق . أنتم من هذه السعادة الموهومة تأخذون سعادتكم وتفهمون أن كتّاب اليوم بيد من يلقحون هذه الأمور للناس . وما هو مقصودهم من أن العمل بالدين وشرع الله يوجب تعاسة البلد وفي العمل بقوانين الأجانب السعادة . أفٍ من هذا الإنسان الجاهل وأفٍ من هذا النوم الثقيل .

تفاهات وتنقيب عن الفتن :

يقول الكاتب مع كل هذا الجهل الذي عنده عن الإسلام والذي اطلعتم على نماذجه في الكتيب القبيح وعرفتم مستوى عقله وإدراكه ومعلوماته . يقول في عمىً : « من المسلّم أن قوانين الشرع مهما كانت جامعة وكاملة فمن المحال أن يتمكن من تأمين جميع احتياجات البشر في كل مكان وزمان مثل اليوم حيث نحتاج إلى قوانين كثيرة مثل قانون سند الملك ونحوه والبنك ومضي الزمان ومذهب المحاكم والمحاسبة والميزانية والجمرك والمئات من أمثالها التي لم تصل من الشرع .

عفارم على هذه المعلومات الغزيرة والعقل الكامل . ومقصودكم من قولكم أن قانون الشرع مهما كان فهو لا يفي بجميع احتياجات البشر إن الله لا يمكن أن يطلع على أحوال الناس لكثرة البلاد وكثرة أفرادها وتطاول الأزمنة وبالتالي لا يتمكن من وضع قانون جامع بين جميع الاحتياجات فيا أهلاً بهذا التوصيف لله . نحن نؤمن بأن الله يدير هذا العالم الواسع الذي يحوي ملايين المنظومات الشمسية لا يغفل عن كل ذرة من ذرات العالم الواسع مما لا يحيط به العقل البشري ولن يدرك مهما توصل إليه القطرة من هذا البحر الذي لا ينتهي وكل الحاجات لكل موجود هي عنده ظاهرة قادر على رفعها . وذلك الإله الذي لا يعرف حاجات البشر ولا يتمكن من وضع قانون يفي بها وهم في هذه المنظومة الشمسية لا يساوون شيئاً مع أن منظومتنا الشمسية هي

أيضاً بكل ما فيها أصغر من الذرة إذا قيست إلى الفضاء الواسع . إن هذا الإله لا نعترف به إلهاً بل لا نعتبره أفضل من إنسان كامل . أنتم تعتقدون أن الإله صغير لا قيمة له فتعترضون على قوانينه وتظنون أنه لا علم له بقانون سند الملكية والجمرك ولم يصل علمه أن يضع قانون الجمرك .

والآن يجب أن ندرس هذه القوانين التي عدّها لنرى هل جعل الله لها قانوناً أم لا ؟

نظرة عامة إلى قوانين البلد :

والقوانين التي ذكرها الكاتب وذكر احتياج البلد إليها وإنه لا أثر لها في الشرع هي على نحوين :

أحدهما : تلك التي تخالف الشرع مثل الضرائب على الفواحش وصالونات السكر وأمثال ذلك . وأمثال هذه القوانين مضرة ومخالفة لمصالح البلد . ولو درست كل واحدة منها بالتفصيل فسيفهم الأضرار التي تلحق البلاد الإسلامية من جرّاء هذه القوانين المتعفنة . ومن هذا القبيل قانون القضاء والحكم (الموجودين في البلد) والمعاملات غير المشروعة وقانون الزواج وأمثالها . وتستطيعون أن تتخذوا قانون الزواج مقياساً على حال سائر القوانين . فهم يحرّمون على الشاب ثلاث سنين من الزواج وهو في موقع ظهور الشهوة وعلى خلاف السنة الطبيعة التي هي من السنن الإلهية في تعيين البلوغ وهذا لا يوجب غير إشاعة الفحشاء وفساد الأخلاق . إن البلوغ الشرعي مطابق للبلوغ الطبيعي وهو في عمر لا يقبل التغيير والحكم على خلافه يشيع الفحشاء واللاعفة ويساعد على ظهور الأمراض التناسلية المختلفة التي تقضي على الشباب الطاهر . وهذا الاختلاط بين الشباب اليافع وقد برزت فيه الشهوة مع الشابات من أهل الشهوة مع هذا الوضع المفجع التي تكون عليه من الرأس والقدمين والصدر العاري مع الزينة المختلفة وهذه الموسيقى المطربة المحركة للشهوة من الراديو وسائر آلات الطرب فهي تربيات مسمومة أتينا بها من أساتذة اللاعفة . وتلك الاهتمامات من الدولة والمسؤولين لتحريك الفساد مع منع الشباب من الزواج المشروع ماذا يترتب عليها من مفاسد ؟ ألا من نظرة صلاحٍ وإصلاحٍ لهذا البلد والشعب الذي لم يفهم ؟ ألا من أملٍ لايجاد روح العفة والشهامة والشجاعة في شباب هذا البلد الخيالي الباطل ؟ .

النحو الآخر من القوانين المحتاج إليها في هذا الزمان تلك التي لا تنافي الشرع ولها الدخل في نظم البلد وتقدّمه . ومثل هذه القوانين يمكن للدولة الإسلامية أن تشخصّها من خلال أهل الخبرة بالدين الذين ينظرون فيما وافق الشرع ويشرعون ما وافقه . مثلاً إذا كانت هناك حاجة من أجل حفظ البلد أو محافظاته لوضع قوانين لا تخالف قانون الإسلام وشخّص أهل الخبرة ذلك فلا مانع من وضعها وتنفيذها كما ورد في الآية ٦٢ من سورة الأنفال التي ذكرناها في باب العسكر الإسلامي وهي تقول عليكم مقاومة العدو بكل ما تستطيعون بحسب ما تقتضيه الظروف . وبهذا البيان يسدّ الدرب أمام الكلام الفارغ لهذا الكاتب . لأن قانون الإسناد والبنك وأمثالهما إن كانت مخالفة لشرع الإسلام فهو ليس قانوناً وإن لم تكن مخالفة وكانت دخيلة في تنظيم أو تقدّم البلد فالدولة يمكنها تطبيق ذلك حسب ما تقتضيه المصلحة في البلد وإن لم يكن لهذا القانون اسم في الإسلام . مثلاً في صدر الإسلام كان البلد الإسلامي صغيراً فلم تكن حاجة إلى البنوك والسندات والإحصاء وأمثال ذلك . وكان عتاد الجيش في ذلك الزمان غير العتاد في هذا الزمان ولم تكن هناك وزارة بريد وتلغراف (أو لم تكن بهذه المظاهر لكن الإسلام لم يمنع من تشكيل ذلك أصلاً) فعلى أهل الخبرة في الدين أن يوافقوا عليها وهكذا الأمر في عتاد الجيش هذه الأيام بالنحو الذي يوافق صلاح البلد فيجب الاعداد ، ولم يكن الإسلام أبداً مخالفاً مع مثل هذا التقدّم ولم يخالف أي تطور سياسي واجتماعي . وجهالاتكم ليست إلا إثارة للفساد والفتن .

قانون الإسناد في الإسلام :

وقانون الإسناد ـ بالنحو الذي يطبق الآن في بلد لا يملك تشريعاً صحيحاً في المحاكم والمبتلى بالمظالم باسم محكمة معروفة ـ هو من أكبر المصائب لأن الناس في حاجة إلى أن لا تبتلى بالمحاكم بأي وسيلة(١) . أما قانون القضاء في الإسلام الذي سنشير إليه فيما بعد فهو بالنحو الذي وضع يغني عن الحاجة إلى قانون الإسناد مطلقاً . ومع ذلك فقد شرّع في الإسلام قانون لأجل الإثبات في المورد الذي يحتاج إليه كما ورد في الآية ٢٨٢ من سورة البقرة . وهي من أطول آيات القرآن . وهؤلاء

---

(١) أي فتقوم بالتسجيلات وضبط الأملاك وغيرها في أسانيد حتى لا تقع في بلاء المحاكم . المترجم .

الجهال الباحثون عن الفتن لم يحسبوا حسابها فماذا نسمّي هذه الخيانة والتحايل . أما قانون البنك فهو من فروع المعاملات التي وضع لها الإسلام آلاف التشريعات وهؤلاء الباحثون عن الفتن من جهلهم وقفوا يجادلون بلا مبرر . والمعاملات في الإسلام مثل قوانينه الأخرى روعي فيها مصالح البلد والناس بالشكل الكافي حتى إنه أبطل المعاملات الشخصية المخالفة لصلاح الناس والبلد فمنع من المعاملة على المسكرات ومعاملات القمار وآلات اللهو ومنع من صناعتها واستعمالها ومن صرف الأموال في المسرح ومجالس الرقص والسينما وأمثال ذلك التي يشكل كل واحد منها أساساً من أسس الفساد الأخلاقي ومنع من جميع المفاسد . ففي الإسلام رعاية كافية للجوانب الاجتماعية والأخلاقية . فماذا نفعل مع حفنة من المهذارين الذي يبيحون كل تهمة بألفاظ لا معنى لها ولا يتراجعون عن أية مذلة يريدون العداء لله وشرعه ؟ أليست هذه خيانة للفكر ؟ ألا يتلاعب هؤلاء بمصالح البلد والناس ؟ .

قانون المحاكم في الإسلام :

العجب أن هؤلاء السفلة نهضوا بما عندهم من مستوى من المعلومات ، لمحاربة القرآن والإسلام وللاعتراض على شرع الله . نحن لا ندري هل هو حقاً أن مستوى معلوماتهم هو بهذا المقدار ؟ أم أنهم يتجاهلون وعن عداوة يفترون على الدين هذه الافتراءات الواضحة ؟ فيقول لا يوجد في الشرع قانون محاكم . إن القضاء في الإسلام من أعظم القوانين وفيه الآلاف من الموادّ العقلائية ومن له أدنى اطلاع على قانون المحاكم في الإسلام والشرائط التي اعتبرها في القاضي والشاهد يتضح له ما هو أساس هذا القانون كما أن من عنده اطلاع على كيفية المحاكمة وسهولة فصل الخصومة وقربها في نفس الوقت إلى الواقع والحقيقة يظهر له الفرق بين قانون الله وقانون البشر وسنشير هنا إلى بعض بنود قانون القضاء في الإسلام لتظهر درجة علم هذا الكاتب .

شرائط القاضي في الإسلام :

أعطي في الإسلام أهمية كبرى لنحو القضاء وحملها الثقيل وعظم مقام القاضي بحيث قلّ الاهتمام بمثله إلى هذا الحدّ حتى أن[1] أمير المؤمنين (ع) قال لشريح

---

(١) راجع الوسائل كتاب القضاء .

القاضي : « قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي » وقال الإمام الصادق (ع) : اتقوا الحكومة فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل بين المسلمين » . وفي رواية أن القاضي على شفير جهنم : فالقاضي تحدّد مع هذه الصعوبات . وللقاضي في الإسلام شروط ان لم تراع هذه الشرائط وغيرها في قانون المحاكم لبطل أصغر حق في وقت تتم فيه المحاكمة بأسرع وقت . ونذكر هنا بعض شرائط القاضي في الإسلام وليقارن القراء بينها وبين قانون اليوم وقضاة اليوم وحينئذٍ سيحكمون بأنفسهم :

١ ـ كمال العقل والبلوغ فما لم يكن الشخص بالغاً أو عقله كاملاً لا يمكن أن يكون قاضياً .

٢ ـ الإيمان أي الاعتقاد بأصول الدين والمذهب .

٣ ـ طهارة المولد أي وُلد من حلال .

٤ ـ أن يكون رجلاً فلا حق للمرأة في القضاء .

٥ ـ أن يكون عادلاً أي ذا قوة يحترز بها عن التخلف عن شرع الله . فالعاصي لا حق له بالقضاء .

٦ ـ أن يكون عالماً بأحكام القضاء وشرع الإسلام عن اجتهاد .

٧ ـ أن يكون ضابطاً حافظاً فإذا قل ضبطه لا حق له بالقضاء .

ثم إن الشرائط والآداب الواجبة والمستحبة والمكروهة كثيرة أيضاً لم نذكرها . فانظروا أنتم في شرط كمال العقل والعدالة وقارنوهما مع حال قضاة اليوم إذ نجد أن الكثير منهم من الشباب الذين لا يحترزون حتى عن شرب المسكرات التي تخلخل القوى الدماغية بقول الله والأطباء ، والشباب الذين يأتون من مجالس السينما والمسرح والقمار وسائر ما تعرفونه أفضل منا إلى طاولة القضاء فماذا يتوقع من هؤلاء أتريدون منهم ـ ومصاريفهم الضخمة التي لا تفي بها ما تعطيهم الدولة من معاش وهم لا إيمان لهم ولا تقوى ـ أن يحفظوا حقوق الناس وأن لا يضيّعوا الحقوق وأن يحترزوا عن الرشوة . إن كل من احتمل ذلك في حق هؤلاء القضاة الشباب بعيد عن حكم العقل . وكل من له أدنى علاقة مع محاكم هذا البلد يفهم المطلب جيداً ولا يحتاج إلى توضيح . وقد : يقال هنا إنه في الزمان السابق كان القضاء بيد المشايخ ولم تراع الكثير من هذه الشروط فكانت الرشوة وكانت الأحكام في غير محلها . نقول :

صحيح أنه لم يعمل بالإسلام في ذلك الوقت لكن هذا ليس ذنب الإسلام فلو كان هناك دولة إسلامية لمنعت هؤلاء المتجرئين ولكن لم يدعوا دولة الحق تتشكل حتى تطبق قوانينها ويمنع من تضييع الحقوق .

وفي الإسلام أيضاً شروط في الاحتجاج إن لم تراع يضيع حق الناس كما أنه روعيت أمور في نحو المحاكمة حتى لا يتلف وقت المتحاكمين بهذا المقدار الذي نراه في المحاكمات الحالية . التي يمكن أن تتحدد عشر مرات وأن تطول المحاكمة عشراً أو عشرين سنة وأحياناً يرث القضية الأولاد وحينئذٍ ما هو الوقت الذي أتلف والأموال التي بذلت بنحو غير مشروع وما هي الاضطرابات التي تحصل للمتحاكمين والتي نعرف كلنا شيئاً عنها .

فالمطلوب في المحاكمة أولاً أن يتم العمل بأسرع ما يمكن ويعود الطرفان إلى أعمالهما . ثانياً أن لا يصل إلى الطرفين أضرار غير مشروعة . ثالثاً : أن تكون المحاكمة بحيث يصل الحق إلى صاحبه قدر المستطاع . والإسلام راعى هذه الأمور الثلاثة ، بحيث لو أجريت المحاكمة مع مراعاة شرايط القاضي والشاهد والمحاكمة فإن هذه الأمور الثلاثة تتحقق أو على الأقل يتحقق واحد أو اثنين منها . لكن في قانون المحاكم الحالي تقع على عاتق الطرفين مشاكل يحتاج حلّها إلى عمر كامل وهنا يمكن لمحامي قدير أن يسحق حق الناس الواضح أو على الأقل يمنع من وصول الحق إلى صاحبه إلى آخر العمر . لكن في الإسلام لا يتمكن المحامي مهما كان قديراً من ذلك إلا ما ندر لأن الميزان في فصل الخصومة مرتبط بتشخيص القاضي . وحذاقة المحامي ومعرفته بالقانون قلّما تكون دخيلة في ذلك . فيمكن في الإسلام أن ينهي القاضي في يوم واحد عشرين محاكمة .

أما قانون « مرور الزمان » فهو من أقبح الظلم يجب الغاؤه بأسرع وقت إذ ما هي دخالة مضي الزمان في إبطال حقوق الناس . هذه تقاليد عمياء لا تنسجم مع أي عدل وعقل . والمسؤولون والكتاب يعرفون أضرار المحاكم لكن ليس فيهم من يفكر في إصلاحها حتى ترفع هذه الاحجافات في البلد ولا تهدر نصف الأوقات وأموال الناس . وقد ذكرنا فيما سبق قانون الميزانية في الإسلام وقانون المحاسبة من تتمته وهو من الفروع التي تحتاجها الميزانية فيجب تنفيذه والميزانية الإسلامية كما رأينا هي أحوج

من غيرها من الميزانيات إلى محاسبة لأن صندوق الميزانية مختلف فمن مصاريفها تأمين الفقراء الأمر الذي يحتاج إلى حساب دقيق وقد أثبتنا أن قانون الجمرك مضر بالبلد والتجارة إلا إذا أريد أخذها من الأجانب فإن الدولة الإسلامية تتمكن من خلال اتفاقٍ من أخذ ما تشاء حسب ما تراه صلاحاً .

يجب أن يتأصل القانون في القلوب :

يقول الكاتب : القانون حي وثابت ما دام حياً في القلوب وإلا فإنه يصير كشجرة من ورق ظاهرها شجرة لكنها تسقط بنفخة » .

صحيح أن ثبات القانون مرتبط بتأصله في قلوب الناس لكن يجب أن يعرف علة عدم إيمان أهل هذا البلد بالقانون . ولماذا يعتبرون أن التخلف من هذا القانون من المفاخر وما هو المقصود من هذا التخلف . كل قانون حتى يكون محترماً في نظر الناس ويؤمن به الناس يجب أن تتوفر فيه الأمور التالية :

١ ـ أن يكون المشرّع صالحاً عند الناس ولا يلحظ في تشريعه إلا مصلحة البلد والناس ويجتنب الشهوة وطلب المنفعة وإذا رأوا أن المشرعين من أهل الشهوة وحب الرئاسة وأنهم من أجل الوصول إلى كرسي النيابة أو الوزارة لا يتحرزون عن أية جناية فلا بد أن لا يؤمن الناس بالقانون ولا يصح أن يتوقع منهم ذلك .

٢ ـ أن يكون القانون في ذاته معقولاً روعيت فيه مصلحة البلد والناس فمثل قانون التجنيد الاجباري والمحاكم والجمرك وأكثر قوانين بلدنا لا تقبل الإيمان بها .

٣ ـ أن لا يتخلف المشرّع عن القانون وأن يكون في عمله بالقانون مرشداً . إذن يجب أن لا نعتبر أياً من قوانين البلد قابلاً لذلك بحيث يكون له أثر في القلوب لأن الجميع يعلم أن المشرع هو أكثر من يتخلف عن القانون وهذا لا يحتاج إلى شرح .

٤ ـ أن يعلم الناس أنهم بالعمل بالقانون وما يعطونه للدولة من أتعابهم سيصرفه المسؤولون في نفع البلد لا إلى جيوبهم ولم يظهر أن المسؤولين وأعضاء الدولة هم على هذه الحال .

هنا يجب أن يتحمل مسؤولية عدم العمل بالقانون وعدم الإيمان به المقنّنون

أنفسهم والمسؤولون ولا يصح أن يتوقع أبداً أن يقدم الناس عن إيمان وعقيدة حاصل أتعابهم بالمجانّ لصرفها في الأعمال التافهة وليملأ الخونة جيوبهم من دون أي مبرر . وهذا هو ما نقوله من أن المشرع يجب أن يكون الله وعلى موظفي الدولة أن تتوفر فيهم الشرائط التي عيّنها الإسلام وبهذه المقررات يمكن أن يتأصل القانون في قلوب الناس ويؤمنوا به .

ما هي علة الخراب ؟

هذا الكاتب يكثر من التكرار بلا داعي لأنه لا يوجد عنده ما يقوله فكان لا بد أن يكتب عدة أوراق بعبارات مختلفة حتى يسمى كتاباً ، هنا أيضاً يكرر ويقول : « لماذا يرمي جنود الآخرين بأنفسهم تحت الدبابات والمدافع لكن نجلس نحن خلف المكاتب وقرب المدافىء أو المراوح غير مستعدين للقيام بوظيفتنا . لماذا في البلاد الأخرى يصل الطعام دوماً إلى الجبهة العريضة لكن ما تضع عليه دولتنا يدها يكون مثل جعبة غلام حسين التي يسقط كل شيء منها من تحتها . ولماذا تتطوع الملايين من النساء في البلاد الأخرى لكن نحن نأخذ الرشوة للفرار من العمل » . ثم يذكر بعد ذلك أموراً من عنده . يريد أن يجعل مسؤولية ذلك أيضاً على عاتق المؤمنين أو العلماء وإن لم يصرّح بذلك . نحن أيضاً يجب أن نشكر هذا الكاتب إذا اكتفى بهذا المقدار ولم يقل إن علة الحرب العالمية وهجوم الألمان الوحشي على بولندا ووحشية الأوروبيين هي وحشية العلماء . أو ان أساس مجالس الرقص ومحلات بيع المسكرات وأحواض السباحة وكشافة البنات والمئات من أمثال ذلك ناشيء من تعاليم العلماء وإيمان المؤمنين وذهابهم إلى الزيارة .

حقاً . طالعوا بدقة هاتين الصفحتين أو الثلاث وانظروا إلى خزي هذا الكاتب المقطوع لجامه . من الذي يجلس خلف مكتبه ويرى أن القانون قد أفرزه دماغ جهال طلاب شهوة وهم أكثر خرقاً للقانون كيف يقوم حينئذٍ بوظيفته لو فرض أنه غير متجاهل لها . عندما يرى الجندي ابتداء من قادة الفيلق ومن هم أعلى منه وأدنى قد جعلوا نظام الخدمة الاجباري وسيلة لمنافعهم الشخصية ولا يعطونهم ولا تصل حقوقهم إلى أكثر من سبعة ريالات وعشرة شاهيات . ويرون أنه عند الشدة أول من يغيّر لباسه العسكري ويفر باللباس المدني هم قادة الفيالق وأمثالهم كما رأيتم جميعكم .

ومع ذلك تريدون منه أن يرمي بنفسه تحت الدبابة . والشعب الذي يرى أن الأموال تصرفها جماعة سائحة طلاب شهوة ويرى بيت المال هو لتأمين الحدائق والسيارات الشخصية ومع ذلك تتوقعون منهم أن يدفعوا الضرائب بصدر منشرح ووجه مرتاح إلى موظفي الدولة ؟ الناس الذين عرفوا ذلك كله ورأوا كل العيوب لا يمكن أن يخدعوا بعد باسم عظمة البلد واستقلال الوطن وأمثال هذه الألفاظ حتى بدون لماذا وكيف يعطون ما يصل إليهم إلى الآخرين ليضعوها في جيوبهم وليملأوا بنوك أمريكا . عليكم أن تأتوا بفكرة جديدة وحيلة جديدة وان تغفلوا الناس بوسائل أخرى .

الدين والعقل والطبيعة :

يكرر الكاتب على عادته ويقول في ثلاث صفحات ما خلاصته : « يحتاج المرء وهو في الطريق إلى إرشاد ، لكن الله أعطانا العقل والنظر . فنستطيع أن نعرف سبيل الله بثلاثة أمور : :

١ ـ الأقوال المسلّمة للرسل .
٢ ـ العقل الذي تعتبرونه دليلاً لكن في مقام العمل تنسونه .
٣ ـ الطبيعة التي تبين الإرادة الإلهية .

ونحن حيث رأينا لأعضائنا مديراً هو الدماغ الذي يحركها كلها من أجل القيام بالعمل نفهم أن الناس أيضاً بحاجة إلى مدير . ورأينا أن الخارجين عن الطبيعة قالوا شيئاً لم يكن شيئاً في أيديهم نفهم أن المعجزة والكرامة والشفاء وأمثالها كذب كما أن الدين لا يمكن أن يتبدل بالكلام والنتيجة أن الدين والعقل والطبيعة رسل حق ثلاثة وكل ما يقولونه حق » .

لا نرى الحاجة إلى إطالة الكلام لكن نقول : اعتبرتم أن أقوال الرسل المسلّمة أحد الأمور المرشدة وتعتبرون أن القرآن من أقوالهم المسلّمة فلماذا ذكرتم في هذه الصفحات هذا الحد من الأمور المخالفة للقرآن . أو ليس في القرآن ذكر لمعجزات الأنبياء كما بينا ذلك في المقالة الأولى وفضحناكم . نحن أيضاً نقول لا بد للبلد من مدير وقانون لكن من هو المدير وأي قانون ومن هو المشرّع وقد قلنا ما عندنا في هذه الأمور الثلاثة فليراجع ليظهر غبار هؤلاء .

هذيان الرجل الافيوني :

أتى في آخر كلامه بكلام باطل سرقه من زعمائه الأفيونيين . قال : « بعث الله الدين للناس حتى يحلّ المشاكل التي سببّها الجهل لا أن يضيف إليها مشكلة أخرى وأن يزيد القبة حبة أو أن يُحمِّل الأمة أغراض وأهواء ١٣٠٠ سنة . وإذا رأيتم دستوراً باسم الدين لا ينسجم مع العقل والحياة فاعلموا أنه ليس من الدين » .

هؤلاء لا يؤمنون بغير هذه الحياة الحيوانية الدنيوية ولذا يقارنون دستورات الدين مع هذه الحياة فقط ويعتبرون أن انسجام الدين مع الحياة عبارة عن انسجام مع هذه الحياة الدنيوية غافلين عن أن الحياة إن كانت فقط هي هذه الملّوثة بآلاف الكدورات والمصاعب لم يكن الأمر إلا عملاً صبيانياً لا يقدم على إيجاده عاقل فضلاً عن الله الذي قامت أعماله على أساس محكم عقلي . نحن عرفنا الله الذي سيجازي الظلمة الذين هجموا في هذه الدنيا على أرواح الناس وشربوا دماء المساكين وقضوا على الآلاف والأطفال البريئين بديناناتهم وقذائف مدافعهم سيجازيهم في عالم آخر . عرفنا الله الذي سيعوّض عن المظلومين الذين داس عليهم الطاغوت بلا حرج وقضوا حياتهم بالمتاعب والظلم في هذا العالم وأن يتقبلهم بأحسن القبول ويعوّض عن مصاعبهم بالمحبة والعطف . هؤلاء الظلمة الحمقى يعرفون الله العادل بوصفه ظالماً وهذه ليست معرفة الله ؟ وأن كل عاقل ذي شعور يقول هناك عالم كبير غير هذه الحياة الصبيانية خلق الله أبناء الطبيعة من أجل تلك الحياة وأرسل الرسل من أجل الإرشاد والإعداد لذلك العالم . والشرع إنما جاء للتهيئة لتلك الحياة وإن كانت فيه أيضاً قوانين لهذه الدنيا لكن المقصود الأصلي تأمين تلك الحياة الأخرى الخالدة ولذا اعتبر الله في كتابه هذه الحياة لهواً ولعباً وهي كذلك .

فهؤلاء القائلون أن كل قانون لا يتلاءم مع الحياة ليس من قانون الله فإذا كان حديثهم عن القوانين التي شرّعها الله لهذه الحياة فلا قانون في الدين لا يتلاءم مع الحياة بل أن قوانين الإسلام تشكل الأساس للحياة العقلائية وأساس بناء حياة شريفة معينة على الحياة . وإذا كان حديثهم عن القوانين التي تهتم بالعالم الآخر مثل الصلاة والصوم والحج وسائر العبادات التي تشكل وسائل الحياة الأخرى فهذه القوانين يجب أن تتلاءم مع تلك الحياة ولا يعرف ذلك إلا الله الذي شرّع هذه القوانين وعقل البشر

قاصر عن إدراك كيفية تلك الحياة الأخرى بعد هذه الحياة التي فيها تُهيأ العدة لتلك الحياة .

على هؤلاء الذين يدّعون الارتباط بالقرآن أن يقرأوا منه عدة صفحات حتى يفهموا أن الله كيف ينظر إلى هذا العالم وإلى ذلك العالم وعلى أي أساس خلق الإنسان في هذا العالم ليدركوا ما هو حال حياتهم ولا يتعلقوا بهذه الحياة المليئة بالفتن .

وهنا تختم هذه المقالة ونسأل الله توفيق القراء .

المقالة السادسة
الحديث

السؤال العاشر وجوابه :

« من المسلم به كثرة الناسخ والمنسوخ في القرآن والحديث وعلة ذلك التغيير مراعاة مقتضيات الزمان ويمكن في مكان ما وفي ظرف ما أن لا يطرأ تغيير إلا نادراً لكن هل يمكن أن لا يطرأ تغيير إلى الأبد ؟ . ثم إن ما تقولونه أن شرع الإسلام مؤبد إن كان له دليل واضح نرجو بيانه » .

هذا السؤال ينحلّ إلى سؤالين : أولهما : هل هناك دليل على كون شرع الإسلام ثابت في كل زمان ومكان . ثانيهما : إن كان هناك دليل فلماذا وقع النسخ خلال ما يزيد على العشرين سنة ولا نسخ في هذه المدة الطويلة لكن لو فرضنا أننا وجدنا دليلاً من العقل والقرآن على أن الإسلام ثابت إلى الأبد لا يقبل النسخ لكن لم نجد الوجه في عدم نسخها فهذا لا يضر .

إبتداء نذكر الدليل على أن الإسلام مؤبد ولكل الناس وإن كان السؤال قد ذكر في غير ترتيب وأخرّ هذا .

أدلة من كتاب الله :

في القرآن الكريم أدلة على أن القرآن وأحكام الإسلام هي للأبد وكل البشر نذكر بعضها :

١ ـ سورة فصّلت الآية ٤٢ : ﴿ **وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ أي هذا الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل لا في

زمانه ولا في الزمان اللاحق له ولا يبطل قانونه وكيف لا يكون كذلك وقد أنزله الله الحكيم . ثم تقولون ان تبطل بقوانين أوروبا وقوانين المجلس الذي تعرف مشرعيها قانون الله الذي يقول إن لا شيء يبطله وأن لا نعتني بكلام الله أليس هذا جهلاً بالله ؟

٢ ـ الآيات ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٠ من سورة المائدة التي تقدم ذكرها في السؤال الخامس حيث ذكر في تلك الآيات قاعدة كلية أن لا حق لأحد في أن يحكم بغير ما أنزل الله . فالقوانين التي يسير عليها الناس إن كانت هي تلك القوانين الإلهية فلا كلام وإلا فبموجب هذه الآيات يكون الحاكم كافراً فاسقاً ظالماً .

٣ ـ الآية ٨٩ من سورة آل عمران : ﴿ **ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ فإن كان هناك دين غير الإسلام لا تصح هذه الآية .

٤ ـ الآية ٤٢ من سورة فاطر : ﴿ **ولن تجد لسنّة الله تحويلاً** ﴾ أي لا تبديل لشرع الله ولا تغيير . وهذا دليل على أبدية شرع الله وسنته .

٥ ـ الآية ٩٠ من سورة الأنعام : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ .

٦ ـ الآية الأولى من سورة الفرقان : ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾ .

٧ ـ الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ففي هذه الآيات وآيات أخرى كثيرة وردت بهذا المضمون اعتبر الله رسول الإسلام المنذر والرحمة لجميع العالمين وجعل القرآن تذكرة وشرعاً لجميع العالمين ولا شك أن المراد كل البشر في أي عصر وجدوا وفي أي بلدٍ عاشوا فبموجب هذه الآيات الرسول أتى بشريعة إلى الجميع والإسلام شرع جميع العالمين أيٍ كان في أي زمن وفي أي مكان . فلو كان القانون لزمان دون زمان أو لفئة دون فئة فلا ضير من التخلف عنه لسائر الناس ولاحسن في العمل به حتى يعتبر النبي المنذر لجميع العالمين والرحمة لجميع العالمين والقرآن تذكرة لهم .

٨ ـ الآية ٤٠ من سورة الأحزاب : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ فقد أعلن الله في هـذه الآية ختم النبوة والرسول بالإسلام فإذن لن يأتي بعـد قانـون سماوي وشرع إلهي بـواسطة أنبيـاء أخر للبشر وقد ثبت في الجواب عن السؤال الخامس بحكم العقل والقرآن أن قانونية أي قانون مخالف لقانون الله وقبول التشريع البشري مخالف للعقل والقرآن . فظهر أن الإسلام الذي هو آخر الشرائـع الإلهية سيكـون ـ كما دلت عليـه هذه الآيـة ـ لجميع البشر وليست القـوانـين الأوروبية التي يُعمل بها في هذا البلد إلا حبراً على ورق ولا يجوز تنفيذها .

وإذا أردنـا أن نأتي بجميـع الآيات الـدالة عـلى المقصود سيـطول الكـلام ولـذا نكتفي بهذا المقدار وهو كان لمن لا يـريد العنـاد والمعانـدون لن يرجعـوا إلى الانصاف وان أتينا بجميع الآيات .

دليل العقل على هذا القول :

ولدينا دليـل من العقل عـلى أن الإسلام هـو شرع جميع البشر في هـذه الزمـان أيضاً والجميع مضطرون للالتجاء إليه فبعـد أن اتضح لـزوم أن يكون للبشر قـانون ، بحكم العقل . وأن العالم والعالمين يحتاجون إلى دستور وأن البلاد لا يمكن أن تدار بلا قانون . نقول هل لله حق في التشريـع لبشر أم ؟ إن قلتم لا فبالإضـافة إلى أنـه كلام على خلاف حكم العقل وإن هذا عدم اعتناء بـالله نقول : لمـاذا إذن أنزل في القـرآن وسائر الكتب السماوية تشريعـاً للبشر وقام بمـا هو ليس من صـلاحياتـه فلا محيص من القـول إن لله حق التشريع وحينئـذٍ هل يتمكن أفضـل من البشر في مجال التشريـع أم البشر أفضل ؟ لا بد من القول هو الأقدر . وحينئذٍ هـل أن التشريع الـذي وضعه في الإسلام عملي بالنسبة إلى جميع البشر وفي هذا الـزمان أم لا ؟ إن لم يكن عمليـاً فلماذا بيّن للناس تكاليفهم في الأزمنة السابقة وتركهم لأنفسهم في هذا الزمان ؟ فما هي هذه المحبة لأهل الزمان السابق وأي عداوة لـه معنا حتى يـرسل لأولئـك قرآنـاً بما فيـه من التشريعـات الكبرى وحـدّد لهم تكاليفهم في جميـع شؤون حياتهم أمـا نحن فيكلنا إلى أنفسنا حتى نفعل كل ما نشاء ونذهب في أي طـريق نريـد . هل ان علم الله في هـذا الزمان قليل والأوروبيون ومجالس النواب أقدر على صياغة القانون فتركهم لأنفسهم أم أنه عانـد البشر ولم يرَ نفسـه مسؤولاً عن التشريع وإعـطاء الحكم ؟ . وهذا كله عـلى

خلاف حكم العقل فلا محيص إذن من القول إن هذا القانون الذي لم يأت بعده قانون بحكم الضرورة فهو إذن تشريع لهذا الزمان أيضاً ويجب أن يطبّق .

بقاء شرع الإسلام ضروري :

فإن أحكام العقل على نحوين منها ما هي واضحة لا تحتاج إلى دليل مثل حسن العدل وقبح الظلم وأفضلية العلم من الجهل فإن هذه الأحكام وأمثالها ضرورية أي واضحة بيّنة بديهية . والنحو الآخر أحكام غير بينة مثل العلوم التي تنال بعد جهد وتعلم كالجبر ومقابله والفلسفة وأمثالها وهذه أحكام نظرية أي تحتاج إلى دليل وجهد . كذلك الأمر في القضايا التاريخية فإن بعضها من الضروريات وبديهيات التاريخ . واليوم لو سئل مؤرّخ بأي دليل تقول إن سلاطين الصفوية حكموا في إيران أو أن نادر شاه الأفشاري كان ملك إيران فإنه يضحك ويستهزىء ولا يجيب . ولو سئل جغرافي من قال إن أوروبا موجودة في الأرض فلن يجيب إلا بالضحك وصرف الوقت على مثل هذا الأمر البديهي غير جائز . وكثير من الأحكام الدينية صارت من الواضحات والبديهيات بحيث لو سئل عنها فلا يكون السائل إلا مجنوناً أو غبياً مثل أن يسأل أحد متى ادعى محمد بن عبد الله (ص) النبوة وما الدليل على أن القرآن كتاب ديني فكما أن جواب هذه الأسئلة ليس إلا الاستهزاء كذلك لو سأل أحد بأي دليل الإسلام مؤبد ونبي الإسلام إلى آخر الزمان وأنه آخر الرسل فلا جواب إلا الاستهزاء . فكل المسلمين في جميع أقطار الأرض كما يعلمون أن القرآن كتاب الرسول وأن محمد بن عبد الله (ص) رسول الإسلام وأنه أمر بديهي لا يحتاج إلى دليل فبهذا الوضوح والبداهة نظرتهم إلى مسألة ختم النبوة بحيث لا يحتاج أي مسلم إلى دليل لاعتبار هذا من الإسلام من شدّة وضوحه . وصرف الوقت في مثل هذا الأمر الواضح ليس إلا مضيعة للوقت فكل من يقبل الإسلام يقبل خاتميته .

دليل من الأحاديث :

والمطلب وإن كان بهذا الوضوح غير محتاج إلى دليل ولا إلي رواية لكن حتى يتم المقصود نتمسك أيضاً بالحديث ومن جملة الأحاديث التي ذكرناها في باب الإمامة حديث المنزلة الذي قال فيه الرسول (ص) لأمير المؤمنين (ع) « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » وهذا الحديث من المتواترات من طرق الشيعة

والسنّة ومعنى التواتر أن يبلغ الرواة عدداً نتيقن معه من ورود الخبر عن النبي (ص) وتواتر هذا الحديث عند الشيعة معلوم وأما عند السنة فبذلك[1] صرّح الحاكم النيسابوري وهو من أعاظم ومشايخ أهل السنة . والسيّوطي وهو من محققيهم ومشهوريهم . والتنوخي وهو من مشايخهم الكبار كتب كتاباً خاصاً في إثباته وهذا الحديث قد نقل أيضاً في صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح الترمذي وصحيح أبي داود وصحيح ابن ماجة المعروف بسنن ابن ماجة وصحيح النسائي المعروف بسنن النسائي ومسند أحمد بن حنبل أمام السنة . وهذا الحديث عن الشيعة فوق المتواترات . وفي هذا الحديث المسلّم أعلن أن لا نبي بعده . وإن الشرع الإلهي قد اختتم بشريعة الإسلام فكل من يؤمن بنبوة الرسول (ص) لا بد أن يؤمن بختم نبوته . فمع حكم القرآن الصريح بأن الإسلام إلى الأبد ولكل الناس وحكم العقل الذي هو هبة الله وحكم البداهة وحكم الحديث المتواتر مع ذلك كله يقال ما هو الدليل على أن الإسلام إلى الأبد وهل يجب مدّ اليد إلى الأوروبيين وأعضاء مجلس النواب لأخذ قانون الحياة وقانون البلد وقانون العسكر وقانون القضاء وبقية القوانين مع أننا رأينا في هذا الكتاب من هم المشرّعون وأي قوانين ضعيفة وباطلة يشرعون .

حول الناسخ والمنسوخ :

بعد أن ثبت أن الإسلام إلى الأبد ولكل الناس والله نفسه في الآية رقم ٥ من سورة المائدة بعد أن نصب أمير المؤمنين (ع) للخلافة أعلن كمال الدين وتمام النعمة ورضاه بالإسلام ديناً ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ فالله اعتبر الإسلام كاملاً تاماً والقانون الذي عرف عند الله بالكمال والتمام لا يتمكن أحد من نسخه وإبطاله إضافة إلى أن شرع الله لو أراد مجالس النواب نسخه فمعنى ذلك التخلف عن شريعة الله وهو ما لا يقبله العقل والله لن يرسل تشريعاً آخر لأن النبوة كما رأينا قد خُتمت .

لا طريق إلى نسخ أحكام الإسلام بدليل العقل :

هنا يجب الرجوع إلى حكم العقل وأن يجب في القوانين الإلهية بالمقدار الذي

---

(١) راجع المراجعات والعبقات وغاية المرام .

يستطيعه العقل لنر هل في مثل هذا الشرع الذي جاء به الإسـلام هناك طـريق للنسخ أم أنه لما كان كاملاً ومناسباً مع كل زمان فلا يجوز نسخـه ويكون نسخـه خلاف حكم العقل وإن كان هذا التحليل يحتـاج إلى وقت أكثر لإجـراء مقارنـة بين العقـائد وآراءه وقوانين العالم واحدة واحدة مع مـا جاء بـه الإسلام ليتضـح المطلب لكن نجـري هنا مقارنة إجمالية حتى تظهر غباءات أولئك .

القانون الذي يقبل النسخ :

وبشكل عام فـإن القوانـين التي تقبل النسـخ هي القوانـين التي لا تكون كـافية لإدارة الحياة المعنوية والمادية للبشر أو التي يكون هناك قانون أفضل منها والجميع يعلم وهـو مبرهن عليـه في الفلسفة العليـا وكـما رأيتم رأي الفـلاسفـة في المقـالـة الأولى أن للإنسان حياتين احداهما مادية دنيوية في هـذا العالم وأخـرى معنويـة أخرويـة في العالم الآخر ولكل من هاتين الحياتين وسائلها التي يجب أن تتهيأ بسعي الإنسان وقد ثبت في الفلسفة العليا والقرآن الكريم وأوامـر جميع الأنبيـاء أن متطلّبـات تلك الحياة يجب أن تتوفر في هـذا العالم . ويكفي لإثبـات ذلك التشريعـات الروحيـة للأنبيـاء . وكل من يراجع القرآن يلمس الأمر بوضوح . بعـد هذه المقـدمة نقـول كل قـانون يتـولى فقط إدارة الحيـاة الماديـة أو فقط الحياة المعنـوية فهـذا لا نعترف بـه ولا نصف ذلك الـدين بالعظمة . والقوانين البشرية تدعو الإنسان إلى مجرد الحياة المادية الدنيـوية ونغفـل عن الحياة الأبدية ومثل هذا القانون بالنسبة للإنسان الذي له حياتان ويحتاج إلى توفير عـدة هاتين الحياتين ، له مضار كثيرة لا تقبل الإحصاء .

نظرة في تشريع الإسلام المادي والمعنوي :

كل قوانين الإسلام تحتوي على كـلا الجنبتين فلهـا نظر إلى الحيـاة الماديـة وتهيئة وسائلها ولهـا نظر إلى الحيـاة المعنويـة أيضاً والإعـداد لها . مثـلاً الدعـوة إلى التوحيـد والتقوى التي هي من أعظم دعـوات الإسلام كـما أنها لأجل التهيئـة والإعداد للحيـاة المعنوية كذلك لها الدخالة في نظم البلد والحياة الاجتـماعية وأسـاس التمدن فـإذا سار شعب على التوحيد والتقوى فكما أن أرواحهم تعظم وتكمل كذلك البلد يبلغ عظمتـه كما تبلغ العظمة حياتهم الاجتماعية والسياسية . والقانون المالي مثلاً في الإسـلام الذي وضع من أجل إدارة البلد وحـاجات الحيـاة الماديـة وقد وضـع أيضاً بنحـو لوحظ فيـه

الحياة المعنوية ولتكون معينة على الحياة المعنوية ولذا اشترط في إعطاء أكثر الأموال قصد التقرب إلى الله فتتهيأ بواسطة ذلك الحياة المعنوية وتكمل روح الإنسان وكذلك الأمر في قانون العسكر والقضاء وسائر القوانين . القانون العسكري في بلاد العالم يقال أنه يعطي العظمة للبلد لكنه يسقط الحياة المعنوية عن الاعتبار ويبعد الروح عن المعنوية إلى حدّ لا يوصف لكن قانون الإسلام العسكري في الوقت الذي يمكن أن يدير عظمة البلد بشكل أفضل فهو معين كبير على الحياة المعنوية كما أسمع الله ذلك واعتبر أن الذين يقتلون في سبيله أحياء منعمون عند ربهم . ففي الإسلام اختلطت الحياة المادية بالمعنوية وكل منهما معين على الآخر كما يعرف ذلك بوضوح أهل الخبرة بالقانون وهذا من أعظم الأعمال ومن مختصات هذا التشريع والقوانين السماوية الأخرى كانت أضعف إلى حدّ ما . ومن هذه المقارنة الاجمالية بين قانون البشر وقانون الله يظهر إلى أي حد هي هذه القوانين ضعيفة وفارغة ومثل هذه القوانين لا تستحق أن يقارن بها قانون الله وأن تكون في موازاته .

مقارنة بين القوانين :

وإذا أردنا التفصيل في القوانين التي وضعت من أجل الحياة المعنوية لاحتجنا إلى كتاب مستقل وسلسلة بحوث فلسفية وهو غير مناسب مع هذه الأوقات وهنا نجري مقارنة بين قوانين الإسلام المرتبطة بالبلد والعسكر مع سائر القوانين ليتضح أن هذا القانون بالإضافة إلى أنه يكفي لإدارة البلد ومواكبته لتقدم البلد يتطوّر معه ، هو أفضل من جميع القوانين أيضاً فالقانون المالي الإسلامي الذي تقوم عليه حياة البلد قد رأينا سابقاً أنه وضع بنحو تتضاعف الأموال كلما تحسّن حال البلد كما يتضح ذلك من خلال مراجعة قانون « ما يخلص للدولة » ومثل هذا القانون الذي له هذا المسار والذي يتابع الاحتياجات الكبرى لا يقبل النسخ بل وضع إلى الأبد ولجميع البلاد وقانون النظام العسكري في الإسلام كذلك لأن التجنيد الاختياري بقدر الحاجة والتجنيد الاجباري قد يصل إلى تعبئة عامة ومثل هذا القانون الذي ينمو مهما تقدم العالم وكبر البلد لا يقبل النسخ ولا يتصور ما هو أفضل منه . وقانون القضاء قد رأيتم أنه يؤتى به بأفضل أسلوب وفي نفس الوقت يقرب من الحقيقة في كمال السهولة ، والبساطة وبينه وبين القوانين الأخرى فرق بعد السماء عن الأرض ومثل

هذا القانون لا يقبل النسخ . وهذه أصول قوانين البلد والقوانين الفرعية أيضاً كل منها كاف يتضح ذلك بدراسة للأمر .

في أي أحكام يقع الناسخ والمنسوخ :

هنا يجب أن نجيب عن أصل الإشكال مع أننا قد وضّحنا حتى الآن أنه لا أساس له . يقول « من المسلّم كثرة الناسخ والمنسوخ في القرآن والحديث » . ونقول هذا كذب ولا أعتقد أنه يوجد في جميع الأحاديث ناسخ ومنسوخ فكان على الكاتب أن يأتي بأمثلة من هذه الكثرة حتى يفيد . أما ما في القرآن فهو قليل جداً وذلك أيضاً في غير القوانين الأساسية الكلية فمثلاً لا نسخ في القانون المالي أو القضائي أو العسكري وأمثالها بل أحياناً يحصل تغيير جزئي وتصرف في بعض العبارات وهذا أيضاً في الجزئيات والسر في ذلك أنه لا مجال في ابتداء الأمر لتبليغ جميع القوانين دفعة واحدة أن يداس على كل آراء وعقايد وأعمال الناس لذا قد وضع بالتدريج أسس القانون حتى وضعت جميع القوانين الإلهية على امتداد ٢٣ سنة حتى كمل الدين وتم . إذن دعوى كثرة الناسخ والمنسوخ في القرآن والحديث من الجهل بالإسلام وشرعه وبالقرآن والحديث . أما القول بأن النسخ بسبب مقتضيات الزمان فقول باطل لأن كل من رجع إلى موارد النسخ يرى أن هناك بعض الجزئيات طرأ عليها تخفيف أو تغيير بملاحظة حال الناس والذي يجب أن يتغير على أساس اقتضاء الزمان القوانين الكلية الأساسية ومثل هذا النسخ غير موجود في الإسلام أبداً كما قال هؤلاء المهووسون ، وكل من له اطلاع على القرآن والموارد التي يقال إنها نسخت يعلم عدم استناد هذا القول إلى أساس .

قوانين لها نظر إلى التشريع :

من القوانين العامة التي وضعت في الإسلام نحو من القوانين التي جعلها الله رعاية للناس جعلها حاكمة على القوانين الأخرى مثل الجرح والضرر والاضطرار والإكراه وأمثالها فهذه قوانين ناظرة إلى القوانين الأخرى لرعاية حال الناس فالإسلام بوضع أمثال هذه القوانين قد راعى بشكل كاف المقتضيات والبلاد والأشخاص فإذا طرأت على بعض البلاد أو الأشخاص مقتضيات فإنه بموجب هذه القوانين تتغيّر القوانين الأولية وبالتالي يرتفع بالكلية إشكال هؤلاء الأغبياء .

نظرة إلى ما في الكتاب المتعفن :

قال في المقالة السادسة يقول الدين اليوم : « التكاليف التي جعلها الله على الإنسان موجودة بين الأحاديث التي هي بين أيدينا ويأتون بدليل على هذا الكلام من الكتاب والسنّة والعقل والاجماع لكن أجابوا أنفسهم عنها جميعها إلا دليلان وأنا أجيب عنهما ثم نأتي بأدلة على عدم صحة هذه الأخبار » .

من هنا ترون الخيانة ونسبة الكذب إلى الدين لأن القوانين الكلية الأساسية مثل قانون الأموال وقانون القضاء والعسكر والزواج والطلاق والميراث والمعاملات من قبيل التجارة والإجارة والصلح والهبة والمزارعة والشركة وأمثالها وقانون الإسناد وقانون العقوبات العامة مثل الحدود والقصاص وقانون التبليغات وقانون المنع من المنكرات مثل شرب المسكرات والميسر والطرب والزنا واللواط والسرقة والخيانة والقتل والسلب وقانون التطهير وقانون العبادات العامة مثل الصلاة والصوم والحج والوضوء والغسل وأمثالها موجودة بأجمعها في القرآن وفي الحقيقة الأحاديث شارحة موّضحة لهذه القوانين الكلية التي ذكرت بشكل عام في القرآن فما يقوله هذا الكاتب الجاهل من أن ديننا يقول إن التكاليف موجودة في هذه الأحاديث ليس إلا كذب وإثارة للفتن . ونحن سنثبت فيما بعد أنه لو فرضنا أن القوانين الدينية موجودة في الأحاديث فلا يلزم من ذلك اشكال وأما قوله إنهم أتوا بأدلة ردوها بأنفسهم إلا دليلين فهذا يوضح مستوى إدراكاته لأن كل من له أدنى اطلاع على الكتب الأصولية يعلم أنهم أتوا بأدلة من السنة المتواترة وقبلوها ولم يردوها كما قبلوا أدلة أخرى كثيرة .

حول دليل الانسداد :

يقول الكاتب في بيان ذينك الدليلين الذين ذكر أن العلماء لم يردوهما :

« **الأول** : دليل الانسداد وهو أننا نعلم أن الله كلّفنا ونعلم أن تلك التكاليف موجودة بين جميع هذه الأخبار فإذا لم يحصل لنا العلم فلا بد من العمل بهذه الاخبار » .

إن الذي يملك معلومات جزئية عن علم الأصول يدرك حجم معلومات هذا الجاهل ولا يحتاج إلى بيان هذه الأمور لكن حتى يعرف القراء المحترمون وليسألوا أهل

العلم ، أن هذا القائل قد نطق بخلاف كلامهم لأن دليل الانسداد رده العلماء ولا يقرّون بانسداد باب العلم بل إن باب العلم مفتوح والطريق إلى القوانين الإلهية والتكاليف الدينية واضح ومفتوح وهذا الجاهل سمع عن دليل الانسداد ولم يدر أن العلماء إنما ذكروا هذا الدليل في الكتب لأجل أن عالماً أو عالمين اعتبراه دليلاً وكل الباقين ردوه واليوم لا يقول به أحد والجميع يبطله . فماذا نقول لهذا الجاهل الخالي من العلم والخائن عديم القيمة إذ يفتري هذه الفرية وينسبها إلى العلماء نهض للثرثرة والمذّلة . ثم إن الجميع يعلم أن دليل الانسداد ليس كما ذكره هذا الجاهل بل له مقدمات لا علم له بها وليس هو إلى هذا الحد بسيطاً بحيث يتمكن هؤلاء السذّج من رده والحديث عنه لكن ما العمل وهؤلاء لا يحترزون عن أي كذب ولا يتأبون عن أية تهمة فيأتون بدليل من عند أنفسهم ويذكرون له بياناً صبيانياً ثم وقف بكل خزي ليعترض عليه وبلا حياء ينسب إلى العلماء من أهل الدين ما لا يليق بهم .

حول السيرة العقلاء :

يقول الكاتب : « الدليل الثاني الذي ذكروه لتصحيح الأخبار سيرة العقلاء يعني إذا سمع شخص خبراً من مكان ما فإنه يقبله مثل التاريخ فعلينا إذن أن نقبل هذه الأخبار . وهو كلام صحيح لكن ما لم يكن هناك دليل على بطلانه كما هو حال اليوم ولذا لا نقبل بتاريخ « البيشداديين »[1] ومع الغض عما قيل إلى الآن فلدينا ستة أدلة على عدم صحة هذه الأحاديث » .

سيرة العقلاء من الأدلة المحكمة على العمل بالأخبار وعليه يقوم نظام حياة الناس كلهم ونظام بلاد العالم وتمام أموال التجارات التي تحمل وتنقل من بلد إلى بلد وجميع القوانين التي تجري في بلاد العالم وكل التبليغات التي تتم من قبل الحكومات ومجالس النوّاب إلى أهالي بلدها بواسطة الراديو والصحف فإن جميعها من هذا القبيل حتى الكاتب يقبل بسيرة العقلاء لكنه زعم أنه أتى بستة أدلة على بطلان هذه الأحاديث وسنذكرها ونبين وجه الخطأ فيها .

---

(١) بيشداد : اسم الطبقة الحاكمة الأولى في إيران وهو لقب كل ملك من الأسرة البيشدادية وهي من أساير الحكايات (المترجم) .

وقد ذكر الكاتب هذه الإشكالات في ضمن السؤال (١١ ، ١٢) فجوب عن هذه الإشكالات عين الجواب عن هذين السؤالين .

١ ـ الكثير من هذه الأحاديث لا تتفق مع العقلاء مع العقل وقد تقدم نموذج من هذه الأخبار في المقالات السابقة .

وقد تقدم جوابها أيضاً . لكن لو فرضْنا أن بعض الروايات الموجودة في بعض الكتب لا تتفق مع العقل فاللازم طرحٍ هذه الأخبار فما ذنب الروايات الأخرى والروايات الموجودة في كتب أخرى . مثلاً إذا رفضتم ـ كما ذكرتم ـ تاريخ البيشداديين فهل يجب رفض تاريخ الصفوية أيضاً . أو إذا نقل في بعض التواريخ شيء مخالف للعقل فهل تسقط كل التواريخ . إن صح هذا نوافق حينئذٍ على طرح كل الأخبار الموجودة في العالم وأن نفصل أساس الحياة عنها لأنه في أخبار العالم الكثير مما يخالف العقل أليس هذا غباء .

نكتة يجب أن تعلم :

وهنا نكتة أخرى غفل عنها الكاتب بالكلية ولذا وقف معانداً يريد الاعتراض وبالالتفات إليها يقطع الطريق أمام الإشكالات بالكلية وهي أن الأحاديث التي بين أيدينا على نحوين : أحدهما : أحاديث لها جانب عملي أي وردت في التشريع الإسلامي الواجب العمل به كالأحاديث الواردة في العبادات وأوامرها ونواهيها أو في توضيح القوانين الاجتماعية كالقضاة والقانون المالي والعسكري وأمثال ذلك .

النحو الآخر : أحاديث لا جهة عملية فيها كالتاريخ الذي ينقل والأخبار المتعلقة بالفلكيات والجغرافيا والهيئة وأمثال ذلك . وبعبارة أخرى هي أحاديث متمحضة في الجهة العلمية وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أن الأحاديث التي هي من القسم الثاني ليست حجة ولا يعتنى بها وقالوا إن لا أثر للبحث في هذه الأمور فإن كانت موافقة للعلم والعقل كفى حينئذٍ العلم والعقل وإن كانت مخالفة لهما تطرح . ويظن هذا الجاهل أن علماء الإسلام يوجبون التمسك بالخبر وإن كان على خلاف الدليل العقلي مع أنهم ذكروا في كتبهم قبل أن يولد هذا الكاتب وأمثاله وأعلنوا لتلامذتهم أن الأخبار المخالفة للعقل لا تساوي فلساً . لكن العقل الذي يتحدثون عنه يفترق عن عقل الكاتب وأمثاله بفارق شاسع فذلك العقل يعني الدليل العقلي

وعقلكم يعني السليقة والعادة ولذا اعتبرتم أن ثبوت أجنحة للملائكة على خلاف العقل مع أنكم لا تملكون دليلاً على ذلك إلا مجرد أنه لا يتلاءم مع سليقتكم أو اعتبرتم أن مجيء الملائكة إلى الإمام مخالف للعقل وقد كشفنا ما تخبئون في المقالة الأولى فراجعوها . نعم لو ورد مئة حديث بان الإله اثنان أو أن اجتماع الضدين جائز أو مثلاً زوايا المثلث تساوي ثلاث قوائم فهي مرفوضة لكن الأخبار المرتبطة بتبيين القوانين الإلهية والتي لها جانب عملي هي التي بحث فيها الفقهاء وكتبوا فيها الكتب . فكتاب الوسائل هو من أهم الكتب الإسلامية قد اشتمل على أمثال هذه الأخبار فانظروا فيه فإن وجدتم رواية على خلاف العقل لكان لكم الحق في أن تقبلوا كلام هؤلاء الأغبياء . فيظهر من هنا الجواب عن الإشكالات التي ذكرها هذا الكاتب وهو لا يعلم ولم يبحث في الكتب العملية وغير العملية فجعلها في باب واحد فوقف يعترض مع أن العلماء أنفسهم كانوا ملتفتين إلى هذا الأمر من أول الأمر وذكروه فماذا يجب أن تسمى هذه اللاثقافة .

بحار الأنوار :

وهو من تأليف العالم المعظّم والمحدث الرفيع محمد باقر المجلسي وهو مجموعة تقرب من أربعمائة كتاب ورسالة فهو في الحقيقة مكتبة صغيرة تسمّى باسم واحد . وصاحب هذا الكتاب لما رأى الكثير من كتب الأحاديث صارت في معرض التلف لصغرها ومضي الزمان عليها جمعها في مجموعة سمّاها بحار الأنوار دون أن يلتزم بصحتها كلها ولا أن يجعل منها كتاباً للعمل أو أن يجمع شريعة الإسلام حتى يبحث فيها ويميّز الصحيح منها عن غير الصحيح فالبحار في الحقيقة خزانة جميع الأخبار التي تنسب إلى الأئمة سواء كانت صحيحة أم غير صحيحة . فهو لا يعتقد بصحة كل هذه الأخبار كما أنه لم يرد أن يكتب كتاباً عملياً كي يُشكل عليه أن لماذا جمعت كل هذه الكتب . إذن لا مجال لأن يواجه المؤمنون بكل خبر في البحار بدعوى أنه على خلاف العقل أو الحسّ كما أنه لا مجال لردّ أخباره بدون دليل بمجرد أنه لا يتلاءم مع سليقتنا بل يجب البحث في كل رواية ثم يحدّد من خلال الموازين التي حددها علماء الأصول ليعرف كونها عملية أم لا .

٢ ـ « الكثير منها لا يتفق مع العلم وأحياناً مع الحس (سيذكر لها مثال) .

لو فرضنا أن حديثاً لم يتفق مع العلم القطعي أي العلم الثابت بالبرهان فهذا يجب رده لكن لا وجود لمثل هذه الأحاديث فيما كان من النحو الأول منها - أي المرتبطة بالعمل - فإن كان لمثل هذه الأحاديث وجود فهو في دائرة النحو الثاني التي أنكر حجيتها الفقهاء والنموذج الذي يذكره هو من الأحاديث المتعلقة بالجغرافيا والفلك أو الهيئة التي ذكرت في البحار والتي وضّحنا حالها . كما أن الحديث إذا لم يتفق مع الحس فهو مرفوض لكن يجب أن يعلم أن أحاديث « جابلقا » و « جابلسا » ليست مخالفة للعلم القطعي ولا للحس . نعم نحن لا نعلم بوجودها في شرق الأرض وغربها لكن لعلهما موجودان في كرات أخرى أو منظومات شمسية أخرى مثل هذه البلاد وهكذا الأخبار المرتبطة بالسماء فلا ندري ماذا أريد من السماء هل المراد مدار الشموس والكواكب أم شيء آخر وحاصل الكلام أنه لم يتضح أصلاً مراد المتكلم حتى نعلم أنه مخالف للعلم أو الحس . بالإضافة إلى أنه يمكن أن تكون الخمسمائة سنة مسافة بحساب السنين الضوئية ولا سبيل للعلم والحس لمعرفة ماذا سيحصل في العالم بعد خمسمائة سنة ضوئية . فالتكذيب بلا مبرر عمل غير عقلائي . وأما حديث غروب الشمس والانتقال من سماء إلى سماء والوصول إلى تحت العرش والسجود وأمثالها من الأحاديث فإنه لم يعلم المراد منها . فما معنى السماء وما معنى العرش إذا العرش استعمل في الحديث بعدة معاني فأيّ معنى هو المراد وما معنى السجدة فلعل المراد منها ما في سورة الرحمن « النجم والشجر يسجدان » فاللازم إما رد القرآن لأنه قال ما يخالف الحس (بزعمهم) أو أن يقول إن معنى السجدة هو الخضوع للسنّة الإلهية في سيرها وحركتها . فالشمس أيضاً تسير في مسار إلهي وهي خاضعة لله ساجدة وبالتأكيد فإن الغروب والشروق بأمر الله وامداداته الغيبية التي تصل إليها ﴿ **يسبّح له ما في السموات والأرض** ﴾ .

وحاصل الكلام أن لا حديث من هذه الأحاديث التي ذكرها معلومة المراد فلا مجال للحديث عنها نعم يبقى كلام وهو أن هذه الأحاديث لماذا قيلت إذا لم يعرف المراد والجواب أننا لو فرضنا صحة الحديث فتقول قيلت وليست هي بأسمى من القرآن وفي القرآن أيضاً آيات كثيرة لا ندري ما المراد منها مثل أوائل السّور فما هو معنى ألم ، ألمر، حم ، حمعسق ، كهيعص ، ق ، ن ، وأمثالها .

نكتة يجب أن تعلم :

نلفت نظر القراء هنا إلى نكتة يجب أن تعلم ونحن نريد الإجابة عن الاشكالات . وهي أننا كما ذكرنا أن الأحاديث على نحوين فهناك أحاديث لها جانب عملي وهي القوانين التي شرّعت لأجل هذه الحياة وتلك الحياة الأخرى وهناك الأحاديث العلمية وليست من قبيل قانون البلد والعسكر وأمثالها بحيث تنفيذها فهي مثل الأحاديث الواردة في القضاء والقدر والجبر والاختيار أو في باب الهيئة والنجوم وأمثالها . كذلك في القرآن يوجد هذان النحوان فهناك الآيات العملية يجب على الناس العمل بها ويجب تنفيذها في البلد . وهناك الآيات العلمية . وحيث كانت آيات النحو الأول عامة ومن أجل العمل يجب أن تكون مناسبة مع فهم العموم وأن لا يكون فيها مجال للتأويل والتوجيه . فبالتأكيد إن القانون الذي وضع لبلد لا يجوز أن يوضع بنحو لا يفهم ذلك القانون أهل البلد نعم يمكن أن يحتاج إلى تفسير وشرح من العلماء لكن هذا غير التأويل . أما الآيات والأحاديث العلمية فليس من الضروري أن يقولها القائل بنحو يفهمها الجميع بل لا يمكن أن يفهم هذه الأمور عامة الناس وأن تبين حسب فهمهم .

مثلاً . الطبيب أحياناً يريد أن يعطي إرشادات لحفظ الصحة لأهالي بلد فلا بد أن يبيّنها بنحو يفهمها الناس لأن هذه الإرشادات هي من أجل العمل . لكن أحياناً أخرى يريد أن يكتب كتاباً علمياً وبالتأكيد لا يمكن أن يكتب هذا الكتاب بنحو لا يفهمه جميع الناس . والكتاب المبني على قواعد علمية دقيقة جداً يكون حتماً مكتوباً لجماعة العلماء ولا حق للآخرين في أن يتدخلوا فيه وإذا كانوا عقلاء لا يعترضون أيضاً ان لماذا كتبت هذا الكتاب بنحو يفهمه المشتغلين بالعتالة والحمامّات .

فالقرآن والحديث أيضاً قد أتيا بالقوانين العملية للناس وقد بيّناها بحيث يفهمها الناس لكن علوم القرآن والحديث لا يتمكن كل الناس من فهمها وهي لم تأت للجميع بل بعض ما أتيا به رمز بين القائل وجماعة مخصوصة مثلها للدولة بعض التلغرافات الرمزية (شيفرة) التي ليس من الصلاح كشفها كما أن موظف التلغراف لا يفهم شيئاً من هذه التلغرافات . وفي القرآن أيضاً رموز لم يفهمها حتى جبرئيل النازل بها ، على ما دلت عليه الروايات . وإنما يفهمها رسول الإسلام وكل من علّمه

رسول الله مثل الحروف الموجودة في أوائل السور .. وقد صرّح القرآن بذلك في الآية ٦ من سورة آل عمران ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا . . الخ** ﴾ ففي هذه الآية صُرّح بأن الآيات على نحوين منها المحكمات التي لا تقبل التأويل ويفهمها الجميع ومنها المتشابهات التي لها تأويل وهي من قبيل الرمز ولا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم . فما ذكره هذا الكاتب تقليداً لبعضهم : « لا معنى للتأويل وهو عمل في غير محلّه أبداً لأن المسلّم أن العاقل إذا قال شيئاً فإن مراده هو ما يفهمه العرف منه لا غير وإلا لاختل نظام الحياة » . فهو قول عن جهل وعدم إدراك كمن يقول إن الرياضيات العليا أو قانون أبي علي إن لم يكتب بلسان الناس يختل نظام الحياة . وفي الجواب نقول إن مثل هذا العلم ليس للعموم ولا يتعلق بحياة عموم الناس بل إن هذه العلوم لا يمكن أن تكتب بنحو يستفيد منها العموم . والقرآن والحديث جاءا للأصناف المختلفة من الناس وفيها علوم لا يفهمها إلا المخصوصون بالوحي ولا يستفيد منها الناس . وفيه علوم هي للطبقة العالية من العلماء والآخرون لا يستفيدون منها مثل البراهين على تجرد الواجب وإحاطته القيّومية فلو فتشتم القرآن كله فلن تستخرجوا هذه المسائل من القرآن لكن أهل هذه المسائل مثل الفيلسوف العظيم صدر المتألهين وتلميذه ذي الشأن العظيم الفيض الكاشاني كانوا يستخرجون العلوم العقلية العالية من هذه الآيات والأخبار التي لا تفهمون أنتم منها شيئاً .

نعم ليس لكل أحد أن يتدخل في علوم القرآن . وفي الحديث أيضاً نهيٌ عن هذه التصرّفات الغبية فلا تمدوا أيها الجهال أرجلكم أكثر من بساطكم . وحاصل الكلام أنه وردت أحاديث كثيرة في هذه العلوم ـ لو صحت ـ ترتكز على اصطلاحات ورموز لا يمكن للناس أن يستفيدوا منها مثل أخبار جبل قاف واخبار الثور والسمك وأخبار الرعد والبرق والزلزلة والصاعقة وأمثالها من الأمور التي ذكرها في هذا الكتيّب ظنّاً منه أنها أشياء يمكن التخلص بها من ثقل القرآن والحديث . ونحن لو فرضنا أن جميع هذه الأحاديث باطلة فمع ذلك يحكم العقل بأنه لا يوجب ذلك أغماض النظر عن الاخبار الأخرى . لأن إبطال كتاب هو أيضاً غير معتبر عند العلماء أوردّ حديث قال عنه المحدّثون أنفسهم أيضاً أنه يجب ردّه ، لا يوجب رد الأحاديث العملية والتي

قبلها العلماء ولا تتنافى مع العقل والعلم والحس مثلما يقول هذا الجاهل « وحيث ان هذه الأحاديث غير صحيحة ، فيجب أن تُعلّم بالقلم » . وهذا مثل أن نقول حيث كانت بعض أدوية هذه الصيدلية مسمومة علينا أن نعلّم على جميع الصيدليات وحيث إن بعض كلام تاريخ الأعثم كذب فعلينا طرح جميع كتب التاريخ بالتأكيد هذا كلام مخالف لحكم العقل ولا يوافق عليه أي عاقل . وعلى ما ذكره الكاتب يجب أن نعلّم حول القرآن بالقلم لأن بعض آياته لا تفهمونها أنتم ولا تصح في عقلكم الناقص مثل تكلم جميع الموجودات وتسبيحها وكلام النملة والهدهد واحياء الأموات بيد إبراهيم وعيسى واحياء عزير وحماره وأمثال ذلك . فإذن على قولكم يجب أن نخط حول كل القرآن . أم يجب الاعتراف أن العلم البشري ناقص ومحدود ولم يطلع على قوانين الكائنات وأسرار الموجودات وفي هذا اليوم وهو عصر ترقي العلم وازدياده لا زالت مئات الآلاف من أسرار الكون مخفية وعصر انتظار علماء أعظم ليحل بعضها بقدرتهم . فالإنسان العاقل لا ينكر بمجرد أن الشيء على خلاف عادته وسليقته أو إذا لم يدركه بعلمه الناقص فيستعجل ويخسر العلم . يقول يجب أن تحاط الأخبار كلها بالقلم مع أنه قد وصلت آلاف الأحاديث عن الرسول والأئمة تهدي الإنسان إلى أسرار التوحيد والمعرفة وتحل مشكلات حياة كلتا الدارين وتعطي الإنسان مفتاح أبواب الفضائل والكمالات بالمجان .

٣ ـ « الكثير منها لا يتلاءم مع الحياة (ليراجع مقالة الحكومة والقانون) » .
والجواب قد أعطي في تلك المقالة فليراجع هناك .
هذه الاشكالات الثلاثة ذكرها في السؤال الثاني عشر .
٤ ـ « أكثر هذه الأخبار تتنافى مع بعضها (وكتب الحديث مليئة بها) » .

عندما نقول إنه لا يمكن للمرء أن يعتمد على رأيه في الرجوع إلى كتب الأحاديث وأن يفهم منها حكم الله . ويحتاج إلى اجتهاد أي تخصص في استخراج الأحكام من القواعد والأحاديث وتمييز الأحاديث العملية عن غير العملية وهذا له قواعده العلمية الدقيقة ليست تحت قدرة هؤلاء . فلأجل ذلك قلنا هذا . فأنتم عندما ترجعون إلى كتب الحديث تضيعون ولا تعرفون ماذا تفعلون إذ لا تملكون الطريق للعثور على الأحكام العملية لأن قواعده الفنية ليست تحت يدكم فتجدون أنفسكم عاجزين فتسهّلون الأمر عليكم بالانكار .

من اللازم وهذا هو مستوى معلوماتكم أن تبحثوا في العلوم فلا بد أنه هناك أشياء منها لا تفهمونها وقد تبدو لكم أموراً متنافية وحينئذٍ تريحون أنفسكم وتقولون كل هذه العلوم باطلة . إن هذه الروايات التي بدت لكم متنافية عندما يلاحظ أن التخصص القواعد يخرج أكثرها من حالة التنافي وما تبقى من الأخبار المتعارضة قد تحدّد ماذا نفعل حينئذٍ في علم الأصول بحيث يميز أهل التخصص كون بعض هذه الأخبار عملية ولا حيرة لهم في طريق استخراج القوانين . نعم لما كان الاجتهاد علماً نظرياً فهو مثل سائر العلوم يحصل فيه اختلافات لكن ليس في القوانين الأساسية بل في بعض الجزئيات .

٥ ـ « نعلم أن كثيراً من هذه الأحاديث موضوعة (فليراجع كتب الدراية قسم الحديث الموضوع أو المجعول) » .

أما أنتم فلا قدرة لكم على تمييز الحديث الموضوع عن غير الموضوع فكيف تقول « نعلم » . ولذا كمن يطلق سهماً في الظلام تقول راجعوا كتب الدراية . مع كتب الدراية لا تذكر هذه الأحاديث نعم في الكتب تذكر قواعد تمييز الموضوع عن غيره وأهل الفن يميزون ولذا يعتبرون المجعول غير عملي ويطرحونه ويعملون بغير الموضوع .

٦ ـ هذه الأخبار ظنية والعمل بالظن غير جائز بدليل القرآن والعقل . « إن الظن لا يغني من الحق شيئاً » .

وهذا الاشكال هو السؤال الحادي عشر الذي يقول فيه « هذه الأحاديث التي بين أيدينا اليوم هي ظنّية والعقل لا يقبل أن الله القادر العادل يأمر أفضل مخلوقاته بشيء ويقفل عليه باب العلم » .

جواب السؤال الحادي عشر :

وجواب هذا الإشكال ان الله لم يتبع في تبليغ أحكامه وإيصال تشريعه إلى الناس طريقة جديدة تخالف طريقة وسيرة العقلاء . فكما أن كل العقلاء في جميع بلاد العالم يعملون باخبار الأشخاص الذين يثقون بهم ويطمئنون وإذا كان العلم باخبار الأشخاص ممنوعاً لاختل نظم حياة الناس ولتزلزل نظام بلا العالم . كذلك الله في

تبليغ قوانينه . وكما أن هناك أحكاماً ثبتت في القرآن وقطعية وكما أن هناك أحكاماً ثبتت بالروايات المتواترة فكذلك قد ثبت بنحو القطع أنه جرى على طريقة العقلاء وبلغ أحكامه بالطريقة المتعارفة بين الناس . والعجب أن هذا الكاتب مع أنه اعترف أن سيرة العقلاء هي قبول الخبر مثل التاريخ مع ذلك يقول العمل بالظن خلاف العقل وأن العمل بالاخبار عمل بالظن . فيصير حاصل كلامه أن سيرة العقلاء على العمل بشيء يخالف العقل وهذا غاية الجهل أن يعتقد امرؤ أن عمل كل العقلاء مخالف للعقل . إذن إما أن نقول اما أن العقلاء لا يرون العمل بالاخبار عملاً بالظن بل عمل بالوثوق والقرآن إنما نهى عن العمل بالظن لا بالوثوق أو أن العمل بالظنّ بالنسبة إلى أشخاص كانوا يطمئنون إليهم ليس على خلاف العقل . والله أيضاً لم يمنع عن العمل بمثل هذا الظن لأنه إنما منع عن ما يخالف نظام الحياة والله لم يرد أبداً أن يزلزل هذا النظام وأن يخرّب الطريقة العقلائية القطعية .

كلام جدير بالالتفات إليه :

هنا يجب أن نلفت نظر القرّاء إلى نكتة تستحق الانتباه وهي أن أحوال الرواة الذين نقلوا لنا الأحاديث عن رسول الإسلام وأئمة الدين التي وصلتنا والمذكورة في الكتب ، من زماننا هذا حتى زمان الأئمة المعصومين سلام الله عليهم . وفي كل طبقاتهم (الرواة) معلومة في كتب الرجال ومن هذا العلم يعرف الحديث عن طريق أي أشخاص،وصل إلينا وقد سجّلت في الكتب وثاقة أو ضعف وحياة الرواة . فالفرق واضح بين أخبار التواريخ وأخبار كتب الأحاديث فإنه لا اطمينان ولا وثوق في التاريخ لأن أحوال الرواة الناقلين لا اطلاع لنا عليها لكن الأمر مختلف في أخبارنا فإن علماءنا ومحدّثينا يمكنهم من خلال الرجوع إلى كتب الرجال معرفة هذا الحديث صحيح أم لا فلا يجوز العمل به . فكتاب الكافي مثلاً وصل إلينا عبر رجال هم مورد اطمئنان ووثوق . كما أن رواة أحاديث الكافي الذي هو من أهم الكتب وله أكثر من ألف سنة معلومة أحوالهم . فإذا لم يقبل أحد أخبار التاريخ لعدم الاطلاع على أحوال ناقليه لاحق له برد أخبار كتب الحديث .

نظرة في الكتيب :

بعد أن ذكر الكاتب جملة من الأحاديث غير العملية التي ذكرنا حالها يقول :

« لعلكم تقولون إنه في المقابل لدينا أحاديث جيدة لكن لو فرضنا صحة هذا الكلام يبقى مثل من يريد أن يتم عمله من كوب مكسور بحجة أن نصفه سالم . وأنتم أنفسكم إذا سمعتم من أحد كلاماً غير صحيح لا تعتنون بأحاديثه الأخرى » .

عفارم على هذا الذكاء الوقاد والدليل المنطقي إذ تريد بمثال لا ربط له بما نحن فيه أن تبطل مطلباً واضحاً . إذا وردت بعض الأحاديث في بحار الأنوار التي لم يلتزم صاحبه بصحتها ، أما غير معلومة المراد أو فرضنا أنها مخالفة للعقل هل نرفع اليد عن كتاب الوسائل أيضاً الذي ذكر الأحاديث العملية ويكون العمل به مثل من يقوم بالعمل من كوب نصف صحيح . مع أن مثاله الصحيح أنه إذا كان لدينا كوبان أحدهما مكسور والآخر سالم فلا يجوز أن يجعل ذنب المكسور على عاتق السالم . وكلامكم مثل ما إذا كان هناك دواء أعلن صانعه عن سوئه فتجتنب عن كل أدويته الجيدة . وبسبب فساد رغيف خبز تجتنب عن كل الأفران سواء كانت جيدة أم سيئة . وهذا الجاهل لم يعلم أن هناك آلاف الرواة المذكورين في علم الرجال وقد نقل هذه الأحاديث أشخاص منهم فبمجرد أن جملة من الأحاديث التي نقلت عن عدة من الرواة بحيث لم يعلم المراد منها أو كانت فرضاً على خلاف العقل لا يجوز الاعراض عن كل الأحاديث التي نقلها آلاف الرواة الآخرون . أليست هذه هذيانات وكتابة مشوّشة .

نكتة يجب أن تعلم :

هنا يجب أن يلتفت إلى نكتة أخرى وهي أننا إذا سمعنا خبراً من شخص وفرضنا أنه مخالف للواقع فتارة يُعلم أن هذا الشخص قد أتى به من نفسه واختلقه وكذباً نقله إلينا ففي هذه الصورة لا نعتني بأخباره الأخرى أيضاً . لكن إذا كان القائل معروفاً بالأمانة والاستقامة وسمعنا منه خبراً غير صحيح وحصل لنا اطمئنان أو احتلمنا احتمالاً عقلائياً أن هذا القائل لم يتعمد الكذب وإنما نقل الخبر اشتباهاً فإنه لا يصير ذلك سبباً للأعراض عن اخباره الأخرى التي لم يثبت لنا عدم صحتها . فقول الكاتب : « انكم أنتم أنفسكم إذا سمعتم خبراً غير صحيح من شخص لا تعتنون بأقواله الأخرى » لا يصح في المطلق بل أنتم أنفسكم إذا سمعتم خبراً من شخص تثقون به وعلمتم أنه غير صحيح واحتملتم الخطأ والاشتباه عنده فإنكم لا تعرضون

عن سائر إخباراته بمجرد أنه نقل حديثاً غير صحيح وإذا بُني على أنه بمجرد نقل خبر غير صحيح الاعراض عن بقية أخبار الناقل مطلقاً لاختل بذلك نظام الحياة لأن لا أحد مأمون من الخطأ والاشتباه فلا بد أن يكون بين الأخبار خبر أو أكثر غير صحيحة فعلى الناس إذن أن تحترز عن الأخبار كلية مع أن الجميع يعلم أن نظام الحياة قائم على قبول الاخبار . وعليه فإذا وجد في الروايات الصحيحة التي نقلها أشخاص موثوق بهم رواية أو روايتان مخالفتان للعقل واحتملنا أن في الأمر اشتباهاً فلا نستطيع طرح كل أخبار هؤلاء الأشخاص بسبب أنه أخطأ في مورد . نعم إذا كثر من شخص النقل بما يخالف الواقع وان كان اشتباهاً لا يعتمد على أخباره حينئذٍ .

فاللازم على القراء الرجوع إلى هذه الأخبار المخالفة للعقل وليروا هل هناك شيء ما ؟ إلا أن راوياً لألف حديث مثلاً جميعها يوافق العقل والعلم لكن نقل حديثاً أو حديثين مخالفين للعقل والعلم ونحتمل أنه عن خطأ واشتباه ففي هذه الصورة هل يجوز الاعراض عن الألف حديث من رواياته .

إذا قرأتم في مجلة يكتب أخبارها شخص معروف بالأمانة والاستقامة عندكم ورأيتم مئات الأخبار الصحيحة الموافقة للعقل لكن بين هذه الاعداد أخطأ في مورد أو موردين واحتملتم أنه خطأ مطبعي أو أن الكاتب اشتبه في الخبر ونقله هل تتركون كل المجلات ولا تعتنون بأخباره أم أنكم تعرضون عن خصوص مورد الخطأ وتقبلون سائر أخباره . فإن كان كذلك فعليكم أن توافقوا على أن هؤلاء الكتّاب مجرد باحثين عن الفتن مخطئون وعليكم أن تفهموا وجه الخطأ . هؤلاء يريدون بسبب وجود عدة أحاديث مخالفة لعقولهم مع أنه يمكن أن تكون قد نقلت اشتباهاً وخطأ أو أن لها معاني أخرى لم يفهموها ، أن يطرحوا آلاف الأحاديث الصحيحة الموافقة للعلم والعقل والمنقولة عن الأشخاص الموثوق بهم . وأن يحمّلوا الجرم الذي تخيّلوه للجزء ١٤ من بحار الأنوار لجميع كتب الأحاديث التي لا يوجد فيها شيء من هذه الروايات ويريدون من ذلك أن يريحوا أكتافهم من أوامر الله والحال أن هؤلاء الكتاب أنفسهم يقبلون أخبار بعض الصحف في البلد مع أن كتابها غير موثوق بهم وفيها الكثير من خلاف الحقيقة . فلماذا تقبلون أخبار الصحف التي يكتبها من لا يحترز عن الكذب لكن بسبب عدم صحة عدة أحاديث أو حتى كتاب يجب الاعراض عن كل كتب الحديث . الحكم نتركه للوجدان الطاهر ولانصاف القراء المحترمين .

السؤال الثاني عشر وجوابه :

« ما هي برأيكم علة عدم ارتباط الناس بالدين اليوم » ؟ .

والكلام هنا كثير والعلل الأصلية والفرعية كثيرة لكن نظهر رأينا في علة تولّدت منها كل العلل أو أكثرها .

أدرك الأوروبيون من سنين طويلة أنه لا يمكن لهم أن يستعمروا البلاد الإسلامية ما دام هناك نفوذ للعلماء وتأثير وما دامت علاقة المتدينين بالدين قوية . ولن يستطيعوا أن يسيطروا على منابع ثروتهم بدون مصاعب ولن يتمكنوا من تحقيق أهدافهم الاستعمارية أو الاستثمارية فرأوا أن أساس علاقة الناس بالدين ناشىء من إرشادات علماء الإسلام . وما دامت علاقة الناس بالعلماء موجودة فلا يمكن أن يسلب منهم تدينهم وقد رأوا ما واجهوه أيام اتفاقية الدخان أيام زعامة المرحوم الميرزا الشيرازي وكانت العاقبة أنهم لم يستطيعوا تنفيذ مآربهم . فتعلموا درسهم من ذلك اليوم أو قبله وفهموا أنه لا مجال مع بقاء تأثير العلماء لأخذ معادن ثروة هذه البلاد وأن يجعلوا أمر بلد مستقل بيد الاستعمار فرأوا أنه لا بد من أن يقوموا بعملهم ومن خلال الإيرانيين أنفسهم بكل قواهم وخططهم الخاصة . كي يقضوا بأسرع وقت ممكن على قوة العلماء أو على الأقل أن يخففوا من تأثيرهم ومع تضعيف هذه القوة التي كانت المرشدة لمصالح البلد الإسلامي وفي نفس الوقت المانعة من نفوذ الأجانب . مع تضعيفها يضعف الناس عن الدين . وأرادوا منذ ما قبل العشرين سنة الديكتاتورية أن ينفذوا بلطف وهدوء وبدأ الأمر بالصحف والاعلام في القفقاز وكلكته ومصر وساير البلاد وصار لهم نفوذ في إيران واشتغلوا بعملهم وخلال هذه السنوات العشرين حيث ترقبوا الحرب العالمية ورأوا أنفسهم بحاجة إلى هذه البلاد ومنابع ثروتها هذا من جهة ومن جهة أخرى رأوا أنهم إذا أرادوا الاستمرار بهدوء فلن يكفيهم الوقت وتذهب الفرصة من أيديهم ولم يستطيعوا أن يتقدموا على يد المرحوم أحمد شاه ووضعوا خططهم مع آخر والذي وافق على كل أهدافهم وهو الديكتاتور الأحمق رضا خان وقبله ذلك الرجل الأبله أتاتورك الذي أجرى خططهم بالإجبار فمن جهة الاعلام والصحف المخادعة بين الناس ومن جهة أخرى ضغوط صعبة على العلماء والتضييق عليهم في كل أنحاء البلد ومن جهة ثالثة إشاعة أسباب المعاشرة والطرب والموسيقى ودعوة الناس إلى السفور والطربوش ومجالس السينما والمسرح والرقص وتلك الأمور

التي تعـرفونها ومـرت عـلى النـاس الحيلة بـأن هـذه الألعـاب هي تمـدن وتقـدم البلد والمؤمنون مانعون عنها فإذن هم يمنعون من تقـدم البلد وأساس الحيـاة . وبهذه الحيـل والمئات من أمثالها صارت الناس لا تعتني بالعلماء بل ساءت نظرتهم إليهم وبالتالي فقد الناس علاقتهم بالدين . وأما موظفوا الدولة وهم العضو المؤثر في البلد فجماعـة قليلة منهم كانت ملتفتة إلى القضايا لكن من أجل أخذ المراكز الحساسة مدّوا اليد لـلأجانب واقـدموا عـلى ما يخـالف مصالـح البلد . وجماعـة كثـيرة منهم قـد خـدعـوا واعتقـدوا لسذاجتهم أن ترقي البلد بهذه الألعاب فصاروا يقبلون كل ما يسمّى بالتجديد بـدون تأمل وخافوا من كلمة رجعي حتى كانوا يسكتون عما يرونه من مفاسـد أمرٍ مـا حتى لا يقال لهم رجعيون أو متعصبّون . ولم يشتروا هذا القبح الموهوم لهذه الكلمة الموهومة . وجماعة قليلة جداً كانت ملتفتة . لم تكن خائنة إما أنهم تنحوا عن العمل أو أن أولئك أقـالـوهم أو أنهم لضعف نفـوسهم ولكـونهم أقلية مـطلقـة لم يتمكنـوا من التكلم . والجميـع رأى أن التبليغ ضـد الـدين قـد شـاع بحيث أن أكـثر صحف البلد تصرف أغلب أوقـاتها وأوقـات القراء في ذلـك وبأي وسيلة كـانوا يبثـون في النـاس المعانـدة للدين . وقـد رأيتم أي فضائـح وأي ذل في أعـمال الـرقص . والعمـلاء كيف كـانت تبليغـاتهم المخـالفـة للدين ، كـانت هـذه تبليغـات تلك الفئـة التي كـانت تتبـع كـل الوسائل ،د والآن يوجد عدد من الجهال من أمثالكم وأمثال أربابكم الأفيونيين الجهال يلحسـون آخر ما تبقى من كوبهم وبـدون أن يكون عنـدكم القدرة عـلى التمييز وقفتم ضد الدين والبلد واستقـلاله ونشرتم الكتيبـات القبيحة . وبـآلاف الجهود نسبـوا إلى العلماء والمؤمنين التهم والأكاذيب ومن دون أدنى حيـاء تسمّون مـذهبكم باسم الـدين مع أن سوابق ذلك الرجـل الأبله في تبريـز وطهران معـروفة وأولئـك الذين يعـرفونـه يعرفونه باللاعفة والقذارة . ومثل هذا العنصر وهو أقذر العناصر يريد أن يدعو الناس إلى مذهبه القذر مذهب الزردشتية الموهوم وأن يصرفهم عن آلاف التشريعـات الإلهية التي نزلت كالسيل الجاري من عالم الغيب على قلب رسول الإسلام الطاهر لحيـاة كلها نورانية . هذه تبليغات تلك الجماعة التي تنشر بـين الناس من خـلال بعض الصحف كتّاباً وعدداً من أمثالكم ويصرفون الناس عن الـدين والمتدينـين ويصيّرون النـاس بلا علاقة مع الدين لكن تبليغات العلماء لم يكن من الممكن تحقيقها خـلال تلك السنوات العشرين وصـار حكم مجالس التبليـغ حكم الـترياق المهـرّب أو أسـوأ من ذلـك .

والمدارس العلمية التي كانت المنبع إما أقفلوها أو حوّلوها إلى مراكز فحشاء للشباب اليافعين . فمدرسة مروى في تهران التي تخرّج منها آلاف العلماء سلموها لحفنة أرامنة . ومدرسة سبهسالار سلّموها لحفنة من الشباب وصرفت مصارف وقفها ـ وباسم المدرسة ـ من أجل تربيتهم على الجلوس خلف الطاولات واليوم لا زالت على هذا الحال . واختاروا من أنفسهم متكلمين باسم الوعظ والخطابة بحيث بدل أن يدعو البعض منهم إلى الدين يدعو إلى أهداف الشؤم لرضا خان التي كانت أهداف الأجانب . وروّجوا في هذه الأثناء لعدد من المشايخ الخارجين عن القانون العارين عن العلم والتقوى أو التقوى على الأقل . باسم العلماء ، وباسم الإصلاحات حركّوهم للكتابة على خلاف دين الله . وهذه الكتب كانت تطبع بإذن من إدارة المطبوعات والمصاريف منها أو من أشخاص مرت عليهم الحيلة وإذا كتب كتاب ضدها لم يجيزوا طبعها مثلما حصل عندما كتب كتاب الإسلام والرجعة فكتب بعض علماء قم كتاب الإيمان والرجعة وسلّط الضوء على أكاذيب وخيانات « سنگلجي » لكنهم لم يسمحوا بطبعه وهو موجود الآن مخطوط . والمتدينون أيضاً في هذه المعمعة خسروا دينهم وابتعدوا عن العلماء أو على الأقل لم يوافقوا على مقاصدهم واليوم هم كذلك ولذا كانت الكتب المخالفة للدين تطبع بسرعة أما الكتب الدينية فقد بقيت على الأرض ولم يقدم أحد على طبعها . ومع ذلك تريدون أن يكون الناس على علاقة بالدين .

هذه جملة من علل عدم علاقة الناس بالدين وما لم ينهض المسؤولون وموظفوا الدولة والأعضاء المهمين في البلد من نومهم وما لم يفهموا المقاصد المسمومة للأجانب فلا أمل بإصلاح هذا البلد .

في نهاية الكلام يطلب من المؤلفين أو الصحفيين أن ينظروا في ما حواه هذا الكتاب الذي هو قليل من كثير وأن يلتفتوا إلى الوضع المؤسف في البلد واصل الخراب مع ملاحظة وضعية السنوات العشرين في فترة الديكتاتورية وأحوال رضا خان وعلة استلامه للحكومة واقراره الأعمال المخالفة وما حصل من استفادات للآخرين خلال هذه المدة . وان يهتموا بإيقاظ الملة متناسين أنفسهم وأين يحييوا الحس الديني الذي مات في قلبهم خلال هذه السنوات حتى لا يستفيد الآخرون ما يريدون .

وهذه آيات من القرآن الكريم ذكرناها لكم لننهي هذه الأوراق بكلام الله .

ثلاث آيات من القرآن :

سورة النساء آية ١٣٧ : ﴿ **بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً** ﴾ .

سورة المائدة آية ٥٠ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

سورة الأنفال الآية ٥٩ : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ .

أيها المواطنين الأعزاء ، أيها القراء المحترمون ، أيها الأخوة المؤمنون ، أيها الشباب المحبون لإيران . أيها الإيرانيون الساعون للعظمة أيها المسلمون الطالبون للعزة أيها المتدينون الطالبون للاستقلال . هذه أوامر سماوية ، هذه تشريعات إلهية ، هذه بيانات غيبية حيث أنزل الله قرآنا من أجل حفظ استقلال البلد الإسلامي ولبناء العظمة والفخر لكم . وأرسل الرسل فاقرأوا القرآن وكرروه وتدبّروا فيه واعملوا به حتى تعود لكم عظمتكمْ واستقلالكم . واحضنوا من جديد النصر والفخر وإلا فإنكم ستسيرون في طريق الهلاك وحياة الذلة وستكونون لقمة لجميع العالمين .

والسلام على من اتبع الهدى .

فهرس الموضوعات

المقالة الثانية ـ الإمامة

المقالة الثالثة ـ العالم

المقالة الرابعة ـ الحكومة

المقالة الخامسة ـ القانون

المقالة السادسة ـ الحديث